لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب السلوك

لمعرفة دول الملوك

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى

قام بنشره
محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)
أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

الجزء الأول — القسم الثالث

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٩

تصـــــدير

للقسم الثالث من الجزء الأول من كتاب السلوك للمقريزى

بهذا القسم الثالث يَكْمُل طبع الجزء الأول كله من كتاب السلوك ، وبه أيضاً ينتهى ما ترجمه منه كاترمير (Quatremère) إلا قليلا ، إذ يشمل ذلك الجزء تاريخ الأيوبيين والمماليك بمصر والشام حتى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤م) فقط ، وهذا حسب تقسيم المقريزى لكتابه بنفسه ، على حين أن ترجمة كاترمير ممتدة إلى سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٩م) ، بسبب اعتماده فى عمله على النسخة الباريسية التى ينتهى الجزء الأول منها عند تلك السنة الأخيرة[1] .

***

وإخالنى أسرعت الخطى فى إخراج الجزء الأول من هذا المؤلف الضخم فى ثمانية أعوام طويلة ، والواقع أنه لولا ما اعتملته أحياناً من ترك المتن خلواً من تفسير أو شرح أو إضافة كلما كان واضحاً سلساً ، ولولا قصدى فى الحواشى التى حاج إليها كلما قصر أو غمض أو التوى أو اشتمل على لفظ اصطلاحى ، لما كان فى استطاعتى أن أطلع اليوم على الناس بنهاية الجزء الأول البتة . ولكنى اتبعت طريقاً نَصَفَة ، فلم أنشر المتن مجرداً من حاشية ، إذ ليس فى ذلك كبير فضل أو مجهود ، ولم أتعمّل محاسبة المقريزى وحقائقه سطراً سطراً ، أو أرجع إلى كتب المعاصرين حبا فى المزيد ، لأجعل لنفسى من ذلك حواشى ضافية ؛ بل سرت على نمط أحسبه خليقاً بإحياء هذا التراث المصرى فى شكل مقبول ، وهو إخراج المتون صحيحة مقارنة مستقيمة ، مع القصد فى التفسير ، بحيث تتبيّن مواضع الأهمية من الكتاب للقارئ ؛ وحسبى أنى ساهمت فى ذلك بنصيب المجتهد ، وجلوت بعض ما تكوّن من صدأ فوق حقائق التاريخ المصرى فى العصور الوسطى . على أنى أرجو أن أكون قد كسبت الآن تجربة ومراناً ، وأن يكون عملى المستقبل فى هذا

---

(١) انظر تصدير القسم الأول ، صفحة ى ، ك .

الـكتاب أقل بطئاً وثقلا ، بأن يكون السلوك نفسه فى أجزائه التالية أغنى عن الشرح والتفسير مما انتهى منه حتى الآن .

***

سيلاحظ القارئ أنى استعنت كثيراً بترجمة كاترمير فى نشر هذا القسم الثالث والذى قبله ؛ وقد نبهت فى الحواشى إلى بعض الأخطاء[1] التى وقع فيها بسبب اعتماده على نسخة واحدة ، ولم أرد بذلك أن أغمز هذه الترجمة أو صاحبها العظيم ، أو أقلل من أهميتها بشىء ، وهى التى ظلت معين المستشرقين وميدان الناشئين بحق من أواسط القرن التاسع عشر إلى الآن . بل أردت أن أبين بقلة تلك الأخطاء فضل المترجم ، وأبرهن فى نفس الوقت للمتصدرين للنشر فى مصر أن الاعتماد على مخطوطة واحدة ، مهما بلغت من وضوح وخلت من أخطاء ، مع وجود نسخة أو نسخ أخرى ، مفسد للعمل ومضيع للوقت والجهود .

***

وقد ذيلت هذا القسم الثالث بصورة شمسية من صفحة الخاتمة بالمخطوطة التى اعتمدت عليها فى إخراج الجزء الأول كله ، وهى من خط المقريزى بيـده وتقريره[2] ؛ وأتليتها بصورة شمسية أخرى لصفحة العنوان من مخطوطة "كتاب المغرب فى حلى المغرب[3]" ، لوجود توقيع المقريزى عليها بخطه سنة ٨٠٣ﻫ (١٤٠٠م) . وأردت بذلك أن أضيف إلى ما كتبته بشأن مخطوطة السلوك هذه برهاناً قاطعاً بأنها من خط المقريزى نفسه ، وحسب القارئ أن يقارن بين هذا التوقيع المتقن المنمق ، و بين اسم المقريزى بالصورة الشمسية لصفحة العنوان المنشورة بالقسم الأول من السلوك ، مع ملاحظة أن تاريخ هذا التوقيع سابق لـكتابة السلوك بثلاثين سنة تقريباً ، إذ يحتمل أن يكون المقريزى قد بدأه حوالى

---

(١) انظر القسم الثانى : ص٤٣٥ ، حاشية ٤ ؛ ص ٤٤٠ ، حاشية ٤ ؛ ص ٤٤٥ ، حاشية ١ ؛ ص ٤٥١ ، حاشية ١ ، ٣ ؛ ص ٤٦٤ ، حاشية ٣ ؛ ص ٥٤٨ ، حاشية ٢ ؛ ص ٥٧٢ ، حاشية ٤ ؛ ص ٦٣٩ ، حاشية ٢ ؛ وكذلك القسم الثالث : ص ٧٠٠ ، حاشية ٢ ؛ ص ٧٢٩ ، حاشية ٣ ؛ ص٧٣٥ حاشية ٣ ؛ ص ٧٥٠ ، حاشية ٥ ؛ ص ٧٥٢ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٧٠ ، حاشية ١ ؛ ص ٨٩٧ ، حاشية ٢ .

(٢) انظر القسم الأول ، صفحة ز ، ح ، ١ ؛ وكذلك القسم الثالث هنا ، ص ٩٥٩ .

(٣) توجد هذه المخطوطة بدار الـكتب المصرية تحت رقم ١٠٣ م . انظر فهرس الـكتب العربية بدار الـكتب المصرية ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ ؛ أو (Moritz : Arabic Palaeography, Pl. 167) .

سنة ٨٣٣[1] هـ (١٤٢٩م) ، بعد أن اعترى خطه الأنيق شيء من مرّ السنين .

***

وقد أضفت من بعد ذلك سبعة عشر ملحقاً من مراجع مخطوطة متنوعة ، ولم يكن غرضى من هذا العمل الإضافى مجرد التقليد والإتباع لما جعله كاترمير من الملاحق فى آخر ترجمته (وليس فى ذلك منقصة) ؛ بل حدانى إليه اهتمامى بالتخفّف من الحواشى فى ذيل صفحات المتن كلما وجدت إلى ذلك وسيلة ، وحرصى على إظهار بعض ما فى عيون الكتب التاريخية من نصوص ووثائق هامة قد لا ترى المطبعة فى جيلنا ، واعتقادى أن ليس فى متسع كل مشتغل بالتاريخ أن يقرأ المخطوطات الطويلة ، أو يحصل على صور شمسية منها بسهولة . ولهذا أتوجّه بالرجاء إلى القوّامين على إحياء الكتب فى مصر أن يعملوا على طبعها كاملة ، فإن إخراجها فى صور مختصرة أو منتخبة ليس إحياء لها ، بل هو إشباع لحاجة طارئة بطريقة سريعة قصيرة ، وقد قال أهل المعرفة إن أقصر الطرق أقلّها نفعاً للمتعلمين .

***

وقد أتبعت الملاحق بكشاف ذى ثلاثة فروع شاملة للجزء الأول كله ، فجمعت بالفرع الأول أسماء الرجال والنساء والدول والقبائل والأجناس والفرق الدينية والسياسية ، وخصصت الثانى لأسماء الأماكن والمدن والشوارع والأسواق والحارات والخطط والرباع والمساجد والجوامع والخانات والأنهار والترع والجسور ، وأفردت الثالث للألفاظ الاصطلاحية وأسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب وأنواع الضرائب وأدوات الحرب والملبوسات والمحاصيل والمقاييس والأعياد والملاهى . وقد كان بودى أن يكون ذلك الكشاف الطويل تحليلياً موضوعياً ، نزولا على رغبة لها قدرها عندى ، غير أنى وجدت النهوض بتلك الرغبة يحتاج لوقت ثمين ، وأن المتون التاريخية المطولة ليست فى الواقع كتبا عادية فى التاريخ ، بل هى معاجم للباحثين والطالبين .

***

والآن وقد انتهيت من نشر الجزء الأول فقد آن ميعاد المقدمة التى وعدت بها فى

(١) انظر مايلى ، صفحة ى .

تصديرى للقسمين الأول والثانى ، على أنى أختتم هذا التصـدير الثالث بتقديم شكرى العميق إلى جميع من عاوننى فى الوصول إلى تلك المرحلة من العمل ، سواء بقراءة الأصول والملاحظة والنصح كالأستاذ أحمد أمين رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، أو بالتشجيع والتنبيه كالأستاذ الدكتور طه حسين بك ، والأستاذ محمد شفيق غربال ، فقد ظلوا ثلاثتهم حفيِّين بى معنيِّين بخطواتى ، وقد يحسن بى أن أحبس القلم عن المزيد ، فالشكر الخالص لا يحتاج لتعبير طويل . وإنى أشكر أيضاً الأساتذة محمد كرد على بك ، ومارجوليوث (Margoliouth) ، وجب (Gibb) ، وفيت (Wiet) ، وترتون (Tritton) ، وفولتون (Fulton) ، وقسطنطين زريق على كلمات التشجيع التى تلقيتها من كل منهم مشافهة وبالبريد ، وعلى صفحات المجلات بمصر وإنجلترة . وكذلك أشكر حسين مؤنس افندى ، لتهيئته الكشاف على النحو الذى رسمته له ، ولمعاونته إياى فى مراجعته قبل الطبع ؛ كما أشكر عبد اللطيف افندى محمد الدمياطى رئيس مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر ، لما بذله من جهد وعناية فى سبيل إخراج هذا القسم الثالث على الصورة التى تمّ فيها .

مصر الجديدة { ٢٩ المحرم ١٣٥٨ هـ
٢٠ مارس ١٩٣٩ م }　　　　محمد مصطفى زيادة

مقـــــدمة

للجزء الأول من كتاب السلوك للمقريزى

أما قبل ، فأرجو ألا يكون بين قراء هذه المقدمة من ينتظر هنا ترجمة للمقريزى ، أو مقدمة لـكتابه ولما أنتهِ من نشره كله ؛ فقد جرى العرف الحديث بين القوّامين على نشر المخطوطات ، كما يوجب منطق العمل فيها ، أن يُسْتَمْهَل الناشر لـكتابة مقدمة شاملة لحياة المؤلف ولطريقته فى التأليف حتى يتم إخراج الـكتاب ، أى أن ميعاد تلك المقدمة الجامعة يكون مع آخر قسم من الجزء الرابع من السلوك . أما المقدمة الحالية فهى فقط للجزء الأول بأقسامه الثلاثة ، ومهمة الناشر هنا مقتصرة على تحليل هـذا الجزء تحليلا إجمالياً .

***

كتب المقريزى كتابه هذا ليكون تاريخا للدولة الأيوبيين والمماليك إلى زمنه ، فتتم بذلك سلسلة مؤلفاته فى التاريخ المصرى من الفتح العربى إلى أواسط القرن التاسع الهجرى [1] . على أنه بدأه كبدء معظم المؤرخين فى القرون الوسطى بالشرق والغرب ، فافتتح بمقدمة طويلة فى ذكر العصور السابقة لموضوع مؤلفه ، بأن كتب فيما كان عليه الكافة قبل الإسلام ، ثم تدرّج من ذلك إلى ذكر الدولة الإسلامية من زمن النبى عليه الصلاة والسلام إلى سقوط بغداد فى يد التتر سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وأعقبـه بدولة بنى بويه والدولة السلجوقية . وقد أشار فى ثنايا مقالته فى السلاجقة إلى قيام الأتابك عماد الدين زنكى بالموصل وحلب ، واتصاله بنجم الدين أيوب "مستحفظ" قلعة تكريت وبأخيه أسد الدين شـيركوه ، واستمرار ذلك الاتصال بين نور الدين بن زنكى وبين أيوب وأخيه ، حتى كانت أيام تدخل نور الدين فى شئون الدولة الفاطمية بمصر ، وذهاب شيركوه على رأس الحملة النورية ، ومعه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، مما أدى أخيرا إلى زوال الدولة الفاطمية

---

(١) انظر القسم الأول ، ص ٩ .

وتأسيس دولة الأيوبيين بمصر . ومن هنا كان البدء الحقيقى لـكتاب السـلوك ، وقد افتتحه المقريزى بشرح فى أصل صلاح الدين ومولده وحوادثه بمصر حتى صار صاحب الأمر فيها ، ثم بدأ فجأة من سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) يكتب على نظام الحوليات ، يورد حوادث كل سنة على ترتيب تاريخى تقريباً ، ثم يختمها بالوفيات ، ويضيف إليها أحياناً ما قد يفوته من أخبار أخرى . ولم يحاول المقريزى أن يصل بين سنة وأخرى البتة ، ولم يستوقف القارئ فى وسط السنين إلا لقيام عهد جديد ، حتى آخر سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣م)، وهى نهاية الجزء الأول .

* * *

قد يقال إن المقريزى مختصر فيما كتبه فى هذه السنين البعيدة من عصره ، وإنه نقل من مراجع المعاصرين وغيرهم ، فلا فائدة فيه كمرجع أصلى للأيوبيين والمماليك حتى آخر ذلك الجزء من كتابه ، بل حتى سنة ٧٨٥[1] هـ (١٣٨٣ م) التى يبتدئ بها الجزء الرابع ، والتى يمكن اعتبار ما كتبه المقريزى من وقتئذ من شاهد العيان . وقد يقال للبرهان على ذلك مثلا إن المقريزى لم يذكر فى عرضه لحوادث السلطان صلاح الدين اسم رتشارد الأول (قلب الأسد) ملك إنجلترة مرة واحدة ، وهو صاحب الأخبار الطوال فى سياسة صـلاح الدين ، وإنه أورد تاريخ السلطان العادل الأول مختصراً جداً ، وإن ما كتبه فى عهد السلطان المنصور قلاون أقل بكثير مما كتبه فى حكم السلطان الظاهر بيبرس ، وقد يقال غير ذلك من الأمثلة . غير أنه لا شك فى أن ما جاء بالجزء الأول من السلوك فى الأيوبيين والمماليك على قصره واختصاره أحيانا ، قد حوى من الحقائق والإشارات ما لم تحتوه مطولات المعاصرين كابن الأثير وأبى شامة وابن شـداد وابن واصل وابن أبى الفضائل والنويرى وبيبرس المنصورى وأبى الفداء وغيرهم ، وإن مقارنة بين محتويات كتبهم وبين ما يقابلها فى السلوك لتشهد بأن المقريزى قد جاء على الرغم من اختصاره وعدم معاصرته لمـا يكتب فيه أوفى من أى واحد من أولئك بمفرده ، إذ أنه

(١) كان المقريزى حينئذ قد بلغ من العمر تسع عشرة سنة .

نقل وأفاد أكثر منهم جميعاً ، وزاد عليهم أحياناً[2] من مراجع أخرى قد اندثرت تماماً — لعلها وثائق ديوانية — ، ولم يبق منها إلا ما حفظه المقريزى فى كتابه . وربما كان أكبر شاهد على ذلك كله أن كاترمير (Quatremère) وبلوشيه (Blochet) من بعده ، قد اختار كل منهما قسما من الجزء الأول من السلوك فترجمه ، وهو عالم بما هنالك من كتب المعاصرين الذين تقدمت الإشارة إليهم ؛ وأن كتب المؤلفين الأوربيين أمثال (D'Ohsson) ، و(Howorth) ، و (Michelet) ، و (Lane-Poole) ، و(Stevenson) ، و (Grousset) ، ومقالات دائرة المعارف الإسلامية ، مزينة باسم المقريزى كعمدة موثوق به ، حتى فيما ورد بكتابه من افتتاحيات بصدد العباسيين وبنى بويه والسلاجقة .

هذا وللمقريزى إشارات انفرد بها فى كتابه لم تكن فى سائر الكتب المعروفة ، وقد تبطنها المخطوطات لتظهرها الأيام مطبوعة فى غير السلوك : ومنها تلك العبارة المنسوبة إلى السلطان العادل الأول بشأن وراثة الملك فى الدولة الأيوبية (انظر ص ١٥٢ ، سطر ٢ — ١٠) ، فهى تفسر السبب الذى منع أبناء تلك الأسرة من الخضوع لسلطان واحد بعد صلاح الدين ؛ ومنها تلك الإشارة المبهمة إلى لفظ "البحرية" (انظر ص ٢٢٣ ، سطر ١) الذى ظنه جميع المؤرخين مشتقاً من "بحر" النيل ، وأن فرقة المماليك البحرية التى تفرعت عنها دولة المماليك الأولى بمصر قد سميت بذلك الإسم نسبة إلى ذلك الاشتقاق[1] ؛ ومنها غير ذلك كثير ، مما سيجده القارئ بالمتن والحواشى .

***

أما اعتماد المقريزى على مراجع المعاصرين الذين تقدمت أسماؤهم ففضل فى ذاته ، تشهد به الإشارات الكثيرة فى الحواشى[3] ؛ ولا يقلل من ذلك الفضل أن المقريزى نقل

---

(١) انظر مثلا ص ٢٩٠ ، حاشية ١ ، ٣ ؛ ص ٢٩٨ ، حاشية ١ ؛ ص ٨٢٠ ، حاشية ٢ ؛ ص ٨٣٢ ، حاشية ١ .

(٢) انظر مقالتى "بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر" ، فى الجزء الأول من المجلد الرابع من مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية . (مايو سنة ١٩٣٦) .

(٣) انظر ص٢٣ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٥ ، حاشية ٥ ؛ ص٣٦ ، حاشية ٧ ؛ ص٤٢ ، حاشية ٤ ؛ ص١٦٢ حاشية ١ ؛ ص١٦٣ ، حاشية ٦ ؛ ص١٨٨ ، حاشية ٣ ؛ ص٢٢٢ ، حاشية ١ ؛ ص٢٥٤ ، حاشية ٥ ؛ ص ٢٧٠ ، حاشية ١٠ ؛ ص ٢٧٧ ، حاشية ٤ ؛ ص ٢٨١ ، حاشية ٤ ؛ ص ٢٨٥ ، حاشية ١ ؛ ص ٢٨٦ ، حاشية ٥ ؛ ص٢٩٠ ، حاشية ١ ، ٣ ؛ ص ٢٩٨ ، حاشية ١ ؛ ص٣٧٩ ، حاشية =

من تلك المراجع صفحات كاملة ، فهكذا كان شأن التأليف فى تلك العصور ؛ و إنما يؤخذ عليه أنه لم يذكر أسماء تلك المراجع كلما استقى منها ، ما عدا مرتين اعترف فيهما بنقله من ابن واصل ، (انظر ص ٣٧٨ ، سطر ١٦ ، ص ٣٧٩ ، حاشية ١ ؛ ص ٤٠٦ ، حاشية ٣) ، مع أنه نقل منه مرات تزيد عن العشرين .

***

أنتقل هنا إلى نقطة يحتمل أن تكون ذات أهمية حقيقية عند الإخصائيين فى تحديد كتابة المقريزى لهذا الجزء الأول من السلوك : ذلك أنى وجدت بهوامش بعض الصفحات بالنسخة التى جعلتها أصلا فى عملى إشارات رقمية هكذا ٣/٣٣[1] ، وإنى أظنها إشارات إلى تاريخ كتابة المقريزى لذلك الجزء ، أو لمراجعته ، أى شهر ربيع الأول سنة ٨٣٣ ﻫ (١٤٢٩ م) . وهذا تاريخ معقول لكتابة السلوك إذا ذكرنا أن المقريزى قد بدأ حياته الأدبية بتأليف "المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والأمصار" حوالى سنة ٨٢٠ ﻫ (١٤١٧)[2] ، وأنه لم يبدأ كتابة السلوك إلا بعد إكمال كتاب "عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط" وكتاب "اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا[3]" . غير أنه إذا سلمنا بهذا الفرض المعقول ، ثارت نقطة جديدة بشأن كتاب المواعظ والاعتبار : ذلك أن المقريزى افتتح كتاب السلوك بشرح فى نسب الأكراد والأيوبيين حتى أرجعهم إلى قريش وعدنان[4] من غير تعليق ، مع أنه تناول هذا النسب القصصى فى المواعظ والاعتبار بالعبارة الآتية : "وهذه أقوال الفقهاء لهم ، ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك إليهم[5]" .

= ١ ؛ ص ٥٦٦ ، حاشية ٥ ؛ ص ٥٧٤ ، حاشية ٢ ؛ ص ٥٨٢ ، حاشية ١ ؛ ص ٥٩١ ، حاشية ٥ ؛ ص ٦٠٣ ، حاشية ١ ؛ ص ٦٧٩ ، حاشية ١ ؛ ص ٦٩٤ ، حاشية ١ ؛ ص ٧١٧ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٢٤ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٣١ ، حاشية ٤ ؛ ص ٧٣٤ ، حاشية ٢ ؛ ص ٧٣٥ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٣٧ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٤٠ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٥٥ ، حاشية ٢ ؛ ص ٧٥٦ ، حاشية ٦ ؛ ص ٨١٨ ، حاشية ٢ ؛ ص ٨٢٠ ، حاشية ٢ ، ٣ ؛ ص ٨٣٢ ، حاشية ١ ؛ ص ٨٦٠ ، حاشية ١ ؛ ص ٨٦٦ ، حاشية ٤ .

(١) انظر ص ٤٣٨ ، حاشية ٥ ؛ ص ٤٦٩ ، حاشية ١ ؛ ص ٤٧٨ ، حاشية ٣ .

(٢) انظر (Enc. Isl. Art. Maḳrizi).

(٣) انظر القسم الأول ، ص ٩ .

(٤) انظر القسم الأول ، ص ٣ — ٤ ، ٤١ — ٤٢ .

(٥) المقريزى : المواعظ والاعتبار (طبعة بولاق) ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

فكيف تعرض المقريزى لهذا النسب بنقد صريح فى كتابه السابق ، ولم يتناوله بشىء من ذلك البتة فى كتابه المتأخر ، إلا أن يكون هناك شىء من الصحة فيما قاله بعض المحققين من أن كتاب المواعظ والاعتبار ليس للمقريزى بل لأحمد بن عبد الله بن الأوحدى[1] ؟

***

وبعد ، فقد انتهى الجزء الأول من كتاب السلوك ؛ وقد صرفت فى إخراجه ما توفر لدى من ساعات الفراغ فى ثمان سنوات ، ولا أدرى إذا كنت على صواب من صرفها فى هذا النوع من العمل ، على أنى مؤمن على الأقل بأن تاريخ مصر لن يكتب على صورة قريبة من الحقيقة ، مرضية من التاريخ ومن أهل النهضة المصرية الحديثة ، إلا بعد نشر أمثال كتاب السلوك نشراً صحيحاً ، لا تشوبه رغبة فى مجرد إنجاز أو حب فى صيت. وإنى وإن كنت بانصرافى إلى هذا العمل قد ضيعت على نفسى فرصة التأليف حتى الآن ، فإنى قد ساهمت فى بعض ما يلزم للتأليف السليم ، وحسبى هذا السهم الضئيل مؤقتاً والسلام .

مصر الجديدة { ١ صفر سنة ١٩٣٩ / ٢٢ مارس سنة ١٣٥٨ }

محمد مصطفى زيادة

(١) انظر (Enc. Isl. Art. Makrizi) ، وكذلك (Wiet: Kitat, I. P. 10; Quatremère: Hist. des Sultans Mamlouks. I. 1. PP XII—XIV) .

محتويات الجزء الاول من كتاب السلوك للمقريزى

القسم الأول

القسم الثانى

القسم الثالث

تصحيحات[1]

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
ن (بالقسم الأول)	١	عز الدين أبو الحسين
٢٩	٢٣	، فرؤى إيراده
٣٠	٢٢	(Enc. Isl.
٣٢	٢٦	(Camb. Med.
٦٩	١٨	وأحرق الربض
١١٣	١٣	وليس معه سوى صبي
١١٤	٢٠	، وهى قلعة على الفرات
١٦٤	٢٠	Djuwaini
١٨٦	٧	الشام مماليكك
١٨٦	١٧	(كتاب الروضتين ،
٢٣٩	٨	وكان أصحاب هذه المرتبة
٢٩٤	٩	فكانت ستة آلاف ألف وعشرين
٣٧٧	١٧	فلعبت المماليك
٣٧٨	١٣	مودعا
٣٩٠	٢٠	الأمراء المماليك
٤٠٠	١	، فَفَرَّ منه
٤٠١	٨	اليونينى
٤٠٤	٤	تكَّة
٤٦٧	١٨	(Bahadir Ali)

(١) ظهرت لى أخطاء مطبعية جديدة بالقسمين الأول والثانى من هذا الكتاب ، وهى غير التى سبق تصحيحها هناك ، فرأيت إثباتها مع تصحيحات القسم الثالث هنا .

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
٦٣٢	٢١	وَهُيِّئَ تَخت بنى سلجوق لجلوسه
٦٤٣	٢٠	عماد الدين بن النابلسى
٦٥٧	١٩	المقدسى الحنبلى
٦٧٨	٧	بيت المال
٦٨٠	٧	بكتوت بن الأتابك
٦٨٢	٢٦	زبدة الفكرة ، ج ٩ ،
٦٩٧	١٩	Supp. Dict.
٧٠٤	١٠	محمد بن شكر
٧٠٥	٢٧	Persia
٧١٩	٢١	(١) كذا فى س ، والمعنى ضعف عن مباشرة الوظائف . (انظر لسان العرب) .
٧٢٤	٢٢	انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 80. N. 87)
٧٢٤	٢٥	، وتصرّف كل منهما
٧٣٥	٢٤	Quatremère(١)
٧٤٠	٢٤	المراقبة (Mettre à La Consigne) ، أو هو المراقبة نفسها .
٧٤٠	٢٥	reconnaissance
٧٥٢	٣٠	عبد الله بن سعد
٧٦٨	١٣	، وأُعِيد إلى ولاية البرّ ؛
٧٧١	٢٥	Op. Cit.
٧٧٩	١٧	سنجر الدوادارى

(١) سيكتفى الناشر بتصحيح هذا الاسم هنا فقط ، ويرجو تنبيه القارئ إلى ضرورة تصحيحه أحيانا قليلة أخرى فيما يلى هذا الموضع من الصفحات ، ص ٨٠٨ ، ٨١٤ ، ٨١٦ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ .

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
٧٨٢	٢٢	(انظر الحاشية رقم ٥)
٧٩٦	١٤	على خبر
٨٠٤	٧	طرغاى
٨٠٤	١٢	الأسودى
٨٠٤	٢٠	(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة
٨٠٤	٢١	هنا خطأ
٨٠٤	٢٩	Enc. Isl.
٨٠٥	١٤	(Uljaltu)
٨١٢	١٩	(Zetterstéen
٨٣٣	٢٤	طقطوخان القفجاق
٨٤١	٨	وسرفندكار
٨٤٥	٣٣	المقريزى
٨٥٠	١٩	الأمير سعد الدين
٨٥٢	٢١	حسبما ورد فى النويرى
٨٧٩	٢٢	هى الواردة
٨٨٣	٢٦	(١٠) الضمير عائد على برنطاى . انظر ما يلى ، سطر ١٦ .
٨٨٥	٢	فأَخَذَت البرجية
٩٠٤	٥	علاء الدين أحمد
٩٥٢	٢٥	هذه القبة والمدرسة وأوقافهما وطريقة إدارتهما
١٠٢٨[١]	٨	والشبل فى المخبر

(١) تحذف الحاشية رقم ٢ من تلك الصفحة .

المقريزى

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

الجزء الأول — القسم الثالث

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفى الصالحى النجمى العلائى

كان من جنس القَبْجَاق[١] ، ومن قبيلة بُرْج[٢] أغْلِى ؛ فجلب إلى مصر وهو صغير ، واشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر الساقى العادلى أحد مماليك الملك العادل أبى بكر بن أيوب بألف دينار ، فعرف من أجل ذلك بالألفى . فلما مات أستاذه الأمير علاء الدين صار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عدة من المماليك ، فعرفوا بالعلائية ، وذلك فى سنة سبع وأربعين وستمائة . وجَعَل الملك الصالح قلاونَ من جملة المماليك البحرية ، وما زال حتى كانت وفاة الملك الصالح ، ثم إقامة شجر الدر بعد الملك توران شاه بن الصالح . فلما قام المعز أيبك فى سلطنة مصر ، وقُتل الفارس أقطاى ، خَرج قلاون من مصر فيمن خرج من البحرية .

وتنقّلت به الأحوال حتى صار أتابك العساكر بديار مصر فى سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر ، فى سابع شهر ربيع الآخر ؛ وصار يذكر اسمه مع اسم العادل على المنابر ، وتصرّف تصرُّف الملوك مدة ثلاثة أشهر ، إلى أن وقع الاتفاق على خلع العادل وإقامة قلاون . فأُجلس [قلاون] على تخت الملك فى يوم الأحد العشرين من رجب ، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة ، وتلقّب بالملك المنصور ؛ وأمر أن يكتب فى صدر المناشير والتواقيع والمكاتبات [لفظ] " الصالحى " ، فكتب بذلك فى كل ما يكتب عن السلطان ، وجعل عن يمين البسملة تحتها بشىء لطيف جداً . وخرج البريد بالبشائر إلى الأعمال ، وجهزت نسخة اليمين إلى دمشق وغيرها ؛ وزينت[٣] القاهرة ومصر وظواهرها وقلعة (١٦٩ ب) الجبل ، وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر .

---

(١) القبجاق فرع من الترك مساكنهم الأصلية حوض نهر إرتش ، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إثل (الفلجا) فى جنوبى الروسيا الحالية ، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق ، كما عرفت به أيضاً دولة المغول المسماة باسم القبيلة الذهبية . (Enc. Isl. Art. Ķipčaķ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٦٧ — ٤٦٨) .

(٢) ضبط هذان اللفظان من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٩٧ ب) ، انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 2.) ، هذا وتوجد فى س ضمة على الباء فقط .

(٣) تحت هذا اللفظ فى س العبارة الآتية : " وتوجه الى " .

وأول ما بدأ به [السلطان قلاون] إبطال زكاة الدَّوْلَبَة[(١)] ، وكانت مما أجحفت بالرعية ؛ وأبطل مُقَرّر[(٢)] النصارى ، وكان له منذ أحدث ثمان عشرة سنة ؛ وانحطت الأسعار . ووصل البريد إلى دمشق ، وعليه لاجين الصغير والأمير ركن الدين بيبرس الجالق ، فى ثامن عشريه ، بعد يومين وسبع ساعات من مفارقة قلعة الجبل ، ولم يعهد مثل هذا . فحلفت عساكر دمشق ، وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة ثانى شعبان ، وزينت المدينة سبعة أيام . وأفرج السلطان عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى ، وأقامه فى نيابة السلطنة بديار مصر ؛ وأقرّ الصاحب برهان الدين السنجارى على وزارته ؛ ولازم الجلوس بدار العدل فى يومى الاثنين والخميس .

وفى يوم السبت ثالث شعبان ركب [السلطان الملك المنصور قلاون] بشعار السلطنة وأبهة المملكة ، وشق القاهرة وهى مزينة ، فكان يوماً مشهودا ، لأنه أول ركوبه . وكتب [السلطان] إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر كتابا ، بخط القاضى عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير[(٣)] ، يخبره فيه بركوبه ، وخاطبه

(١) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٦٨ ب) ، وبيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٩٩ ب) أمر إبطال هذه الزكاة فى عبارة مختصرة مشابهة تماماً لما هنا ، غير أنه يوجد فى (Quatremère: Op. Cit. II. 1. P. 2. N. 3.) تعريف مبهم لهذه الزكاة ، ونصها : "زكاة الدولبة ، وهى مال كان يؤخذ من أصحاب الأموال ولو عدم المال ، وإن مات عن فقر أخذ ذلك من ورثته" ، وهذا التعريف مشابه لفظاً بلفظ تقريباً لما ورد فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٦) بشأن زكاة الدولة (كذا) ، ولعل المقصود واحد فى هذه المراجع جميعاً . هذا ويرى (Quatremère: Loc. Cit.) أن زكاة الدولبة هذه كانت تفرض على كل مستخدم للدواليب — أى العجلات ، فى الرى أو الغزل أو صناعة السكر ، وعلى هذا الفرض تكون تلك الزكاة ضريبة على الآلات المستعملة فى الصناعة .

(٢) عرف المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٦) ، هذا المقرر الذى أبطله السلطان قلاون تلك السنة (٦٧٨ هـ) بأنه "كان يجبى من أهل الذمة — وهو دينار سوى الجالية — برسم نفقة الأجناد فى كل سنة" ؛ هذا ويظهر من بقية الجملة بالمتن هنا أن السلطان الظاهر بيبرس هو الذى ابتدع تلك الضريبة غير العادية حوالى ٦٦٠ هـ ، أى فى السنة الثالثة من حكمه .

(٣) سمى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٦٨ ب — ٢٦٩ أ) هذا القاضى باسم تاج الدين ابن الأثير ، وأورد جزءاً من كتاب السلطان إلى الأمير سنقر ، ويتبين من ذلك الجزء أن قلاون كان عازماً على متابعة سياسة سلفه الظاهر بيبرس نحو الصليبيين ، وأنه أراد بهذا الكتاب أن يطمئن أولا لموقف الأمير سنقر نائب دمشق من سلطنته ، ودليل ذلك كله العبارة الختامية من الكتاب المذكور ، ونصها : "وشرعنا من الآن فى أسباب الجهاد ، وأخذنا فى كل ما يؤذن إن شاء الله تعالى بفتح ما بأيدى العدو من البلاد ، (ص ٢٦٩ أ) ولم يبق إلا أن تثنى الأعنة ، وتسد الأسنة ، ونظهر ما فى النفوس من مضمرات المقاصد المستكنة ، بأن تزين دمشق المحروسة وتضرب البشائر فى البلاد ، وأن يسمعها كل حاضر وباد ، =

بالملوك[١] . وأعفى تقى الدين تُوْبَه[٢] التكريتى مما عليه من البَوَاقِى[٣] ، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق .

وصام الناس شهر رمضان يوم الجمعة ، على اختلاف شديد وشك كبير . وفى ثالثه استقر الأمير جمال الدين أقش الشريفى أمير جاندار ، فى نيابة السلطنة بالصلت والبلقاء . وفى ثامنه أفرج عن فتح الدين عبد الله بن القيسرانى وزير دمشق ، بعد ما اعتقل بقلعة الجبل زيادة على ثلاثين يوما . وفى عاشره استقر الأمير فخر الدين الطنبا فى نيابة السلطنة بالقُصير الذى بالقرب من أنطاكية ؛ واستقر الأمير علم الدين سنجر المنصورى فى نيابة السلطنة ببلاطنس ؛ واستقر الأمير فخر الدين أياز الملوحى فى ولاية الأعمال الغربية ، عوضاً عن الأمير ناصر الدين بيليك بن المحسنى الجزرى .

وفى رابع عشره استقر الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر ، عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، بحكم رغبته عن ذلك وسعيه فى استقرار حسام الدين طرنطاى . وذلك أنه تمارض ، فلما عزم [السلطان] على عيادته صنع له طبيبه شيئاً تهيّج به وجهه واصفرّ ، ودخل عليه السلطان فتألم له وسأله عن حوائجه ، فأشار عليه أن يقدم مماليكه وأثنى عليهم ، ثم قال : "وتعفينى من النيابة" ، وأظهر العجز عنها . فلم يوافقه السلطان على ذلك ، فأخذ يلح عليه ، فقال له [السلطان] : "فأَشِرْ على بمن يصلح لها" ، فقال : "طرنطاى" ، فوافق قولُه غرضَ السلطان .

= والله تعالى يجعل أوقاته بالتهانى مفتتحة ، ويشكر مساعيه التى ما زالت فى كل موقف ممتدحة ، إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وحده" .

(١) نعت السلطان قلاون نفسه بصفة الملوك مرتين فى الجزء الوارد فى النويرى من هذا الكتاب (انظر الحاشية السابقة) ، على أن المعروف أن سلاطين المماليك كان ينعتون أنفسهم بهذه الصفة فى رسائلهم لسلاطين وملوك الدول الإسلامية (انظر ص ٥٦٤ ، حاشية ٢) ؛ ويظهر من المثل الوارد هنا أنهم كانوا يستعملون هذا النعت أيضاً فى مكاتباتهم لكبار الأمراء فى دولتهم ، ولاسيا خشداشيتهم ، وذلك سياسة منهم وتواضعاً ، حتى لا يشعر الأمراء أن السلطان وهو منهم وقد نشأ نشأتهم ، قد تناساهم أو تسامى عليهم . (Quatremère: Op. Cit. II. 1. P. 5. N. 5.)

(٢) فى س "توبه" ، وقد ضبط من ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣١٢ ، حاشية ٧ ، من الترجمة الفرنسية) ، حيث ورد أن هذا الاسم مغولى الأصل (dobo) ، ومعناه التل الصغير (colline) .

(٣) البواقى لفظ اصطلاحى كان يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٢) .

وفى سابع عشره قبض على الأمير نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، وعلى عدة من الناصرية . وفى (١٧٠ ا) سادس عشريه صرف الصاحب برهان الدين خضر السنجارى عن الوزارة ، وقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى ، وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما . وسجنا بدار الأمير علم الدين سنجر الشجاعى[1] ، وأحيط بسائر أتباعهما ، وألزموا بمائتى ألف وستة وثلاثين ألفا .

وفى ثانى شوال استقر القاضى فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء فى الوزارة ، بعد ما حمل إليه الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى الأستادار خلع الوزارة إلى بيته بقلعة الجبل ، وامتنع امتناعاً شديداً فلم يسمع منه وألبسه الخلع ، وباشر عوضاً عن الصاحب برهان الدين السنجارى . وأفرج عن السنجارى ، فلزم مدرسة أخيه بالقرافة . وفيه استقر القاضى فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى قراءة البريد وتلقى الأجوبة ، عوضاً عن ابن لقمان . وفيه قبض على جماعة من الأمراء : منهم الأمير علاء الدين مغلطاى الدمشقى ، وسيف الدين بكتمر الأمير آخورى ، وسيف الدين طقصبا الناصرى ، وصلاح الدين أحمد بن بركه خان ، وشهاب الدين قرطاى المنصورى ، وصارم الدين الحاجب ؛ واعتقلوا . وفوضت وزارة دمشق لتقى الدين توبه ناظر الخزانة ، وخلع عليه خلع الوزراء وتلقب بالصاحب .

وفى تاسعه خرج الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى على عسكر من القاهرة إلى جهة الشوبك — و[كان] قد بعث إليها الملكُ السعيدُ بركه قان بن الظاهر وهو بالكرك الأميرَ حسام الدين لاجين رأس نوبة الجمدارية السعيدية ، وتغلب عليها ؛ وبعث السعيد إلى النواب [أيضاً] يدعوهم إلى القيام معه — ؛ فسار الأمير بدر الدين الأيدمرى ونزل على الشوبك ، وضايقها حتى تسلمها فى عاشر ذى القعدة ، بعد ما فرّ منها الملك نجم الدين خضر ابن الظاهر ، ولحق بأخيه السعيد فى الكرك .

وقدمت رسل الفونش[2] بكتب للملك السعيد وهدية ، فقبض على هديتهم وكتبهم ،

(١) فى س " السجاعى " ، وهو فى ب (٢٠١ ا) ، وفيما يلى هنا أيضا بالشين .

(٢) يفهم من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٨٤) أن هذا الاسم كان يطلق اصطلاحاً على كل ملوك الفرنج بطليطلة وبرشلونة من إسبانيا ، حتى ولو كان الملك المقصود يحمل اسماً =

وأعيـدوا فى خامس عشر شوال . وفى حادى عشريه قبض على الملك الأوحد ... ...[1] وأخيه شهاب الدين محمد ، ولدى الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب الكرك ، واعتقلا . وفيه استقر الأمير بدر الدين بيليك الطيارى فى نيابة السلطنة (١٧٠ ب) بقلعـة صفد ، ونقل الأمير علم الدين سنجر الكرجى إلى الولاية ، ونقل الأمير سيف الدين بلبان الجوادى إلى خزندارية القلعة .

وفى ثالث عشريه استقر شرف الدين أبو طالب بن علاء الدين ... ...[2] بن النابلسى ناظر النظار[3] بديار مصر ، عوضاً عن نجم الدين بن الأَصْفُونِى[4] فى الوجه القبلى ، وعن تاج الدين بن السَّنْهُورى[5] فى الوجه البحرى . وفى رابع عشريه صرف النصارى من ديوان الجيوش ، وأقيم بدلهم كتاب مسلمون ؛ فاستقر أمين الدين شاهد[6] صندوق النفقات فى كتابة الجيش ، عوضاً عن الأسعد إبراهيم النصرانى . وفيه هدم دير[7] الخندق خارج باب

= غير ذلك الاسم الشائع فى تاريخ إسبانيا المسيحية ؛ هذا والصيغة المثبتة هنا عامية ، على حد قول القلقشندى (نفس المرجع والجزء والصفحة) ، والصحيح فى المصطلح "أدفونش" .

(١) بياض فى س . (٢) بياض فى س .

(٣) يوجد فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٥) تعريف بصاحب وظيفة ناظر النظار بدمشق فقط ، ونصه : "وهو الذى يقوم بها مقام الوزير بالديار المصرية" ؛ ويستنتج من هذا التعريف أن ناظر النظار بالديار المصرية هو المسمى أيضاً ناظر الدواوين أو ناظر الدولة ، "وهو المعبر عنه فى مصطلح الدواوين المعمورة بالصحبة الشريفة ، فوضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير فى كل ما يتحدث فيه ، ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب ، ويوقع فى كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له ؛ وإن كان الوزير صاحب سيف كان الناظر هو المتحدث فى أمر الحسابات وما يتعلق بها ، والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ" . (القلقشندى : نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٢٨ — ٢٩) .

(٤) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى قرية أصفون المطاعنة بالصعيد الأعلى جنوبى إسنا ، وتقع على الشاطئ الغربى للنيل . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٠٠ ؛ فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٦) .

(٥) بغير ضبط فى س ، وسنهور التى منها هذه النسبة اسم يطلق على أربع بلاد بالقطر المصرى ، ولعل المقصود منها هنا سنهور المدينة ، قرب دسوق بمديرية الغربية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ؛ مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٢ ، ص ٥٩ — ٦١ ؛ فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٧٢) .

(٦) الشاهد هو الذى يشهد بمتعلقات الديوان المستخدم به نفياً وإثباتاً ، وهو أحد الموظفين الذين جمعهم القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٥) تحت باب كتاب الأموال .

(٧) يوجد فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ ، ٥١١) ، وصف لهذا الدير وما حدث به ، نصه : (٥٠٧) "دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريها ، عمره القائد جوهر [الصقلى ؟] عوضاً عن دير هدمه فى القاهرة ، كان بالقرب من الجامع الأقمر حيث البئر التى تعرف الآن بئر العظمة ، وكانت إذ ذاك تعرف بئر العظام من أجل أنه نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق . ثم هدم دير =

الفتوح من القاهرة ، واجتمع لهدمه عالم كثير ، وكان يوماً مشهودا .

وفى خامس عشريه وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى ظاهر القاهرة ، فركب السلطان إلى لقائه ، وأنزله بمناظر [1] الكَبْش ، واهتم به اهتماما زائدا . ورُسم بتضمين الخمر ، فظهر شرب الخمر ، وكثرت السكارى وزال الاعتراض عليهم . فلم يقم ذلك غير أيام قلائل ، حتى رسم فى سادس عشريه بإراقة الخمور و إبطال ضمانها ، ومُنع من التظاهر بشىء من المسكرات .

وفى يوم الجمعة سابع عشريه كُتِبت تقاليد القضاة الأربعة [2] ، واستقر الحال على أن يكون قاضى القضاة صدر الدين عمر ، ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى ، هو الذى يولى فى أعمال مصر قضاة ينوبون عنه فى الأحكام ؛ و [أنَّ] قاضى القضاة معز الدين الحنفى ، وقاضى القضاة المالكى ، وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى ، يحكمون بالقاهرة ومصر خاصة ، بغير نواب فى الأعمال ؛ فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم . وَأَمرَ [السلطان] بإحضار الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى من دمشق تحت الحوطة ، فلما وصل اعتقل بقلعة الجبل .

= الخندق فى رابع عشرى شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فى أيام المنصور قلاون . ثم جدد هذا الدير الذى هناك بعد ذلك ، وعمل كنيستين ...... (٥١١) إحداهما على اسم غبريال الملاك ، والأخرى على اسم مرقوريوس ، وعرفت برويس ، وكان راهباً مشهوراً ، بعد سنة ثمانمائة . وعند هاتين الكنيستين يقبر النصارى موتاهم ، وتعرف بمقبرة الخندق ، وعمرت هاتان الكنيستان عوضاً عن كنائس المقس فى الأيام الإسلامية ".

(١) تقدم ذكر مناظر الكبش هذه فى ص ٦١٤ (سطر ١٠) ، بصدد قدوم الملك المنصور محمد صاحب حماة على الظاهر بيبرس ونزوله بها ٦٧٣ هـ ، وقد اعتاد الوافدون على القاهرة بعده من أبناء هذا الفرع الأيوبى الإقامة بها ، كما يستدل من المتن ، انظر أيضاً ما يلى بهذه الحاشية . وقد وصف المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٣٣ — ١٣٤) هذه المناظر ، ومنه : " هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، مشرفة على البركة التى تعرف اليوم ببركة قارون . . . . أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب . . . . فى أعوام بضع وأربعين وستمائة . . . . وكانت الأرض التى من صليبة جامع ابن طولون إلى باب زويلة بساتين ، وكذلك الأرض التى من قناطر السباع إلى باب مصر . . . ليس فيها إلا البساتين ، وهذه المناظر تشرف على ذلك كله . . . فكانت من أجل متنزهات القاهرة . . . و [قد] تأنق [الصالح] فى بنائها وسماها الكبش ، فعرفت بذلك إلى اليوم . وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكية ، وبها أنزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى ، لما وصل من بغداد إلى قلعة الجبل ، وبايعه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالخلافة ، فأقام بها مدة ثم تحول منها إلى قلعة الجبل . وسكن بمناظر الكبش أيضاً الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى أول خلافته ، وفيها كان ملوك حماة من بنى أيوب تنزل عند قدومهم إلى الديار المصرية ، وأول من نزل منهم فيها الملك المنصور (ص ١٣٤) لما قدم على الظاهر بيبرس ....."

(٢) فى س " الاربع ".

وفى ثانى ذى القعدة ركب السلطان إلى الميـدان ولعب بالكرة ، وهو أول ما رَكِبَ إليه . وفرّق [السلطان] فيه مائة و بضعاً وثلاثين فرساً بسروج محلاة ، وخلع على الأمراء خلعاً سنية . وفى خامسه حُمل إلى المنصور صاحب حماة تقليدٌ باستقراره بحماة ، وسيّر [السلطان] له السناجق ، وأربعة صناديق ذهباً وفضة ، وأربعة صناديق ثياباً من الإسكندرانى والعتابى ، وعدة من الخيل ؛ وخلع عليه وعلى من يلوذ به (١٧١ ا) ، وأذن له فى العود فسافر فى تاسعه . وخرج السلطان معه لوداعه ، وأقام نهاره بناحية بهتيت[١] ، ثم عاد إلى القلعة .

وفى حادى عشره مات الملك السعيد بركه قان بن الظاهر بيبرس بالكرك ، وكان قد ركب فى الميدان فتقطّر عن فرســه وهو يلعب بالكرة ، فصدع وحم أياماً ، ومات وعمره نيف وعشرون سنة ؛ فاتهم أنه سم . وورد الخبر بوفاته فى العشرين منه ، فعمل له السلطان عزاء بالإيوان من قلعة الجبل ، وجلس كئيباً بيباض ، وقد حضر العلماء والقضاة والأمراء والوعاظ والأعيان ، فكان يوماً مشهوداً . وأقام القراء شهراً يقرأون القرآن ، وكُتِب إلى أعمال مصر والشام بأن يصلى عليه صلاة الغائب . وعند ما مات السعيد أقام الأميرُ علاء الدين أيدغدى الحرانى — نائب الكرك — نجمَ الدين خضر بن الظاهر مَلِكا مكان أخيــه [بالكرك] ، ولقبه الملك المسعود . فتحكم عليه مماليكه وأساءوا التدبير ، وفرّقوا الأموال ليستجلبوا الناس ، فصار إليهم من قُطِـع رزقه[٢] ؛ وحضر إليهم طائفة من البطالين[٣] ، فساروا إلى الصلت واستولوا عليها ، و بعثوا إلى صرخد فلم يتمكنوا منها ؛ وأتتهم العربان وتقربوا إليهم بالنصيحة ، وأخذوا مالا كثيراً من المسعود ثم تسللوا عنه . ولم يزل [المسعود] فى إنفاق المال حتى فنيت ذخائر الكرك التى كان الملك الظاهر قد

(١) فى س " بهتيت " ، وفى مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٩٨ و ٩٩) بلدتان ، اسم إحداهما بهبيط أو بهبيت الحجارة وهى بلدة قديمة شمالى المنصورة ، واسم الثانية بهتيم وهى قرية من مديرية القليوبية بضواحى القاهرة ، والبلدة الثانية أقرب إلى الصحيح ؛ هذا وفى فهرس مواقع الأمكنة (ص ٥٠) بلدة اسمها بهبيت بمديرية الجيزة مركز العياط ، غير أنه ليس من المعقول أن يكون السلطان قد قصد إلى هذه البلدة فى طريقه إلى القاهرة بعد توديع صاحب حماة .

(٢) الرزق هنا ما يخرج للجندى من المرتب ، عند رأس كل شهر أو يوماً بيوم .

(٣) تقدم شرح مدلول هذا اللفظ فى ص ٧٣ (حاشية ٤) .

أعدّها لوقت الشدة ؛ و بعث [المسعود] إلى الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق يستدعيه ، فجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك .

وفيه استقر شهاب الدين غازى بن الواسطى فى نظر حلب ، وقرر له فى الشهر أربعمائة درهم وستة مكاكى قمح ومكوكان شعير ؛ وأضيف معه جلال الدين بن الخطير فى الاستيفاء[1] . واستقر الطواشى افتخار الدين فى خزندارية حلب ، وبدر الدين بكتوت القطزى شاد الدواوين بها ، واستقر جمال الدين إبراهيم بن صَصْرَى[2] فى نظر دمشق ، بعد وفاة علم الدين محمد بن العادلى . واستقر الأمير سيف الدين بلبان الطباخى فى نيابة حصن الأكراد .

وفى رابع ذى الحجة استقر الأمير عماد الدين داود بن أبى القاسم فى ولاية نابلس ؛ وفى سابعه سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم بالعساكر من القاهرة إلى جهة الكرك ؛ وفى تاسعه أفرج عن الأمير غرس الدين بن شاور من (١٧١ ب) الاعتقال ، واستقر فى ولاية الرملة ولدّ . وفى ثامن عشره تسلم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى قلعة الشوبك [من نواب الملك[3] السعيد] بالأمان ، ووردت كتبه بذلك فى ثالث عشريه ؛ فسيرت الخلع لمن بها ، ودقت البشائر بقلعة الجبل ، وكتب بالبشارة إلى الأقطار . وفيه استقر مجد الدين عيسى بن الخشاب[4] محتسباً بالقاهرة .

و[فيه] استقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المنصورى ، المعروف بلاجين الصغير ، فى نيابة قلعة دمشق . فلما وصل إليها كما تقدم ، وحلّف سنقر الأشقر وخلع عليه ، تخيّل منه الأمير سنقر الأشقر نائب الشام ، وجمع الأمراء وأوهمهم أن السلطان قد قُتِل وهو يشرب القِمِزّ ، ودعاهم إلى طاعته وحلّفهم على موافقته . وتلقب بالملك الكامل ،

(١) الاستيفاء هو العمل الذى يقوم به المستوفى فى الديوان التابع له ، وقد تقدم شرح لفظ المستوفى فى ص ١٩٢ (حاشية ٢) . (٢) ضبط هذا اللفظ على منطوقه (Ibn Şaṣra) فى (Wiet : Les Biographies du Manhal Şafi, No. 260, P. 37.)

(٣) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٠٠ ب — ١٠١ أ) ، ويلاحظ أن هذا الحادث مؤرخ فى ذلك المرجع بالعاشر من ذى القعدة من تلك السنة ، وأن ذكر وفاة الملك السعيد واردة هناك تلو ذلك بغير تاريخ محدد . (٤) فى س "الحساب" ، انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١١٥) ؛ ويظهر من (Wiet : Les Biographies Du Manhal Şafi, No 14) أن أسرة ابن الخشاب هذه خرجت أكثر من محتسب واحد .

وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة رابع عشريه . وقبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمى المعروف بالجالق المنصورى لامتناعه من الحلف ، وقبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب القلعة ، وعلى الصاحب تقى الدين تو به التكريتى . و بعث الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى إلى الممالك ، ليحلف[1] أهلها ويقيم فى القلاع من يختاره . وكتب[2] إلى مهنا وإلى أحمد بن حجى يعلمهما ، فقدما عليه[3] . واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات الموصلى ، وأقرّ فى وزارة الصحبة عز الدين أحمد بن ميسر المصرى . وانتقل بأهله من دار السعادة التى يسكنها النواب إلى القلعة ، وأمر بغلق باب النصر ، وفتح باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر . فتطير الناس من ذلك ، وقالوا : "أغلق باب النصر ، وانتقل من دار السعادة ، واستوزر ابن كسيرات[4] ؛ فهذا أمر لا يتم" ؛ وكان كذلك[5] .

وكان وفاء النيل بمصر ستة عشر ذراعاً ، فى ثالث ربيع الآخر . وحج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقش الباخلى ، وسار الركب فى سابع عشر شوال ، وقاضيه فخر الدين عثمان ابن بنت أبى سعيد[6] . وفيها ولى[7] نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد ابن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سَنِيّ الدولة قضاء حلب ، عوضاً عن شهاب الدين محمد بن أحمد الخُوَيّ[8] . وفيها أنعم السلطان على أربعين من مماليكه بإمْرِيّات : منهم كتبغا ، وسنجر الشجاعى ، وأيبك الخزندار ، وقبجق[9] ، ولاجين ، وبلبان

---

(١) فى س "يحلف" . (٢ — ٣) العبارة الواردة بين الرقين مكتوبة على هامش الصفحة فى س ، وقد أثبتت هنا لمناسبتها (انظر الحاشية التالية) .

(٤) فوق هذا اللفظ فى س إشارة إلى سقطة مثبتة بهامش الصفحة ، وليس بالهامش سوى العبارة التى أدمجت هنا بالمتن قبل هذه الجملة . (انظر الحاشية السابقة) .

(٥) عبارة المقريزى هنا مشابهة تماماً لما يقابلها فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٦٩ ا — ب) . (٦) فى س "من ىت ابي سعد" والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٠٣ ا) . انظر أيضاً (Quatremère: Op. Cit. II. 1. P. 12)

(٧) ما يلى هذا اللفظ من المتن إلى ص ٦٧٤ (سطر ٤) ، وارد فى س على ورقتين منفصلتين بين ١٧١ ب ، ١٧٢ ا ، بخط مثل خط المتن تماما ، وقد أشار المقريزى فوق لفظ "ولى" بإشارة تلفت إلى وجوب وصل العبارة هنا بمحتويات هاتين الورقتين ، التى أضافها بعد مراجعة مؤلفه ؛ هذا والعبارة كلها واردة هنا كما فى ب (ص ٢٠٣ ا — ب) . (٨) مضبوط هكذا فى س .

(٩) فى س "قبجق" ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٠٣ ا) ، انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. 1 P 12) . هذا ويصح كتابة هذا الاسم أيضا "قفجق" بالفاء بدل الباء كما فى (Zetterstèen : Beiträge, Index) ، كما يوجد فى (Mayer: Saracenic Heraldry. P. 147) من اسمه قنجق (Kunjak) بالنون .

الطباخى ، وكراى ، وسنقر جركس ، وأقوش الموصلى ، وطقصوا ، وأزدمر العلائى ، وبهادر أص رأس نوبة ، وبكتوت يكحا[(١)] ، وتغريل السلحدار ، وسنقر السلحدار. وأنعم على جماعة من عدته أيضاً بإمريات : منهم كشكل ، وأيدمر الجناحى ، وقيران الشهابى ، ومحمد الكورانى ، وإبراهيم الجاكى وإخوته . وأنعم على عدة من المماليك الظاهرية بإمريات : منهم الحاج بهادر ، وسنجر المسرورى .

وفيها ترك السلطان ركوبه مدة ، وسبب ذلك تغير قلوب الصالحية والظاهرية ومكاتبتهم سنقر الأشقر . فلما بلغ السلطان هذا عنهم خشى من اغتيالهم إياه ، وأخذ فى التدبير عليهم ؛ فكثرت قالة العامة ، وجهروا بقولهم فى الليل تحت القلعة بأصوات عالية "يابو عيشه ا[(٢)] اركب وكون طيب ، يابو عيشه !" ، وصاروا يلطخون[(٣)] رَنْك[(٤)] السلطان فى الليل بالقذر ، فيتغافل عنهم ، وهو يسمع صياحهم فى الليل ويبلغه فعلهم برنكه . وزادوا حتى شافهوا أمراءه بالسب ، وهم يعرضون عنهم[(٥)] .

وفيها ظهر بالقاهرة ومصر رجلان من بزدارية الأمير جمال الدين أقوش اللقب بهَيْطلية ، عرف أحدهما بالجاموس لسواد لونه ، وعرف الآخر بالحوجب . وأفسدا فساداً كثيراً ، وشغفا بشرب الخمر ، وصارا يكتبان الأوراق للأعيان بطلب شيء من إحسانهم[(٦)]

---

(١) كذا فى س ، ولعله بجكا ، وقد ترجه (Quatremére: Op. Cit. II. 1. P. 12) إلى (Mekha)
(٢) فوق هذه الكلمة فى س لفظ "كذا" . (٣) فى س "يلطخوا" .
(٤) الرنك — وجمعه رنوك — لفظ فارسى معناه اللون (Dozy: Supp. Dict. Ar.) ، وقد استعمل فى مصطلح المؤرخين بمعنى الشعار الذى يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له ، علامة على وظيفة الإمارة التى يعين عليها ، فيكون رنك الدوادار الدواة والمقلمة ، ويكون رنك الأمير آخور نعلة الفرس ، ويكون رنك السلاح دار القوس ؛ وكان رنك السلطان ما اتخذه لنفسه أيام سلطنته (Mayer: Saracenic Heraldry, pp. 1—7; Quatremère: Op. Cit. II. 1. P. 14.N. 12.) . هذا وقد شرح القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦١ — ٦٢) الرنك ونواحى استعماله شرحا وافياً ، ونصه : "ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ، ما بين هنّاب أو دواة أو بقجة أو فرنسيسية (؟) ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين بألوان مختلفة ، كل أمير (ص ٦٢) بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك ، ويجعل ذلك دهاناً على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم ، كمطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب وغير ذلك ، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص ، ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها ، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات للخيل وغيرها" . (٥) الفقرة التالية إلى آخر سطر بالمتن فى صفحة ٦٧٣ مكررة فيما يلى ، وقد رجحت مناسبتها هنا لأسباب مذكورة هناك . (٦) فى س "احسانه" .

ويوصلونها[١] إليهم ، فإن لم يبعث لهم المكتوب إليه بشيء ، وإلا[٢] أتوه ليلا . وشنع أمرهما ، حتى إنهما ليمشيان فى مواضع النزه وسيوفهما على أكتافهما فلا يجسر أحد عليهما . ورتب لهما الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة جماعة لتقبض عليهما ، فكانا يحملان فى مائة رجل ، ويحوط[٣] عنهم . وهجما القاهرة فى الليل ، وأخذا والى الطوف[٤] وعلقاه بذراعه ، وقطعا أنف القدم[٥] وأذنيه ، وتتبعا كل من أرصده الوالى لأخذهما . فذعر الناس منهما ، إلى أن كانا ليلة ببستان فى المطرية وخرجا منه يريدان القاهرة ، فصدفهما مملوك الوالى وهو سائر إلى بلبيس ومعه غلامه ، وقد عرفهما . فضرب بسهمه [و] أصاب رجلى أحدهما فسقط ، وهمّ الآخر بصعود حائط البستان فوقع [و] انكسرت رجله ، ووقع الصوت فى البساتين . فنزل غلام المملوك وكتف الجاموس ، وأخرج الناس المحوجب من البستان ، وساروا بهما مربوطين إلى القاهرة . فطلع بهما الوالى إلى السلطان ومعه مملوكه ، وكان زريا قصيراً لا يؤبه إليه ؛ فعجب السلطان من ذلك ، وسألهما على لسان[٦] الحاجب : "كيف مسككما هـذا بمفرده وأنتما لا تهابان[٧] رجالا كثيرة ؟" فقالا : "إذا نزل القضاء قلت الحيلة ، والله لقد كنا إذا رأينا عشرين فارساً أو مائة راجل خرجنا عنهم سالمين بعد ما ننال منهم ، فلما فرغ الأجل عند ما وقع نظرنا على هذا ارتعدت فرائصنا حتى ما قدرنا على الحركة" . فرُسِم بتسميرهما فسُمّرا عند باب زويلة ، وشهرا عدة أيام ؛ وخُلع على المملوك وأنعم عليه بألف درهم وإقطاع فى الحلقة ، وهو أول من أخذ من مماليك الأمراء إقطاعا[٨] فى الحلقة .

(١) فى س "يوصلوها" .
(٢) كذا فى س ، وهى زائدة بل مفسدة للأسلوب ، وليست سوى تعبير عامى للتأكيد .
(٣) كذا فى س ، وفى ب (٢٠٣ ب) "وتحوط عنهم" .
(٤) ترجم (Quatremère: Op. Cit. II. 1. P. 16) هذين اللفظين ترجمة حرفية إلى (le wali charger de faire la ronde) بغير تعليق ؛ على أنه يظهر من قرينة "الليـل" فى الجملة السابقة أن والى الطوف هذا هو الموظف المكلف بطواف الشوارع والحارات ليلا ، لحراستها وتأمينها من عبث اللصوص والمجرمين . انظر (Dozy: Supp. Dict. Ar.)
(٥) القدم هنا ، نقلا عن (Dozy: Supp. Dict. Ar.) أحد رجال الشرطة (Agent de police) ، ويظهر أنه كان يرافق والى الطوف فى عمله .
(٦) كان السلطان قلاون قليل المعرفة باللسان العربى (Lane - Poole: A Hist. Of Egypt. P. 278 N. 1)
(٧) فى س "لا تهابا" .
(٨) كانت إقطاعات الحلقة ، التى تخرج بها المناشير من ديوان الجيش ، وقفاً على أجناد الحلقة دون =

وفيها خُلع متملك تونس الأمير أبو زكريا يحيى الواثق بن أبى عبد الله محمد المستنصر ابن السعيد أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص فى غرة ربيع الآخر ، فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ، وقام بعده عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد .

ومات فى هذه السنة الأمير أقش الشهابى أحد أمراء الطبلخاناه . ومات الأمير الطنبا فخر الدين الحمصى ، فى سادس عشر رمضان . ومات علم الدين إسحاق بن العادلى ناظر دمشق ، فى خامس عشرى شوال . ومات الأمير عز الدين أيبك الشيخ ، فى ذى الحجة . ومات الأمير ناصر الدين بلبان النوفلى أحد الطبلخاناه . ومات الأمير علم الدين بلبان المشرفى[١] أحد الطبلخاناه[٢] . ومات الأمير سيف الدين حمق[٣] أحد الطبلخاناه . ومات شرف الدين أبو بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد عبد (١٧٢ ا) السلام بن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الحموى الجوينى ، شيخ الشيوخ بدمشق ، فى ثامن شوال ، ودفن بقاسيون . ومات الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركه خان الخوارزمى ، خال الملك السعيد بن الظاهر ، فى تاسع ربيع الأول بدمشق . ومات الأمير نور الدين على ابن الأمير عز الدين مجلى الهكارى نائب حلب بها ، عن سبع وتسعين سنة . وتوفى قاضى القضاة محيي الدين أبو الصلاح عبد الله بن شرف الدين أبى المكارم محمد بن عين الدولة الشافعى ، فى خامس رجب وهو مصروف ، وقد أناف على ثمانين سنة .

* * *

سنة تسع وسبعين وستمائة . [فى] يوم الخميس أول المحرم ركب الملك الكامل سنقر الأشقر بشعار السلطنة من قلعة دمشق إلى الميدان الأخضر ، وبين يديه الأمراء مشاة بالخلع ؛ ثم عاد . وفى يوم الجمعة ثانيه خُطِب له على منبر الجامع بدمشق ؛ وكَتَب إلى الأمير

= بقية فئات الجيش المملوكى ، كالمماليك السلطانية الذين يعطون الرواتب المنتظمة ، ومماليك الأمراء الذين يعيشون فى كنف أساتذتهم . (G.- Demombynes: La Syrie. Introd. PP. XXXII, et seq.)

(١) قبالة هذا اللفظ فى س كلمة "العربرى" ، ولعلها تابعة لذلك الاسم .

(٢) فى س "الطلبخاه" .

(٣) كذا فى س ، وقد ترجمه (Quatremère: Op. Cit II. 1. P. 17) إلى (Hamak) ، وهو فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٦ ا) بالجيم بدل الحاء .

عن الدين الأفرم وهو بالكرك يعتذر عن قيامه ، وأتبع الكتاب بعسكر . فلما ورد كتابه جهزه الأفرم إلى السلطان بمصر ، فكتب [السلطان] عند وروده إلى سنقر الأشقر يقبح فعله ، وكتب أمراء مصر إليه بذلك ، ويحثونه على الإذعان وترك الفتنة . وسار بالكتب بلبان الكريمى ، فوصل دمشق فى ثامنه ، وخرج سنقر الأشقر إلى لقائه وأكرمه ، ولم يرجع عما هو فيه .

واستقر الأفرم بغزة ، فوافاه عسكر سنقر الأشقر بها ، فاندفع من قدامهم إلى الرمل ؛ وملك العسكر غزة واطمأنوا ، فطرقهم الأفرم وأوقع بهم فانهزموا إلى الرملة ؛ وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك[1] الخوارزمى ، والأمير بدر الدين بيليك الحلبى ، وبهاء الدين يمك الناصرى ، وناصر الدين باشقرد الناصرى ، وعلم الدين سنجر التكريتى ، وسنجر البدرى ، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون ؛ وغنم منهم مالا وخيولا وأثقالا كثيرة . وبعث [الأفرم] بالبشارة على يد ناصر الدين محمد ولد الأمير بكتاش الفخرى ، فقدم فى خامس عشره بالأمراء المأسورين ؛ فعفا السلطان عنهم وأحسن إليهم ، وأعادهم على أخبازهم وجعلهم فى العسكر .

وفى رابع عشره مات الأمير علاء الدين كندغدى الحُبيشى[2] من ضربة بسكين ، ضربه بها سنقر الغتمى الأشقر الأستادار ، فقُبض عليه وسُمِّر على باب زويلة .

ولما بلغ سنقر الأشقر كسرة عسكره ، جمع وحشد وبعث إلى الأمراء بغزة يعدهم ويستميلهم : فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن حجى أمير العربان بالبلاد القبلية ، والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية ؛ وأتته النجدات من حلب وحماة ومن جبال بعلبك ، واستخدم عدة كبيرة وبذل فيهم المال ؛ وكثرت عنده (١٧٢ ب) بدمشق الأرجاف أن عسكر مصر قد سار إليه ، فاشتد استعداده . وجرد السلطان من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، ومعه الأمير بدر الدين الأيدمرى والأمير حسام أيتمش بن أطلس خان فى أربعة آلاف فارس . فساروا إلى

(١) فى س "كبجك" ، انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، س ٢٦٩ ب) .
(٢) كذا فى س ، بضم الحاء فقط .

غزة ، واجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين الأيدمرى ، وساروا جميعاً والمقدم عليهم علم الدين سنجر الحلبي ؛ فرحل عسكر سنقر الأشقر من الرملة إلى دمشق .

فخرج سنقر الأشقر فى ثانى عشر صفر بعساكره وخيم بالجسورة خارج دمشق ، ونزل عسكر مصر الكسوة والعقوة[1] فى يوم الاثنين سابع عشره بالجسورة[2] . فوقعت الحرب فى تاسع عشره ، وثبت سنقر الأشقر وأبلى بلاء عظيما ، ثم خامر[3] من عسكره طائفة كبيرة إلى عسكر مصر ، وانهزم كثير منهم ، ورجع عسكر حلب وحماة عنه إلى بلادهم ، وتخاذل عنه عسكر دمشق ، وحمل عليه الأمير سنجر الحلبي فانهزم منه . [وهرب سنقر[4] الأشقر] ، وتبعه من خواصه الأمير عز الدين أزدمر الحاج ، والأمير علاء الدين السبكى ، والأمير شمس الدين قرا سنقر المعزى ، والأمير سيف الدين بلبان الحبيشى ؛ وساروا معه — هم والأمير عيسى بن مهنا — إلى برية الرحبة وأقاموا بها أياما ، وتوجهوا إلى الرحبة ؛ وكان [سنقر قبل ذلك] قد بعث حرمه وأمواله إلى صهيون . وأسر يومئذ أحد عشر أميراً : منهم بدر الدين سنجق البغدادى ، وبدر الدين بيليك الحلبي ، وعلم الدين سنجر التكريتى ، وبهاء الدين تملك[5] الناصرى ، وباشقرد الناصرى ، وتوديه[6] الناصرى .

ولما انهزم [سنقر الأشقر] تفرق عسكره فى سائر الجهات ، وغلقت أبواب دمشق ، وزحف عسكر مصر إليها وأحاطوا بها ، ونزلوا فى الخيام ولم يتعرضوا لشىء . وأقام الأمير سنجر الحلبي بالقصر الأبلق فى الميدان [الأخضر[7]] خارج دمشق ، فلما أصبح أمَرَ

---

(١) كذا فى س . (٢) يوجد فوق هذا اللفظ فى س إشارة إلى عبارة بهامش الصفحة ، وهى ليست منسجمة مع المتن هنا ، ونصها : " فلما قارب [؟] غزة وبها الأفرم والأيدمرى اختلفا ، فكان رأى الأيدمرى موافقة سنقر الأشقر ، ورأى الأفرم مراجعة السلطان ، لكثرة عسكر سنقر ؛ فكتبا بذلك إلى السلطان ، فبعث بالأمير علم الدين سنجر الحلبي بعد ما حمل إليه ألف دينار . فلما بلغ سنقر مجىء الحلبي رجع يريد الجسورة ، فتبعه الحلبي بالعسكر حتى وصلوا إلى رأس الجسورة " .

(٣) فى س " نخامر " .

(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ص ٣١٥) ، انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٦٩ب — ٢٧٠ أ) ، وبيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٠٢ أ — ١٠٣ أ) .

(٥) كذا فى س ، وقد سبق ورود هذا الاسم برسم "تملك" فى ص ٦٧٥ سطر ٩ .

(٦) كذا فى س . (٧) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٠ أ) ، انظر أيضاً ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣١٧ ، وما بعدها) .

فنودى بالأمان . وكان بقلعة دمشق الأمير سيف الدين الجوكندار ، [وهو متوليها] من جهة سنقر الأشقر ، فأفرج عن الأمير [ركن الدين] بيبرس [العجمى] الجالق ، والأمير حسام [الدين] لاجين [المنصورى] ، والصاحب تقى الدين توبه ، وحلفهم ألا يؤذوه [إذا أطلقهم] . ثم فُتح باب القلعة ، ونزل لاجين إلى باب الفرج فوقف عليه ، ومنع العسكر من دخول المدينة . ونودى بإطابة قلوب الناس وزينة البلد ، فدقت البشائر بالقلعة . وقدم كثير ممن كان مع سنقر الأشقر فأمنهم الأمير سنجر الحلبى ، وحضر أحمد بن حجى بأمان . وقتل فى هـذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن الأتابك ، وكان شجاعاً ؛ ونور الدين على بن الطورى ، وكان شجاعاً ؛ وثمانية من جند دمشق ، واثنان من عسكر مصر ؛ وجرح الأمير بكتاش الفخرى . . . .[1] وكتب إلى السلطان بذلك على يد ناصر الدين محمد بن الأمير بكتاش [الفخرى] أمير سلاح ، فلما قدم على السلطان فى أول ربيع الأول أنعم عليه بإمرة عشرة ، وهو أول من تأمر من أولاد الأمراء فى الدولة المنصورية . واستقر فى نيابة دمشق الأمير (١١٧٣) بدر الدين بكتوت العلائى ؛ واستقر الوزير تقى الدين توبه على حاله ؛ واستقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى فى نيابة حلب ، بعد الأمير جمال الدين أقش الشمسى نائب حلب .

وفى خامس عشرى أبيب — وهو فى صفر — أخذ قاع النيل ، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعاً . وفى رابع عشرى صفر سار الأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى عدة من الأمراء — ومعهم ثلاثة آلاف فارس — من دمشق ، فى طلب شمس الدين سنقر الأشقر ؛ وتبعهم فى أول ربيع الأول الأمير عز الدين الأفرم على عسكر آخر . وكان سنقر الأشقر قد أقام عند الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، ثم فارقه وسار إلى الرحبة ، وقد تركه كثير ممن كان معه ، فامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبى نائب القلعة بالرحبة من تسليمها[2] إلى سنقر الأشقر . فلما أيس منه [سنقر][3] كتب إلى الملك أبغا بن هولاكو

(١) موضع هـذا البياض فى س بضعة ألفاظ تعذرت قراءتها ، وهى بالهامش عند ملتقى الصفحتين ١٧٢ ب ، ١٧٣ ا .

(٢) فى س "من تسلم سنقر" ، راجع النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٠ ا) ، وبيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٠٤ ا) . انظر أيضاً : Quatremère (Op. Cit. II. 1. P. 21, N. 21)

(٣) أضيف ما بين القوسين من أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ص ١٥٨ ، ق Rec. Hist. Or. I.) .

يحثه على الحضور لأخذ البلاد الشامية ، وكتب معه أيضاً الأمير عيسى بمثل ذلك[١] . فبلغهما خبر توجه العساكر من دمشق ، فسار سنقر فى البرية إلى صهيون فتحصن[٢] بها ، ولحق به الأمير عز الدين الحاج أزدمر فى طائفة ، فبعثه إلى قلعة شيزر فأقام بها ؛ وبلغ ذلك العساكر المتوجهة[٣] من دمشق فنازلت شيزر .

وفى هذه المدة أوقعت الحوطة بدمشق على الصاحب مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وزير سنقر الأشقر ، وعلى جمال الدين بن صَصْرَى ناظر دواوين دمشق ، واعتقلا على مال أُلْزِمَا به . وضُرِب الزين وكيل بيت المال ؛ ورُسِّم على قاضى القضاة شمس الدين أحمد ابن خلكان ، واتهم بأنه أفتى سنقر الأشقر بجواز قتال السلطان ، وورد كتاب السلطان من مصر بشنقه . [ثم ورد بريدى[٤] من مصر إلى الشام بأمان أهل دمشق] ، فقام فى حق[٥] [قاضى القضاة شمس الدين] الأميرُ علم الدين الحلبى ، وقال : " قد ورد كتاب السلطان بأمان من سمعه من أهل دمشق ، وقد سمعه ابن خلكان فهو آمن من القتل " . وصرف [ابن خلكان] عن قضاء دمشق فى حادى عشرى صفر ، وعرض القضاء على قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن الصائغ ، فامتنع من ذلك ، فَفُوِّض لنجم الدين أبى بكر بن صدر الدين بن أُحمد بن يحيى بن سنى الدولة .

واعتقل ابن خلكان فى رابع عشريه بالخانقاه النجيبية ، ثم أفرج عنه فى تاسع ربيع الأول بكتاب السلطان . فثار عليه ابن سنى الدولة ، وألزمه أن يخرج من المدرسة العادلية ، ورسّم عليه فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول حتى ينتقل عنها ، وشدّد عليه

---

(١) كان هذان الكتابان مما حفز أبغا بن هولاكو إلى الإغارة على الشام كما سيلى . انظر بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٠٤ أ) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٠ أ) .

(٢) كان الأمير سنقر لما تغلب على دمشق قد كاتب نواب القلاع بالشام ، فنهم من أطاعه ومنهم من امتنع عليه ، وكان ممن أطاعه نواب صهيون وبرزيه وبلاطنس والشغر وبكاس وشيزر وعكار وحمص . فلما لجأ سنقر إلى الرحبة وامتنع نائب قلعتها من تسليمها إليه ، وبلغه إبان ذلك مسير الأمير حسام الدين بن أطلس خان للقبض عليه ، بادر هو وعيسى بن مهنا بالهرب إلى إحدى القلاع التى أطاعته قبلا ، ونزل صهيون كما بالمتن . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٠ أ) .

(٣) فى س " المتوجه " .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣١٨) .

(٥) فى س " حمه " ، وقد حذف الضمير وذكر العائد المقصود للتوضيح ، وهذا بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (نفس المرجع والصفحة) .

بسبب ذلك ولم يمهل . فشرع [ابن خلكان] فى نقل كتبه وأمتعته فى الرابعة [١] من النهار ، وإذا بالطلب قد أتاه (١٧٣ب) فظن أنه من جهة الاستحثاث فى النقلة ، فأراهم الاهتمام بذلك . فقيل له قد حضر البريد من مصر ، فخاف من حلول البلاء به ، وتوجه إلى نائب دمشق ، فإذا بكتاب السلطان يتضمن إنكار ولاية ابن سنى الدولة لما به من الصَّمَم ، ويقول : " إنا قد عفونا عن الخاص والعام ، وما يليق أن نخص بالسخط أحداً على انفراده . وغير خاف ما يتعلق بحقوق القاضى شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته وخدمته ، وأنه من بقايا الدولة الصالحية ، وقد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء " ؛ فخلع عليه الأمير علم الدين الحلبى . وركب [ابن خلكان] من ساعته إلى المدرسة العادلية ، ونزلها وقت الظهر وباشر الحكم ، فعدّ ذلك من الفرج بعد الشدة ، وكانت مدة ابن سنى الدولة عشرين يوماً .

وفى حادى عشر شهر ربيع الأول فوضت نيابة دمشق إلى الأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصورى [٢] ، وقد كتب تقليده وتوجه به بكتوت العلائى ؛ وولى الأمير بدر الدين بكتوت العلائى شد الدواوين بدمشق ، والصاحب تقى الدين توبه التكريتى وزارة الشام . وأُقْطِع الأمير فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة ، والأمير شمس الدين محمد ابن أبى بكر ، إقطاع الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ؛ واستقرا فى إمرة آل فضل وآل على : على أن ينزل [٣] فخر الدين من الرَّسْتَن [٤] إلى المَلُّوحة [٥] ، وتكون منزلة شمس الدين من الملوحة إلى الفرات [٦] . وأعطى أيضاً الأمير حسام الدين دراج إمرة آل عامر ، وتكون منزلته من الرستن إلى العقابيات [٧] .

(١) فى س " الرابعه " ، انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٧ أ) ، ويلاحظ أن عبارة السلوك هنا لا تعدو أن تكون اختصاراً لفظيا لما يقابلها فى نهاية الأرب .

(٢) هذا اللفظ مكرر فى س .

(٣) فى س " يبرل " . انظر (Quatremère : Op Cit I. P. 32) .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهى بليدة قديمة فى منتصف الطريق بين حماة وحمص . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٧٨) .

(٥) بغير ضبط فى س ، وهى قرية كبيرة من قرى حلب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٣٨) .

(٦) فى س " الفراه " .

(٧) كذا فى س .

وتوجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى من القاهرة إلى الملك منكو تمر[١] فى البحر ، ومعهما كتاب السلطان إلى الملك غياث الدين [كيخسرو ابن ركن الدين قلج أرسلان[٢] السلجوقى] . وتوجه الأمير ناصر الدين ابن المحسنى الجزرى والبطرك أنباسيوس[٣] ، فى الرسالة إلى الملك الأشكرى . وفى ثالث ربيع الآخر ورد رسول صاحب تونس بكتابه . وفى سابعه قدم الأمير عز الدين أزدمر العلائى إلى قلعة الجبل ، فأنعم عليه بخبز الأمير قيران البندقدارى ، المنتقل إليه عن علم الدين سنجر الدوادارى[٤] . وفى النصف منه قدم الأمير بدر الدين بكتوت ابن الأتابك .

وفى ثامن عشريه كسر الخليج الذى بظاهر المقس ؛ وورد المفرد[٥] فى ثالث عشريه . وفى سادس عشريه — وهو أول أيام النسىء — وَفَّى النيل ستة عشر ذراعا ، فركب السلطان إلى المقياس وخلّق العمود ، ثم ركب فى الحراقة وكسر الخليج الكبير ، فكان يوما مشهوداً[٦] . ونودى فى نهاره إصبعان من ستة عشر ذراعا ، وكتبت البشائر بالوفاء على (١٧٤ ا) العادة .

---

(١) المقصود هنا (Mangū Timūr) خان دولة المتول المعروفة باسم القبيلة الذهبية ، وقد امتد حكمه من ٦٦٤ إلى ٦٧٩ هـ (١٢٦٦ — ١٢٨٠ م) . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 230) .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Enc. Isl. Art Kaikhusraw III) .

(٣) إذا كان المقصود هنا بطريق الأقباط بمصر فقد أخطأ المقريزى فى الاسم ، إذ المعروف أن البطريق منذ سنة ١٢٧١ م (٦٧٠ هـ) هو حنا السابع (John VII) ، وقد استمر على كرسى البطركية حتى سنة ١٢٩٤ م (٦٩٤ هـ) . انظر (Butcher: Op. Cit. I. P. XIV) .

(٤) فى س " الدويدارى " .

(٥) تقدم شرح هذا اللفظ فى ص ٧٣ (حاشية ٢) .

(٦) يوجد بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٧ — ٤٨) وصف لحفلة كسر الخليج عند وفاء النيل زمن المماليك ، وفيها شرح تخليق المقياس وكسر الخليج أيضاً ، ونصها : " واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج ، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقبة فرس ولا غاشية .... بل يقتصر على السناجق والطبردارية والجاويشية ونحو ذلك . ويركب [السلطان] من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء فى أى وقت كان ، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ، ويمد هناك سماطاً يأكل منه من معه من الأمراء والمماليك . ثم يذاب زعفران فى إناء ، ويتناوله صاحب المقياس ، ويسبح فى فسقية المقياس حتى يأتى العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود ، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية . وتكون حراقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة ، وكذلك حراريق الأمراء ، وقد فتح شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر ؛ فيؤتى بحراقة (٤٨) السلطان إلى ذلك الشباك ، فينزل منه ويسبح وحراريق الأمراء حوله ، وقد شحن البحر بمراكب المتفرجين ، يسيرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج . وحراقة السلطان العظمى [هى] المعروفة بالذهبية ، وحراريق الأمراء يلعب بها فى وسط امتدادها ، ويرمى بمدافع النفط على مقدامها ؛ ويسير السلطان فى حراقته حتى يأتى السد فيقطع بحضوره ، ويركب =

وفيه صرف الأمير علم الدين أقش البدرى والى قلعة الشوبك ، وقرر عوضه الأمير علم الدين سنجر الإيغانى . وفى سابع عشريه مات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسْبَاسِلار[1] والى مصر ، وأحيط بتركته ؛ وقرر عوضه الأمير عز الدين أيبك الفخرى .

وفى أول جمادى الأولى كان يوم النوروز بمصر . وفى تاسعه وصل الأمير سيف الدين الحبيشى إلى قلعة الجبل . وفى خامس عشريه انتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاثة وعشرين إصبعاً من سبعة عشر ذراعا ، وأعطى الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى تكملة مائة فارس ؛ ورسم بإيقاع الحوطة على تقى الدين توبه وزير الشام ، فقبض على موجوده وسجن .

وفى ثالث جمادى الآخرة وصل الأمير علم الدين سنجر الحلبى من بلاد الشام ، فركب السلطان إلى لقائه وخلع عليه وعلى من كان معه من الأمراء ، وأنعم على كل منهم بألف دينار . وفى سادسه خلع على الأمير سيف الدين بلبان الرومى ، وجعل دوادار[2] العلامة لا غير ، مع القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر .

وورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشامية ، وأنهم قد افترقوا ثلاث فرق : فرقة سارت من جهة بلاد الروم ومقدمهم صمغار وتنجى[3] وطرنجى ، وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدو بن طوغاى بن هولاكو[4] وصحبته صاحب ماردين ، وفرقة فيها معظم العسكر وشرار المغل مع منكوتمر بن هولاكو . فخرج من دمشق الأمير ركن الدين إياجى على

= وينصرف إلى القلعة" . انظر أيضاً ص ٧٣ (حاشية ٣) .

(١) لفظ اسباسلار فى الأصل اسم لوظيفة معروفة فى الأنظمة الحكومية بمصر منذ الدولة الفاطمية ، وكان صاحبها فى عهـد تلك الدولة ، حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٣) ، "زمام كل زمام ، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم ، وفى خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم" . ثم صار هذا اللفظ من الألقاب الخاصة بأمراء الطبلخاناه فى دولة المماليك ، على أنه قد ترك استعماله لهـذا الغرض فى زمن القلقشندى (نفس المرجع ، ج ٦ ، ص ٧ — ٨) ، وذلك لأن العامة كانت "تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان اسباسلار ، وكأن أمراء الطبلخاناه كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه" . هذا واسباسلار تحريف عامى للفظ اسفهسلار ، ومعناه فى الأصل مقدم العسكر ، وهو مركب من لفظين — أولهما فارسى وهو أسفه ومعناه المقدم ، والثانى تركى وهو سلار ومعناه العسكر . (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٢) تقـدم التعريف بوظيفة الدوادار فى ص ١٤١ (حاشية ١) ، وإنمـا الجديد هنا أن يكون أحد الدوادارية مختصاً بعلامة السلطان أى توقيعه ، وربما كان هذا التخصيص من مستحدثات عصر السلطان قلاون .

(٣) فى س "صمغار وتنجى وطرنجى" .

(٤) فى س "بيدوا بن طرغاى بن هولاكو" .

عسكر ، وانضم مع العسكر المحاصر لشيزر ؛ وخرج من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش النجمى على عسكر . واجتمع الجميع على حماة ، وراسلوا الأمير سنقر الأشقر فى إخماد الفتنة والاجتماع على قتال التتر ، فبعث إليهم عسكرا من صهيون أقام حول صهيون ؛ ونزل الحاج أزدمر من شيزر وخيم تحت قلعتها . ووقعت الجفلة فى البلاد الحلبية ، فسار منها خلق كثير إلى دمشق فى النصف من جمادى الآخرة ؛ وكثر الاضطراب فى دمشق وأعمالها ، وعزم الناس على تركها والمسير إلى ديار مصر .

فلما كان فى حادى عشريه هجمت طوائف التتار على أعمال حلب ، وملكوا عين تاب وبغراص ودربساك ؛ ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر ، فقتلوا ونهبوا وسبوا ، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء . وأقاموا بها يومين يكثرون الفساد بحيث لم يسلم منهم إلا من اختفى فى المغائر والأسربة ، ثم رحلوا عنها فى يوم الأحد ثالث عشريه عائدين إلى بلادهم بما أخذوه ، وتفرقوا فى مشاتيهم .

وفى يوم الاثنين سابع[1] عشريه (١٧٤ ب) أركب السلطان ولده علاء الدين أبا الفتح عليا[2] بشعار السلطنة ، ولقبه بالملك الصالح وجعله ولى عهده ؛ فشق القاهرة من باب النصر إلى قلعة الجبل . وكُتِب له تقليد بخط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر من إنشائه[3] ، أجاد فيه وأبلغ ؛ وخُطب للملك الصالح بعد ذلك على منابر مصر كلها بعد والده ، وكُتب إلى البلاد الشامية بذلك .

وفى آخره عزل السلطان الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان عن وزارة الديار المصرية ؛ فعاد إلى ديوان الإنشاء ، وكتب مع كتاب الإنشاء ، وتصرف بأمر صاحب ديوان الإنشاء ؛ وفوضت الوزارة بعده إلى الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى .

وتوجه السلطان من مصر بالعساكر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتار ، بعد ما أنفق فى كل أمير ألف دينار ، وفى كل جندى خمسمائة درهم ؛ واستخلف على مصر بقلعة الجبل

(١) حدد ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٢٠) تاريخ هذا الحادث بشهر رجب ، وقد ذكر بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٠٥ أ ، ١٠٨ أ) أن السلطان قلاون فكر فى تفويض السلطنة وولاية العهد لابنه هذا تلك السنة لعزمه على المسير إلى الشام للقاء التتر ، وأنه أخذ فى التجهز لذلك بمجرد فراغه من هذا المهم .

(٢) فى س "على" .

(٣) أورد بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ص ١٠٥ ب — ١٠٨ أ) نسخة هذا التقليد كاملة .

ابنه الملك الصالح عليا[١] . فسار [السلطان] إلى غزة ، وقدم عليه بغزة من كان فى البلاد الشامية من عساكر مصر ، وقدم عليه أيضاً طائفة من أمراء سنقر الأشقر فأكرمهم . ولم يزل [السلطان] بغزة إلى عاشر شعبان ، فرحل منها عائداً إلى مصر ، [بعد أن بلغه رجوع[٢] التتر] ، وكانت غيبته خمسين يوماً . وولى الأمير بدر الدين بن درباس[٣] ولاية جينين ومرج بنى عامر[٤] .

وفيها ولى الأمير نجم الدين إبراهيم بن نور الدين على بن السديد ولاية مصر ، عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الفخرى . وسُفِّر الأمير سيف الدين باسطى نائباً[٥] بقلعة صرخد ، والأمير عز الدين أيبك الفخرى والياً بالقلعة المذكورة .

وفى يوم السبت سادس عشرى شهر رمضان ، صرف قاضى القضاة صدر (١٧٥ ا) الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن قضاء القضاة بديار مصر ؛ وكان قد سلك فى ولايته طريق الخير والصلاح ، وتحرّى الحق والعدل وتصلّب فى الأحكام ؛ واستقر عوضاً عنه قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموى .

وفيه خرج الأمير بدر الدين بكتاش النجمى إلى حمص مجردا ، وخرج الأمير

---

(١) فى س "على" .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٢٠) .

(٣) فى س "درماس" ، والرسم الوارد هنا من ب (٢٠٧ ا) .

(٤) يلى هـذا بمتن الصفحة فى س فقرة طويلة فى أخبار الشقيين الجاموس والمحوجب ، وقد سبق ورودها فى عبارة أكثر تفصيلا (انظر ص ٦٧٢ ، حاشية ٥) ، ونصها الوارد هنا كالآتى بعد التصحيح وتكميل النقط : "فلما قدم [السلطان] القاهرة واستقر بقلعة الجبل ، بلغه ما عند الناس من الاضطراب والخوف من شخص ظهر بناحية اللوق يعرف بالجاموس ورفيقه المحوجب ، وأنهما يأخذان الناس وينزلان البيوت وتناول ما يريد (كذا) منها حتى صار يضرب بهما المثل ، وأنهما قتلا عدة من الناس ، وعجز عنهما الولاة . فألزم [السلطان] والى القاهرة ومصر بتحصيلهما ، وهددها وخوفهما إن لم يحضراها . فاتفق أن بعض مماليك الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط — والى القاهرة — قدم من بعض النواحى ، فصادف رجلا أنكر حاله فرماه بالنشاب ففر منه إلى بعض البساتين ، فحصره وقبض عليه وعلى رفيق معه وأتى بهما إلى الوالى ، فإذا هما الجاموس والمحوجب . فأمر السلطان بهما فسمرا على باب زويلة ، وأقاما أياما عديدة" . ويلاحظ أن افتتاح هذه العبارة متصل بما يسبقه بالمتن اتصالا تاما ، ومع هذا فالراجح أن ورودها السابق فى س هو ما قصد المقريزى ، فإنها مكتوبة هناك ضمن إضافة طويلة على ورقتين منفصلتين ، وقد كتب المقريزى كثيراً من هـذه الإضافات والألحاق بعد المراجعة غالباً ، فضلا عن أن العبارة السابقة أوسع وأكثر تفصيلا ؛ أما تعليل عدم إشارة المقريزى بشطب العبارة هنا فى س فهو النسيان .

(٥) فى س "نانيا" .

علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى لحفظ الساحل من الفرنج . وكتب [السلطان] إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب ، لمساعدتهم التتار [عنـــد وصولهم(١) حلب] ؛ فجمع التركمان وغيرهم ، وحمل المجانيق والآلات ، ونازل المرقب ؛ فانهزم المسلمون وتبهم الفرنج ، [وعدم من المسلمين مقدار(٢) مائتى فارس وراجل] .

فكبر ذلك على السلطان ، وتحرك للسفر وخرج فى أول ذى الحجة ، واستخلف ابنه الملك الصالح ، وخيم بمسجد تبر(٣) . ورتب [السلطان] الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى استخراج الأموال وتدبير أمور المملكة ، وجعله فى خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجارى ؛ وأقام القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة لقراءة البريد وتنفيـذ الأشغال ؛ وأقر فى نيابة السلطنة بديار مصر الأمير زين الدين كتبغا المنصورى . وقدم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق ، وترامى على السلطان ، فعفا عنه وأكرمه ، وركب إلى لقائه وأحسن إليه .

ومات فى هذه السنة الشيخ الصالح المعمر طير الجنة ، ودفن بقرافة مصر . و[مات] الأديب الشاعر جمال الدين أبو الحسين يحيي بن عبد العظيم بن يحيي بن محمد بن على الجزار ، فى ثانى عشر شوال . و[مات] الأمير الـكبير جمال الدين أقوش الشمسى نائب حلب بها ، فى خامس المحرم ؛ وهو الذى قتل كتبغا نوين مقدم التتار يوم عين جالوت ، وهو الذى أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى ؛ وولى نيابة حلب بعـده علم الدين سنجر الباشقردى . و[مات] الأمير على بن عمر الطورى ، وقد أناف على تسعين سنة ؛ وكان أحد أبطال المسلمين ، وله شهرة عند الفرنج ، وتنقل فى ولايات عديدة . و[مات] الأمير

* (١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٥٨ ، فى Rec. Hist. Or. I.) ؛ وفى نفس المرجع والصفحة أن الأمير سيف الدين هو الذى "استأذن" السلطان أولا فى الإغارة على بلد المرقب للسبب المذكور هنا فأذن له .

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٢١) .

(٣) ذكر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤١٣) هذا المسجد فقال إنه "خارج القاهرة مما يلى الخندق ، عرف قديماً بالبئر والجميزة ، وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ ، وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية ... وتبر هذا أحد الأمراء الأكابر فى أيام الأستاذ كافور الإخشيدى ..." .

سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار والى مصر فى ربيع الأول ، بعد ما ولى مصر عدة سنين ؛ وكان خبيراً عظيم السمن . وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن النن[1] البغدادى الشافعى بالإسكندرية ، عن ثمانين سنة . و[توفى] الأمير ناصر الدين محمد بن بركه خان خال الملك السعيد ، وهو بدمشق .

***

سنة ثمانين وستمائة . فيها سار السلطان [قلاون] من ظاهر القاهرة ، فأتته رسل الفرنج وهو بمنزلة الروحا[2] فى تقرير المدنة ، فتقررت بين مقدم[3] بيت الإسبتار وسائر الإسبتارية بعكا ، و بين السلطان وولده الملك الصالح ، لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أولها يوم السبت ثانى عشرى المحرم . وتقررت [المدنة أيضاً] مع متملك طرابلس الشام بيمند بن بيمند[4] لمدة عشر سنين ، أولها سابع عشرى شهر ربيع الأول . وعادت الرسل ، وتوجه الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب لتحليف [الفرنج[5] و] مقدم الإسبتار على ذلك ، فحلفهم .

و[فيه] بلغ الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى أن الأمير سيف الدين كوندك الظاهرى السعيدى قد وافق عدة من الظاهرية والسعيدية على الفتك بالسلطان عند المخاضة [بنهر الشريعة[6]] ، بعد الرحيل من بيسان ؛ فأعلم السلطان بذلك . واتفق ورود كتب من عكا تتضمن أن السلطان (١٧٥ ب) يحترز على نفسه ، فإن عنده جماعة من الأمراء قد

(١) فى س "النن" ، انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٦٤) .

(٢) كذا فى س ، وهى بلد بالساحل من فلسطين . (ابن أبى الفضائل : كتاب النهج السديد ، ص ٣٢١ ، حاشية ٤ من الترجمة الفرنسية) .

(٣) كان مقدم بيت الإسبتار تلك السنة (Fr. Micholas le Lorgne) . راجع (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. P. 280.) .

(٤) كان صاحب طرابلس تلك السنة (Bohemond VII) ، وقد خلف أباه (Bohemond VI) على طرابلس منذ ١٢٧٥ م (٦٧٤ هـ) . راجع (King : Op. Cit. P. 281.) .

(٥) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٨ ب) ، حيث توجد شروط هاتين المدنتين ، وهى واردة أيضاً لفظا بلفظ مع زيادة فى آخرها فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٢٤ ا — ١٢٦ ا) . انظر ملحق ٦ فى آخر هذا الجزء .

(٦) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٢٢) .

اتفقوا على قتله ، وكاتبوا الفرنج بأنهم لا يصالحون[١] ، فإن الأمر لا يبطئ ؛ فاحترز السلطان على نفسه . وهمّ كوندك بأن يغتال السلطان وهو بمنزلة الروحا ، فوجده قد تحفظ واستعد . ثم إن السلطان رحل من الروحا ، ولاطف الأمر حتى اجتمع الأمراء عنده فى حمراء بيسان ، فوبخ كوندك ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج ، فلم ينكروا وسألوا العفو . فأمر [السلطان] بهم فقبض عليهم وهم : كوندك ، وأيدغمش[٢] الحكيمى ، و بيبرس الرشيدى ، وساطلمش السلاح دار الظاهرى ، وعلى ثلاثة وثلاثين من الأمراء البرّانية[٣] والمماليك الجُوّانية ؛ وفرّ عشرة أمراء ومائتا[٤] فارس ، فأخذوا من بعلبك وصرخد . وأخذ كوندكَ[٥] الأميرُ حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة ، ومضى به إلى بحيرة طبرية ، وضرب عنقه ثم غرقه بها هو والبقية . فركب الأمير سيف الدين أيتامش السعيدى والأمير سيف الدين بلبان الهارونى ، فى نحو من ثلاثمائة من البحرية الظاهرية والتتار [الوافدية][٦] ، وتوجهوا إلى سنقر الأشقر بصهيون . فخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير ركن الدين طقصو الناصرى فى أثرهم ، فلم يدركوهم ؛ وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب .

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى تاسع عشر المحرم ، وهو أول قدومه إليها فى سلطنته ، فكان يوماً مشهوداً ، وقد اجتمع له عسكر عدته خمسون ألفاً . وفى ثانى عشرى المحرم صرف ابن خلكان عن قضاء دمشق ، وأعيد عز الدين محمد بن الصائغ . واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق نجم الدين أحمد بن شمس الدين عبد الرحمن [الحنبلى][٧] ، وكان قضاء

(١) فى س " لا يصالحوا " .

(٢) فى س " ادغمس " بالسين . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 29.) .

(٣) يطلق هذا اللفظ ، حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ ؛ ج ٤ ، ص ٥٦) على المماليك والأمراء الذين ليسوا من الخاصكية ، ويقال لهم الخرجية أيضاً ؛ أما الخاصكية فكانوا يسمون باسم الجوانية . انظر (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٧) ؛ (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة — طبع كاليفورنيا — ج ٦ ، ص ٧) .

(٤) فى س " مائتى " . (٥) فى س " كوند " فقط .

(٦) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١١١ أ) ؛ حيث توجد أخبار هذه المؤامرة مفصلة . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٨ ب — ٢٧٩ أ) .

(٧) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٩ أ) .

الحنابلة قد شغر من دمشق منذ عزل نفسه قاضى القضاة شمس الدين ، فاستقر ابنه نجم الدين بتعيين والده .

وفى عاشر المحرم مات قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى بمصر ، فاستقر عوضه فى نظر التربة الصالحيـة ـ بخط بين القصرين — الطواشى حسام الدين بلال المغيثى اللالا . واستقر فى نظر المشهد الحسينى بالقاهرة القاضى برهان الدين... [1] بن الطرائفى [2] كاتب الإنشاء ، فورد مرسوم السلطان من دمشق بولاية الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى الأستادار نظر المشهد الحسينى ، وولاية القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز المدرسـة الصالحية والتربة الصالحية عوضاً عن أخيه ، مضافاً (١٧٦ أ) لـما بيده من نظر الخزائن المعمورة ، وأن يكتفى بمعلوم المدرسة والتربة والمناصب التى كانت بيد أخيـه ، ويتوفر معلومه عن نظر الخزائن .

وفى ربيع الأول صرف الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة بمصر ، وقبض عليه وعلى ولده واعتقلا بقلعة الجبل .

وفى صفر [3] جرد السلطان من دمشق الأمير عز الدين أيبك الأفرم والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى فى عدة من الأجناد ، فساروا إلى شيزر [4] ؛ فبعث سنقر الأشقر يطلب الصلح على أن يسلِّم شيزر ، ويعوض عنها الشغر وبكاس — وكانتا قد أخذتا منـه — ومعهما فامية وكفر طاب وأنطاكية وعدة ضياع ، مع ما بيده من صهيون وبلاطنس وَبَرْزِيَة [5] واللاذقية ، و[شرط أيضاً أن] يكون [أميراً] بستمائة فارس [6] ، ويؤمَّر مَن

(١) بياض فى س . (٢) فى س "الطرايفى" ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٠٨ أ) .
(٣) كذا فى س ، وفى ب (٢٠٨ أ) أيضاً . (٤) فى س "سيزر" .
(٥) فى س "برزنه" ، وهى حصن قرب اللاذقية على سن جبـل شاهق ، والنطق المثبت هنا هو ما تقول به العامة ، والصحيح برزويه . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٦٥) .
(٦) هـذا الشرط يوجب الالتفات ، إذ المعروف أن مرتبة أمير مائة كانت أعلى مراتب الأمراء فى دولة المماليك ، وربما زيد حاملها العشرة أو العشرين فارساً من المماليك أو أكثر ، فيكون أمير ثلاثمائة مثلا كما ورد فى ص ٢٣٩ (سطر ٣) ، وهذا لا يتأتى إلا إذا أعطاه السلطان إقطاعا جديداً زيادة على ما بيده بمصر أو بالشام ؛ وعلى ذلك فمعنى هذا الشرط المتطرف أن الأمير سنقر طلب إلى السلطان أن يعطيه إقطاعات مساوية لما يعطيه لستة من أكابر الأمراء . انظر (ص ٢٣٩ ، حاشية ١ ، وما بها من المراجع) .

عنده من الأمراء ؛ فأجيب إلى ذلك . وحضر فى رابع ربيع الأول الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، ومعه رسول سنقر الأشقر بنسخة يمينه على ما تقرر ، فحلف له السلطان وكتب له تقليداً بالبلاد المذكورة ، ونُعت فيه[١] بالأمير[٢] وخوطب فى مكاتباته بالمقر العالى المولوى السيدى العالمى العادلى الشمسى ؛ ونودى فى دمشق باجتماع الكلمة . وجهزت رسل سنقر الأشقر ، ومعهم الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، فحلفاه وعادا فى ثانى عشره ؛ فضربت البشائر . وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر من الأقمشة والأوانى وغيرها شيئاً كثيراً ، وعادت العساكر من شيزر إلى دمشق .

وفى يوم الخميس أول شهر ربيع الأول — وهو خامس عشرى بؤونة — كان قاع النيل بمصر ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً . وقدمت رسل الملك المسعود خضر بن الظاهر صاحب الكرك فى طلب الصلح والزيادة على الكرك ، ليكون له ما كان للناصر صلاح الدين داود . فلم يجب السلطان إلى ذلك ، فترددت الرسل بينهما إلى أن تقرر أن يكون له من حد المُوْجِب[٣] إلى الحَسَا[٤] ، وأن تجهز إليه إخوته الذكور والإناث ، وترد عليهم الأملاك الظاهرية . وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسنى السلاح دار والقاضى عماد الدين بن الأثير ليحلفاه ، فانبرم الصلح فى أوائل شهر ربيع الأول ، وشُهِرَ النداء بذلك فى دمشق .

وفى هذا الشهر دارت[٥] الجهة المفردة بدمشق وأعمالها ، (١٧٦ ب) وضمنت بألفى ألف درهم فى كل سنة . فلما كان يوم الأحد خامس عشريه خرج مرسوم بإراقة الخمور وإبطال هذه الجهة الخبيثة ، فبطل ذلك . وفيه عزل برهان الدين الخضر [السنجارى]

---

(١) فى س "فيها" . (٢) كان الأمير سنقر الأشقر ، حسبما ورد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٠ ب) قد طلب إلى السلطان أن ينعته فى التقليد بلفظ الملك ، فلم يجبه إلى ذلك ونعته بلفظ الأمير كما هنا .

(٣) بغير ضبط فى س ، وهو بلد بين القدس والبلقاء . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٧٨) .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهو واد قرب الكرك . (Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 450.)

(٥) هذه العبارة مترجمة فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 31.) بالآتى :
" Ce même mois, la branche du revenu appelée djihah-moufradah (droit unique) fut mise à la criée . . . " ، ومعناه أن الجهة — أى الضريبة — المفردة أعلنت فى المزاد لمن يتعهد بها .

عن الوزارة وصودر وأهين . وفى يوم الأربعاء تاسع عشره وصلت أم الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركه قان ابن الملك الظاهر بيبرس — وهو معها فى تابوت — إلى ظاهر دمشق ؛ فرفع فى ليلة الخميس العشرين منه بحبال إلى أعلى السور ، وأرخى وحمل إلى تربة والده الملك الظاهر ، وألحده مع أبيه قاضى القضاة عز الدين بن الصائغ . فلما كان بكرة يوم الخميس حضر السلطان والأمراء وسائر الأعيان وكثير من القراء والوعاظ إلى القبر ، فكان وقتاً مشهوداً . وفى هذا اليوم أوفى النيل بمصر ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع ، ووافقه رابع عشر مسرى ، فكتب إلى السلطان بذلك .

وفى شهر ربيع الآخر ولى نظر الإسكندرية كمال الدين بن سلامة ، بعد وفاة رشيد الدين . . . . [1] بن بصاقة .

وفى جمادى الأولى شنق بالقاهرة رجلان : أحدهما مرّ به سقاء فزحمه بحمله حتى أتلف ثيابه فضربه بسكين قتله ، فشنق ؛ والآخر جندى طالب خياطا بمتاع له عنده ، فلما مطله ضربه فمات ، فشنق [أيضاً] . وفيه مات رسول [2] ملك الفرنج ، فأحيط بموجوده . وفيه قبض على شخص يعرف بالكريدى فى طريق مصر كان يقطع الطريق على الناس ، فسمر على جمل وأقام أياماً يطاف به أسواق مصر والقاهرة ؛ فقطع عنه الموكل به الأكل والشرب ، فلما طالب بذلك قال له [الموكل] به : "إنما أردت أن أهون عليك لتموت سريعاً ، حتى تستريح مما أنت فيه" ، فقال له : "لا تقل كذا ، فإن شر الحياة خير من الموت" ، فناوله ما أكل وسقاه . فاتفق أنه وقعت فيه شفاعة فأطلق وسجن ، فعاش أياماً ثم مات فى السجن .

وفى عاشر جمادى الآخرة — وهو تاسع عشرى توت — انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعا وأربعة أصابع .

وفى هذا الشهر ثار العشير [3] ونهبوا مدينة غزة ، وقتلوا خلقاً كثيراً وأفسدوا ، فبعث

---

(١) بياض فى س . (٢) لم يستطع الناشر أن يعين رسول ملك الفرنج المقصود هنا ، مما لديه من المراجع المتداولة أسماؤها فى هذه الحواشى .

(٣) العشير — والجمع عشران — اسم يطلق على بدو الشام ، ويطلق أيضاً على سائر الدروز . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

السلطان الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى على عسكر من دمشق ، وخرج من القاهرة الأمير شمس الدين سنقر البدوى على عسكر .

وفيه ورد الخبر بدخول منكوتمر أخى أبغا بن هولاكو بن طُلُوى(١) بن جنكز خان إلى بلاد الروم بعساكر المغل ، وأنه نزل بين قيسارية والأبلستين . فبعث السلطان الكشافة ، فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصاً وبعثوا به [إلى السلطان] ، فقدم إلى (١٧٧ ا) دمشق فى العشرين من جمادى الأولى ، فآنسه السلطان ولم يزل به حتى أعلمه أن التتر فى نحو ثمانين ألفاً ، وأنهم يريدون بلاد الشام فى أول رجب . فشرع [السلطان] فى عرض العساكر ، واستدعى الناس(٢) : فحضر الأمير أحمد بن حجى من العراق فى جماعة كبيرة من آل مرا تكوّن زهاء أربعة آلاف فارس ، شاكين فى السلاح على الخيول المسومة ، وعليهم القرزغندات(٣) الحمر من الأطلس المعدنى(٤) والديباج الرومى ، وعلى رؤوسهم البَيْض(٥) ، مقلدين سيوفهم [و] بأيديهم الرماح ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص(٦) بتراقص المهارى ، و بأيديهم الجنائب ووراءهم الظّعائن(٧) والحُمُول(٨) ، ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سافرة فى الهودج ، وهى تغنى :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمةً ... ليالىَ لاقينا جـذامَ وحميرا

---

(١) فى س "طلو" ، وقد تقدم ورود هذا الاسم برسم "تولى" . (انظر ص ٢٢٨ ، حاشية ٢) . (٢) المقصود بالناس هنا ، كما يدل عليه التفريع فى العبارات التالية ، رؤساء الفئات التى أتت لنجدة السلطان ، أو الفئات نفسها . وكان استعمال لفظ الناس بمعنى الرؤساء أو الزعماء أو الأمراء شائعاً فى مصطلح المؤرخين فى عصر المماليك ، ويوضح ذلك تماماً أنه كانت هناك فرقة من فرق الجيش المملوكى تسمى باسم "أولاد الناس" ، وقد شملت هذه الفرقة أبناء أمراء المماليك فقط . انظر (Salmon : An Account Of The Ottoman Conquest of Egypt. Introd. by Margoliouth P. XII.) .

(٣) كذا فى س ، وهى الكزغندات أو الكزغنديات . (انظر ص ٢٥٣ ، حاشية ٥) .

(٤) المعدنى هنا نسبة إلى بلدة معدن ، وهى بأرمينية قرب منبع نهر دجلة ، وسميت بهذا الاسم لوجود مناجم لمعدنى النحاس والحديد بقربها . (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 33 N. 30.) .

(٥) البيض جمع بيضة ، وهى الخوذة من الحديد يلبسها الجندى لوقاية الرأس ، وقد سميت بذلك لما فيها من الشبه الشكلى بالبيضة . (محيط المحيط) .

(٦) فى س "برقصون" .

(٧) فى س "الظفان" . والظعائن جمع ظعينة ، وهى الجمل الذى يستخدم لحمل الهودج ، والظعينة أيضاً الهودج فيه امرأة ، ويقال للمرأة فى الهودج ظعينة . (محيط المحيط) .

(٨) الحمول جمع حمل ، وهو كالظعينة الجمل الذى يحمل عليه الهودج ، أو الهودج نفسه . (محيط المحيط) .

ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جُرْدًا للمنية ضُمّرا
فلما قرعنا النبعَ بالنبع بعضَه ببعض أبَت عيدانه أن تَكسّرا
سقيناهمُ كأسا سقَونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

فقال رجل : "هكذا يكون ورب الكعبة" . فكان كما قال ، فإن الكسرة كانت أولا على المسلمين ، ثم كانت النصرة لهم ، واستحرّ القتل بالتتار كما ستراه . وقدمت نجدة من الملك المسعود خضر ، وقدمت عساكر مصر وسائر العربان والتركمان وغيرهم .

فوردت الأخبار بمسير التتر ، وأنهم انقسموا فسارت فرقة مع الملك أبغا بن هولاكو إلى الرحبة ومعه صاحب ماردين ، وفرقة أخرى من جانب آخر ؛ فخرج بجكا العلائى فى طائفة من الكشافة إلى جهة الرحبة . وجفل الناس من حلب إلى حماة وحمص حتى خلت من أهلها ، وعظم الإرجاف . وتتابع خروج العساكر من دمشق إلى يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة ، فخرج(١) السلطان إلى المرج بمن بقى من العساكر وأقام به إلى سلخ الشهر ، ثم رحل يريد حمص فنزل عليها فى حادى عشر رجب ومعه سائر العساكر ؛ وحضر الأمير سنقر الأشقر من صهيون ومعه أيتمش السعدى ، وأزدمر الحاج ، وسنجر الدواداري ، و بيجق(٢) البغدادى ، وكراى ، وشمس الدين الطنطاش ، ومن معهم من الظاهرية . فسُرّ السلطان بذلك وأكرمهم وأنعم عليهم ، وكان ذلك فى ثانى عشره ؛ فنزل سنقر الأشقر فى دهليز على الميسرة ؛ وقويت الأراجيف بقرب العدو .

وفى ثالث عشره اجتمع الناس بأسرهم فى جامع دمشق ، وتضرعوا إلى الله وضجوا و بكوا ، وحملوا المصحف العثمانى على الرؤوس ، وخرجوا من الجامع إلى المصلى خارج البلد وهم يسألون الله النصر على الأعداء .

ووصل التتار إلى أطراف بلاد حلب ، وقدم منكوتمر إلى عين تاب . ونازل الملكُ أبغا قلعة الرحبة فى سادس عشرى جمادى الآخرة ، ومعه نحو ثلاثة آلاف فارس . وتقدم منكوتمر قليلاً قليلاً حتى وصل حماة ، وأفسد نواحيها وخرب جوسق الملك المنصور [صاحب

(١) فى س "خرج" .
(٢) فى س "سجق" ، وفى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، س ٢٧٢ أ) برسم "بجق" ، وقد ترجمه (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 34) إلى (Bidjak) ، وهو الرسم المثبت هنا .

حماة] و بستانه . فورد الخبر إلى السلطان بذلك وهو على حمص ، وأن منكوتمر فى خمسين ألفاً من المغل وثلاثين ألفاً من الكرج والروم والأرمن(١) والفرنجة ، وأنه قد قفز إليه مملوك الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ودَلَّهُ على عورات المسلمين . ثم ورد الخبر بأن منكوتمر قد عزم أن يرحل عن حماة ، ويكونَ اللقاء فى يوم الخميس رابع عشر رجب . واتفق عند رحيله أن دخل رجل منهم إلى حماة وقال للنائب : " اكتب الساعة إلى السلطان على جناح الطائر بأن القوم ثمانون ألف مقاتل ، (١٧٧ ب) فى القلب منهم أربعة وأربعون ألفاً من المغل وهم طالبون القلب ، وميمنتهم قوية جدا ؛ فيقوِّى ميسرة المسلمين ، ويحترز على السناجق " . فسقط الطائر بذلك وعلم بمقتضاه ، وبات المسلمون على ظهور خيولهم .

وعند إسفار الصباح من يوم الخميس رابع عشر شهر رجب ركب السلطان ورتب العساكر : فجعل فى الميمنة الملك المنصور صاحب حماة ، والأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى ، والأمير عز الدين أيبك الأفرم ، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ، ومضافيهم ؛ و [جعل] فى رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، وآل فضل وآل مرا(٢) وعربان الشام ، ومن انضم إليهم ؛ و [جعل] فى الميسرة الأمير سنقر الأشقر ومَن معه من الأمراء ، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى ، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، والأمير علم الدين سنجر الحلبى ، والأمير بجكا العلائى ، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى ، والأمير سيف الدين حيرك(٣) التترى ، ومضافيهم ؛ و [جعل] فى رأس الميسرة التركمان بجموعهم ، وعسكر حصن الأكراد ؛ وجعل فى الجاليش(٤) — وهو مقدمة

(١) كانت فئة الأرمن فى ذلك الجيش بقيادة ملكهم ليون (D'Ohsson : Op. Cit. III. PP. 524, 526) ، وكانت فئة الكرج بقيادة ملكها أيضاً واسمه دمترى الثانى (Dmitri II) . انظر : (Allen : A History Of The Georgian People. P. 118, N. 3.)

(٢) فى س "مرى" انظر ص ٦٩٠ .

(٣) كذا فى س ، وفى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١١٤ب) "جبرك" بفتحة على الجيم ، وهو مترجم إلى (Khabrek) فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 36) ، اعتماداً على الرسم الوارد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٢ ب) ، حيث هذا الاسم مكتوب "خبرك" . انظر أيضاً (D'Ohsson : Op. Cit. III. P. 526) ، حيث هذا الاسم وارد برسم (Tchérek) .

(٤) الجاليش هنا مقدمة القلب ، كما هو مذكور فى العبارة التالية بالمتن ، وقد سمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان (انظر ص ١٢٤ ، حاشية ١) ، فى المواقع التى يحضرها ، يكون عادة فى ذلك الوضع من جميع الصفوف . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

القلب — الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر ، ومن معه من مضافيه ، والأمير ركن الدين أياجى[(١)] الحاجب ، والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون ، والمماليك السلطانية . ووقف السلطان تحت الصناجق ، ومعه خاصته وألزامه وأرباب الوظائف ؛ فكانت عدة حلقته أربعة آلاف فارس وهى أقوى وأشد ، وعدة مماليك السلطان ثمانمائة مملوك . و[كان] فى العسكر حَشْوٌ كثير من الأمراء الأكراد والتركمان ، سوى أمراء مصر والشام . ثم اختار السلطان من مماليكه مائتى فارس ، وانفرد عن العصائب[(٢)] ووقف على تل ، فكان إذا رأى طُلْبا قد اختلّ أردفه بثلاثمائة من مماليكه .

فأشرفت كراديس[(٣)] التتار وهم مثلا[(٤)] عساكر المسلمين ، ولم يعتدّوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة ، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا ، فإن أبغا عرض مَن سيَّره صحبة أخيه منكوتمر فكانوا خمسة وعشرين ألف فارس منتخبة . فالتحم القتال بين الفريقين بوطاة حمص ، قريباً من مشهد خالد [بن الوليد[(٥)] ، يوم الخميس رابع عشر رجب] ، من ضحوة النهار إلى آخره ، وقيل من الساعة الرابعة . فصدمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين صدمة شديدة ثبتوا لها ثباتاً عظيما ، وحملوا على ميسرة التتار فانكسرت واتهت إلى القلب وبه منكوتمر . وصدمت ميمنة التتر ميسرة المسلمين ، فانكسرت الميسرة وانهزم من كان فيها ، وانكسر جناح القلب الأيسر . وساق التتر خلف المسلمين حتى انتهوا إلى تحت حمص وقد غلقت أبوابها ، ووقعوا فى السوقة والعامة والرجالة المجاهدين والغلمان بظاهر حمص ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأشرف الناس على التلاف[(٦)] . ولم يعلم المسلمون من أهل الميسرة بما جرى للمسلمين أهل الميمنة من النصر ، ولا علم التتار الذين ساقوا خلف المسلمين ما نزل بميسرتهم من (١٧٨ ا) الكسرة . ووصل بعض المنهزمين إلى صفد ، وكثير منهم

(١) فى س " اباجى " . انظر ص ٦٨١ ، سطر ١٥ .

(٢) العصائب جمع عصابة ، وهى إحدى الرايات السلطانية الكبرى ، وقد تقدم وصفها فى ص ٤٤٣ (سطر ١٥ — ١٦) ، ويظهر أن المقصود بالعصائب هنا فرقة المماليك السلطانية الموكلة بتلك الراية .

(٣) الكراديس جمع كردوس أو كردوسة ، وهى الفرقة الحربية الراكبة ، والقطعة العظيمة من الخيل . (محيط المحيط ؛ Dozy : Supp. Dict. Ar.).

(٤) فى س " مثلى " .

(٥) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٢٧) .

(٦) فى س " اللاف " .

دخل دمشق ، ومرّ بعضهم إلى غزة ، فاضطرب الناس بهذه البلاد وانزعجوا انزعاجًا عظيما .

وأما التتر الذين ساقوا خلف المنهزمين من المسلمين أصحاب الميسرة ، فإنهم نزلوا عن خيولهم وأيقنوا بالنصر ، وأرسلوا خيولهم ترعى فى مرج حمص ، وأكلوا ونهبوا الأثقال والوطاقات والخزانة ، وهم يحسبون أن أصحابهم ستدركهم . فلما أبطأوا عليهم بعثوا من يكشف الخبر ، فعادت كشافتهم وأخبرتهم أن منكوتمر هرب ، فركبوا وردّوا راجعين . هذا ما كان من أمر ميمنة التتار وميسرة المسلمين .

وأما ميمنة المسلمين فإنها ثبتت[1] وهزمت ميسرة التتار حتى انتهت إلى القلب ، إلاّ الملك المنصور [قلاون] فإنه ثبت تحت الصناجق ، ولم يبق معه غير ثلاثمائة فارس ، والكوسات تضرب . وتقدم سنقر الأشقر ، وبيسرى ، وطيبرس الوزيرى ، وأمير سلاح ، وأيتمش السعدى ، ولاجين نائب دمشق ، وطرنطاى نائب مصر ، والدوادارى[2] ، وأمثالهم من أعيان الأمراء ، إلى التتار ؛ وأتاهم عيسى بن مهنا فيمن معه ؛ فقتلوا من التتار مقتلة عظيمة . وكان[3] منكوتمر مقدم التتار قائماً فى جيشه ، فلما أراده الله من هزيمته نزل عن فرسه ونظر من تحت أرجل الخيل ، فرأى الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر . ولم يكن الأمر كذلك ، بل كان السلطان قد تفرقت عنه عساكره ما بين منهزم ومن تقدم القتال ، حتى بقى معه[4] نحو الثلاثمائة فارس لا غير . فنهض منكوتمر من الأرض ليركب فتقطّر عن فرسه ، فنزل التتر كلهم لأجله وأخذوه . فعند ما رآهم المسلمون قد ترجّلوا حملوا عليهم حملة واحدة كان الله معهم فيها ، فانتصروا على التتار .

وقيل إن الأمير عز الدين أزدمر الحاج حمل فى عسكر التتار وأظهر أنه من المنهزمين ، فقدِمهم وسأل أن يُوصَّل إلى منكوتمر ، فلما قرب منه حمل عليه وألقاه عن فرسه إلى

(١) فى س "فانها لما تبتت" ، وقد حذفت "لما" لانسجام العبارة .

(٢) المقصود بالدوادارى هنا الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى ، مؤلف كتاب زبدة الفكرة المتداول فى هذه الحواشى ، وقد وصف وقعة حمص فى كتابه وصفاً دقيقاً مفصلا ، (ج ٩ ، ص ١١٣ ب — ١٢٢ ب) ، ومنه نقل النويرى بتقريره (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٨ — ٩) ، وقد نقل المقريزى ما كتبه هنا من أحدهما مباشرة أو عن طريق غير مباشر ، وذلك واضح من مشابهة عبارة السلوك لعبارة هذين المرجعين فى هذا الصدد .

(٣ ، ٤) العبارة الواردة بين الرقمين ، ليست موجودة فى ب (٢٩٠ ب) ، أو فى (Quatremère : Op. Cit. II. I. P. 37) .

الأرض ، فلما سقط نزل التتار إليه من أجل أنه وقع ، فحمل المسلمون عليهم عند ذلك ، فلم يثبت منكوتمر وانهزم وهو مجروح ، فتبعه جيشه وقد افترقوا فرقتين : فرقة أخذت نحو سلمية والبرية ، وفرقة أخذت جهة حلب والفرات .

وأما ميمنة التتار التى كسرت ميسرة المسلمين ، فإنها لما رجعت من تحت حمص كان السلطان قد أمر أن تلفَّ الصناجق ويبطلَ ضرب الكوسات ، فإنه لم يبق معه إلا (١٧٨ ب) نحو الألف ؛ فمرّت به التتار ولم تعرض له ، فلما تقدموه قليلاً ساق عليهم ، فانهزموا هزيمة قبيحة لا يلوون على شىء . وكان ذلك تمام النصر ، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس . ومرّ هؤلاء المنهزمون من التتار نحو الجبل يريدون منكوتمر ، فكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين ، وإلاّ لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين لما وجدوا فيهم قوة ؛ ولكن الله نصر دينه ، وهزم عدوّه مع قوتهم وكثرتهم . وانجلت هذه الواقعة عن قتلى كثيرة من التتر لا يحصى عددهم .

وعاد السلطان فى بقية يومه إلى منزلته بعد انقضاء الحرب ، وكتب البطائق بالنصرة . ولم يفقد كثيرَ شىء من ماله ، فإنه كان قد فرق ما فى الخزائن على مماليكه [أكياساً فى كل كيس[١] ألف دينار] ليحملوه على أوساطهم ، فسلم له المال . وبات ليلة الجمعة إلى السحر فى منزلته ، فثار صياح لم يشك الناس فى عود التتار ، فبادر السلطان وركب وسائر العساكر ، فإذا العسكر الذى تبع التتار وقت الهزيمة قد عاد .

وقتل من التتار فى الهزيمة أكثر ممن قتل فى المصاف ، واختفى كثير منهم بجانب الفرات . فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار[٢] التى على الفرات ، فاحترق منهم طائفة عظيمة ، وهلك كثير منهم فى الطريق التى سلكوها من سلمية .

وفى يوم الجمعة خرج من العسكر طائفة فى تتبع التتار ، مقدمهم الأمير بدر الدين بيليك

(١) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ أ) ، وكان بيبرس هذا ممن حمل كيساً من تلك الأكياس ، وقد ذكر أن مجموع ما كان لدى السلطان من المال مائتا ألف دينار ، وأنه لم يعدم منه مثقال .

(٢) الأزوار — والأزيار أيضاً — جمع زارة ، وهى الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب . (لسان العرب) .

الأيدمرى ؛ ورحل السلطان من ظاهر حمص إلى البحرة[١] ليبعد عن الجيف . وقتل من التتار صمغار ، وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم ، وكانت له إلى الشام غارات عديدة . واستشهد من المسلمين زيادة على مائتى رجل : منهم الأمير عز الدين أزدمر الحاج — وهو الذى جرح منكوتمر مقدم التتار وألقاه عن فرسه وكان سببَ هزيمتهم ، وكان من أعيان الأمراء ، وتحدثه نفسه أنه يملك فعوضه الله الشهادة — ، والأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار الظاهرى ، وعلم الدين سنجر الإربلى ، وبدر الدين بكتوت الخازندار ، وشمس الدين سنقر العرسى[٢] ، وشهاب الدين توتل الشهرزورى ، وسيف الدين بلبان الحمصى ، وناصر الدين محمد بن جمال الدين صيرم الكاملى ، وعلاء الدين على بن الأمير سيف الدين بكتمر الساقى العزيزى ، وناصر الدين محمد بن أيبك الفخرى ، وبدر الدين بيليك الشرفى ، وشرف الدين بن علكان ، وصاحب الموصل ، والقاضى شمس الدين بن قريش كاتب (١٧٩ ا) الدرج — [وقد] عُدم فلم يعرف له خبر ، وهو آخر من مات من كتاب الملك الكامل محمد بن العادل ، وكان قد كتب له ولابنيه العادل والصالح ولمن بعدهما من الملوك .

وأما أهل دمشق فإنه لما كان بعد صلاة الجمعة ، فى اليوم الثانى من الوقعة ، سقط الطائر بالنصرة ، ودقت البشائر بقلعة دمشق وسُرَّ الناس سروراً كبيرا ، وزينت القلعة والمدينة . فلما كان بعد نصف الليل من ليلة السبت وصل جماعة كثيرة من المنهزمين وأخبروا بما شاهدوا من الكسرة ، ولم يكن عندهم علم بما تجدَّد بعدهم من النصرة ؛ فارتجت دمشق واضطرب الناس ، وأخذوا فى أسباب الرحيل ؛ وفتحت أبواب دمشق ، ولم يبق إلا خروج الناس منها على وجوههم هاربين . فورد بعد ساعة البريدُ بخبر النصر ، وكانت موافاته عند أذان الفجر ، فقرئ كتابه بالجامع فاطمأن الناس .

وورد الخبر إلى مصر فى يوم الخميس حادى عشرى شهر رجب ، على جناح الطائر فى

(١) كذا فى س ، والراجح أن المقصود هنا بحيرة قدس ، فهى قريبة من حمص بينها وبين جبل لبنان ، وتنصب إليها مياه تلك البلاد ثم تخرج منها فتصير نهراً عظيما ، وهو العاصى الذى عليه مدينة حماة وشيزر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٦ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٨٤) .

(٢) كذا فى س ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. II. I. P. 39) هذا الاسم إلى (Sonkor- Arsi) .

بطاقة من قاقوْن ، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول ، ووصل بعض الأمراء إلى قطيا منهم ابن الأيدمرى . وقد كان أهل مصر صاروا يقنُتون فى صلواتهم ، وكثرت قراءة صحيح البخارى ، وأقبل الناس على تلاوة القرآن ، وتجمعوا فى المشهد الحسينى وفى الجوامع والمساجد ، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم . فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر ، وجرّد الملك الصالح فى الحال عسكراً عليه الأمير صارم الدين إزبك الفخرى فى كثير من العربان إلى قطيا ، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى السلطان ، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة ، فاعتمد ذلك . ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار ، وإذا بالطيور قد وقعت مخلّقة[1] تحمل البطائق المخلّقة ، وتخبر فيها بالبشائر العظمى من كسر التتار . وقدمت البريدية بكتب البشائر أيضا ، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل ، وكُتِب إلى أعمال مصر بالزينة . وكَتَب الملك الصالح إلى السلطان والده يشفع فى المنهزمين ويسأل العفو عنهم ، وكَتَب أيضاً إلى الأمير بدر الدين بيسرى يؤكد عليه فى الشفاعة فيهم .

واتفق أن الأمير طرنطاى النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر ، فأسرهم وفيهم حامل خُرَمْدَانه[2] ، فوجد فى الخرمدان كتباً من الأمراء — مثل سنقر الأشقر ، وأيتمش[3] السعدى ، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر — إلى التتار ، يحرضونهم على دخول الشام ، ويعدونهم بالمساعدة على أخذها . فشاور [طرنطاى] السلطانَ عليها ، فأَمَر بغسلها فغسلت ، ولم يطلع عليها أحد . وأما السلطان فإنه وادع الأمير سنقر الأشقر ، ورده من حمص إلى عمله بصهيون على عادته ، ورد معه من كان عنده من الأمراء : وهم أيتمش السعدى ، وسنجر الدوادارى ، وكراى التترى ، وغيرهم .

(١) الطيور المخلقة هى المعطرة بالرائحة العطرية المسماة "خلوق" ، (Dozy : Supp. Dic. Ar.) ؛ وكانت العادة فى نقل الأخبار السارة أن تمسح الطيور والبطائق التى تحملها بهذه المادة أو غيرها من العطور ، أما طيور الأخبار السيئة وبطائقها فكانت تلطخ بالسواد . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣١) .

(٢) الخرمدان — أو الخرمدان — لفظ فارسى معناه المحفظة الخاصة ، التى يحمل فيها الفرد أوراقه ونقوده ، ويقال لحقيبة الحلّاق أيضاً حرمدان . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وما به من المراجع .

(٣) فى س "اتامش" وقد صحح إلى الرسم المثبت هنا اعتماداً على سبق وروده بهذه الصيغة فى ص ٦٩٤ (سطر ١٠) وغيرها ، وكذلك فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١١٤ ا) .

ورحل [السلطان] إلى دمشق ، فقدمها يوم الجمعة ثانى عشرى رجب[١] ، فكان يوماً عظيما إلى الغاية (١٧٩ ب) عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم ، وقال فيه الشعراء عدة قصائد[٢] . وفى سابع عشريه ورد الخبر إلى القاهرة بعود السلطان إلى دمشق ، وأنه عندما استقر بها جرد العسكر [مع الأمير[٣] بدر الدين الأيدمرى] إلى الرحبة ، ليدفع مَنْ عليها من التتار .

وأما أبغا بن هولاكو ملك التتار فإنه لم يشعر وهو على الرحبة إلا وقد وقعت بطاقة من السلطان إلى نائب الرحبة ، بما مَنَّ الله به من النصر وكسرة التتار . فعند ما بلغه ذلك — بِدَقّ بشائر القلعة — رحل إلى بغداد . ووصل الأمير بدر الدين الأيدمرى[٤] إلى حلب ، وبعث فى طلب التتار إلى الفرات ، ففروا من الطالب وغرق منهم خلق كثير . وغبرت[٥] طائفة منهم على قلعة البيرة ، فقاتلهم أهلها وقتلوا منهم خمسمائة ، وأسروا مائة وخمسين . وتوجه منهم ألف وخمسمائة فارس إلى بغراس ، وفيهم أكابر أصحاب سيس وأقاربهم[٦] ، فخرج عليهم الأمير شجاع الدين السِّينانى[٧] بمن معه ، فقتلهم وأسرهم عن آخرهم بحيث لم يفلت منهم إلا دون العشرين . وتوجه منهم على سلمية نحو أربعة آلاف ، فأخذ عليهم نواب الرحبة الطرقات والمعابر ، فساروا فى البرية فماتوا عطشاً وجوعا ، ولم يسلم منهم إلا نحو ستمائة فارس . فخرج إليهم أهل الرحبة فقتلوا أكثرهم ، وأحضروا عدة منهم إلى الرحبة ضربت أعناقهم بها . وأدرك بقية التتر الملك أبغا ، وفيهم أخوه منكوتمر وهو مجروح ، فغضب عليه

(١) ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣) أن السلطان قلاوون دخل إلى دمشق وقدامه من غنيمة التتر "اثنتا عشرة عجلة كانت مع التتار ، (ص ٣٢٣) على كل عجلة أربع زيارات ، كل زيار فيه ثلاثة جروخ وخمسة طبول صحاح وثلاثة مقطعة" . (انظر الترجمة الفرنسية لهذا الاقتباس فى نفس المرجع والصفحة لتفسير الألفاظ الاصطلاحية) .

(٢) يوجد كثير من هذه القصائد فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٢٧ ب — ١٢٢ ب) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٠) .

(٤) فى س "البيدمرى" ، ويظهر أن هذا الرسم مجرد خطأ قلمى . انظر ما يلى (ص ٦٩٩ سطر ٤) ، وكذلك ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٠) .

(٥) فى س "غبر" ، والمعنى أنهم بقوا بها . (محيط المحيط) .

(٦) فى س "واقاربه" .

(٧) فى س "السنانى" ، ولعل النسبة إلى سينان ، وهى قرية من قرى مرو . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٢٠) .

وقال : "لِمَ لا مُتَّ أنت والجيش ولا انهزمت ؟" وغضب أيضاً على المقدمين . فلما دخل [أبغا] بغداد سار منهـا إلى جهة هَمَذَان ، وتوجه منكوتمر إلى بلاد الجزيرة فنزل بجزيرة ابن عمر ، وكانت الجزيرة لأمه قد أعطاها إياها أبوه هولاكو لما أخذها .

وفى يوم الإثنين حادى عشريه قدم الأمير بدر الدين الأيدمرى بمن معه من العسكر ، بعد ما أنكى فى التتار . ورسم [السلطان] أن تكون البشائر إنعاماً على من يذكر : وهى القاهرة ومصر على يد الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومى ، [و] قوص والوجه القبلى خلا الفيوم [على يد] الأمير بدر الدين بيـدر المنصورى أمير مجلس ، [و] الفيوم [على يد] الأمير علم الدين سنجر أمير آخور ، [و] الإسكندرية [على يد] الأمير علم الدين سـنجر أمير جاندار ، [و] دمياط [على يد] الأمير بدر الدين بيليك أبو شامة المحسنى ، [و] الغربية [على يد] الأمير عز الدين أيبك السلاح دار المنصورى ، [و] أشموم [على يد] الأمير شمس الدين محمد بن الجَمِقْدَار[1] نائب أمير جاندار .

وورد كتاب السلطان إلى قلعة الجبل (١٨٠ ا) ليجهز إلى الملك المظفر [شمس الدين[2] ابن رسول] باليمن بما مَنَّ الله به من النصرة على التتار ، فكتب قرينه الملك الصالح كتابا من إنشاء محيي الدين بن عبد الظاهر ، خوطب فيه : "أعز الله أنصار المقـام العالى المظفرى الشمسى" .

وفى شهر رجب رتّب السلطان غرسَ الدين بن شاور فى ولاية لدّ والرملة ، عوضاً عن سعد الدين بن قلج ، بحكم انتقاله منها إلى ولاية بلد الخليل عليه السلام . ورتّب تقى الدين توبه فى نظر النظار بالشام ، شريكا للقاضى تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب ابن الفضل بن يحيى السنهورى . ورتّب الأمير علم الدين سنجر الدواداري شادّا ومدبرا من غزة إلى الفرات .

وفيه ثارت العشران ونهبوا نابلس ، وقتلوا مقتلة عظيمة ؛ فركب الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى من غزة وقبض على جماعة منهم ، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم ،

(١) الجمقدار أحد موظفى ديوان الخاص السلطانى ، وكان موكلا به توزيع الجوامك على المماليك السلطانية . (G. - Demombynes : La Syrie. Introd. P. LXXII) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ص ١٢٣ ا) .

وسجن كثيراً منهم بصفد ؛ ورتّب الأمير علاء الدين أيدغدى الصرخدى نائباً بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشران . وفيه قُرِّر الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد فى تدريس المدرسة بجوار قبة الشافعى من قرافة مصر ، على عادة القاضى تقى الدين بن رزين بعد وفاته . واستقر الشيخ علم الدين ... [١] ابن بنت العراقى فى تدريس المشهد الحسينى بالقاهرة . وفيه وصل الأمير شهاب الدين أحمد ابن والى القلعة أمير شكار من دمشق لتخريج [٢] الجوارح وإصلاحها . وفيه استقر الأمير سيف الدين بازى المنصورى نائباً بحمص ، ومعه الأمير صارم الدين الحمصى مساعداً له . واستقر الأمير جمال الدين أقش الحمصى نائباً فى مدينة نابلس ، عوضاً عن زين الدين قراجا البدرى . وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين قطز المنصورى ، والأمير سنجر الحموى أبو خرص .

وفيه كانت وقعة فى صحراء عيذاب بين عرب جهينة ورفاعة قتل فيها جماعة ، فكتب إلى الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم ولا يُمِيْنَ طائفة على أخرى ، خوفاً على فساد الطريق . وفيه ولى زين الدين بن القماح نظر البحيرة ، عوضاً عن موفق الدين ابن الشماع . واستقر شمس الدين محمد بن القاضى علم الدين بن القماح فى الإعادة [٣] بمدرسة الشافعى من القرافة ، بتوقيع شريف .

وفى شعبان افترق بنو صورة [٤] بناحية المنوفية من أعمال مصر فرقتين ، وحشدوا

---

(١) بياض فى س .

(٢) الراجح أن المقصود بتخريج الجوارح تدريبها ، وقد أخطأ (Quatremère : Op Cit. II. I. P. 43) المعنى المقصود من الجملة كلها بقراءته لفظ الجوارح كأنه "الخوارج" ، فجاءت ترجمته كالآتى :

" L'émir Schehab - eddin - Ahmed emir - schikar (grand veneur) partit de Damas, et se rendit à Kolaïah pour expulser les rebelles et établir l'ordre dans cette place."

(٣) الإعادة وظيفة المعيد ، وهو ثانى رتبة المدرس ؛ وكان عمله أنه "إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه" ؛ والمدرس هو "الذى يتصدى لتدريس العلوم الشرعية ، من التفسير والحديث والفقه والنحو والتصريف ونحو ذلك" . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٤) . هذا ويوجد بنفس المرجع والصفحة تعريفات بغير هذين من أصحاب الوظائف التعليمية ، مثل المقرىء والمحدث .

(٤) كذا فى س ، وفى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧١) أن أمراء العربان بالمنوفية كانوا يسمون أولاد نصير ، ولا يوجد فى باب قبائل العربان بنواحى الديار المصرية (نفس المرجع والجزء ، ص ٦٧ ، وما بعدها) من اسمه "بنو صورة" .

وركبوا بآلات الحروب ؛ فخرج إليهم عدة من أجناد الحلقة ، ورُسِم بأخذ (١٨٠ ب) خيلهم وسلاحهم ، فسكن ما كان بينهم .

وفى يوم الأحد ثانى شعبان سار السلطان من دمشق ، وكتب إلى مصر بتجهيز الزينة[1] ونصب القلاع[2] ، وأن يتقدم إلى نواب الأمراء بالشروع فى تقسيم المواضع لقلاعهم والاهتمام بالزينة . فرتبت الإقامات فى عاشره على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى : وجعل فى كل منزلة من الدقيق ستين قطعة ، وشعيرا أو بمائة أردب ، وأغناما مائة رأس ، ودجاجا مائتى طائر ، وحماماً خمسين طائرا ، وأتبانا[3] مائة حمل ، وحطبَ سنطٍ مائة قنطار .

وخرج السلطان من غزة بكرة يوم الخميس ثالث عشره ، ووصل قطيا يوم الاثنين سابع عشره ، وقد تأخرت العساكر وراءه ؛ ونزل غَيْفَة[4] يوم الخميس العشرين منه وخيم بها . ودخل الأمير شرف الدين الجاكى المهمندار من الدهليز السلطانى لترتيب رسل الملوك الذين بالقاهرة ، وخروجهم إلى لقاء السلطان . وخرج الملك الصالح والأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة إلى الملتقى ، واستقر الأمير علم الدين سنجر المنصورى بقلعة الجبل . فصعد السلطان إلى قلعته فى يوم السبت ثانى عشريه تحت صناجقه ، وأسرى التتار بين يديه ، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهى مكسورة . فبعث [السلطان] بالأسرى وطبول التتار وجتر منكو تمر من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة ، وساروا إلى القلعة ؛ ولم يشق السلطان القاهرة . وكان يوماً مشهودا اجتمع الناس فيه من الأقطار ، وكثر فرحهم وسرورهم .

وفى يوم الأحد ثالث عشرى شعبان أفرج السلطان عن الأمير ركن الدين منكورس

---

(١) هذا اللفظ مكرر فى س .

(٢) القلاع جمع قلعة ، والراجح أن المقصود هنا قلاع خشبية زينت بها الطرقات احتفالا بقدم السلطان ؛ وفى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن القـلاع — وجمعه أقلع — قماش يغطى به صحن الجامع (pièce de toile qui couvre le صحن d'une mosquée) ، وربما كان المقصود هنا قماشا شبيها بهذا ، نصبه الأمراء على جوانب الطرقات لاستكمال زينتها وبهجتها .

(٣) فى س "اتبان"

(٤) فى س "غيفا" ، بغير ضبط ، وهى ضيعة قرب بلبيس ، بينها وبين مصر مرحلة ، كان الحاج ينزل فيها إذا خرجوا من مصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٢٩) . انظر أيضاً فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٢٨٧ ، حيث ورد اسم هذا الموضع غيتة ، بالتاء بدل الفاء .

الناصرى الفارقانى . وفيه دخل [السلطان] إلى الخزانة الشريفة ، ورتب الخلع لسائر الأمراء والخواص والكتاب بالدرج الذين كانوا فى الخدمة .

وفى يوم الخميس سابع عشريه جلس السلطان ، وأحضرت هدية [الملك المظفر[١] شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول] صاحب اليمن على يد رسله : وهم مجد الدين ابن أبى القاسم ، والقاضى محيى الدين يحيى بن البَيْلَقَانى[٢] . [فقبل السلطان هديته ، وكانت من طرائف اليمن ، من العود والعنبر والصينى ورماح القنا وغير ذلك] .

وفى تاسع عشريه أعيد إقطاع الأمير سيف الدين أيتمش السعدى إليه ، وهو ناى[٣] وطَنَان[٤] وَإِمرَة مائة فارس . وكان قد أخذه — عند توجهه إلى سنقر الأشقر — الأميرُ عز الدين أيبك الأفرم ؛ وأُعيد على الأفرم إقطاعه القديم ممن أخذه . وفيه أمَّرَ الأمير سيف الدين قطز . وفيه فوض قضاء القضاة الشافعية إلى (١٨١ ا) وجيه الدين عبد الوهاب ابن حسين المهلبى البَهْنَسى[٥] فى سابع عشرى شعبان ، عوضاً عن تقى الدين محمد بن رزين بحكم وفاته . وفيه قبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحلبى المعروف بأياجى الحاجب ، من أجل أنه انهزم على حمص .

وفى يوم السبت سادس رمضان حضرت رسل الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر ابن على بن رسول متملك اليمن ، وسألوا أن يُكتب لمرسلهم أمانٌ على قميص ، وتُعَلَّم عليه العلامة السلطانية ، فأجيبوا إلى ذلك[٦] . وجهزت إليه هدايا وتحف فيها قطعة زمرد ،

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٢٣ ا) .

(٢) فى س " البلقاني " ، والغالب أن النسبة إلى بيلقان ، وهى مدينة قرب شروان وباب الأبواب ، بأرمينية الكبرى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٩٧ — ٧٩٨) .

(٣) كذا فى س ، بنقطتين تحت الياء ، وهى بلدة تابعة الآن لمركز قليوب بمديرية القليوبية . (فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٣٢٨) .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهى بلدة تابعة أيضاً لمركز قليوب بمديرية القليوبية ، وكانت معتبرة من أعيان قرى مصر فى زمن ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٤٩) . انظر فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٧٩ .

(٥) مضبوط هكذا فى س .

(٦) أورد بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٢٣ ا — ب) نسخة هذا الأمان ، ومنه يتضح أن ملك اليمن كان يبتغى عقد حلف مع السلطان قلاون ، ونصه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا لأخينا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر صاحب اليمن المحروس ، إنا داعون له ولأولاده ، مسالمون من سالمهم معادون =

وعدة من أكاديش[١] التتار وشيء من عُدَدهم . وفيه عملت نسخة حَلِف[٢] السلطان للملك الأشكرى[٣] صاحب القسطنطينية ، وكانت رسله قد وصلت بنسخة يمينه فى تاريخ موافق آخر المحرم سنة ثمانين وستمائة . وفيه ولى الأمير بهاء الدين قراقوش قوص وأخميم[٤] ، عوضاً عن الأمير بيبرس مملوك علاء الدين حرب دار[٥] .

وفى شوال سار المحمل إلى الحجاز على العادة .

وفى يوم الخميس أول ذى القعدة استقر عز الدين أيبك الفخرى والياً بقوص وأخميم ،

=(ص١٢٣ب) من عاداهم ، ناصرون من نصرهم خاذلون من خذلهم ، لا نرضى له ولأولاده إلا ما رضيناه لأنفسنا ، وإنا لا نقبل فى حقه سعاية (فى الأصل سعاته) ساع ولا قول واش ، ولا تناله منا مضرة مدى الدهر وأعمارنا ، ما دام ملازماً لشروط مودتنا التى شافهنا بها الأمير مجد الدين رسوله . فكتب له ذلك على قيس ؛ وكتب [له أيضاً] فى يوم السبت سادس شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وستمائة ، وهذا خطنا شاهد علينا والله على ما نقول وكيل . وسألت الرسل أن يكتب السلطان وولده الملك الصالح خطهما على القميص ، فأجيبوا إلى ذلك ، وكتبا عليه خطهما ... " . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص٢٧٩ أ) .

(١) الأكاديش جمع إكديش ، وهو لفظ فارسى الأصل معناه الإنسان أو الحيوان الذى يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر ، وقد استعمله المؤرخون فى العربية للدلالة على الرجل الذى لا ينتسب إلى أصل واحد ، وعلى الحصان غير الأصيل المستخدم غالباً فى حمل الأثقال . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 46. N. 37; Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) مضبوط هكذا فى س .

(٣) كان إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السنة (Michael VIII, Palaeologus) الذى تقدم ذكره هنا فى مناسبات شتى ، وكان السلطان قلاون قد بعث إليه وإلى غيره من ملوك الدول المجاورة يخبرهم بسلطنته ويعد إليهم يد الصداقة والحلف ، فأرسل الإمبراطور المذكور رسولا من عنده لعقد حلف مع السلطان كما بالمتن ، وفيما يلى نص ما جاء فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص١٢٣ ب — ١٢٤ أ) بصدد من راسلهم السلطان للأغراض المذكورة وهو : " وفيها وصلت رسل الملك الأشكرى صاحب القسطنطينية بهدايا كثيرة إلى الأبواب السلطانية ، لأن السلطان لما جلس فى الملك ونظر فى أحواله ، (ص ١٢٤ أ) وبدأ بما يجب أن تبدأ به الملوك بفعاله (كذا) ، أرسل إلى كل جهة يتعين الإرسال إليها رسولا ، فأرسل إلى بيدو (فى الأصل قندو) ملك التتار بالبلاد الشرقية ، وهو فيدو (كذا) بن مجى بن طلو بن جنكزخان ، يغريه بأعدائه ويحرضه على مغازيه ؛ وأرسل إلى منكوتمر ملك التتار بالبلاد الشمالية يخبره بجلوسه على المرتبة الملوكية واستقراره فى سلطنة الممالك الإسلامية ، ويجدد معه المودة ويحرضه على قتال الكفرة والمرتدة ؛ وأرسل إلى الأشكرى ملك القسطنطينية ، لأنه الحاكم على تلك الجهات والمسالك لتلك الطرقات ، ولا يتوصل رسل الأبواب إليها إلا من جهته ، ولا يبلغوا (كذا) مقاصدهم فيها إلا بعنايته . فأعاد [الأشكرى] الجواب ببذل الوداد ، والمساعفة على كل ما يراد من توصيل الرسل والقصاد ، وسأل السلطان يميناً يتمسك بها فحلف له ، وسير رسلا لتحليفه ، وكان الرسول إليه الأمير نجم الدين الشويحى (كذا) " .

(٤) بعض حروف هذا اللفظ مطموس فى س ، ولكنه واضح فى ب (٢١٣ ب) .

(٥) كذا فى س .

عوضاً عن قراقوش . وفى خامسه قبض على الأمير أيتمش السعدى وعلى عدة من الأمراء واعتقلوا ؛ وقبض أيضاً بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهارونى وسيقران[١] الكردى وغيرهما ، وذلك لأنهم كانوا ممن كان مع سنقر الأشقر . وفيه سافر الأمير ناصر الدين محمد ابن الحسنى الجزرى الحاجب ، والقاضى شرف الدين إبراهيم بن فرج[٢] كاتب الدرج ، إلى اليمن من جهة عيذاب ، فى الرسالة عن السلطان . وفى ذى القعدة أخرج السلطان جميع نساء الملك الظاهر بيبرس وخدامه من القاهرة ، و بعثهم إلى الكرك[٣] .

وفى أول ذى الحجة فوض قضاء المالكية بديار مصر إلى تقى الدين أبى على الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الفقيه الإمام مفتى الفرق جلال الدين أبى محمد عبد الله بن شاس الجذامى السعدى المالكى ، عوضاً عن قاضى القضاة نفيس الدين محمد بن سكر ، بحكم وفاته .

ومات فى هذه السنة من الأعيان القان أبغا بن هولاكو بن طاوى[٤] بن جنكزخان بنواحى هَمذَان عن نحو خمسين سنة ، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة ؛ وقام فى الملك بعده أخوه تَكُدَار[٥] بن هولاكو . ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعى بدمشق عن خمس وثمانين سنة . ومات الأمير شمس الدين سنقر الألفى نائب السلطنة بديار مصر ، فى السجن بالإسكندرية عن نحو أربعين سنة . وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى بن موسى بن نصر الله العامرى الحموى الشافعى ، عن سبع وسبعين سنة[٦] . وتوفى قاضى دمشق نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة الشافعى ، عن أربع وستين سنة بدمشق . وتوفى قاضى القضاة صدر الدين أبو حفص عمر بن تاج الدين أبى محمد

(١) كذا فى س ، واسمه "سنقران" فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٩ ا) .
(٢) فى س "فرح" ، وهو بالجيم فى ب (٢١٣ ب) .
(٣) يلى هذا بياض فى س يسع أربعة سطور ، وليس به آثار كتابة مطلقاً .
(٤) فى س "طلو" .
(٥) ضبط هذا الإسم على منطوقه فى (Browne : A Lit. Hist. Of Persia, III. P. 25) .
(٦) يوجد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٩ ا) ترجمة قصيرة لهذا القاضى ، منها أنه ولد بحماة سلخ شعبان سنة ٦٠٣ هـ ، وأنه توفى فى ثالث رجب ، ودفن بالقرافة .

عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى[١] الشافعى ، عن خمس وخمسين سنة . وتوفى موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع الشيبانى الموصلى الكَوَاشِىّ[٢] ، عن تسعين سنة بالموصل . وتوفى الحافظ شمس الدين أبو حامد محمد بن على ابن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى ، بدمشق عن ست وسبعين سنة . وتوفى المسند شمس الدين أبو الغنائم مُسَلَّم[٣] بن محمد بن مُسَلَّم بن مكى بن خلف بن علان القيسى الدمشقى ناظر الدواوين بدمشق ، عن ست وثمانين سنة بها . وتوفى الشريف شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبى إبراهيم محمد الممدوح الحسنى ، كاتب الإنشاء بحلب ، عن خمس وثلاثين سنة بها . وتوفى الأديب الكاتب الحاسب علاء الدين أبو الحسن على بن محمود بن الحسن بن نبهان اليَشْكرى[٤] ، عن خمس وثمانين سنة بدمشق . وتوفى الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مكتوم البعلبكى ، فى وقعة حمص شهيدا . وتوفى الأديب بدر الدين أبو المحاسن بن يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى الدمشقى ، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق . ومات منكوتمر بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان ، بجزيرة ابن عمر مكموداً عقب كسرته على حمص[٥] . ومات [علاء الملك[٦]] عَطا مَلِك بن محمد الجوينى صاحب

(١) العلامى نسبة إلى قبيلة بنى علامة إحدى بطون لخم ، انظر ص ٥٦١ (حاشية ١) .

(٢) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى كواشى ، وهى " قلعة حصينة فى الجبال التى فى شرقى الموصل ، وكانت قديماً تسمى أردمشت ، وكواشى اسم لها محدث " . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣١٥) .

(٣) هذا الاسم مضبوط فى س بضمة على الميم الأولى ، وفتحتين على اللام علامة للتشديد .

(٤) مضبوط هكذا فى س .

(٥) عبارة هذه الوفاة هنا مطابقة فى ألفاظها تماماً لما يقابلها فى أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٠ ، فى Rec. Hist. Or. I.) . ويوجد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٤ ، وما بعدها) تفصيل لموت منكوتمر هذا ، ونصه : " وأما سبب موت منكوتمر ، فذكروا أن القاضى جمال الدين بن العجمية أسقاه سما ، فمات منه وأراح الله من شره ؛ وعلم بذلك ضامن الجزيرة (٣٣٥) الذى يقال له ابن القرقوى ، فرافع القاضى جمال الدين وعرّف والدته أن القاضى سقى ولدها ، فقبضت على القاضى وجميع أولاده ، وذبحتهم بيدها وأخذت جميع مالهم . وقدر الله تعالى بعد ذلك أن التتار أخذوا ابن القرقوى الذى سعى فى القاضى ، فقتلوه هو وجميع أولاده " . انظر أيضاً (Quatremère ; Op. Cit. II. 1. P. 50. N. 43).

(٦) أضيف ما بين القوسين من (Browne : A. Lit. Hist Of Presia, III. P. 20 et seq) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة عن منشأ أسرة الجوينى ، التى عاش أبناؤها فى دولة إيلخانات فارس كما عاش البرامكة فى صدر الدولة العباسية ، وكانت خاتمتهم كخاتمتهم .

الديوان ببغداد ، بعد ما نقم عليه الملك أبغا ونسبه إلى مواطأة المسلمين ، فقبض عليه وأخذ أمواله ؛ وكان صدراً كبيراً فاضلا ، وله شعر حسن ؛ وولى بعده بغداد ابن أخيه هارون بن محمد الجوينى[(١)].

***

سنة إحدى وثمانين وستمائة . (١٨١ ب) فى مستهل صفر قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير كشتغدى الشمسى . فأغلق باب زويلة وعامة الأسواق ، وارتجت القاهرة حتى نودى من أغلق دكانه شُنق ، ففتحت الأسواق .

وفى ربيع الأول وصلت رسل الأشكرى ورسل الفونس[(٢)] بهدية . وفى حادى عشر ربيع الآخر استقر فى الوزارة نجم الدين حمزة بن محمد الأصفونى . وفى آخر جمادى الآخرة استعفى قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن البهنسى من قضاء القاهرة والوجه البحرى ، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين مصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى ، فأعفى من قضاء القاهرة والوجه البحرى . وفوض [السلطان] ذلك فى أول رجب لشهاب الدين محمد الخُوَىّ[(٣)] ، وكان يلى أولا قضاء الغربية من أعمال مصر ، فنقل منها إلى قضاء القاهرة ؛ وانفرد للبهنسى قضاء مصر والوجه القبلى .

وفى شعبان حُلِّف[(٤)] الشريف أبو نمى أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما ، وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة فى كل موسم ، وأنه لا يعلق عليها كسوة

---

(١) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٩ ب) ضمن وفيات هذه السنة وفاة سليل من أبناء البيت الأيوبى وهو "الأمير نور الدين أحمد ويدعى رباله (كذا) ابن الملك الظاهر على بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازى بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأمه زوجة الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى المعروفة بوجه القمر ؛ وكانت وفاته فى شوال ، وعمره يومئذ ستا (كذا) وعشرين سنة ؛ وكان بديع الحسن تام الخلقة ، عنده شجاعة وكرم وسكون ، رحمه الله تعالى".

(٢) يوجد فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٢٩ أ) بعض معلومات تساعد على تعيين هذا الملك ، ونصها : "وفيها وصل رسول من عند الفونس أحد ملوك الفرنج ، اسمه الفارس الحكيم مايشتر فلب الاسبنبولى (كذا) ، ورفيق له ، ومعهما تقادم كثيرة من خيل وبغال وغير ذلك ، فأكرمهما السلطان وأعادهما مشمولين بالإحسان" .

(٣) مضبوط هكذا فى س .

(٤) هذا اللفظ مضبوط فى س بضمة على الحاء فقط .

غيرها ، وأن يقدم عَلَم الملك المنصور على كل علم فى كل موسم ، وألا يتقدمه عَلم غيره ، وأن يسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمّين ، وأن يحرس الحاج ويؤمنهم فى سربهم ، وأن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالإسم الشريف المنصورى ، و [أن] يفعل فى الخدمة فِعلَ المخلص الولى [للسلطان] ، ويمتثل مراسمه امتثال النائب للمستنيب .

وفيه وصلت رسل الملك[1] أحمد أغا سلطان بن هولاكو ، وهم الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازى قاضى سيواس ، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم ، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التَّيْتِى[2] ، [وزير ماردين[3]] . وكانوا عند قدومهم إلى البيرة [قد] سار إليهم الأمير حسام الدين لاجين الرومى والأمير سيف الدين كبك الحاجبان ، وقد أُمرا أن يبالغا فى الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد . واحترزا عليهم حتى لم يشاهدهم أحد ، وسارا[4] بهم فى الليل حتى قدموا قلعة الجبل بكتاب الملك أحمد : وفيــه أنه مسلم ، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف ، وأمر بتجهيز الحجاج . وسأل اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة والحرب ، وأنه ظفر بجاسوس — وعادةُ مثله أن يقتل — فجهزه إلى الأبواب السلطانيــة ، وقال إنه

(١) كان اسم هــذا السلطان فى الأصل تكدار ، وقد اتخــذ اسم أحمد عند ما اعتنق الإسلام قبل سلطنته ، وهو الذى خلف أبنا على مملكة إيلخانات المغول بفارس . (انظر ص ٧٠٤ ، سطر ١٣ ، وأبا الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ص ٢٦٠ ، فى Rec. Hist. Or. I ، و Browne: A Lit. Hist. of Persia. III. PP 25—26) ، هذا وقد أورد بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٣٩ ب) نص الكتاب الذى أنفذه هذا السلطان إلى أهل بغداد يعلن فيه إسلامه وسلطنته ، وهو : "وإنا جلسنا على كرسى الملك ونحن مسلمون ، فيلقون (كذا) أهل بغداد هذه البشرى ، ويعتمدون فى المدارس والوقوف (كذا) وجميع وجوه البر ما كان يعتمد فى أيام الخلفاء العباسـيين ، ويرجع كل ذى حق إلى حقه فى أوقاف المساجد والمدارس ، ولا يخرجون (كذا) عن القواعد الإسلامية . وأنتم يا أهل بغداد مسلمون ، وقد سمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تزال هذه العصابة الإسلامية مستظهرة ظافرة إلى يوم القيامة ، وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ورسوله صحيح ، ورب واحد أحد فرد صمد ، فتطيبون قلوبكم وتكتبون إلى البلاد جميعاً" .

(٢) بغير ضبط فى س ، والنسـبة إلى تيت بفتح التاء الأولى وسكون الياء — ويروى تيت بالياء المشددة ، وهو جبل على مسافة بريد شمالى المدينة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٠٤) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٥ — ٣٣٦) .

(٤) فى س "ساروا" .

لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم بعد الاتفاق واجتماع الكلمة ، وبالغ فى استجلاب خاطر السلطان . وتاريخ الكتاب فى جمادى الأولى ، وأنه كتب بواسط . فأجيب بتهنئته بالإسلام ، والرضى بالصلح[1] ؛ وأعيدت الرسل وقد أكرموا ، من غير أن يعلم (١٨٢ ا) الناس بدخولهم ولا خروجهم . وساروا سرًّا كما قدموا سرًّا ليلة السبت ثانى رمضان صحبة الحاجبين ، فوصلوا إلى حلب فى سادس شوال وعبروا [إلى] بلادهم .

وفى رمضان وصل الأمير شمس الدين سنقر الغُتْمى ورفقته ، الذين خرجوا إلى [بيت[2]] بركه فى الرسالة . وفيه قبض على الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى ، وعلاء الدين أقطوان الساقى ، وشهاب الدين قرطاى ، واعتقلوا . وفيه استقر الأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصورى [فى] نيابة السلطنة بحلب ، عوضاً عن علم الدين سنجر الباشقردى ؛ وعمَّر جامعها وقلعتها وكانا قد خربهما التتار . و [فيه] قدم الشيخ على الأُويْرَاتى[3] ، وكان قد أسلم وخدم الفقراء ، وسلك طريق الله وظهرت على يده كرامات ، وتبعه جماعة من أولاد المغل ، فسار بهم إلى الشام ومصر ، ومثل بحضرة السلطان من قلعة الجبل فى

(١) هذان الملخصان لكتابى أحمد سلطان والسلطان قلاون يشبهان فى ألفاظهما وترتيبهما ما يقابلهما فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ ا) ، وقد أورد ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٥ ، وما بعدها) نص الكتابين كاملا ، وهما واردان أيضاً فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٣١ ا — ١٣٧ ا) ، وفى Quatremère : Op. Cit. II. 1. Appendice 1 (PP. 158 et seq.) انظر الملحق رقم ٧ فى آخر هذا الجزء .

(٢) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٣٧ ب) ؛ وكانت تلك الرسالة قد توجهت إلى منكو تمر خليفة بركه خان فى دولة القبجاق ، فوجدت أنه توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٠ هـ ، وقد جلس بعده أخوه تدان منكو (Tūda-Mangū) ، الذى امتد حكمه حتى سنة ٦٨٦ هـ . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 230 وأبا الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٠ ، فى Rec. Hist. Or. I.) .

(٣) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى لفظ أويرات — ويقال عويرات أيضاً ، انظر : Zettersléen (Op. Cit. P. 38) — وهو اسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ينيسى (Yenessei) بأواسط آسيا ، وهم أصل جنس الكلموك (Kalmuck) . وكانت قبائل الأويراتية — أو العويراتية — قد خضعت لسيادة جنكزخان وآزرته فى حروبه ؛ وتزاوجت بيوتها من بيته ، ومن إحدى تلك الزيجات كان بغا تيمور الذى خدم بفئة من الأويراتية مع هولاكو فى فارس وغربى آسيا ؛ وقد بقيت تلك الفئة هناك حتى عهد إيلخان غازان ، حين رحل معظمها إلى بلاد الدولة المملوكية ، كما سيلى هنا . انظر (Enc. Isl. Art. Kalmucks; Howorth : Hist. Of The Mongols. I. pp. 681 et seq.).

ثامن عشر ذى القعدة ، ومعه إخوته الأقوش وعُمر وطُوْخِى وجُوْبَان[١] ، وجماعة [غيرهم] . فأحسن [السلطان] إليه وإلى مَنْ معه ، ورتّب بعضهم فى جملة الخاصكية ، ثم نقل[٢] إلى الإمريات منهم الأقوش وتمر[٣] وعمر وهم إخوة . ثم ظهر من الشـيخ على ما أوجب أن يُسجن ، فسجن هو والأقوش[٤] ، ومات تمر وعُمر فى الخدمة .

وفى حادى عشريه وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام ، فاحترق فيها شىء كثير ، منها سوق الكتبيين ؛ واحترق لشمس الدين إبراهيم الجزرى الكتبى خمسة عشر ألف مجلدة سوى الكراريس[٥] .

وفى يوم عرفة قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجى أمير علم ، والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب بدمشـق ، وعلى زين الدين بن الشيخ على ، واعتقلوا . وفيه تزوج السلطان الملك المنصور قلاون بخوند أشْلُوْن[٦] ابنة الأمير سكناى[٧] ابن قراجين بن جنغان[٨] نوين القادم إلى القاهرة فى الدولة الظاهرية ، [وهى أم الملك[٩] الناصر محمد] . وتزوج الملك الصالح على ابن السلطان بخوند منكبك[١٠] ابنـةِ الأمير

---

(١) فى س "الاقوش وعمر وطوحى وجوبان" وقد ضبطت جميع هـذه الأسماء وكمل نقطها من (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 53).

(٢) فى س "نقلهم"

(٣) هذا الاسم غير موجود بين الأسماء السابق ورودها هنا (سطر ١) ، ولعل سبب ذلك سهو المؤلف . راجع النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ أ) . (٤) فى س "لاقوش" .

(٥) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ أ) سبب هـذا الحريق فى العبارة الآتية : "وكان سبب هذا الحريق أن بعض الذهبيين غسل ثوبه ونشره ، وجعل تحته مجمرة نار وتركها وتوجه للفطور ، فتعلقت النار بالثوب ، واتصلت بيارية (كذا) كانت معلقة ، ومنها إلى السقف" . ويوجد بنفس المرجع والصفحة تفصيلات أكثر مما هنا فى وصف مدى هذا الحريق .

(٦) فى س "اشلون" ، وقدضبط هذا الاسم على منطوقه فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 54) . انظر (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. P. 288) ، حيث ورد هذا الاسم برسم (Aslūn) .

(٧) كذا فى س ، وهو وارد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ أ) بتاء بدل النون . وكان هذا الأمير التترى ، حسبما جاء فى نفس المرجع والجزء والصـفحة ، قد ورد إلى الديار المصرية هو وأمير آخر اسمه قرمشى سنة ٦٧٤ هـ ، أى فى عهد السلطان الظاهر بيبرس كما بالمتن .

(٨) فى س "خنعان" ، والرسم المثبت هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ أ) ، وهو مترجم إلى (Djengan) فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 54) .

(٩) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ أ) .

(١٠) كذا فى س ، واسمها "ميكبك" فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ أ) ، واسم أبيها فى نفس المرجع والجزء والصفحة "نوكبه بن سان قطعان" .

سيف الدين نوكيه ؛ وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصورى ، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء مُهِمَّ أشلون يوم زُفّت إلى السلطان ، ففتنه حسنها حتى كاد يهلك ، فما زال السلطان بطرنطاى النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها . وأفرج [السلطان] عن أبيها نوكيه من سجن الإسكندرية ، وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة ؛ وعقد العقد على خمسة آلاف عينا عُجِّل منها ألفا دينار .

و [فيها] بلغ السلطان أن ملك الكرج توماسوطا بن كلبارى [١] خرج من بلاده ، ومعه رفيق له اسمه طيبُغَا [بن انكواد [٢]] يريد زيارة القدس سرّا ؛ فحفظت عليه الطرقات من كل جهة ، فلم يصل إلى موضع — منذ خرج من بلده إلى أن قدم القدس — إلا ويصل خبره وهيئة حاله إلى السلطان . فقبض عليه بالقدس ، وأحضر إلى قلعة الجبل هو ورفيقه واعتُقِلا .

وانتهت زيادة النيل فى هذه السنة إلى (١٨٢ ب) سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا . وخرج من القاهرة بالمحمل الأمير ناصر الدين الطنبغا الخوارزمى ، ومعه كسوة الكعبة ؛ وسار بالسبيل حسام الدين مظفر أستادار الفارقانى ؛ وحج الأمير علاء الدين البندقدار فى ركب كبير .

وفيها ولى نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الشيبانى قضاء الشافعية بحلب ، عوضاً عن تاج الدين أبى المعالى عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن ابن علوى السنجارى . و [فيها] فى آخر شوال خلع متملك تونس أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، وكانت مدته ثلاث سنين وسبعة أشهر . وقام من بعده الدعىّ أحمد بن مرزوق بن عمار المسيلى الخياط ، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن

---

(١) فى س " موماسوطا بن كلبارى " ، والرسم الوارد لهذا الاسم فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ب) قريب من ذلك ، أما التصحيح المثبت هنا فمن (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 56, et. N. 52). هذا والراجح أن المقصود بذلك الاسم أحد كبار الكرج ، إذ المعروف أن ملك تلك البلاد إبان ذلك الوقت هو دمترى الثانى (Dmitri II) ، الذى امتد عهده من ١٢٦٩ إلى ١٢٨٨ م . انظر (Allen : A History Of The Georgian People. P. 118).

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ ب) . راجع أيضا بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٣٩ أ) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد هذا الحادث .

المستنصر . وفيها أقيم فى الملك تكدار بن هولاكو ، بعـد موت أخيه أبغا بن هولاكو فى المحرم ، فأظهر أنه أسلم وتسمَّى أحمد سلطان . وترك أبغا ولدين هما أَرْغُوْن وكَيْخَتُو (١) .

ومات فى هذه السنة من الأعيان شمس الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين أبى بكر بن خلكان البرمكى الإربلى الشافعى ، المؤرخ قاضى دمشق فى [رجب (٢)] . وتوفى قاضى المالكية بدمشق زين الدين أبو محمد عبد الكريم بن على بن عمر الزواوى المالكى ، بعد ما عزل نفسه ، عن اثنتين وتسعين سنة بدمشق . وتوفى برهان الدين أبو الثناء محمود ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن عيسى المراغى الفقيه الشافعى ، وقد أناف على خمس وسبعين سنة بدمشق . ومات الصاحب علاء الدين عطا ملك بن الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد الجُوَينِى مدبّر دول العراق ، بناحية أرّان ، وله فضل وشعر جيد . وتوفى المسند برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى بن الدرجى (٣) القرشى الدمشقى الحنفى ، عن اثنتين وثمانين سنة . ومات الأمير حسام الدين بشار الرومى — [وهو] أحد مَنْ قدم فى الأيام الظاهرية بيبرس من بلاد الروم — ، بعـد ما بلغ مائة وعشرين سنة ، وناب وحج وترك الإمرة وعُوِّض عنها براتب أجرى عليـه . وتوفى زين الدين إدريس خطيب الجامع الأزهر . وتوفى السـديد عبد الله الماعز ، وقد باشر ديوان المُرْتجَع (٤) فى الأيام الظاهرية ، فنقله المنصور قلاون إلى ديوانه . ومات أيضاً منكوتمر ابن طوغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكز خان ، ملك التـتر ببلاد الشمال . وملك بعده أخوه [تدان (٥) منكو] ، وجلس على كرسى الملك بمدينة صراى (٦) .

***

(١) فى س "كيختو" بغير ضبط كسابقه ، وقد تسلطن كل من هذين الابنين بعد أحمد سلطان ، كما سيلى .

(٢) موضع ما بين القوسين بياض فى س . انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٧٢) .

(٣) كذا فى س ، وفى ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٧٣) .

(٤) كان عمل ناظر هـذا الديوان ، حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣) ، "التحدث على ما يرتجع ممن يموت من الأمراء ونحو ذلك ، وقد رفضت هـذه الوظيفة وتعطلت ولايتها فى الغالب ، وصار أمر المرتجع موقوفاً على مستوفى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان" . هذا ويظهر من بقية عبارة المتن أن إلغاء تلك الوظيفة حدث فى أيام السلطان قلاون .

(٥) موضع ما بين القوسين بياض فى س ، انظر ص ٧٠٨ ، حاشية ٢ .

(٦) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ص ٢٨٠ ب) وفاة سليل أيوبى بين وفيات هـذه

سنة اثنتين وثمانين وستمائة . فى المحرم وصل الملك المنصور صاحب حماة ، فركب السلطان إلى لقائه ، وأنزله بمناظر الكبش وأقيم بواجبه . وفيه استخرجت الجوالى من الذمة ، وكانت العادة أن تستخرج فى شهر رمضان ، فأُخِّر استخراجها إلى المحرم رفقاً بهم ؛ وحضر الصاحب نجم الدين الأصفونى بدار العدل تحت القلعة استخراجَها . وفيه رُسِم أن تكون جوالى الذمة بالقدس و بلد الخليل ، و بيت لحم و بيت جالا [1] ، مرصدة لعمارة بركة فى بلد الخليل .

وفى سادسه توجه السلطان إلى بر الجيزة ، وسار إلى البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطيرية [2] ، ومعه صاحب حماة . وأقام الأميرَ علم الدين سنجر الشجاعى بالقلعة ، ومعه الأمير قرا سنقر الجوكندار ، وعلاء الدين أيدغدى السلاح دار ، وعز الدين أيبك الخازندار ؛ ورتب مع الأميرَ علم الدين الخياط والى القاهرة عدة من أصحاب الأمراء ، يطوفون كل ليلة من بعد العصر حول القلعة وفى ظواهر القاهرة . ونودى على الأجناد فى القاهرة بالخروج لحفر الخليج ، ووقع العمل فيه فكان طوله ستة آلاف وخمسمائة قصبة فى عرض ثلاث قصبات وعمق أربع قصبات بالقصبة الحاكمية [3] ، وفرغ من عمله فى عشرة أيام . فحصل بسببه نفع كبير ، وروى منه ما لم يكن قبل ذلك يروى . و[فيه] وصل من الشرق تسعة عشر وافداً بأولادهم .

وفى رابع عشره وصلت رسل صاحب بلاد سيلان من أرض الهند — واسمه

═ السنة ، وهو " الملك الظاهر شادى بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم سيف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب . وكانت وفاته بالغور فى السابع والعشرين من شهر رمضان ، ونقل إلى بيت المقدس فدفن به ، ومولده بقلعة دمشق بعد صلاة الجمعة سابع عشر ذى الحجة سنة خمس وعشرين وستمائة " .

(١) كذا فى س ، ولم يستطع الناشر أن يجد تعريفا لهذا الموضع مما لديه من المراجع المتداولة فى هذه الحواشى .

(٢) فى س " الطبريه " ، وكانت ترعة الطيرية تخرج من النيل قرب قرية مسماة بهذا الاسم ، وهى الآن ترعة الحاجر . (P. Omar Toussoun : Anc. Branches Du Nil. PP. 104, 106—107 et. Pl. IV).

(٣) كانت القصبة الحاكمية إحدى مقياسين مستعملين لضبط الأراضى الزراعية فى مصر ، وهما القصبة الحاكمية والقصبة السندفاوية ، وقد عرفت الأولى وهى الأكثر شيوعاً بالحاكمية لأنها حررت زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت إليه ، ونسبت الثانية إلى بلدة سندفا بالقرب من مدينة المحلة الكبرى ، وكانت تستعمل فى بعض بلاد الوجه البحرى فقط . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٦) .

أبو نكيه[1] — بكتابه : وهو صحيفـة ذهب عرض ثلاثة أصابع فى طول نصف ذراع ، بداخلها شيء أخضر يشبه الخوص ، مكتوب فيه بقلم لم يوجد فى القاهرة من يحسن قراءته ؛ فسئل الرسل عنه فقالوا " إنه يتضمن السلام والمحبة ، و إنه ترك صحبة صاحب اليمن وتعلق بمحبة السلطان[2] ، و يريد أن يتوجه إليه رسول ، وذكر أن عنده أشياء عَدَّدها من الجواهر والفيلة والتحف ونحوها ، وأنه عبأ تقدمة إلى أبواب السلطان ، وأن فى مملكة سيلان سبعا وعشرين قلعة ، و بها معادن الجواهر والياقوت ، وأن خزائنه ملآنة من الجواهر[3] " .

وفى رابع صفر عاد المنصور صاحب حماة إلى بلده ، وخرج السلطان معه (١٨٣ ا) لوداعه .

وفى خامس ربيع الأول جرت الهدنة بين السلطان و بين الفرنج بعكا مدة عشر سنين ، أولها خامس المحرم من هذه السنة[4] . وفى عاشره ولى الصاحب برهان الدين السنجارى تدريس المدرسـة بجوار الشافعى من القرافة . وفى ... ...[5] مات الصاحب نجم الدين حمزة الأصفونى ؛ وولى شرف الدين أبو طالب بن النابلسى نظر الوجه القبلى ، ونُقل القاضى عز الدين بن شكر من نظر ديوان الجيش إلى نظر الوجه البحرى ، وخلع عليهما . و بقى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك ، وهما بين يديه يصرّفان المهمات .

---

(١) كذا فى س ، وهو وارد فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٤٢ ب) "ابو نكبا" ، وفى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٢ ا) "ابو نكيا" .

(٢) فى س "السـلام" ، وقد وضع لفظ السلطان بدله فى المتن ، بعـد مراجعة النص الوارد فى (Quatremère ; Op. Cit II. 1. App. IV. PP. 176—177).

(٣) توجد فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. App. IV. PP, 176—177) تفصـيلات كثيرة فى هذا الصدد ، على أنها لا تخرج فى جوهرها عما هنا ، وليس فيها من جديد سوى أن الرسل سافروا من سيلان إلى مصر عن طريق الخليج الفارسى فالعراق فالشام ، وقد اتخذوا هذا الطريق ، حسبما جاء فى (Heyd : Hist. Du Commerce Du Levant. I. P. 426) ، بناء عن أمر ملـكهم ، لـكيلا يضطروا إلى المرور ببلاد اليمن . أما سبب تلك السفارة ، نقلا عن (Ibid : Op. Cit. I. PP. 424—426) ، فهو أن الدولة المملوكية كانت قد أخذت منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس تهتم بشؤون التجارة مع الشرق ، وقد أحس ملك اليمن فى ذلك الوقت وهو المظفر يوسف ، (انظر Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 99) ، بأهمية إنشاء العلاقات التجارية فى الشرق أيضاً ، فأرسل إلى ملك سيلان يعرض عليه حلفاً تجاريا ، ولـكن صيت دولة المماليك كان كافياً لتفضيلهم عن أى دولة أخرى ، ولهذا عمد ملك سيلان إلى إرسال سفارته إلى السلطان قلاون عن الطريق المتقدم ذكره .

(٤) انظر نص هذه الهدنة فى ملحق رقم ٨ ، فى آخر هذا الجزء .

(٥) بياض فى س .

وفيها خرجت تجريدة من قلعة كَرْكَر[١] إلى حصار قلعة قَطِيْنَا[٢] إحدى[٣] قلاع آمد ، فأخذوها من أيدى التتار ، وأقيم فيها الرجال وعملت بها الأسلحة والغلال ، فصارت من حصون الإسلام المنيعة . وأُخذت أيضاً قلعة كَخْتَا[٤] من النصارى بسؤال أهلها ، فتسلمها أمراء السلطان بمدينة حلب ، وشحنت بالأسلحة وغيرها ، وصارت مسلطة على الأرمن .

وفى جمادى الأولى خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان ، فسار إليه وقاتله وهزمه ثم أسره ؛ فقامت الخواتين مع أرغون ، وسألن الملك تكدار أحمد فى الإفراج عنه وتوليته خراسان ، فلم يرض بذلك . وكانت المغل قد تغيرت على تكدار ، لكونه دخل فى دين الإسلام و إلزامه لهم بالإسلام ، فثاروا وأخرجوا أرغون من الاعتقال ؛ وطرقوا أِلناق[٥] نائب تكدار ليقتلوه ، ففر منهم فأدركوه وقتلوه ، [وقتلوا تكدار أيضاً] ، وأقاموا أرغون بن أبغا ملكا . فولى أرغون وزارته سعد الدولة اليهودى ، وولى ولديه خَرْبَنْدا[٦] وقازان خراسان ، وعمل أتابكهما الأمير نوروز . ومات الأشكرى متملك قسطنطينية واسمه ميخائيل ، وملك بعده ابنه الدوقش[٧] .

(١) بغير ضبط فى س ، وهى اسم لعدة بلاد والمقصود منها هنا حصن قرب ملطية ، بينها وبين آمد . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ ؛ Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 61. N. 60) .

(٢) بغير ضبط فى س ، وتقع بالقرب من قلعة كركر ، كما يتضح مما يلى بهذه الحاشية . انظر (النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٣ ا) ، حيث ورد أن سبب اهتمام السلطان بغزو تلك القلعة أنها كانت " فى يدالعدو المخذول [من] التتار ، وفيهانوابهم ، وكانت مضرةبقلعة كركر والثغور المجاورة لها " .

(٣) فى س " احد " .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهى قلعة فى شرقى ملطية (Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 475) ، وكانت تحت حكم الأرمن كما يتضح من المتن . انظر تفاصيل الاستيلاء عليها فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٣ ا) .

(٥) ضبط هذا الاسم على منطوقه فى (D'Ohsson : Op. Cit. III. P. 599) ، وكان ألناق هذا قائداً عاما (généralissime) لجيوش تكدار ، وقد وكل به حراسة أرغون فى سجنه ، وأخبار ذلك وغيره واردة بتفصيل فى (Ibid : Op. Cit. III. Chap. .V PP. 581—616) ، ومنه أضيف ما بين القوسين بالسطر التالى . انظر أيضاً أبا الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٠ ، فى Rec. Hist. Or. I).

(٦) فى س " خربندا وقاران " ، انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 61) ؛ هذا وفى (Browne : A. Lit. Hist. of Persia, III. P. 27) أن أرغون ولى ولده قازان — أو غازان — وحده ولايات خراسان ومازندران والرى وقومس معاً .

(٧) كذا فى س ، وهو (Andronicus II Poleologus, 1283—1332) ، واسمه فى أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٠ ، فى Rec. Hist. Or. I) " اندرونيكوس وتلقب بالدوقش " . انظر (Camb. Med. Hist. IV. P. 593) .

وفى النصف من جمادى الأولى توجه السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام ، فنزل غزة فى سابع جمادى الآخرة ، وقبض على غرس الدين بن شاور متولى رملة [و] لدّ ، وولى عوضه الأمير علم الدين سنجر الصالحى ؛ وعزل عماد الدين بن أبى القاسم عن القدس ، بنجم الدين الشُّونَجِى (١) .

ودخل [السلطان] دمشق يوم الجمعة ثامن شهر رجب ، فرسم أن كل مَن استُخدِم تردّ جامكيته على ما كانت عليه فى الدولة الظاهرية وتُستعاد منه الزيادة ، فاستخرج من ذلك مال كبير .

وفى يوم الجمعة [حادى عشرى رجب (٢)] عُوِّق قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى المعروف بابن الصائغ ؛ ثم صُرف عن القضاء بدمشق ، وطولب بثمانية آلاف دينار أودعها عنده الطواشى ريحان الخليفتى وأوصاه عليها ، وطولب بعدة ودائع [أخرى] . فقام فى حقه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والأمير حسام الدين طرنطاى نائب (٣) مصر ، ومازالا حتى أفرج عنه فى ثامن عشرى شعبان ، ولزم داره . واستقر عوضه فى قضاء دمشق بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد ابن على بن محمد بن على الزكى . وفيه استقر شرف الدين بن مزهر فى نظر الشام ثالثاً للناظرين (٤) . واستقر قرا سنقر نائباً بحلب ، عوضاً عن سنجر الباشقردى — وقيل بل كان [ذلك] فى سنة إحدى وثمانين كما تقدم — ، وأنعم على الباشقردى بإقطاع بدر الدين الأزدمرى بمصر . واستقر بدر الدين بكتوت السعدى نائباً بحمص .

---

(١) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى سونج ، وهى قرية من قرى نسف القريبة من سمرقند . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ؛ ج ٤ ، ص ٧٨١) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨١ أ) .

(٣) المعروف أن الأمير حسام الدين طرنطاى كان نائب السلطنة بمصر ، والجديد هنا أن المقريزى استعمل لفظ النيابة فقط للدلالة على نيابة السلطنة بمصر ، على أن ذلك التجوز كان مباحاً فى مصطلح دولة المماليك ، فكان يصبح مثلا تلقيب نائب دمشق بلقب نائب السلطنة . (G.-Demombynes : La Syrie, P. 174)

(٤) المعروف من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٨ — ١٨٩) أن وظيفة ناظر الشام — أو ناظر المملكة الشامية ، والمقصود بالشام نيابة دمشق — هى وظيفة الوزارة بها ، وأنه لم يكن مسموحاً لمن يتقلد ذلك المنصب بلقب الوزير ، وإن كان الجارى على ألسنة العامة إطلاق لفظ الوزير عليه . غير أنه لا يوجد بالقلقشندى (نفس المرجع والجزء والصفحة) ما يدل على أنه كان هناك أكثر من ناظر واحد للمملكة الشامية ، فضلا عن ثلاثة كما هنا ، ولعل ذلك كان من مستحدثات عصر السلطان قلاون .

وفى ثانى رمضان خرج السلطان من (١٨٣ ب) دمشق ، ودخل قلعة الجبـل يوم الخميس رابع عشريه ؛ وخرج المحمل على العادة .

وفى[(١)] [هذه السنة] غارت العساكر على بلاد الأرمن ، ووصلوا إلى مدينة أَيَاس[(٢)] وقتلوا ونهبوا وحرقوا ، واقتتلوا مع الأرمن عند باب إسكندرونة وهزموهم إلى تل حَمْدُون ، وعادوا سالمين ظافرين بالغنائم . وفيها كانت وقعة ببلاد بيروت مع فرنج قبرس حين قَصْدِهم بلاد[(٣)] الساحل ، قتل فيها عدة من الفرنج ، وأُسر منهم زيادة على ثمانين رجلا ، وأُخذت منهم غنائم كثيرة . وفيها وصلت رسل تدان منكو[(٤)] بن طوغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان ملك القبجاق ، بكتاب خطه بالقلم المغلى : يتضمن أنه أسلم ، ويريد أن ينعت نعتاً من نعوت أهل الإسلام ، ويجهز له علم خليفتى وعلم سلطانى يقاتل بهما أعداء الدين . فجهزت الرسل إلى الحجاز ، ثم عادوا وساروا إلى بلادهم بما سألوا فيه .

وفيها اشتريت الدار القطبية بخط بين القصرين من القاهرة ، [من خالص[(٥)] مال السلطان] ، وعُوِّض [سكانها] عنها قصر الزمرّد برحبة باب العيـد ، فى ثامن عشرى شهر ربيع الأول . وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى عمارتها مارستاناً[(٦)] وقبـة

(١) فى س "فيها" .

(٢) بغير ضبط فى س ، وهي قلعة بأرمينية الصغرى ، (Le Strange : Palest. Under Moslems. P 453.)

(٣) كان على رأس هذه الحملة الملك هيو الثالث (Hugh III) ملك قبرس وبيت المقدس ؛ وكان ذلك الملك قد انسحب من الشام إلى قبرس منذ سنين لكثرة مؤامرات القوى الصليبية ضده ، فعاد تلك السنة إلى الشام يريد محاولة استرداد حقوقه فى مملكة بيت المقدس من مغتصبيها من الصليبيين ، ولم يكن غرضه مناوأة المسلمين أو حربهم . (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. PP. 280 et seq.)

(٤) فى س منكو تمر ، وخطأ المقريزى واضح . انظر ص ٧١١ ، سطر ١٧ ؛ وكذلك النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٢ أ) ، حيث ورد أيضاً أن السفارة كانت مكونة من اثنين "من فقهاء القفجاق ، وهما مجد الدين اطا ونور الدين" .

(٥) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٢ أ) .

(٦) المارستان — ويقال البيمرستان والبيمارستان أيضاً — مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم ، وهو لفظ فارسى مركب من بيمار أى مريض وستان أى محل ، ويقال له بالتركية خسته خانه أى محل المرضى ؛ ويطلق البيمارستان على المحل المعد لإقامة المجانين أيضاً . (محيط المحيط) . ويوجد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٢ أ ، وما بعدها) تفصيلات ضافية عن هـذه المبانى وخاصة المارستان ، وهى واردة هنا فى ملحق رقم ٩ ، فى آخر هذا الجزء .

ومدرسة [باسم السلطان الملك المنصور قلاون] ، فأظهر من الاهتمام فى العمارة ما لم يسمع بمثله .

وفيها قدم الشـيخ عبد الرحمن فى الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان إلى البيرة ، وعلى رأسه الجِتْر كما هى عادته فى بلاد التتر . فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسى أحد أمراء حلب ، ومنعه من حمل الجِتْر والسلاح ، وعدل به عن الطريق المسلوك إلى [أن أدخله[1]] حلب ثم إلى دمشق ، فوصلها ليلة الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة ، من غير أن يُمَكِّنَ أحداً من الاجتماع به ولا من رؤيته . [ولما وصل إلى دمشق أُنزل بقلعتها] ، فأقام بقاعة رضوان من القلعة [إلى أن وصل السلطان إلى دمشق فى سنة ثلاث وثمـانين] . وأُجْرِى عليه فى كل يوم ألف درهم ، ومأكل وحلوى وفاكهة بألف أخرى .

و [فيها] استدعى تاج الدين السنهورى من دمشق ، واستقر فى نظر الدواوين بديار مصر ، عوضاً عن عز الدين إبراهيم بن مقلد بن أحمد بن شكر ، رفيقاً لشرف الدين بن النابلسى . وتزوج الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان باردكين[2] ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ، أخت زوجة أخيه الملك الصالح على . وفيها ولى مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى قضاء الحنفية بحلب ، عوضاً عن نجم الدين أبى حفص عمر ابن نصر بن منصور الأنصارى البيسانى ، مدة يسيرة ثم عزل .

وفى أوائل هذه السنة تحرّك سعر الغلة حتى بلغ الأردب القمح خمسة وثلاثين درهما ، فكرِه السلطان ذلك وتوجّه بالعسكر إلى الشام تخفيفاً عن الناس . فلم ينحط السعر ، فجمع الأمراء وأراد أن يكتب بفتح أهراء مصر وبَيْع الغـلة منها بسعر خمسة وعشرين درهما الأردب ، فقال له الأيدمرى : " قلوب النـاس متعلقة بما فى الأهراء ، فإنهـا خزانة المسلمين ، كلما نظروا إليها ملآنة شبعت نفوسهم ؛ وما يؤمن ارتفاع السعر أيضاً . والرأى

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨١ ب) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصـدد هذه السفارة ، منها أنهـا كانت مؤلفة من الشيخ عبد الرحمن المذكور ، وصمداغوا (كذا) ، والأمير شمس الدين محمد بن التيتى المعروف بابن الصاحب وزير صاحب ماردين ، وجماعة فى صحبتهم نحو مائة وخمسين نفراً . ويلاحظ أن عبارة المقريزى هنا ، وفيما يلى فى هذا الصدد (ص ٧٢٢) تشبه ما يقابلها فى النويرى ، وربما لخص المقريزى عبارته منه مباشرة أو عن طريق غير مباشر . انظر أيضاً ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٦٢ ، وما بعدها) .

(٢) كذا فى س ، وفى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨١ ب) .

أنّ الأمراء بأسرهم يكتبون بفتح شونهم و بَيْع القمح بخمسة وعشرين درهما الأردب ، فإذا وقع البيع منها دفعـة واحدة — مع بقاء الأمراء ملآنة — رجي انحطاط السعر ، والأمراء لا يضرّهم إذا نقصت شونهم نصف ما فيها " . فأعجب السلطان ذلك ، وكتب الأمراء بفتح شونهم ففتحت ، و بيع القمح منها بخمسة وعشرين درهما الأردب ؛ فانحط السعر إلى عشرين ثم إلى ثمانية عشر ، واستمر كذلك حتى قدم الجديد من المَغَل .

وفيها قتل متملك الروم غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباد ، وأقيم بعـده مسعود بن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش ابن أرسلان بيغو بن سلجوق ؛ وهو[1] آخر من سمي بالسلطان من السلجوقية ببلاد الروم ، و [قد] افتقر وانكشف حاله ومات قريب سنة ثمان عشرة وسبعمائة[2] .

[وفيها كانت وفاة الشيخ الإمام عماد الدين بن الفضل محمد بن قاضى القضاة شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى ، ببستانه[3] بالمزة فى يوم الاثنين سابع عشر صفر ؛ وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع الجبل ، ودفن بتربة فيهـا قبر أخيه علاء الدين ، رحمهما الله تعالى ؛ وكان شيخ الـكتابة أتقن الخط المنسوب[4] ، وبلغ فيه مبلغاً عظيما حتى أتقن قلم المحقّق[5] ، وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البوّاب . وفيها توفى الصاحب مجد الدين

(١) بعض ألفاظ العبارة التاليـة إلى آخر الفقرة غير واضح فى س ، لورودها بين ملتقى الصفحتين ١٨٣ ب — ١٨٤ ا ، على أنها واضحة فى ب (٢١٨ ا) .

(٢) ليس لهذه السنة وفيات فى س ، أو فى ب ٢١٨ ا ، وهذا يخالف ما دأب عليه المقريزى فى هذا الـكتاب ، فلعله كتبها فى ورقة منفصلة كما فعل مراراً ولم يدرجها ، أو أنها سقطت بعد إدراجها بقليل فلم يجدها أمثال كاتب نسخة ب ، وفيما يلى بالمتن ثبت لوفيات تلك السـنة ، نقلا عن النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٣ ب ، وما بعـدها) ، راجع أيضاً ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٧٥ — ٣٨١) .

(٣) فى الأصل "بنستانه" .

(٤) لا يوجد بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥١ — ١٣٢) بين أنواع الخطوط المستعملة فى ديوان الإنشاء خط اسمه الخط المنسوب ، غير أنه أورد (نفس المرجع والجزء ، ص ٥٢) أن أقلام الـكتابة جميعاً "منسوبة من نسبة قلم الطومار فى المساحة ، وذلك أن قلم الطومار ... أجل الأقلام مساحة ... وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه ... وقلم النصف بمقدار نصفه ... وقلم الثلثين بمقدار ثلثين ..." ، فلعل المقصود بالخط المنسوب فن الخط عموما .

(٥) عرف القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٢) هـذا النوع من الخط تعريفاً قصيراً ، فقال إنه "استحدثت كتابته فى طغراوات كتب القانات ..." ، ولم يزد على ذلك .

أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن أبي القاسم بن أبي طالب بن كسيرات الموصلى ، وكانت وفاته فى سابع عشرى رمضان بداره بجبل الصالحية ؛ وكان رحمه الله تعالى كثير المروءة واسع الصدر ، كثير الهيبة والوقار جميل الصورة حسن المنظر والشكل ، كثير التعصب لمن يقصده محافظاً على مودة أصدقائه وقضاء حوائجهم ، كثير التفقد لهم ؛ وأصله من الموصل من بيت الوزارة ، كان والده وزير الملك المنصور عماد الدين زنكى بن الملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن أقسنقر ، ثم باشر نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ، ثم نقله إلى نظر الجزيرة العُمَرية لما فتحها ؛ ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين إسحاق لما وصل فى الدولة الظاهرية ، وسكن دمشق وولى نظر البر بها ، ثم نقل إلى نظر نابلس ، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها ، ثم انتقل إلى صحابة الديوان بالشام إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق ، فاستوزره كما تقدم ؛ وهطل[1] بعد ذلك عن المباشرة ، وسكن داره التى أنشأها بجبل قاسيون جوار البيمارستان ، فكان بها إلى أن مات . قال شمس الدين الجزرى ، قلت له يوما وقد أضرّت[2] به البطالة : "يا مولانا ! لو ذكّرتَ أحداً من أصحابك الأمراء حتى[3] يذكر بك السلطان أو نائب السلطنة ، فكاتَبَ فى أمرك ، فإن لك خدما وتفضّلا[4] على الناس" ، فنظر إلىّ وأنشد :

لذّ خُمولى وحـــلا مُرّهُ وصاننى عن كل مخـلوق
نفسىَ معشوق ولى غَيْرَةٌ تمنعنى عن بذل معشوقى

[وفيها فى يوم الخميس عاشر شهر رمضان توفى الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان[5] الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب ؛ وكانت وفاته بدمشق ، وصلّى عليه بعد صلاة الجمعة ،

(١) كذا فى س .
(٢) فى الأصل "اضربه" .
(٣) فى الأصل "حق يذكر بك" .
(٤) فى الأصل "خدم وتفضل" .
(٥) فى الأصل "الملك السلطان الملك" .

ودفن بالتربة المعظمية ، وكان رحمه الله تعالى قد جمع بين الرياسة والفضيلة والعقل الوافر والخصال الجميلة ، وكان مجانبا[١] الناس محبوب الصورة ، رحمه الله تعالى . وفيها فى سادس عشرى شعبان توفى القاضى عز الدين إبراهيم بن الصاحب الوزير الأعز فخر الدين أبى الفوارس مقدام بن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر ؛ وكان قد ولى نظر الجيوش بالديار المصرية فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة ، كما تقدم رحمه الله تعالى . وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة العابد الزاهد شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن شيخ الإسلام أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر[٢] القدسى شيخ الحنابلة بالشام ؛ وكان قد ولى قضاء القضاة على كره منه فى سنة أربع وستين [وستمائة] كما تقدم ، ثم ترك الحكم وتوفر على العبادة والتدريس وأشغال الطلبة والتصنيف ؛ ويقال إنه قُطْب بالشام ، واستُدِلّ[٣] على ذلك بمراء[٤] توافقت عليها جماعة تعرفه فى سنة سبع وسبعين وستمائة أنه قُطب ، وكان أوحد زمانه ؛ وكانت وفاته فى يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر منها ، ودفن بقاسيون بتربة والده قدّس الله روحه ، ومولده فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة ؛ ولما مات رثاه المولى الفاضل شهاب الدين محمود كاتب الإنشاء بقصيدة أولها :

ما للوجود وقد علاه ظلامُ أعَرَاهُ خطبٌ أم عَدَاه مرامُ ؟
أم قد أُصيبَ بشمسه فغدا وقد لبست عليه حدادَها الأيامُ

وجاء منها :

لكم الكرامات الجليلات التى لا تستطيع جحودها الأقوام

[وهى قصيدة تزيد على ستين بيتاً ؛ ورثاه جماعة رحمه الله تعالى . وفيها توفى الأمير علاء الدين كندغدى المشرقى الظاهرى المعروف بأمير مجلس ، كان من أعيان الأمراء بالديار المصرية ، وظَهَر قبل وفاته بمدة يسيرة أنه باق على الرق ، فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه وقرّبه لديه ، وكان شجاعاً بطلا مقداماً ؛ وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم

(١) فى الأصل " مجانب " .
(٢) فى الأصل " نضر " .
(٣) فى الأصل " واستبدل " .
(٤) فى الأصل " بمراى " .

الجمعة مستهل صفر ، ودفن بمقابر باب النصر ، رحمه الله تعالى . وفيها توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى بن يزيد البرمكى أمير آل مرا ، وكانت وفاته ببُصْرَى ؛ وكانت غاراته تنتهى إلى أقصى نجد والحجاز ، وأكثرهم يؤدون[1] إليه أتاوة فى كل سنة ، فمن قطعها منهم أغار عليه ؛ وكان يدّعى أنه من نسل جعفر البرمكى من العباسة أخت الرشيد ، ويقول إنه تزوّجها ورزق منها أولاداً ، ولما جرى على البرامكة ما جرى هرب أولاده منها إلى البادية ، فأخذهم جده[2] ، والله أعلم ؛ وكان يقول للقاضى شمس الدين ابن خلكان "أنت ابن عمى" ، وكان بينهما مهاداة ، وانتفع ابن خلكان به وباعتنائه عند السلطان . وفيها فى سابع عشرى المحرم كانت وفاة القاضى شمس الدين عيسى بن الصاحب برهان الخضرى السنجارى ، كان ينوب عن والده فى الوزارة الأولى فى سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وولى نظر الأحباس ونظر خانقاه سعيد السعداء ؛ ثم ولى بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار ، ثم قبض عليه مع والده بعد انفصاله من الوزارة الثانية كما تقدم ؛ فلما أفرج عنه سكن المدرسة المعزية بمصر ، وكان بها إلى أن توفى ؛ وكان حسن الصورة والشكل ، رحمه الله تعالى . وفيها فى سادس عشر شوال توفيت زوجة السلطان الملك المنصور والدةُ ولدِه الملك الصالح علاء الدين على ، رحمهما الله تعالى . وفيها فى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى[3] توفى الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بن جعفر القرشى التزمنتى الشافعى ، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة وأحد المعيدين بمدرسة الشافعى ، رحمه الله تعالى . وفيها فى يوم السبت ثانى عشرى رجب توفى الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار أحد الأمراء بالديار المصرية ، وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها ، ودفن بظاهرها عند قباب التركمان بميدان الحصار ، رحمه الله تعالى] .

***

سنة ثلاث وثمانين وستمائة . فى المحرم توجه عسكر إلى الكرك ، وعليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير طقصوا ، فضايقوا الكرك ورَعَت خيولهم مزارعها .

---

(١) فى الأصل "يودوا" .
(٢) فى الأصل "حده" .
(٣) فى الأصل "الاول" ، وكل من الصيغتين صحيح .

وفى ثانى عشره ولى الشيخ معز الدين النعمان الحنفى تدريس (١٨٤ ا) المدرسة الصالحية بين القصرين ، بعد موت عز الدين الماردينى . واستقر سيف الدين . . . .[١] فى ولاية قوص ، عوضاً عن بهاء الدين قراقوش . واستقر مجد الدين عمر بن عيسى الحَرَامى[٢] فى ولاية سُيُوط ، عوضاً عن سيف الدين . واستقر عز الدين أيدمر الكوجبى[٣] فى ولاية أخميم ، عوضاً عن بلبان الفارسى . واستقر شهاب الدين قرطاى الجاكى فى ولاية قليوب ، عوضا عن حسام الدين لؤلؤ الكهارى[٤] . وفى ثانى عشريه استقر الأمير شمس الدين إبراهيم بن خليل الطورى فى ولاية الروحا[٥] والطرق السالكة إلى الفرنج و إلى عثليث وحيفا وعكا ، عوضاً عن الأمير نور الدين ؛ وأقطع إمرة عشرة .

وفى أول صفر توجه الأمير سيف الدين المهرانى إلى ولاية البهنسا والأشمونين ، عوضاً عن كيكلدى والى البهنسا ، وعن فخر الدين بن التركمانى والى الأشمونين . وورد الخبر بقتل القان تكدار ويدعى أحمد أغا سلطان بن هولاكو ، وتَمَلُّكِ أرغون بن أبغا بن هولاكو من بعده .

وفى أول ربيع الآخر ورد الخبر بحركة الفرنج لأخذ الشام ، فتجهز السلطان للسفر وركب بعساكره فى يوم الأحد ثامن جمادى الأولى ، وتوجه من قلعة الجبل إلى دمشق . وفى يوم الأربعاء حادى عشره حضر الموفق أحمد بن الرشيد أبى حُلَيقة[٦] إلى الدهليز السلطانى ، وأسلم وتسمى بأحمد . فخلع [السلطان] عليه ، ورسم له بمساواة أخويه فى المعلوم لما أسلما ، وكتب له بذلك . وفى رابع عشره كتب بولاية الأمير عماد الدين أحمد بن باخل البحيرة .

وفى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة دخل السلطان إلى دمشق ، فقدم القصّاد من بلاد التتار بقتل أحمد أغا وولاية أرغون . وفى تلك الليلة ألبس السلطان ألفاً وخمسمائة

(١) بياض فى س .
(٢) بغير ضبط فى س ، ولعل النسبة إلى جهة حرام بالكوفة ، وتوجد بالبصرة أيضاً خطة كبيرة بهذا الاسم ، وحرام أيضاً موضع بالجزيرة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٠) .
(٣) كذا فى س ، بنقطتين تحت الياء .
(٤) كذا فى س ، وهو فى ب (٢١٨ ا) "الهكارى" .
(٥) كذا فى س . (٦) مضبوط هكذا فى س .

من مماليكه أقبية أطلس أحمر بطُرُز وكلفتات زركش وحوائص ذهب ، وأشعل بين يديه ألفاً وخمسمائة شمعة مع كل مملوك شمعة ؛ واستدعى الشيخ عبد الرحمن الواصل فى السنة الماضية من بلاد التتار ، فحضر ومعه رفقته الأمير صمداغو التترى والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التيتى المعروف بابن الصاحب وزير ماردين . فقدموا للسلطان تحفاً منها نحو ستين حبل لؤلؤ كبارا ، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتى مثقال ، وحجر ياقوت أحمر ، وقطعة بلخش زنتها اثنان وعشرون درهما . وأدُّوا رسالة الملك أحمد أغا ، فلما فرغوا ردّهم [السلطان] إلى مكانهم ؛ ثم استدعاهم واستعادهم كلامهم ، ثم ردّهم إلى مكانهم ؛ وأحضرهم مرة ثالثة وسألهم عن أشياء ، فلما علم ما عندهم أخبرهم أن مرسلهم الذى بعثهم قد قُتل ، وتَمَلَّكَ بعده أرغون بن أبغا . ثم ردّهم إلى قاعة (١٨٤ ب) بقلعة دمشق ، ونقلهم من قاعة رضوان [التى كانوا بها منذ[(١)] وصلوا إلى دمشق] ، واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية . وطولبوا بما معهم من المال لأحمد أغا ، فأنكروا أن يكون معهم مال ؛ فتوجه إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار ، وقال : " قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان ، فليجمع كل أحد قماشه " ، فقاموا يحملون أمتعتهم وخرجوا ، فأوقفهم فى دهليز الدار وفتشهم ، وأخذ منهم جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه : منها سبحة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قوِّمَت بمائة ألف درهم . واعتقلوا فمات عبد الرحمن فى ثامن عشرى رمضان بالسجن ، وضُيِّق على البقية ثم أطلقوا ، ما خلا الأمير شمس الدين محمد بن الصاحب فإنه نقل إلى قلعة الجبل بمصر واعتقل بها .

وفيه عزل الأمير علم [الدين][(٢)] سنجر الدويدارى[(٣)] من شدّ الدواوين بدمشق ، وأضيفت إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار بدمشق . ونقل ناصر الدين الحرّانى من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة حمص ، وأضيفت ولاية دمشق إلى الأمير طوغان والى البر[(٤)] .

(١) انظر ص ٧١٧ ، سطر ٦ .

(٢) ليس لهذا اللفظ وجود فى س ، ولكنه فى ب (٢١٩ أ) .

(٣) كذا فى س ، وهى فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٤ أ) الدوادارى ، وهى الصيغة المتواترة فى الكتب .

(٤) كانت هذه الوظيفة ، كما يفهم من عبارة (G.-Demombynes : La Syrie P. 175) مختصة =

و[فيه] خرج السلطان من دمشق يريد مصر ، فنزل بظاهر دمشق . فلما كانت ساعات من يوم الأربعاء حادى عشرى شعبان حَطَم سيل بعد مطر عظيم ، فحمل أثقال الأمراء والأجناد وخيولهم وجمالهم ، فعدم للأمير بدر الدين بكتاش ما تزيد قيمته على أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم . وانتهى السيل إلى باب الفراديس ، فكسر أقفاله وما خلفه [من[1] المتاريس ؛ ودخل الماء إلى المدرسة المقدمية ، وبقى كذلك حتى ارتفع النهار] . ثم حدث بعد يومين مطر شديد هدم عدة مساكن بدمشق [وظواهرها] ، فتلف للناس مالا يحصى ، فأنعم السلطان على الأجناد كل واحد بأربعمائة درهم .

ورحل السلطان [من دمشق] فى رابع عشريه ، فوصل قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان . فقدم الخبر من مكة بأن الشريف أبا نمىّ طرّد جند اليمن واستبدّ بها : وكان من خبره أن مكة كانت بينه وبين قتادة ، وكان يؤخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهما ، ومن حاج مصر على الجمل مبلغ خمسين درهما — مع كثرة النهب والعسف فى جباية ما ذكر ، فما زال الظاهر بيبرس حتى صار يؤخذ من حاج مصر مبلغ ثلاثين درهما على كل جمل . فجرّد المظفر صاحب اليمن [إلى مكة] عسكرا عليه أسد الدين جغريل ، فملكها بعد حرب ؛ فجمع قتادة وأبو نمى العربَ لحربه ، فوقع الاتفاق بينهما أن تكون مكة بينهم[2] نصفين . ثم اختلفا بعد مدة ، وانفرد أبو نمى وقوى وأخرج عسكر اليمن ، واشتدّ على الحجاج فى الجباية . فرسم السلطان بسفر ثلاثمائة فارس صحبة الأمير علاء الدين سنجر الباشقردى ، وأنفق فى كل فارس ثلاثمائة درهم ، وكتب بخروج مائتى فارس من الشام فتوجهوا صحبة الحاج . فكانت بينهم وبين أبى نمى وقعة ، وأخربوا الدرب ؛ وكان الحاج كثيراً ، فإنها كانت وقفة الجمعة .

= بشؤون ظواهر دمشق ، كما كانت وظيفة والى دمشق مختصة بشؤون المدينة نفسها ؛ وكان عمل كل من الوظيفتين ، حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٧) ، "التحدث فى أمر الشرطة ، كما فى سائر الولايات" بالشام .

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٤ ب) . وعبارة السلوك هنا تشبه ما يقابلها فى نهاية الأرب ، ويرجح أن المقريزى نقل من ذلك المرجع بتصرف ، أو أنهما نقلا من مرجع واحد ، وتصرف كل منهما فى النقل بتغيير بعض ألفاظ مرجعهما الأصلى .

(٢) كذا فى س .

وورد الخبر بموت الملك المنصور محمد بن المظفر تقى الدين محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، صاحب حماة ، [وكانت[1] وفاته] فى حادى عشر شوال . ففُوِّضت حماة لولده الملك المظفر تقى الدين محمود ؛ وجهز إليـه التقليد والتشريف صحبة الأمير جمال الدين أقش الموصلى الحاجب ، ومعه عدة تشاريف لجماعة من أهل بيته .

وفى ذى القعدة قبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبى ، واعتقل بقلعة الجبل . وورد الخبر بوفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة[2] بن فضل بن ربيعة ، [وكانت[3] وفاته] فى تاسع ربيع الأول ؛ فاستقر فى إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى .

وفى هذه السنة نجزت عمارة المـارستان الـكبير المنصورى والمدرسة والقبة[4] . وفى النصف من (١٨٥ ا) ذى الحجة توجه السلطان إلى دمشق . وفى هـذه السنة سَرَّح الملك الصالح على ومعه أخوه خليل إلى العباسة ، ومعهما الأمير بيبرس الفارقانى — وإليه يومئذ أمر رماة البندق — ، فأقاموا أياماً فى الصيد ، ومعهم جماعة كثيرة من الرماة . فصرع الصالح طيراً خطّته[5] الرماة ، وصرع أخوه خليل بعده طيراً آخر . فبعث الفارقانى

---

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٤ ب) ، ويوجد بنفس المرجع (ص ٢٨٤ ب — ٢٨٥ ا) ترجمة طويلة للملك المنصور هنا .

(٢) كذا فى س ، وفى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ ، حاشية ١) "غضبة" .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٤ ب) .

(٤) انظر ص ٧١٦ ، سطر ١١ ، وما بعده .

(٥) المعنى أن الرماة لعبوا لعبة الخطة على ذلك الطير ، وهى حسبما نقله (Quatrèmere : Op. Cit. II. 1. P. 74. N. 72) "أن يجمع (كذا) الرماة بالليل عند من تكون له صورة ، كأمير أو حاكم أو صاحب خير وسعة من العوام . فيخرج لهم شيئا من الحلوا (كذا) وشيئا من النقل على ما تيسر ، أو يكون ثمر (كذا) ويوضع عند واحد منهم ، فيخرج منـه قليلا قليلا دفعة بعـد دفعة فى وسط الحلقة إلى جانب تلك الطيور المصروعة ، وتوضع إلى جانب النقل أو الحلوا وطاسة فيها ماء . وتجلس الرماة كالحلقة من حول الأطيار والحلوا ، ويأخذ كل واحد منهم فى يده ندب من البندق (انظر ص ٧٢٦ ، حاشية ٢) ، ثم يخرج منه ما شاء ويحسب الجماعة ويقسط منهم على عددهم ، فمن وقع له الحلوى (كذا) أكل ، وشرب الذى إلى جانبه الماء . وقد يقع (كذا) الحلوى لإنسان مرتين وثلاثة ، وكذا شرب الماء يقع مرتين أو ثلاثة ، وهذا موضع الضحك والانشراح" . وفى موضع آخر من نفس الحاشية (P. 75) توضيح لهذه اللعبة ، ونصه "الخطة تجرى فى كل حق ازدحم عليه اثنان فما زاد ، ولو انفرد واحد منهم استحقه ، وليس أحد المزدحين بأولى من الآخر ، فيخط بينهما لتعيين المستحق ؛ والخطة فى البندق بمثابة القرعة فى الشرع" .

يبشر السلطان بذلك ، ويستأذنه لمن يَدَّعِى فى الرمى الملكُ الصالح ، فرسم أن يُدْعَى للمنصور صاحب[(١)] حماة . فَسُفِّر طير الصالح إلى حماة ، ومعه هدية سنية وكتاب السلطان وكتاب ابنه الصالح . فخلع [الملك المنصور] على البريد [ى] القادم بذلك ، ووضع الطير على رأسه ، وبعث هدية فيها عشرة أنْدَاب[(٢)] بندق ذهب كل ندب خمس بندقات ، زنة كل بندقة عشرة دنانير ، وعشرون[(٣)] ندب فضة زنة البندقة مائة درهم ، وبدلة حرير غَيَّار[(٤)] زركش فيها ألف دينار ، وحياصة مكللة ، وجراوة زركش فيها البندق المذكور ، وعشرون[(٥)] قوساً ، وعدة تحف — بلغت قيمة ذلك ثلاثين[(٦)] ألف دينار .

وفيها كانت حرب بمكة : سببها أن أبا نمى بلغه توجه العسكر ، فلم يخرج إلى لقاء الحاج وبعث قواده فقط ، فلم يرض الباشقردى إلا بحضوره واستعد للحرب ؛ وقد وقف أبو نمى بمن معه ليمنع الحاج من دخول مكة ، وَرَمَوا بالحجارة فرماهم الترك بالنشاب ، وأُحرِق الباب ودخل العسكر . فقام البرهان خضر السنجارى حتى أخمد الفتنة ، وحملت خلعة أبى نمى إليه ، وقضى الناس حجهم .

ومات فى هذه السنة من الأعيان صاحب حماة الملك المنصور محمد بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى ، عن إحدى وخمسين سنة[(٧)] .

ومات الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة[(٨)] بن فضل بن ربيعة ، بعد عشرين سنة من إمارته . ومات القان تكدار — ويدعى أحمد سلطان — بن هولاكو بن طلو بن

(١) يلاحظ أن الملك المنصور توفى فى شوال من هذه السنة ، (انظر ص٧٢٥ ، سطر ٢) ، ويتعين من هذا أن سروح الملك الصالح وأخيه للصيد وقع قبل ذلك التاريخ .

(٢) الأنداب جمع ندب ، وهو كيس صغير (un petit paquet) يسع خمس بندقات . : Quatremère) Op. Cit. II. 1. P. 76. N. 75) . انظر أيضاً (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) فى س "عسرين" .

(٤) الحرير الغيار هو الذى يبدى أكثر من لون واحد ، ويقابل هذا اللفظ فى الفرنسية (chatoyant) ، وفى الإنجليزية (shot) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٥) فى س "عسرين" . (٦) فى س "ىلاىون" .

(٧) أورد النويرى (نهاية الأدب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٥ أ) ضمن وفيات تلك السنة وفاة سليل أيوبى آخر ، وهو الملك السعيد فتح الدين عبد الله بن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن السلطان العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب .

(٨) فى س "غضبه" . انظر ص ٧٢٥ ، حاشية ٢ .

جنكز خان ، عن سبع وثلاثين سنة بالأُرْدُو ، منها مدة ملكه سنة وأشهر . وتوفى قاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر ابن الصائغ الأنصارى الشافعى ، وهو معزول ، عن خمس وخمسين سنة . وتوفى قاضى حلب نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الأنصارى البيسانى الشافعى ، وهو معزول ، عن نيف وثمانين سنة بدمشق . وتوفى قاضى حماة شمس الدين أبو الطاهر[1] إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى ، قريباً من المدينة النبوية ، ودفن بالبقيع ، عن خمس وسبعين سنة . وتوفى قاضى الإسكندرية ناصر الدين أحمد بن وجيه الدين أبى المعالى محمد بن منصور بن أبى بكر ابن القاسم بن المنير الجذامى الإسكندرى المالكى بها ، عن ثلاث وستين سنة . وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمسانى بمصر ، عن سبع وسبعين سنة . وقُتل الدعى أحمد بن مرزوق بن أبى عماد المَسِيْلى[2] الخياط ، متملك تونس ؛ وكان قد قدم من أَطْرَابُلُس[3] ، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر ، وقَتل إبراهيم بن يحيى ، فمشى أمره على الناس مدة سنة وستة أشهر . وبُويع بعده الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد فى رابع عشرى ربيع الآخر .

***

سنة أربع وثمانين وستمائة . فى يوم السبت سادس عشر المحرم وُلِد الملكُ الناصر محمد بن قلاون ، فى الساعة السابعة بطالع برج السرطان[4] ؛ [وكان مولده بقلعة الجبل] ، فقدمت البشارة بذلك على أبيه وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل قدومه إلى دمشق . وقدم السلطان دمشق فى ثانى عشريه ، ثم سار منها ونازل حصن المرقب — وهو

(١) كذا فى س ، وهو فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٥ أ) بالظاء بدل الطاء .

(٢) مضبوط هكذا فى س .

(٣) بغير ضبط فى س ، وهى إقليم طرابلس المعروف بشمالى إفريقية ، والصيغة الواردة هنا مذكورة فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٢١) .

(٤) فوق هذا اللفظ إشارة إلى إضافة غير موجودة بهامش الصفحة فى س ، وربما قصد المقريزى أن يضيف عبارة مثل التى أضيفت هنا بين القوسين بالمتن ثم أنسى ، وهى من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٥ ب) .

حصن الإسبتار — ثمانيةً وثلاثين يوماً ، حتى أخذه من الفرنج عنوة يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول ، وأخرج من فيه إلى طرابلس . وبعث [السلطان] إلى سنقر الأشقر بتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير ، يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم ويدعوه إلى الحضور ، فوبّخه [تاج الدين] ولاَمَه حتى أناب ووعد بإرسال ولده(١) .

وفى ثامن ربيع الآخر استقر الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبي الحسن بن شمويل الطبيب فى رآسة(٢) اليهود ، وكتب له توقيع برئاسة سائر طوائف اليهود من الربّانيين والقرّائين والسامِرَة(٣) ، بالقاهرة ومصر وسائر ديار مصر .

وفى سابع جمادى الأولى قدم السلطان إلى دمشق ، وفوّض وزارةَ دمشق للقاضى محيي الدين محمد بن النحاس ناظر الخزانة ، عوضاً عن تقى الدين توبه التكريتى . وفى خامس عشره عُزل طوغان عن ولاية دمشق ، وبقى على ولاية البر ؛ واستقر فى ولاية

---

(١) كان سنقر الأشقر مقيما بصهيون منذ سنة ٦٧٩ هـ ، كما تقدم بالمتن (انظر ص ٦٧٨) ، ولما كان ما بينه وبين السلطان قلاون من الجفاء قد انتهى بالصلح منذ شهر صفر سنة ٦٨٠ هـ (انظر ص ٦٨٧ ، ٦٩١) ، فقد اعتقد السلطان وهو بالمرقب أن سنقر سيسير إليه وهو بها أداء لواجب التابع نحو المتبوع ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، وقد أورد بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ص ١٥٦ أ) فى هذا الصدد معلومات مكملة لما هنا ، ونصها : " وظن السلطان أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إذا سمع بقربه يبادر إليه ويسعى إلى خدمته كما يجب عليه ، فتأخر عن الحضور ، فتغير له (كذا) باطن الملك المنصور . ثم إنه أرسل واحداً من أولاده يسمى سيف الدين صمغار إلى المخيم ، متلافيا لما قدّم ، فخنق السلطان عليه ومنعه العود إلى والده ، وأمر بتوجهه إلى الديار المصرية . وعاد السلطان إلى الديار المصرية وقد وجد فى نفسه على سنقر الأشقر ، لما ظهر له منه من قلة الوفاء وكثرة الجفاء ، وتكدير ما كان قد ترتب من الصفاء ... " . انظر أيضاً ما يلى ص ٧٣٤ ، حاشية ٢ .

(٢) وصف القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٤) وظيفة الرآسة عند اليهود بأنها كانت كوظيفة البطرك فى النصارى ، أى أن صاحبها يكون قائماً على أمور الدين بين طائفته ، ثم ذكر أسماء الوظائف الدينية التى تلى وظيفة الرآسة ، وهى وظيفة الحزّان وعمله الخطابة والوعظ والإرشاد من المنابر ، والشليحصبور وعمله إمامة الصلاة عندهم .

(٣) أفرد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٣ — ٢٧٠) فصلا طويلا للتعريف بطوائف اليهود المذكورة ، ومنه أن الربانيين والقرائين وإن كانوا فرقتين فإنهم كالفرقة الواحدة ، إذ توراتهم واحدة ، ولا خلاف فى أصل اليهودية بينهم ، ما عدا أن الربانيين ينفردون عن القرائين بشروح موضوعة لفرائض التوراة وتفريعات على التوراة ينقلونها عن موسى عليه السلام ، ويذهبون إلى تأويل ما وقع فى التوراة من صفات الله كما تفعل الأشعرية من المسلمين ، بينما القراءون يقفون مع ظواهر نصوص التوراة ، فيحملون ما وقع فيها منسوبا إلى الله على ظواهره ، كما تقوله الظاهرية من المسلمين ، وينجرّون من ذلك إلى القول بالتشبيه والقول بالجهة . أما طائفة السامرة فإن الربانيين والقرائين ينكرون أنها من اليهود ، ولهذه الطائفة توراة تخصها غير التوراة التى بيد الطائفتين السابقتين ، فضلا عن مخالفتها لهما فى كثير من الأصول .

دمشق عزُّ الدين محمد بن أبي الهيجاء . وسار السلطان من دمشق يوم الاثنين ثامن عشره ، فوصل قلعة الجبل يوم الثلاثاء تاسع عشرى شعبان ، وكان قد أقام فى تل العجول مدة أيام .

وفى سابع رمضان قدمت رسل الفرنج بتقادم من عند الأنبرور[١] ، ومن عند الجنوية ، ومن عند الأشكرى[٢] . وفى حادى عشره استقر القاضى مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حُلَيْقَة[٣] فى رئاسة الأطباء ، ومعه أخواه علم الدين إبراهيم وموفق الدين أحمد ، وكتب بذلك توقيع سلطانى ، واستقر مهذب الدين فى تدريس الطب بالمارستان . وفى خامس عشره استقر القاضى تقى الدين أبو الحسن على بن القاضى شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الشيخ جلال الدين أبى محمد عبد الله بن شاس المالكى السعدى ، فى تدريس المدرسة المنصورية .

وفى أول ذى القعدة وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه : وهى ثلاثة عشر طواشياً ، وعشرة أفراس وفيل وكركدن وثمانى نعاج ، وثمانية طيور ببغاء ، وثلاث قطع عود تُحمل كل قطعة على رجلين ، وحِمْل (١٨٥ ب) رماح قنا ، وبهار حِمْل سبعين جملا ، وقماش حُمِّل على مائة قفص ، ومن تحف اليمن مائة طبق . فقبل[٤] ذلك ، [وأنعم على رسله وعليه كالعادة] .

(١،٢) فى س " الانبروز " ، وكان إمبراطور الدولة النربية تلك السـنة ، Rudolf 1, of Hapsburg, 1273—1291) ، وهو " المركيس رودلف " الوارد فى العينى (عقد الجمان ، ص ٢٤٨ ، فى Rec. Hist. Or. II. I) . أما إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السـنة — الأشكرى — فهو (Andronicus II, Palaeologus) ، الذى تقدمت الإشارة إليه (ص ٧١٤ حاشية ٧) . وقد أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٥ ب) محتويات تلك الهدايا ، وهى توضح بعض أنواع هدايا ملوك أوربا لسلاطين مصر ، وهذا نص عبارته : " وفيها وصلت رسل ملوك الفرنج ، وأحضروا بين يدى السلطان فى يوم الثلاثاء سابع شهر رمضان ، وقدموا ما معهم من التقادم : وهى ما هو من جهة الأنبروز (كذا) ما حمله اثنان وثلاثون حمالا ، [من] سنجاب وسمور أربعة عشر ، [و] سقلاط خمسة ، [و] أطلس وبندق ثلاثة عشر ؛ وما هو من جهة الجنوية ، [وهو] سارسينا حملين (كذا) ، [و] سناقر ستة ، [و] كلب أبيض ذكر أنه أكبر من الأسـد ؛ وما هو من جهة الأشكرى ، [وهو] حمل أطلس ، وأربعة أحمال بسط . فقبلت تقادمهم ، وأجزوا على عاداتهم فى الإحسان والصلة " .

(٣) بغير ضبط فى س . انظر ص ٧٢٢ ، سطر ١٥ ؛ غير أن (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 81 ترجم هذا الاسم إلى (Abi-Khalifah) ، اعتماداً على رسمه فى ب (٢٢٠ ب) .

(٤) فى س " فيها ذلك " . وقد أضيف لفظ " فقبل " ، وكذلك ما يليه بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٥ ب) .

وفى سادس ذى الحجة احترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية من قلعة الجبل . وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن محمد الأيكى الفارسى فى مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء ، بعد وفاة الشيخ صاين الدين حسن البخارى . وفيها استقر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بهرام الشافعى فى قضاء الشافعية بحلب ، عوضاً عن مجد الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى الماردينى .

ومات فى هذه السنة من الأعيان الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار[1] الصالحى نائب حلب ، وهو من جملة أمراء مصر بالقاهرة . وتوفى رشيد الدين أبو محمد شعبان بن على بن سعيد البُصْراوى[2] الحنفى ، بدمشق عن نحو ستين سنة . وتوفى رضى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف الشاطبى الأنصارى النحوى اللغوى الأديب المؤرخ ، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة . وتوفى الحافظ علاء الدين أبو القاسم على بن بلبان الناصرى ، عن اثنتين وسبعين سنة بدمشق ، قدم القاهرة . وتوفى الواعظ زين الدين أبو العباس أحمد ابن الأشبيلى بالقاهرة . وتوفى الأمير مجيد الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن تميم الدمشقى بحماة .

* * *

سنة خمس وثمانين وستمائة . فى ثانى المحرم سار الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك ، فتلقاه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابى ؛ [فتوجه[3] معه إليها] ، وضايقها [وقطع الميرة عنها] حتى بعث الملك المسعود خضر بن الظاهر [بيبرس] يطلب الأمان . فبعث إليه السلطانُ الأميرَ ركن الدين بيبرس الدوادار[4]

(١) فى س " البندقدارى " ، والرسم المثبت هنا هو الصحيح ، فقد كان هذا الأمير بالفعل بندقدارا زمن السلطان الملك الصالح أيوب ، ولا تصح نسبته بياء النسبة إلى تلك الوظيفة ، لأن معنى ذلك فى مصطلح دولة المماليك أنه كان مملوكا لبندقدار وليس متوليا لهذه الوظيفة البتة ، إلا أن يكون المقصود هنا بياء النسبة المبالغة . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٠٥ ؛ ج ٦ ، ص ٦) . هذا وقد كان الأمير علاء الدين المذكور ، حسبما ورد فى ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٨٨) ، فى أول أمره مملوكا للأمير جمال الدين بن يغمور ، قبل أن ينتقل إلى خدمة الملك الصالح الذى ولاه وظيفة البندقدار .

(٢) مضبوط هكذا فى س .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧١ ب) .

(٤) هذا الأمير هو بيبرس المنصورى ، مؤلف كتاب " زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة " المتداول =

من قلعة الجبل بالأمان ، فنزل الملك المسعود وأخوه بدر الدين سلامش إلى الأمير طرنطاى فى خامس صفر ؛ واستقر الأمير عزّ الدين أيبك الموصلى نائب الشوبك فى نيابة الكرك . ووردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل فى ثامنه ؛ وقدم الأمير طرنطاى بأولاد الظاهر [إلى القاهرة] ، فخرج السلطان إلى لقائه فى ثانى عشر ربيع الأول . وأكرم [السلطانُ] الملكَ المسعودَ وسلامشَ ، وأمّر كل منهما إمرة مائة فارس ، وصارا يركبان فى الموكب والميادين ، ورتّبا [(١)] يركبان مع الملك الصالح على .

و [فيه] قدم راجح وزير أبى نمى يشكو من الباشقردى ، ويعتذر عن تأخر حضوره . فقبل [السلطان] عذره وطلب منه حِجْرَة وضربا [(٢)] للسلطان ، ووعد بإرسال ثمنها إليه .

وفى يوم الخميس رابع عشر صفر ، حصل وقت العصر بناحية القَسْوَلَة [(٣)] من معاملة مدينة حمص أمرٌ غريب : وهو أن سحابة سوداء أرعدَت رعداً شديداً ، وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان فى ثُخن العمود الكبير الذى لا يحضنه إلا عدة من الرجال ، رأسه فى عنان السماء وذنبه يلعب فى الأرض ، شبه الزوبعة الهائلة . وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها فى السماء مثل رمية سهم وأزيد ، فتقع على الأرض وتَصدم بعضُها بعضاً ، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها ببعيد . واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرّد [بحمص [(٤)]] ، وعليه الأمير بدر الدين بكتوت العلائى وهم زيادة على ألفى

= هنا بالحواشى ، وقد أفاض فى كتابه المذكور (ج ٩ ، ص ١٥٦ ا — ١٥٨ ا) بصدد هذا الحادث ، لا سيما ما كان منه خاصاً بإنعام السلطان عليه بأمرة ثمانين فارساً وإقطاع كبير ، فضلا عن نيابة الكرك كما سيلى ، مكافأة له على خدماته .

(١) كذا فى س .

(٢) فى س "حجره وضرب" ، وقد ترجم (Quatremère : Op. cit. II. I. P. 84) هذين اللفظين إلى (une jument et une tente) ، أى أنثى واحدة من الخيل وخيمة ، على أن إطلاق لفظ "الحجرة" على الأنثى من الخيل خطأ وصوابه حجر ، ومن الخطأ أيضاً استعمال لفظ الضرب بمعنى الخيمة والصحيح المضرب وجمعه مضارب . (محيط المحيط) .

(٣) فى س "العسوله" بغير ضبط ، والقسولة المقصودة هنا منزل للقوافل بين حمص وقارا بالشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٠٢ — ٨٠٣) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٦ ا) ، حيث أخبار هذه الزوبعة واردة فى كتاب أرسله الأمير بكتوت المذكور هنا إلى الأمير حسام الدين لاجين المنصورى نائب السلطنة بالشام ، والراجح أن المقريزى لخص ما أورده هنا من هذا الكتاب ، لتشابه محتوياتهما فى ترتيب العبارة والألفاظ .

فارس ، فما مَرَّ بشىء إلا رفعه فى الهواء كرمية سهم وأكثر : فحمل السروج والجواشن وآلات الحرب وسائر الثياب ، وحمل خُرجاً من أَدَم فيه تطابيقُ نعالٍ للخيل من حديد حتى علا رمية سهم ، ورَفع الجمال بأحمالها حتى ارتفعت قدر رمح عن الأرض ، وحَمَل كثيراً من الجند (١٨٦ ا) والغلمان ، فتلف شىء كثير جداً . ثم غاب الثعبان وقد توجه فى البرية نحو المشرق ، ووقع بعده مطر . وفى سلخه عُزل محيى الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس عن وزارة دمشق ، وأعيد تقى الدين توبه .

وفى سابع رجب توجه السلطان إلى الكرك ، فوصلها وعَرَض حواصلها ورجالها وشحن بها ألفى غرارة قمح ، وقرر بها بحرية ورتب أمورها ، ونظف البركة ؛ وجعل فى نيابة الكرك الأمير ركنَ الدين بيبرس الدوادار ؛ ونَقَل عز الدين أيبك إلى نيابة غزة ، ثم نقله إلى نيابة صفد .

وانتهت زيادة ماء النيل فى حادى عشرى شعبان إلى سبعة عشر ذراعاً وإصبعين . وسار السلطان من الكرك وأقام فى غابة أرسوف حتى وقع الشتاء وأَمِنَ حركةَ العدوّ ، ثم عاد إلى مصر فوصل قلعة الجبل فى رابع عشر شوال ، فأفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى والأمير جمال الدين أقش الفارسى .

وفى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى استقر تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز فى قضاء مصر والوجه القبلى بعد وفاة وجيه الدين البهنسى . واستمر شهاب الدين محمد الخولى على قضاء القاهرة ؛ واستقر فى قضاء القضاة المالكية زين الدين على بن مخلوف ناظر الخزانة ، عوضاً عن تقى الدين حسين بن عبد الرحيم بن شاس .

وفى ذى الحجة استقر الأمير علم الدين سنجر أبو خرص الحموى نائباً بحماة . وفيها كانت وقعة بين الأمير بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد وبين أهل [حصن[1]] المرقب ، بسبب أخذهم قافلة تجار قُتل فيها عدة من مماليكه وجُرح [هو] فى كتفه ، فكُتب بمنازلته ، فخرجت إليه عساكر الشام ، ولم يزل عليه حتى أخذته بعد حروب شديدة فى يوم الجمعة

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٣ أ) ، ويلاحظ أن النويرى ذكر تلك الحادثة كأنها وقعت سنة ٦٨٤ هـ ، وقال إن السلطان قلاوون هو الذى نازل حصن المرقب فى أوائل شهر ربيع الأول من تلك السنة .

تاسع عشر ربيع الأول ؛ واستقر الطباخى نائباً به . وفيها شنع موت الأبقار بأرض مصر ، حتى إن شخصاً كان له ثلاثمائة وأربعين رأساً ماتوا بأجمعهم فى نحو شهر ؛ وارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها .

ومات فى هذه السـنة من الأعيان قاضى دمشق بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن محمد بن على بن عبد العزيز بن الزكى الأموى الشافعى ، عن ست وأربعين سنة بدمشق . وتوفى قاضى القضاة وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن سديد الدين أبى عبد الله الحسين المهلبى البهنسى الشافعى ، فى [مستهل[1]] جمادى الآخرة . وتوفى جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الوائلى الشَّرِيْشِي[2] المالكى بدمشق ، عن أربع وثمانين سنة ، قدم القاهرة . وتوفى ناصر الدين أبو محمد عبد الله ابن إمام الدين أبى حفص عمر بن على الشـيرازى البيضاوى الشافعى قاضى شيراز ، بمدينة تبريز . وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم ابن عبد الله بن شاس السعدى المالكى ، عن ثمانين سنة . وتوفى المسند بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب[3] بن حيدرة الشيبانى الصالحى ، عن ثمان وثمانين سنة بدمشق ، قدم القاهرة . وتوفى الأديب معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد الفهرى ، عن ثمانين سنة بالقاهرة . وتوفى الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ابن محمد بن الخيمى[4] الأنصارى ، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة . وفيها [مات] ملك المغرب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر حمامة المرينى ، فى آخر المحرم . وقام من بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ، وكانت مدة ملكه[5] ثمانيا وعشرين سنة .

* * *

(١) موضع هـذا اللفظ بياض فى س ، وقد أضيف من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٦ ب) ، حيث وردت الوفاة على أنها وقعت فى "مستهل جمادى الأولى" .

(٢) فى س "الشرنشى" بغير ضبط ، والنسبة إلى شريش — وتسمى شرش أيضاً — وهى مدينة من كورة شذونة بالأندلس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٧ ، ٢٨٥) .

(٣) كذا فى س ، وهو فى ب (٢٢٢ أ) "ثعلب" .

(٤) فى س "الحسى" . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٧ أ) ، حيث ورد اسم هـذا الشاعر كالآتى : "شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصارى اليمنى المحتدى (كذا) ، المصرى الدار والمولد ، الشافعى الصوفى ، المعروف بابن الخيمى الشاعر المشهور" ، ويلى ذلك جملة قصائد لشهاب الدين هذا .

(٥) الضمير عائد على أبى يوسف يعقوب المتوفى . راجع (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 57) .

سنة ست وثمانين وستمائة . فى يوم الأحد نصف المحرم استقر برهان الدين خضر السنجارى فى قضاء القاهرة والوجه البحرى ، عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد الخُوَيى[1] . ونقل الخويى عن قضاء القاهرة إلى قضاء دمشق ، عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن الزكى . فنزل قاضى القضاة برهان الدين السنجارى من القلعة ، وجلس للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين ، ورُسم له أن يجلس فى دار العدل فوق قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز . فشقّ ذلك على ابن الأعز ، وسعى أن يعفى من حضور دار العدل ؛ فلم يشعر إلا وقد مات البرهان السنجارى فى تاسع صفر فجأة عن سبعين سنة ، فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوما . فاستقر ابن بنت الأعز فى قضاء القاهرة ، وجُمع له بين قضاء البلدين ، ونزل فصلّى على السنجارى وهو بالتشريف .

و [فى هذه السنة] توجه الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة على عسكر كثير ، لقتال الأمير (١٨٦ ب) شمس الدين سنقر [الأشقر] بصهيون . وسبب ذلك أن السلطان لما نازل المرقب [وهى بالقرب[2] من صهيون] ، لم يحضر إليه سنقر الأشقر وبعث إليه ابنه ناصر الدين صمغار ؛ فأسرّها السلطان فى نفسه ، ولم يمكّن صمغار من العود إلى أبيه وحمله معه إلى مصر ، [واستمر الحال على ذلك حتى هذه السنة] . فسار طرنطاى ونازل صهيون حتى بعث الأشقر يطلب الأمان فأمّنه ؛ ونزل [سنقر] إليه [ليسلم الحصن] ، فخرج طُرُنطاى إلى لقائه ماشيا ، فنزل سنقر عند ما رآه وتعانقا . وسار [سنقر] إلى مخيم طرنطاى ، وقد خلع طرنطاى قباءه وفرشه على الأرض ليمشى عليه سنقر ، فرفع سنقر القباء عن الأرض وقبّله ثم لبسه ، فأعظم طرنطاى ذلك من فعل سنقر وشقّ عليه وخجل ، وأخذ يعامل سنقر من الخدمة بأتم ما يكون . وتسلم [طرنطاى] حصن صهيون ، ورتّب فيه نائباً وواليًا وأقام

(١) مضبوط هكذا فى س .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٠ ب) ، وقد تقدمت الإشارة إلى ما كان بين السلطان وهو على حصار المرقب وبين الأمير سنقر الأشقر من تجدد الجفاء (انظر ص ٧٢٨ ، حاشية ١) ؛ ويلاحظ أن عبارة المقريزى هنا تلخيص ظاهر لما فى النويرى . انظر أيضاً بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٥٨ ب ، وما بعدها) .

به رجالا ، بعد ما أنفق فى تلك المدة أربعمائة ألف درهم فى العسكر الذى معه ؛ فعتب عليه السلطان بسبب ذلك . ثم سار [طرنطاى إلى مصر] ومعـه سنقر الأشقر حتى قرب من القاهرة ؛ فنزل السلطان من قلعة الجبل ، هو وابنه الملك الصالح على ، وابنه الملك الأشرف خليل ، وأولاد الملك الظاهر ، فى جميع العساكر إلى لقاء سنقر الأشقر . وعاد به إلى القلعة ، وبعث إليه الخلع والثياب والحوائص الذهب والتحف والخيول ؛ وأنعم عليـه بإمرة مائة فارس وقدّمه على ألف ، فَلازَم [سنقر] الخدمة مع الأمراء إلى سابع عشرى شهر رجب .

[و] خرج السلطان من قلعة الجبل سائراً إلى الشام ، فأقام بتل العجول ظاهر غزة . وفى ثانى عشرى شعبان انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا .

وفى هذه السنة وصل من دمشق إلى القـاهرة ناصر الدين محمد بن الشيخ عبد الرحمن المقدسى ، ليرافع قاضى القضاة بدمشق بهاء الدين بن الزكى ، فوردت وفاته فعُدل عنه [إلى غيره[1]] . واجتمع [ناصر الدين] بالأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الدولة ، وقرر معه أن مَلَكَة[2] خاتون ابنة الأشرف موسى بن العـادل أبى بكر بن أيوب باعت أملاكها بدمشق ، وأنه يثبت سفهها ، وأن عمها الصالح عماد الدين إسمـاعيل كان قد حجر عليها — [وذلك] حتى يسترجع الأملاك ممن اشتراها ، ويرجع عليهم بما أخذوه من ريعها ، ثم يشترى الأملاك للخاص . فأعجب ذلك الشـجاعى ، وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامَرّى[3] من دمشق ، فإنه ابتاع قرية حزرما[4] . فوصل إلى القـاهرة فى رمضان ،

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٨ ب ، وما بعـدها) ؛ ويلاحظ هنا أيضاً أن عبارة المقريزى ، مع أنها أقصر وأخصر ممـا يقابلها فى النويرى ، تشبهها كثيراً فى ترتيبها وألفاظها .

(٢) يوجد بهامش الصفحة فى س ترجمة لهذه الأميرة ، ونصها : "ملكة خاتون ابنة الأشرف موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب ، أوصى لها أبوها بجميع جواهره ووقف دار السعادة وبسـتان النيرب ؛ فتزوجها الجواد يونس بن ممدود (كذا) بن العادل أبى بكر ثم طلقها ؛ فتزوجها المنصور محمود بن الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر ، فولدت له ولدين ، وتوفيت فى عاشر شعبان سنة أربع وتسعين وستمائة" .

(٣) مضبوط هكذا فى س ، أى أن النسبة إلى مدينة سامرا . انظر (Quatrmère : Op. Cit. II. 1. P. 89.) حيث ترجم هذا اللفظ إلى (le Samaritan) ، أى السامرى نسبة إلى السامرة من اليهود .

(٤) فى س "حزرما" ، بعلامة سكون على الزاى فقط ، والرسم المثبت هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ أ) ، وبما يلى بالمتن هنا أيضاً . (انظر ص ٧٣٦ ، حاشية ٢ ، ٣) . وهذه الصيغة المثبتة بالمتن قريبـة من "حرزم" وهو اسم بليدة بين ماردين ودنيسر من أعمال الجزيرة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣٩) .

وطولب بالقرية المذكورة فادعى أنه وقفها . فأخذ ابن الشيخ عبد الرحمن فى عمل محضر[١] بأن ابنة الأشرف حال بيع حرزما[٢] (١١٨٧) وغيرها كانت سفيهة من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا ، ثم إنها صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا ، ولفّق بينة شهدت عند بعض القضاة ، وأثبت ذلك . فبطل البيع من أصله ، وألزِم السامرى بما استأداه من ريع حرزما[٣] عن عشرين سنة ، وهو مبلغ مائتى ألف وعشرة آلاف درهم من فضة ؛ واعتُدَّ له بنظير الثمن الذى دفعه ، واشتُرِىَ منه أيضاً سبعة عشر سهماً من قرية الزنبقية[٤] بمبلغ تسعين ألف درهم ، وحَمَل بعد ذلك مبلغ مائة ألف وأربعين ألف درهم إلى بيت المال . واستقر ابن الشيخ عبد الرحمن وكيل السلطان ، فشرع فى فتح أبواب البلاء على أهل الشام ، وعمل عيد الفطر يوم الأحد من غير رؤية . وإنما ثبت عند الملك الصالح علىّ أن السلطان صام شهر رمضان فى مدينة غزة يوم الجمعة على الرؤية ، فأثبت القاضى المالكى أن أول شوال يوم[٥] الأحد ، فأمسك كثير من الناس عن الفطر ، وأفطروا يوم الاثنين . وأما السلطان فإنه عاد من تل العجول ، ووصل قلعة الجبل فى ثالث عشرى شوال .

وفى سادس ذى الحجة توجه الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط متولى القاهرة ، والأمير عز الدين الكورانى ، إلى غزو بلاد النوبة . وجرّد [السلطان] معهما طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلى والقراغلامية ، وكتب إلى الأمير عز الدين أيدمر السَّيْفِى[٦] السلاح دار متولى قوص أن يسير معهما بعدّته ومَنْ عنده من المماليك السلطانية

(١) يقول النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ا) أنه "شاهد" هذا المحضر .

(٢) كذا فى س ، بالراء قبل الزاى . (٣) فى س "حزرما" ، بالزاى قبل الراء .

(٤) فى س "الزنبقيه" . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ا) .

(٥) كان أول شوال تلك السنة ، حسب تقويم (Wüstenfeld-Mahler' sche : Tabellen) ، يوم الأحد وقد وافق ٩ نوفبر ١٢٨٧ م .

(٦) هذه النسبة كثيرة الورود فى أسماء أمراء المماليك فى كتب المؤلفين المعاصرين ، وكان لاستعمالها وترتيبها فى الاسم دلالة على معان اصطلاحية مختلفة : فإذا أتت فى أول الاسم كالسيفى يلبغا مثلا كان معناها أن لقب هذا الأمير سيف الدين ؛ وإذا وردت بين اسمين مثل أرغون السيفى دمرداش كان معناها أن صاحب هذا الاسم من مماليك الأمير الدمرداش ؛ وإذا جاءت فى آخر الاسم مثل الوارد هنا بالمتن كان معناها أن صاحب ذلك الاسم قد مات عنه سيده وأستاذه ونقل إلى ديوان السلطان . لهذا كان من بين مماليك السلطان فرقة اسمها السيفية ، تمييزاً لها من فرقة المماليك السلطانية المكونة من مماليك السلاطين السابقين ، وفرقة المشتريات — أو الجلبان أو الأجلاب — التى كان السلطان يشترى مماليكها لنفسه . انظر Popper's Glossary. P. XXXVI) فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، طبعة كاليفورنيا ، ج ٦) ، وما به من المراجع .

المركزين بالأعمال القوصية ، وأجناد مركز قوص ، وعربان الإقليم : وهم أولاد أبى بكر وأولاد عمر ، وأولاد شريف وأولاد شيبان ، وأولاد الكنز وبنى هلال ، وغيرهم . فسار الخياط فى البر الغربى بنصف العسكر ، وسار أيدمر [بالنصف[1] الثانى] من البر الشرقى ، وهو الجانب الذى فيه مدينة دمقلة . فلما وصل العسكر أطراف بلاد النوبة أخلى ملك النوبة سَمَامُون[2] البلاد ، وكان صاحب مكر ودهاء وعنده بأس . وأرسل [سمامون] إلى نائبه بجزائر ميكائيل وعمل الدَّو واسمه جُرَيْس[3] — ويعرف صاحب هذه الولاية عند النوبة بصاحب الجبل[4] — يأمره بإخلاء البلاد [التى تحت يده أمام الجيش الزاحف] ، فكانوا يرحلون والعسكر وراءهم منزلةً بمنزلة حتى وصلوا إلى ملك النوبة بدمقلة . فخرج [سمامون] وقاتل الأمير عز الدين أيدمر قتالاً شديداً ، فانهزم ملك النوبة وقُتل كثير ممن معه (١٨٧ب) ، واستشهد عدة من المسلمين . فتبع العسكر [ملك] النوبة [مسيرة] خمسة عشر يوما من وراء دمقلة إلى أن أدركوا جريس وأسروه ، وأسروا أيضاً ابن خالة الملك وكان من عظمائهم . فرتّب الأمير عز الدين فى مملكة النوبة ابن أخت الملك ، وجعل جريس نائباً عنه ؛ وجرد معهما عسكراً ، وقرر عليهما قطيعة يحملانها فى كل سنة ، ورجع بغنائم كثيرة ما بين رقيق وخيول وجمال وأبقار وأكسية .

وفى هذه السنة أمطرت المدينة النبوية فى ليلة الرابع من المحرم مطراً عظيما ، فوَكَفَت[5] سقوف المسجد النبوى والحجرة الشريفة ، وخربت عدة دور وتلف نخل كثير من السيول . ثم عقب ذلك جراد عظيم صار له دوى كالرعد ، فأتلف التمر وجريد النخل وغيره من المزارع . وكانت الأعين قد أتلفها السيل ، وخرب عين الأزرق حتى عادت ملحاً أجاجا ؛ فكتب بذلك إلى السلطان ، وأن الحجرة الشريفة عادتها أن تكسى فى زمن الخلفاء إذا ولى

(١) أضيف مابين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٣ ب) ، ويلاحظ أن عبارة السلوك هنا بشأن غزوة النوبة مطابقة انطباقاً يكاد يكون حرفيا لما يقابلها فى المرجع المذكور .

(٢) ضبط هذا الاسم من النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) ، وهو وارد فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٧) برسم "سيامون" .

(٣) مضبوط هكذا فى س .

(٤) فى س "صاحب الخيل" . انظر ص ٦٢٢ ، حاشية ٢ .

(٥) وكف البيت أى قطر ماء المطر من سقفه ، ويقال أيضاً وكف الماء — أو الدمع — أى سال قليلا قليلا . (محيط المحيط) .

الخليفة ، فلا تزال حتى يقوم خليفة آخر فيكسوها ؛ وأن المنبر والروضة[(١)] يُبعث بكسوتهما فى كل سنة ، وأنهما يحتاجان إلى كسوة .

وفيها جهز السلطان هدية سنيــة إلى برّ بركه[(٢)] ، ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قِرِم ، وأن تكتب عليه ألقـاب السلطان ، وجُهِّز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ . وفيها نزل تُدَان منكو بن طغان[(٣)] بن باطو بن دوشى بن جنكزخان عن مملكة الططر ببلاد الشمال ؛ وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء ، وأشار أن يملّكوا ابن أخيه تُلابُغَا[(٤)] بن منكوتمر بن طغان ، فملّكوه عوض تدان .

ومات فى هذه السنة من الأعيان قاضى القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن ابن على السنجارى الشافعى ، فى تاسع صفر ، عن سبعين سنة . وتوفى قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن القسطلانى التوزرى المالـكى ، شيخ دار الحديث الكاملية بالقـاهرة ، وقد أناف على السبعين . وتوفى عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصقلى[(٥)] الحرانى المسـند المعمر ، وقدأناف على التسعين ، بالقاهرة . وتوفى الأديب ضـياء الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عفيف الأنصارى الغرناطى بالإسكندرية ، وقد أناف على التسعين . وتوفى أبو العباس أحمد بن عمر الأنصارى المرسى المالـكى ، بالإسكندرية . وتوفى بدر الدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين أبى عبد الله محمد بن مالك الأنصارى الجَيّانى[(٦)] النحوى بدمشق ، وقد أناف على الأربعين . وتوفى الأديب شرف الدين أبو الربيع سليمان ابن بنيان[(٧)] بن أبى الجيش بن عبد الجبار بن سليمان

---

(١) يطلق هذا الاسم على بقعة معينة من مسجد النبى عليه السلام بالمدينة ، وهى البقعة الـكائنة بين المنبر والقبر الشريف . راجع القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨٨) .

(٢) فى س "بر بركه" ، والمقصود بيت بركه ، أى مغول القفجاق .

(٣) فى س "تدان بن منكوتمر بن طغان ..." ، وخطأ المقريزى واضح مما سبق وروده هنا (انظر ص ٧٠٨ ، حاشية ٢) ، وكذلك مما يلى ، ومن أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٢ ، فى Rec. Hist. Or. I.)

(٤) ضبط هذا الاسم على منطوقه فى (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 230) .

(٥) كذا فى س ، وهو فى ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٩٦) "ابن الصيقل" .

(٦) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى بلدة جيان بالأندلس ، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٦٩) .

(٧) كذا فى س ، وهو فى ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٩٥) "ابن بليمان" .

الإربلى الحلبى الشاعر بدمشق ، عن تسعين سنة . وتوفى أبو الحسن فضل بن على بن نصر ابن عبـد الله بن الحسين بن رواحة الأنصارى الحموى ببلبيس . وتوفى الطبيب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد ابن عبيد الربعى الدنيسرى بدمشق ، عن إحدى وثمانين سنة . وتوفى الشيخ إبراهيم بن أبى المجد الدسوقى ، بناحية دسوق من الغربية ، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة تخمينا ، وقبره إحدى المزارات التى تحمل إليها النذور ويتبرك بها .

***

سنة سبع وثمــانين وستمائة . فى المحرم استدعى ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن موسى أبو المكارم ، المعروف بابن المقـدسى ، جماعة من أهل دمشق إلى القاهرة . فحضر عز الدين حمزة بن القلانسى ، ونصير الدين بن سويد ، وشمس الدين محمد بن يمن ، والجمـال ابن صَصْرَى ، وقاضى القضاة حسام الدين الحنفى ، والصاحب تقى الدين توبه ، وشمس الدين بن غانم ، وغيره . فألزم القـلانسى بمائة وخمسين ألف درهم ، وابن سويد بثلاثين ألف درهم ، وابن يمن عن قيمة أملاك مائة ألف درهم وتسعين ألف درهم ، وابن صصرى بثلاثمائة ألف درهم ، وحسام الدين بثلاثة آلاف درهم ، وابن غانم بخمسة آلاف درهم . فاعتذروا أنهم قد حضروا على البريد ، وأن أموالهم بدمشق ، وسألوا أن يُقَرّر عليهم ما يحملونه . فخاف (١١٨٨ ا) الشجاعى أنهم إذا دخلوا دمشق تشفعوا فسومحوا بما عليهم ، فطلب تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالا ، ففعلوا ذلك . وكتبت على الدماشقة مساطير بمـا اقترضوه من تجار الكارم ، وحملوا ما أخذوه إلى بيت المـال ، وأذن لهم فى العود إلى دمشق ، فلم يجدوا بدا من وفاء التجار .

ثم استقر[1] ابن صَصْرَى[2] ناظر الدواوين بدمشق ، فانتدب النجيب كاتب بكجرى — أحد مُسْتَوْفِيِّ[3] الدولة — لمرافعة الشجاعى ، وبرز له بموافقة القاضى تقى الدين نصر الله بن فخر الدين الجوجرى ، وأنهى إلى السلطان عنه أموراً ، وحاققه بحضرة

(١) فى س "واستقر" ، وقد وضعت "ثم" بدل واو العطف لإظهار المعنى المراد من البعدية ، كما فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ا) .

(٢) مضبوط هكذا فى س . انظر ص ٦٧٠ ، سطر ٦ .

(٣) فى س "مستوفين" .

السلطان . ومما قاله إنه باع جملة من السلاح — ما بين رماح ونحوها مما كان فى الذخائر السلطانية — للفرنج ؛ فلم ينكر [الشجاعى ذلك] ، وقال : "بعته بالغبطة الوافرة والمصلحة الظاهرة ، فالغبطة أنني بعتهم من الرماح والسلاح ما عتق وفسد وقلّ الانتفاع به ، وأخذت منهم أضعاف ثمنه ، والمصلحة أن تعلم الفرنج أنّا نبيعهم السلاح هَوَانًا بهم ، واحتقاراً بأمرهم وعدم مبالاة بشأنهم" ؛ فمال السلطان لذلك وقبله . فقال النجيب : "يا مكثل[1] ! الذى خفى عنك أعظم مما لحت . هذا الكلام أنت صوّرته بخاطرك لتعدّه جوابا ، وأما الفرنج وسائر الأعداء فلا يحملون[2] بيع السلاح لهم على ما زعمت أنت ، ولكنهم يشيعون فيما بينهم ، ويتناقله الأعداء إلى أمثالهم ، بأن صاحب مصر والشام قد احتاج حتى باع سلاحه لأعدائه" . فلم يحتمل السلطان هذا ، وغضب على الشجاعى وعزله فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الأول ، وأمر بمصادرته على جملة كثيرة من الذهب ، وألزمه ألا يبيع فى ذلك شيئاً من خيله ولا سلاحه ولا رَخْته ، بل يحمل المطلوب ذهباً ، وعصره بالمعاصير[3] بين يديه حتى حمل ما طلب منه . فبلّغه الناس ما اعتمده الشجاعى من[4] الظلم فى مصادرة جماعة ، وأن فى سجنه كثيراً من المظلومين قد مرّت عليهم سنون وهم فى السجن ، وباعوا موجودهم حتى أعطوه فى التَّرَاسِيم[5] ، وفيهم من استعطى وسأل بالأوراق[6] . فرسم السلطان

---

(١) كذا فى س ، وفى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ب) "يا مشكل" ، ويلاحظ أن عبارة السلوك هنا أيضاً مشابهة فى ترتيبها وألفاظها لما يقابلها فى نهاية الأرب .

(٢) فى س "لا يحملون" .

(٣) المعاصير جمع معصرة وهى آلة التعذيب ، وقد سرى هذا اللفظ ومعناه إلى اللاتينيــة الدارجة فى الشام زمن الحروب الصليبية وصار (masseris) . وكانت المعصرة مكونة من خشبتين مربوطتين ببعضهما ، يوضع بينهما وجه المعاقب — أو رأسه ، أو رجلاه ، أو عقباه — ثم تشد الخشبتان شدا وثيقا ، وكثيراً ما أدى ذلك إلى كسر العظم المحصور بين الخشبتين . (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 94. N. 116) .

(٤) فى س "لمن" .

(٥) التراسيم جمع ترسيم ، وهو الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة (mettre à la consigne) ، انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 94.) .

(٦) الأوراق جمع ورقة ، ومعناها هنا الصك يكتبه المدين للدائن (reconnaissancs, recette) . انظر (Quatremère : Op. Cit II. 1. P. 95) . هــذا وعبارة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ب) فى ذلك الصدد مختلفة فى بعض ألفاظها عما هنا بالمتن ، وهى تساعد على توضيح المعنى المقصود من الترسيم ، ونصها : "وأن فى اعتقاله جماعة كثيرة قد مر عليهم شهور وسنون ، وباعوا موجودهم وصرفوه فى أجرة المترسمين عليهم ، واحتاج بعضهم إلى أن استعطى من الناس بالأرزاق" .

للأمير بهاء[١] الدين بغدى الدوادار بالكشف عن أمر المصادَرين ومطالعته بحالهم ، فخرج لذلك وسأل ، فكثرت القالة بما فيه أهل السجون من الفاقة والضرورة ؛ ففوض أمرهم إلى الأمير طرنطاى (١٨٨ ب) ، فكشف عنهم وأفرج عن سائرهم .

وفى ليلة الاثنين سادس عشره وقع الحريق بخزائن السلاح والمشهد الحسينى بالقاهرة ، قطفئ . وفى يوم الثلاثاء سابع عشر استقر فى الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا ، عوضاً عن سنجر الشجاعى ، بعد ما عرضت على قاضى القضاة تقى الدين عبـد الرحمن ابن بنت الأعز فامتنع ؛ وشُرِط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز ، ويعتمد ما يشير به . وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان ، وهو يومئذ ناظر الخزانة ، يقول له : "يا قاضى ! إيش حال ولدك بيدرا فى وزارته ؟" فيقول[٢] : "يا خوند ! ولدٌ صالح دخلتَ بولايته الجنة ، وأزلتَ الظلم ، واستجلبتَ لك الدعاء ، والذى كان يحصل بالعسف حصل باللطف" . وصار ابن بنت الأعز كل يوم أربعاء يدخل على بيدرا ويقرّر معـه ما يفعل ، ثم استناب بيدرا ضياء الدين عبـد الله النشائى[٣] وصار يجلس معه . واستقر تقى الدين نصر الله فى نظر الدواوين شريكا لثلاثة ، [وهم] تاج الدين بن السنهورى ، وكمال الدين الحرانى ، وفخر الدين بن الحلبى صاحب ديوان الصالح على ، وخلع عليه .

وفى أول ربيع الآخر استقر الجمال بن صصرى فى نظر الدواوين بدمشق ، وخلع عليه وسافر من القاهرة هو والقاضى تاج الدين ...[٤] بن النصيبينى كاتب الدرج بحلب ، بعـد ما أفرج عنه . وفيه أيضاً استقر ركن الدين بيبرس أمير جاندار بدمشق ، وسافر هو وشمس الدين ...[٥] بن غانم ، وقد سومح بمـا كان قد قُرِّر عليه . واستقر تقى الدين توبه فى نظر الدواوين بدمشق أيضا . وتوجه ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسى إلى دمشق ، متحدثاً فى وكالة السلطان ونظرِ سائر الأوقاف الشامية ، ونظرِ الجامع الأموى والمـارستان النورى وبقيـة المـارستانات ، ونظرِ الأشراف والأيتام والأسرى

(١) فى س "بهاي" .
(٢) فى س "يقول" .
(٣) فى س "النشانى" ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 134) .
(٤ ، ٥) بياض صغير فى س .

والصدقات والخوانك والرُبُط والأسوار وغير ذلك . و [سافر] معه شمس الدين القشتمرى ، وصارم الدين الأيدمرى ، ليكونا مشدين . فقدم دمشق وتتبع عورات الناس ، وتصدّى لإثبات سفه من باع شيئاً من الأملاك — كما فعل فى أمر ابنة الأشرف ، فلم يوافقه القضاة بدمشق ولا النائب — ، وشرع فى مناكدة الناس .

وفى تاسعه أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، بعد ما أُخذ منه خمسة وستون ألف دينار عيْنا ، سوى ما أَخذ السلطان وغيره من موجوده . وعُزل بيدرا عن الوزارة فى تاسع عشره ، واستُدعى قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، وخلعت[١] عليه خلع الوزارة ونزل . فتعفف عن التصرف والكتابة فى أشياء ، وباشر الوزارة مع قضاء القضاة ونظر الخزانة ، وصار يجلس فى اليوم الواحد تارة فى دست الوزارة وتارة فى مجلس الحكم وتارة فى ديوان الحكم ، ولم يوفِّ منصب الوزارة حقه لتمسكه [بظاهر[٢]] الأمور الشرعية . ثم ثقلت[٣] عليه الوزارة فتوفّر منها ، وأعيد الأمير بدر الدين بيدرا إليها فى ...[٤] ، وكان حينئذ أمير مجلس[٥] ، ثم نقل إلى الأستادارية[٦] مع الوزارة ، [واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية] .

وفيه كُتب إلى الأكابر ببلاد السند والهند والصين واليمن صورة أمان لمن اختار الحضور إلى ديار مصر و بلاد الشام ، من إنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر ؛ وسُيِّر مع (١٨٩ ا) التجار .

---

(١) فى س "خلع" .

(٢) فى س "لتمسكه بالامور الشرعيه" ، انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ب) .

(٣) فى س "معلت عليه" ، وفى ب (٢٢٤ ب) "ثقلت عنه" ، وقد ترجمها (Quatremére : Op. Cit II. 1. P. 97.) بهذا المعنى إلى "On le dèchargea du vizirat ...." .

(٤) بياض فى س .

(٥) كان صاحب هذه الوظيفة ، حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨) ، هو الذى "يتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم ، ولا يكون إلا واحدا" ؛ وفى موضع آخر من نفس المرجع (ج ٥ ، ص ٤٥٥) أن أمير المجلس هو الذى "يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره" ، ويظهر من هذين التعريفين المتباينين أن تلك الوظيفة كانت تشمل الناحيتين المذكورتين . انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 97. N. 117) .

(٦) يقول النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٩ ب) إن بيدرا نقل إلى الوزارة من الأستادارية لا معها كما بالمتن هنا ، وقد أضيف ما بين القوسين من نفس المرجع والجزء (ص ٢٩٠ ا) .

وفى أول جمادى الأولى وردت كتب الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط من دمقلة ، بفتحها والاستيلاء عليها وأسر ملوكها ، وأخذ تيجانهم ونسائهم . وكان الكتاب على يد ركن الدين منكورس الفارقانى ، فخلع عليه وكتب معه الجواب بإقامة الأمير عز الدين أيدمر والى قوص بدمقلة ، ومعه من رُسِم لهم من المماليك والجند والرجال ، وأن يحضر الأمير علم الدين ببقية العسكر . وجُهِّز من قلعة الجبل سعد الدين سعد ابن أخت داود ، ليكون مع الأمير أيدمر لخبرته بالبلاد وأهلها ، فسار وقد أعطى سيفاً محلًّى ، فأقام بقوص. وفيه استقر زين الدين ......[1] بن رشيق فى قضاء الإسكندرية ، عوضاً عن زين الدين ...[2]... ابن المنير .

وفى سابع عشره — وهو خامس عشر بؤونة من أشهر القبط — أُخِذ قاع النيل بمقياس الروضة ، فكان أربعة أذرع وستة وعشرين أصبعا . وفيه فوضت حسبة دمشق لشرف الدين أحمد بن عيسى السيرجى .

وفى تاسع رجب وصل الأمير علم الدين سنجر المسرورى من بلاد النوبة ، ببقية العسكر المخلف بدمقلة مع عز الدين أيدمر ؛ ووصل معه ملوك النوبة ونساؤهم وتيجانهم وعدة أسرى كثيرة ، فكان يوما مشهودا . وفرّق السلطانُ الأسرى على الأمراء وغيرهم ، فتهاداهم الناسُ ، و بيعوا بالثمن اليسير لكثرتهم . وخُلع على الأمير علم الدين وعُمل مَهْمَنْداراً[3] ، عوضاً عن الأمير شرف الدين الجاكى ، بحكم استقراره فى ولاية الإسكندرية عوضاً عن حسام الدين بن شمس الدين بن باخل ، بحكم عزله والقبض عليه ومصادرته .

وأما النوبة فإن سمامون ملِكها رجع بعد خروج العسكر إلى دمقلة ، وحارب من بها وهزمهم ؛ وفرّ منه الملك وجريس والعسكر المجرد ، وساروا إلى القاهرة ، فغضب السلطان وأمر بتجهيز العسكر لغزو النوبة[4] .

(١ ، ٢) بياض فى س .

(٣) فى س "مهمندار" . وكان صاحب هذه الوظيفة ، حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢ ؛ ج ٥ ، ص ٤٥٩) ، هو الذى يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ويتحدث فى القيام بأمرهم . ولفظ مهمندار مركب من كلمتين فارسيتين ، إحداهما مهمن ومعناها الضيف ، والثانية دار ومعناها ممسك ، فيكون المعنى الحرفى للفظ مهمندار ممسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره .

(٤) انظر ص ٧٣٦ ، سطر ١٣ ، وما بعده .

وفى يوم الأحد خامس عشره خرج السلطان مبرّزاً بظاهر القاهرة يريد الشام ، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السماط ؛ ثم عاد [الصالحُ] إلى قلعة الجبل آخر النهار ، فتحرّك عليه فؤاده فى الليـل وكثر إسهاله الدموى وأفرط ، فعاد السلطانُ لعيادته فى يوم الأربعاء ثامن عشره . ولم يفد فيه العلاج ، فعاد السلطان إلى الدهليز من يومه ، فأتاه الخبر بشدة مرض الملك الصالح ، فعاد إلى القلعة . وصعدت الخزائن فى يوم الثلاثاء أول شـعبان ، وطلعت السناجق والطُلْب فى يوم الأربعاء ثانيه . فمات الصالح بكرة يوم الجمعة رابعه من دوسنطاريا (١٨٩ ب) كبدية ، وتحدّثت[١] طائفة بأن أخاه الملك الأشرف خليلا[٢] سمّه . فحضر الناس للصلاة عليه ، وصلى عليه بالقلعة قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز إماماً ، والسلطان خلفه فى بقية الأمراء والملك الأشرف خليل . ثم حملت جنازته ، وصلى عليه ثانياً قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى الحنفى خارج القلعة ، ودُفن بتربة أمه قريباً من المشهد النفيسى . وترك [الصالح] ابناً يقال له الأمير مظفر الدين موسى ، من زوجته منكبك ابنة نوكاى . واشتد حزن السلطان عليه ، وجلس للعزاء فى يوم الأحد ثالث[٣] يوم وفاته بالأيوان الـكبير . وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالممالك ، ورسم فيها ألا يقطع أحد شعراً ولا يلبس ثوب حداد ولا يغيّر زيه .

وفى مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات ، واستدعى الفقراء والصالحين ليدعوا[٤] له ؛ وبعث إلى الشيخ محمد المِرْجَانى[٥] يدعوه فأبى أن يجتمع به ، فحمل إليه مع الطواشى مرشد خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقتاً[٦] للفقراء ، حتى يطالبوا ولد السلطان من الله تعالى ، فقال له : "سَلِّم على السلطان ، وقل له متى رأيت فقيراً يطالب أحداً من الله ؟ فإن فرغ أجله فوالله ما ينفعه أحد ، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش" ؛

(١) فى س "تحدث" .
(٢) فى س "خليل" .
(٣) فى س "ثالثه" .
(٤) فى س "لدعو" .
(٥) فى س "المرحانى" ، وقد صحح هذا الاسم وضبط على منطوقه فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 100.)
(٦) فى س "وقتا" ، والمراد حفلة دينية ، كحفلة للذكر أو لقراءة القرآن .

وردّ المال فلم يقبل منه شيئاً . وطلع الشيخُ عمر خليفةُ الشيخ أبى السعود إلى السلطان ، وقد دعاه ليدعو للصالح ، فقال له : " أنت رجل بخيل ما يهون عليك شىء ، ولو خرّجت للفقراء عن شىء له صورة لعملوا وقتاً ، وتوسلوا إلى الله أن يهبهم ولدك لكان[١] يتعافى " . فأعطاه [السلطان] خمسة آلاف درهم عمل بهما سماعاً ، ثم عاد إلى السلطان وقال : " طيّبْ خاطرك ، الفقراء كلهم سألوا الله ولدك ، وقد وهبه لهم " ؛ فلم يكن غير قليل [حتى] مات الصالح . فرأى السلطان فى صبيحته الشيخ عمر هذا ، فقال له : " يا شيخ عمر ! أنت قلت إن الفقراء طلبوا ولدى من الله ووهبه لهم " ، فقال على الفور : " نعم ! الفقراء طلبوه ، ووهبهم إياه ألا يدخل جهنم ، ويدخله الجنة " ؛ فسكت السلطان .

وفى حادى عشر شعبان فوّض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل ، فركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى باب النصر ، وعبر إلى القاهرة وخرج من باب زويلة ، وصعد إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم فى خدمته ، ودقّت البشائر . وحلّف القضاةُ له جميعَ[٢] العسكر ، وخُلع على سائر أهل الدولة ؛ وخُطِب له بولاية العهد واستقر على قاعدة أخيه الصالح علىّ ، وكُتِب بذلك إلى سائر البلاد ، وكُتب له تقليد فتوقّف السلطان من الكتابة عليه .

وفى ثانى شهر رمضان استقر فى حسبة دمشق شمس الدين محمد بن السلعوس ، عوضاً عن ابن السيرجى .

وفى رابع شوال استقر بدر الدين محمد بن جماعة خطيباً بالقدس ، عوضاً عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشى القدسى ، بحكم وفاته ؛ [وكان ذلك] بعناية الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، لصحبة بينهما . واستقر فى تدريس القيمرية بدمشق — عوضاً عن ابن جماعة — علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبدالوهاب بن بنت الأعز فى سابع عشره .

وفى ذى الحجة استقر علم الدين سنجر المسرورى فى ولاية البهنسا ، وولى معه عز الدين مقدام نظَرَها ، واستقرّ قاضى القضاة جمال الدين ...[٣] الزواوى فى قضاء المالكية بدمشق .

(١) فى س "كان" . (٢) فى س "جمع" .
(٣) بياض فى س .

وفى هذه السنة ورد كتاب نائب الشام بأن الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنة ، وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم ، وصار بأيديهم عدة أسرى . وكانوا لمـا مَلَكَ السلطان قلعة المرقب [قد] بعثوا إليه هدية ، وصالحوه على ألا يتركوا عندهم أسيراً ، ولا يتعرّضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر ؛ فتجهز السلطان لأخذ طرابلس .

وفيها قدم الشريف جماز بن شيحة من المدينة النبوية ومَلَكَ مكة ، فجاء الشريف أبو نمى فى آخر السنة وملكها منه .

ومات فى هذه السنة من الأعيان الملك الصالح علىّ بن السلطان الملك المنصور قلاون ، وقد أناف على الثلاثين ، فى رابع شعبان . وتوفى تقى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى الشافعى ، عن سبع وثمانين سنة بالقاهرة . وتوفى المجد أبو المعالى محمد بن خالد بن حمدون الهذبانى الحموى الزاهد المحدّث ، عن ثمانين سنة بحلب ، قدم القاهرة . وتوفى خطيب القدس قطب الدين أبو الذكاء(١) عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم ابن على بن جعفر القرشى الزهرى ، وقد أناف على الثمانين . وتوفى البرهان أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد النسفى الحنفى ، ببغداد عن نحو تسعين سنة . وتوفى أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى الشافعى المحدّث ، عن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة النبوية . وتوفى الأديب الشاعر ناصر الدين أبو محمد الحسن بن شاور بن طرخان بن النقيب الكنانى(٢) ، وقد أناف على سبعين سنة ، بالقاهرة . وتوفى الحكيم علاء الدين أبو الحسن على بن أبى الحزم بن النفيس القرشى الدمشقى رئيس الأطباء ، عن نحو ثمانين سنة بالقاهرة .

***

سنة ثمان وثمانين وستمائة . فى يوم الخميس عاشر المحرم خيّم السلطان بظاهر القاهرة ، ورحل فى خامس عشره . واستخلف ابنه الملك الأشرف خليلاً(٣) بالقلعة ، والأميرَ

(١) فى س "أبو الذكا" ، انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٠١) .

(٢) فى س "الكنانى" ، انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٠٠ — ٤٠١) ، حيث ورد أيضاً بعض نظم هذا الشاعر .

(٣) فى س "خليل" .

بيدرا نائباً عنه ووزيراً ؛ وكتب عنـد الرحيل إلى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس . وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشر صفر ، وخرج منها فى العشرين منه إلى طرابلس فنازلها ، وقد قدم لنجدة أهلها أربعة شوانٍ[1] من جهة متملك قبرس . فوالى [السلطان] الرمى بالمجانيق عليها والزحف والنقوب فى الأسوار ، حتى افتتحها عنوة فى الساعة السابعة من يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر ، بعد ما أقام عليها (١١٩٠) أربعة وثلاثين يوماً ، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً ، وعمل فيها ألف وخمسمائة نفس من الحجارين والزراقين . وفرّ أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس[2] ، فخاض الناس فرساناً ورجالا وأسروهم وقتلوهم وغنموا[3] ما معهم ؛ وظفر الغلمان والأوشاقيــة بكثير منهم كانوا قد ركبوا البحر فألقاهم الريح بالساحل ، وكثرت الأسرى حتى صار إلى زَرَدْخَاناه[4] السلطان ألف ومائتا أسير . واستشهد من المسلمين الأمير عز الدين معن ، والأمير ركن الدين منكورس الفارقانى ، وخمسة وخمسون من رجال الحلقة . وأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت ، وكان عَرْضُ

(١) فى س "سوانى" .

(٢) اسم هذه الجزيرة فى المراجع الأوربية (St. Nicholas) ، أى جزيرة القديس نيقولا . انظر (King : The Knights. Hospitallers In The Holy Land. P. 188.) . وقد ذكر أبو الفــداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٢ ، فى Rec. Hist. Or. I.) بأنه كان فى تلك الجزيرة "كنيسة تسمى كنيسة سنطماس" مما يدل على أن اسمها كان على الأقل فى زمن أبى الفداء (St. Thomas.) ، أى القديس توما وليس نيقولا كما فى المرجع السابق .

(٣) كان أبو الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١٦٢ ، فى Rec. Hist. Or. 1.) ممن شهدوا وقعة طرابلس ، وقد شاهد بنفسه مبلغ ما حدث بالجزيرة من القتل والتخريب ، ووصفه بالآتى : "وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب والسلب عبرت إليها فى مركب ، فوجدتها ملأى من القتلى وقد جافت ، بحيث لا يستطيع الإنسان الوقوف فيها من نتن القتلى" .

(٤) الزردخاناه هى السلاح خاناه ، ومعنى هــذا اللفظ المركب "بيت الزرد" ؛ وكان بها حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١١ — ١٢) جميع أنواع السلاح : "من السيوف والقسى العربيــة والنشاب والرماح ، والدروع المتخذة من الزرد المانع (كذا) ، والقرقلات المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر ، وغير ذلك (ص ١٢) من الأطبار وسائر أنواع السلاح ؛ ويقل بها قسى الرجل والركاب لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالثغور كالإسكندرية وغيرها . وفى كل سنة يحمل إليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ، يجعل على رءوس الحمالين ويزف إلى القلعة ، ويكون يوماً مشهودا . وفى هذه السلاح خاناه من الصناع المقيميــن بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمى صانع ذلك الزردكاش ، وهى لفظة أعجمية وكأن معناها صانع الزرد ؛ ولها غلمان أخرى وفراشون ، بسبب خدمة القماش وافتقاده" .

سورها يمر عليه ثلاثة فرسان بالخيل ، ولأهلها سعادات جليلة منها أربعة آلاف نَوْلِ[١] قزَازة . وأقرّ [السلطانُ بلدةَ] جبيل مع صاحبها[٢] على مال أخذه منه ، وأَخَذَ بيروت وجبلة وما حولها من الحصون .

وعاد [السلطان] إلى دمشق فى نصف جمادى الأولى ، واستقرّ العسكر على عادته بحصن الأكراد مع نائبه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى . ونزل اليَزَكُ إلى طرابلس من حصن الأكراد وأضيف إلى الطباخى ، واستقر معه خمسمائة جندى وعشرة أمراء طبلخاناه ، وخمسة عشر أمراء عشرات ؛ وأقطعوا إقطاعات . ثم عمر المسلمون مدينة بجوار النهر فصارت مدينة جليلة ، وهى التى تُعرف اليوم بطرابلس[٣] .

وقدم على السلطان [وهو[٤] بطرابلس] رسل سِيْس يسألون مراحمه ، فطلب منهم مرعش وبهسنا والقيامَ بالقطيعة على العادة ، وأعادهم وقد خلع عليهم .

وخرج الأمير طرنطاى نائب السلطنة إلى حلب . وأقام الأمير سنجر الشجاعى متحدثاً فى الأموال بدمشق ، فأوقع الحوطة على تقى الدين توبه ، وأخذ حواصله وباعها على الناس بأغلى الأثمان حتى جمع من ذلك خمسمائة ألف درهم ، فخاف منه الناس وفرّ كثير منهم . وعاد طرنطاى فى سابع رجب .

وورد على السلطان كتاب ولده الأشرف بأن سلامشَ وخضراً[٥] ابنى [السلطان] الظاهر [بيبرس] قد راسلا الظاهرية ، وأنه يخشى عاقبة ذلك . فكتب [السلطان] بأن

(١) النول آلة نسج القماش وجمعه أنوال ، والقزازة صنعة نسج الحرير خاصة . والراجح أن المقصود بالقزازة هنا صنعة النسج عموما وهى الحياكة أيضاً ، ويسمى محترف هذه الصنعة قزاز والجمع قزازون ، وهو الحائك والجمع حياك . (محيط المحيط ، Dozy : Supp. Dict. Ar.) . انظر أيضاً : Quatremère (Op. Cit. II. 1. P. 103. Ns. 123, 124) .

(٢) كان صاحب جبيل تلك السنة (Bartholomew of Jubail) ، وقد حباه السلطان بهذه المعاملة للسبب المذكور بالمتن ، ولأنه كان يعادى الأميرة (Lucia) أخت الأمير المتوفى (Bohemond VII) وصاحبة طرابلس من بعده (Stevenson : The Crusaders In The East, pp. 349, et seq.) .

(٣) يوجد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٤ ب ، وما بعدها) تاريخ طويل لمدينة طرابلس منذ فتحها المسلمون فى عهد الخليفة عثمان بن عفان إلى زمن المؤلف ، أى إلى أوائل القرن الثامن الهجرى .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٠ ب) .

(٥) فى س " خضر " .

يُخْرَجا وأمهما إلى ثغر الإسكندرية ، ويُحملوا فى البحر إلى بلاد الأشكرى ، فأُخرِجوا ليلا . وكان فى ذلك أعظم عبرة : فإن الظاهر [بيبرس] أخرج قاقانَ وعليًا[1] ابنى المعز أيبك إلى بلاد الأشكرى ومعهما أمهما ، فعوقب بمثل ذلك وأُخرج ولداه وأمهما ، ليجزى الله كل نفس بما كسبت .

وخرج السلطان من دمشق فى ثانى شعبان ، ومعه تقى الدين توبه مقيداً ، وقد نال أهلَ دمشق ضررٌ كبير . فدخل السلطان قلعة الجبل فى آخر شعبان ، وجرّد الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار إلى بلاد النوبة ، ومعه من الأمراء قِبْجاق[2] المنصورى وبكتمر الجوكندار وأيدمر والى قوص ، وأطلابُ كثيرٍ من الأمراء ، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى ونواب الولاة ، ومن عربان الوجهين القبلى والبحرى عدة أربعين ألف راجل ، ومعهم متملك[3] النوبة وجريس .

فساروا فى ثامن شوال ، وصحبتهم خمسمائة مركب ما بين حراريق ومراكب كبار وصغار تحمل الزاد والسلاح والأثقال . فلما وصلوا ثغر أسوان مات (١٩٠ ب) متملكُ النوبة ، [فدفن بأسوان][4] ، فطالع الأميرُ عز الدين الأفرم [السلطانَ] بموته ، فجهز إليه من أولاد أخت الملك داود رجلا كان بالقاهرة ليملِّكه ، فأدرك العسكر على خيل البريد بأسوان وسار معه . وقد انقسموا نصفين : أحدهما الأمير عز الدين الأفرم وقِبْجاق[5] فى نصف العسكر من الترك والعرب فى البر الغربى ، وسار الأمير أيدمر والى قوص والأمير بكتمر بالبقية على البر الشرقى ؛ وتقدّمهم جريس نائب ملك النوبة ومعه أولاد الكنز ، ليؤمِّن أهل البلاد ويجهز الإقامات . فكان العسكر إذا قدم إلى بلد خرج إليه المشايخ والأعيان ، وقبّلوا الأرض وأخذوا الأمان وعادوا ، وذلك من بلد الدو إلى جزائر ميكائيل ،

(١) فى س " علي " .

(٢) فى س " قبجاق " . انظر ص ٦٧١ ، حاشية ٩ ، وكذلك (Wiet : Les Biographies du Manhal Safi. P. 270. No. 1822) ، وسيدأب الناشر على إثبات ذلك الاسم بتلك الصيغة فيما يلى بالمتن بغير تعليق . ويلاحظ أن هذا الاسم وارد بنون بدل الباء فى ب (٢٧٧ ب) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٣ ب ، ٢٧٤ أ) .

(٣) فى س " ملك " ، وقد غيرت إلى " متملك " للتوضيح ومنع اللبس . انظر ما يلى سطر ١٢ ، وكذلك النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٣ ب) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٥) فى س " قبجاق " .

وهى ولاية جريس . و [أما ما عدا [١] ذلك من البلاد التى لم يكن لجريس عليها ولاية] ، من جزائر ميكائيل [إلى دمقلة] ، فإن أهلها جَلَوا [٢] عنهـا طاعة لمتملك النوبة . فنهبها العسكر وقتلوا مَن وجدوه بها ، ورعوا الزروع وخرّبوا السواقى إلى أن وصلوا مدينة دمقلة ، فوجدوا الملك قد أخلاها حتى لم يبـق بها سوى شيخ واحد وعجوز ، فأخبرا أن الملك نزل بجزيرة فى بحر النيل بُعدها عن دمقلة خمسة عشر يوماً . فتبعه والى قوص ، ولم يقدر مركب علي سـلوك النيل هناك لتوعّر النيل بالأحجار . وقال فى ذلك الأديب ناصر الدين بن النقيب ، وكان ممن جُرِّد إليها :

يا يومَ دمقـــلةٍ ويومَ عبيدِها　　من كل ناحيـــةٍ وكل مكانِ
من كل نوبِيٍّ يقول لأختــه　　نُوْحِى فقد سَكُوا قفا السودانِ

ومات [٣] فى هذه السنة من الأعيان كاتب الإنشاء بحماة نجم الدين أبو محمد عبد الغفار ابن محمد بن محمد بن نصر الله بن المُغَيْزِل [٤] العبدى الحموى بها ، عن أربع وستين سنة . وتوفى العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن عباد الأصبهانى ، عن اثنتين وسبعين سـنة بالقاهرة . وتوفى الأديب شمس الدين محمد بن العفيف أبي الربيع سليمان بن على ابن عبـد الله بن على بن ياسين العابدى التلمسانى . وتوفى علم الدين أبو العبـاس أحمد بن يوسف عبدالله بن على الشهير بابن الصاحب صفى الدين بن شكر ، بعد ما تغيَّر عقله ، وقد أناف على الستين [٥] .

* * *

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٤ أ) .

(٢) فى س "جلو" .

(٣) أورد ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٠٧) بين وفيات هذه السنة وفاة أحد أبناء البيت الأيوبى ، وهو "الملك المنصور محمود بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب ، سلطنه أبوه بدمشق ، وركب فى أبهة السلطنة سنة أربعين وستمائة ، ولا زالت تتقلب به الأحوال إلى أن صار يطلب بالأوراق . قال ابن مكتوم : رأيته سلطانا ورأيته يستعطى ، وكان شيخاً مهيباً ، يلبس قباء وعمامة مدورة" . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩١ أ) .

(٤) مضبوط هكذا فى س .

(٥) يلي هذا بهامش الصفحة فى س ذكر وفاة قبلاى خان ، وهذا خطأ وقع فيه أيضا كاتب نسخة ب (٢٢٨ ب) ، وكذلك (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 106) ؛ وقد نقل ما جاء بصـدد تلك الوفاة تحت ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) ، وهى السنة التى توفى فيها هذا الخان الكبير ، كما يتواتر فى المراجع العربية والإفرنجية . انظر (Enc. Isl. Art. Kubilai) .

سنة تسع وثمانين وستمائة . فى المحرم سار الأمير طرنطاى النائب إلى بلاد الصعيد ومعه عسكر كبير ، فوصل إلى طُوخ [١] تجاه قوص ، وقتل جماعةً من العربان ، وحرّق كثيراً منهم بالنار ، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحا ورهائن من أكابرهم . وعاد بمائة ألف رأس من الغنم وألف ومائتى فرس وألف جمل ، وسلاح لا يقع عليه حصر .

وفيه توجه الأمير سيف الدين التقوى [٢] ومعه ستمائة فارس لينزل بطرابلس ، وهو أول جيش استخدم بطرابلس بعد فتحها ، وكان العسكر [قبل ذلك] بالحصون .

وفى ربيع الأول استُدعى الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق إلى القاهرة على البريد ، فلما حضر أكرمه السلطان وأكّد عليه فى تحصيل الأموال ، وأضاف إليه الحصون بسائر الممالك الشامية والساحل وديوان الجيش ، وخلع عليه . فعاد إلى (١٩١ ا) دمشق فى العشرين من ربيع الآخر ، وقد زاد تجبّره وكثر تعاظمه .

وفى جمادى الأولى قُبض على الأمير سيف الدين جرمك [٣] الناصرى لمطاوصة [٤] جرت بينه وبين الأمير طرنطاى النائب ، أغلظ عليه فيها بحضرة الأمراء .

وفى أول جمادى الآخرة استقر شرف الدين حسن بن أحمد بن أبى عمر بن قدامة المقدسى فى قضاء الحنابلة بدمشق ، بعد وفاة قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن المقدسى الحنبلى ، بأمر السلطان . وكُتب توقيعه عن الأمير حسام الدين نائب الشام ، فى تاسع الشهر .

و[فيه] وصل والى قوص بمن معه إلى تجاه الجزيرة التى بها سمامون ملك النوبة ، فرأوا بها عدة من مراكب النوبة ، فبعثوا إليه فى الدخول فى الطاعة وأمّنوه فلم يقبل . فأقام العسكر تجاهه ثلاثة أيام ، فخاف من مجىء الحراريق والمراكب إليه ، فانهزم إلى جهة الأبواب ،

(١) فى س "طوح" بغير ضبط ، وطوخ اسم لبلاد كثيرة بالديار المصرية (انظر فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٨٠) ، والمقصود منها هنا طوخ البلاص ، وهى قرية بمديرية قنا بمركز قوص ، على الشط الغربى للنيل بين البلاص وتقادة . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٦١ ، وما بعدها) .

(٢) فى س "التقوى". انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩١ ب) .

(٣) كذا فى س ، وهو وارد "حرمك" بالحاء فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩١ ب) .

(٤) كذا فى س .

وهى خارجة عن مملكته وبينها وبين الجزيرة التى كان فيها ثلاثة أيام . ففارقه السواكرة[1] — وهم الأمراء — ، وفارقه الأسقف والقسوس ، ومعهم الصليب الفضة الذى كان يُحمل على رأس المَلِك وتاجُ المُلْك ؛ وسألوا الأمان فأمّنهم والى قوص وخلع على أكابرهم ، وعادوا إلى مدينة دمقلة وهم جمع كبير . فعند وصولهم عدّى الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق إلى البر الشرقى ، وأقام العسكر مكانه . [واجتمع الأمراء[2] بدمقلة] ، ولبس العسكر آلة الحرب وطلّبوا من الجانبين ، وزُيِّنت الحراريق فى البحر ولعب الزرّاقون بالنفط . ومدّ الأمراء السماط فى كنيسة أُسُوس[3] أكبر كنائس دمقلة وأكلوا ، ثم ملّكوا الرجل الذى بعثه السلطان [قلاون] وألبسوه التاج ، وحلّفوه وسائر الأكابر ، وقرروا البَقْط[4] [المستقر أولاً] ، وعيّنوا طائفة من العسكر تقيم عنده وعليها بيبرس العزى مملوك [الأمير عز الدين] والى قوص . وعاد العسكر إلى أسوان بعد ما غاب عنها ستة أشهر ، وساروا إلى القاهرة فى آخر جمادى الأولى بغنائم كثيرة .

---

(١) كذا فى س ، بهاء بدل التاء المربوطة ، وكذلك فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٤ أ) ، حيث ورد أن المفرد "سوكرى" ، وقد أورد (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 107) لفظ السواكرة بالعربية بشين بدل السين ، إلى جانب الترجمة الفرنسية (Schavkeri) .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٤ أ) ، ويلاحظ أن عبارة المقريزى بصدد هذه الجملة متفقة اتفاقا حرفيا تقريبا مع ما يقابلها بالنويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٧٣ أ — ٢٧٤ ب) .

(٣) ضبط هذا الاسم على منطوقه فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 108) ، حيث جاء أيضا أن هذه التسمية مأخوذة من لفظ عيسى (Jésus) .

(٤) يطلق البقط على المال الذى فرضه المسلمون على النوبة بعد فتحهم لها ، أيام إمارة عمرو بن العاص على مصر . ويوجد بالمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، وما بعدها) تاريخ للبقط وحوادث بلاد النوبة منذ الفتح الإسلامى إلى زمن السلطان الظاهر بيبرس ، وقد بدأه يبحث فى أصل هذا اللفظ ، ونصه : " البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم ، فإن كانت هذه الكلمة عربية فهى إما من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب أى نبذ من مرعى ، فيكون معناه على هذا نبذة من المال ، أو (ص ٢٠٠) يكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطاً من ربيعة أى فرقة أو قطعة ، فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض فرقة منها ، وبقط الشىء فرّقه . والبقط أن تعطى الجنة على الثلث أو الربع ، والبقط أيضاً ما سقط من التمر إذا قطع فأخطأ المخرف ، فيكون معناه على هذا بعض ما فى أيدى النوبة . وكان يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر ، مسافتها من أسوان خمسة أميال فيما بين بلد بلاق وبلد النوبة ، وكان القصر فرضة لقوص . وأول ما تقرر هذا البقط على النوبة فى إمارة عمرو بن العاص ، لما بعث عبد الله بن سعيد بن أبى سرح بعد فتح مصر إلى النوبة سنة عشرين ، وقيل سنة إحدى وعشرين [هجرية] ... ... " . انظر أيضا (Quatremère : Mém. Sur La Nubie. P. 42) .

وأما سمامون فإنه عاد بعد رجوع العسكر إلى دمقلة مختفياً ، وصار يطرق باب كل واحد من السواكرة [ويستدعيه] ، فإذا خرج ورآه قبّل له الأرض وحلف له ، فما طلع الفجر حتى ركب معه سائر عسكره . وزحف [سمامون بعسكره] على دار المُلْك ، وأخرج(١) بيبرس العزى ومن معه إلى قوص ، وقبَض على الذى تملّك موضعه ، [وعرّاه من ثيابه] ، وألبسه جلد ثور كما ذُبح بعد ما قدّه سيوراً ولفّها عليه ، ثم أقامه مع خشبة (١٩١ ب) وتركه حتى مات ؛ وقتَل جريس [أيضاً] . وكتب [سمامون] إلى السلطان يسأله العفو ، وأنه يقوم بالبقط المقرر وزيادة ، وبعث رقيقاً وغيره تقْدِمَةً فقُبل منه ، [وأقرّه السلطان بعد ذلك بالنوبة(٢)] .

وفى ثانى عشرى جمادى الآخرة كُتب بالكشف على ناصر الدين بن المقدسى وكيل السلطان بالشام ، فظهرت له أفعال منكرة ، وقُبض عليه فى تاسع عشر رجب وضرب بالمقارع وألزم بمال . ثم رُسِم بحمله إلى القاهرة ، فوُجِد فى يوم الجمعة ثالث شعبان وقد شَنق نفسه ؛ [فحضر(٣) أولياء الأمر والقضاة والشهود وشاهدوه على تلك الصورة ، وكتبوا محضراً بذلك ، ودفن واستراح الناس من شرّه] .

وفى رابع رجب استقر الأمير عز الدين أيبك الموصلى فى تقدمة العسكر بغزة والساحل ، عوضاً عن الأمير آقسنقر كرتيه .

وفى شعبان خرج مرسوم السلطان ألا يُستخدم أحد من أهل الذمة — اليهود والنصارى — فى شىء من المباشرات الديوانية ، فصُرِفوا عنها .

وفيه ثار أهل عكا بتجار المسلمين وقتلوهم ، فغضب السلطان وكتب إلى البلاد الشامية بعمل مجانيق وتجهيز زردخاناه لحصار عكا . وذلك أن الظاهر بيبرس هادنهم ، فحملوا إليه وإلى الملك المنصور هديتهم فى كل سنة ؛ ثم كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على

(١) فى س " واخرجوا " .

(٢) أورد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٩٠ — ٢٩١) نص نسخة اليمين التى حلف عليها متملك النوبة للسلطان قلاون ، بعد استقراره نائباً عنه فى تلك البلاد .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٩١ ب) .

التجار ، فأخرج لهم السلطان الأميرَ شمس الدين سنقر المساح على عسكر ، ونزلوا اللَّجُّون[1] على العادة فى كل سنة ؛ فإذا بفرسان من الفرنج بعكا قد خرجت لحاربوهم ، واستمرت الحرب بينهم و بين أهل عكا مدة أيام . وكُتب إلى السلطان بذلك ، فأخذ فى الاستعداد لحربهم . فشرع [الأميرُ شمس[2] الدين] سنقر الأعسر فى عمل ذلك ، وقرّر على ضياع المرج وغوطة دمشق مالاً على كل رجل ما بين ألفى درهم إلى خمسمائة درهم ، وجبى أيضاً من ضياع بعلبك والبقاع . وسار إلى وادٍ بين جبال عكا و بعلبك لقطع أخشاب المجانيق ، فسقط عليه ثلج عظيم كاد أن يهلكه ، فركب وساق وترك أثقاله وخيامه لينجو بنفسه ، فطمّها الثلج و بقيت تحته إلى زمن الصيف ، فتلف أكثرها .

وفى سادس شوال أفرج عن الأمير الكبير علم الدين سنجر الحلبى ، فكانت مدة اعتقاله خمس سنين وتسعة أشهر وأياماً .

وفى آخر شوال برز السلطان بظاهر[3] [القاهرة ، ونزل بخيمه بمسجد تِبْر] ، يريد فتح عكا . فأصابه وعك فى أول ليلة وأقام يومين بغير ركوب ، ثم اشتد مرضه ، وصار الأشرف ينزل إليه كل يوم من القلعة ويقيم عنده إلى بعد العصر ويعود . فكثرت القالة وانتشرت حتى ورد الخبر بحركة العرب ببلاد الصعيد ، فأخرج النائبُ طرنطاىُ قراقوشَ الظاهرى والأميرَ . . .[4] أبا[5] شامة لتدارك ذلك . واشتد مرض السلطان إلى أن مات بمخيمه

(١) بغير ضبط فى س ، وهو بلد بالأردن على الحدود الشمالية لفلسطين ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، ومنه إلى الرملة أربعون ميلا ، وهو على مسافة عشرين ميلا أيضا من قيصرية الشام . انظر (Le Strange : Palest. Under Moslems. PP. 492, et seq) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩١ ب) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة فى هذا الصدد . وقد قام الأمير سنقر الأعسر على تجهيز لوازم تلك الحرب بصفته شاد ديوان الجيش بدمشق ، وكان السلطان قلاون قد فوض إليه تلك الوظيفة فى أوائل تلك السنة مع وظيفة شد الحصون بسائر النيابات الشامية والساحل ، فضلا عن وظيفة شد الدواوين بدمشق التى كانت بيده من قبل . (انظر ص ٧٥١ ، سطر ٧ — ١٠ ؛ والنويرى : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩١ ا) .

(٣) توجد بعد هذا اللفظ فى س سقطة قلمية واضحة ، وهى فى ب أيضاً (٢٢٩ ب) ، وقد أدركت بالإضافة التالية بين القوسين ، وهى من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٢ ا) . هذا وكان مسجد تبر المنزلة الأولى فى الطريق إلى الشام ، وموضعه قريب من المطرية . انظر ص ٦٨٤ ، حاشية ٣ .

(٤) بياض فى س .

(٥) فى س "ابو" .

تجاه مسجد تبر خارج القاهرة فى ليلة السبت سادس ذى القعدة ؛ فحمل إلى القلعة ليلاً ، وعادت الأمراء إلى بيوتها .

وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً ، وعمره نحو سبعين سنة . وترك ثلاثة أولاد ذكوراً : وهم الملك الأشرف خليل الذى مَلَك بعده ، والملك الناصر محمد ومَلَك أيضاً ، والأمير أحمد [وقد] مات فى سلطنة أخيه الأشرف . و [ترك من البنات] ابنتين : وهما التطمش وتعرف بدار مختار وأختها دار عنبر ، وزوجةً واحدة [وهى] أم الناصر محمد .

وناب عنه بمصر الأمير عز الدين أيبك الأفرم ثم استعفى ، فاستقر بعده حسام الدين طرنطاى حتى مات [السلطان] . و [كان] نائبَه بدمشق بعد سنقر الأشقر الأميرُ حسام الدين لاجين السلاح دار (١٩٢ ا) المعروف بالصغير ؛ ونوابه بحلب الأمير جمال الدين أقش الشمسى ، فلما مات [جمال الدين] استقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى ، وصُرِف بالأمير قرا سنقر الجوكندار . وناب عنه بحصن الأكراد بلبانُ الطباخى ، وبصفد علاء الدين الكبكى ، وبالكرك أيبكُ الموصلى ثم بيبرس الدوادار . ووَزَر له الصاحب برهان الدين خضر السنجارى مرتين ، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان ، ونجم الدين حمزة الأصفونى ، وقاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، ثم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى — وكان يلى شد الدواوين ، فإذا لم يكن فى الدولة وزير تحدّث فى الوزارة ، ثم استقلّ بالوزارة بعد الأصفونى ، وكان جباراً عسوفاً مهيباً [١] يجمع المال من غير وجهه ، فكرهه كل أحد وتمنّوا زوال دولة المنصور من أجله — ، ثم الأمير بدر الدين بيدرا ؛ ومات المنصور وبيدرا [٢] وزير .

وبلغت عدة مماليكه اثنى عشر ألف مملوك ، وقيل سبعة آلاف وهو الصحيح ، تأمّر

(١) فى س "مهابا" .

(٢) يلاحظ أن المقريزى ختم حكم السلطان قلاون ، من دون من تقدمه فى كتابه من السلاطين بمصر ، بذكر نوابه ووزرائه ؛ ولما كان النويرى قد عمل مثل ذلك فى نهاية الأرب (ج ٢٩ ، ص ٢٩٢ ا) ، فإن هنا قرينة لا يستهان بها فى تقرير اعتماد المقريزى على النويرى فى كتابة السلوك ، أو على مرجع مشابه له فى محتوياته وترتيبه .

منهم كثير ، وتسلطنت(١) جماعة . وكان قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص(٢) والجركس ، جعلهم فى أبراج القلعة وسماهم البرجية . وكان جميل الصورة مهيباً(٣) ، عريض المنكبين قصير العنق ، فصيحاً بلغة الترك والقبجاق ، قليل المعرفة بالعربية .

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفى الصالحى النجمى

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الأحد سابع ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ، وجدّد العسكر له الحلف فى يوم الاثنين ثامنه . وطلب [السلطان الملك الأشرف] من القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده بولاية العهد ، فأخرجه إليه مكتوبا بغير علامة الملك المنصور . وكان ابن عبد الظاهر قد قدّمه إليه(٤) ليعلّم عليه فلم يرض ، وتكرّر طلب الأشرف له ، وابن عبد الظاهر يقدّمه والمنصور يمتنع إلى أن قال له : "يا فتح الدين ! أنا ما أُوَلّى خليلا(٥) على المسلمين". فلما رأى الأشرف التقليد بغير علامة قال : "يافتح الدين ! إن السلطان امتنع أن يعطينى ، وقد أعطانى الله" ، ورمى إليه التقليد ، فما زال عند ابن عبد الظاهر .

ثم إن الأشرف خلع على سائر أرباب الدولة ، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة ثانى عشره بعد الصلاة ، وسيَّر إلى الميدان الأسود تحت القلعة بالقرب من سوق (١٩٢ ب) الخيل [والأمراء والعساكرُ فى خدمته(٦)] . وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعا ، فإنه

(١) فى س "تسلطن" .

(٢) كذا فى س بدون علامة المد على الألف ، وقد ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٦٥) موقع بلاد هذا القوم فى عبارة يفهم منها أنها تقع بالجزء الجنوبى من شبه جزيرة القرم ، بقرب ثغر كافا (Caffa) الذى كان من أكبر أسواق الرقيق الأبيض فى العصور الوسطى . انظر نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦٠ — ٤٦١ ، ٤٦٤ ؛ وكذلك (Heyd : Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age. II. P. 556).

(٣) فى س "مهابا" .

(٤) الضمير عائد على السلطان الملك المنصور قلاون .

(٥) فى س "خليل" .

(٦) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٣ ب) ، ويلاحظ أن عبارة السلوك هنا أيضاً مشابهة لما يقابلها فى نهاية الأرب .

بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاى يريد الفتك به إذا قرب من باب الإسطبل . فلما سيَّر أربعة ميادين(١) ، وقد وقف طرنطاى ومن وافقه عند باب سارية ، وحاذى السلطان باب الإسطبل ، وفى الظن أنه يعطف إلى نحو باب سارية ليكمل التسيير على العادة ، حرّك فرسه يريد القلعة وعبر من باب الإسطبل ؛ فساق طرنطاى بمن معه سوقا حثيثاً ليدركه ففاته . وبادر الأشرف بطلب طرنطاى ، فمنعه الأمير [زين الدين] كتبغا أن يدخل إليه وحذّره منه ، فقال : " والله لو كنت نائماً ما جسر خليل ينبهنى " ؛ وغرّه إعجابه بنفسه وكثرة أيام سلامته ، ودخل [ومعه الأمير زين الدين كتبغا] . فعند ما وصل إلى حضرة الأشرف قُبض عليه وعلى كتبغا وسجنا ؛ وقُتل طرنطاى فى يوم الاثنين خامس عشره — وقيل يوم الخميس ثامن عشره — بعد عقوبة شديدة ، وتُرك بعد قتله فى محبسه ثمانية أيام ، ثم أُخرج ليلة الجمعة سادس عشريه فى حصير على جنوية(٢) إلى القرافة ، فغسّل بزاوية أبى السعود وكفّنه شيخها صدقة عنه ، ودفنه بظاهر الزاوية ليلا . فلما تسلطن كتبغا نقله إلى مدرسته بالقاهرة ودفنه بها ، وهو إلى اليوم هناك .

وكان سببَ قتله كراهةُ الأشرف له من أيام أبيه ، فإن طرنطاى كان يطّرح جانب الأشرف ، ويهين نوابه ومن ينسب إليه ، ويرجّح أخاه الملك الصالح عليه . ولم يتلاف(٣) ذلك بعد موت الصالح ، بل جرى على عادته فى أهنة من ينسب إليه ، وأغرى الملكَ المنصور بشمس الدين بن السَّلْعُوس(٤) ناظر ديوان الملك الأشرف حتى ضربه وصرفه . ثم وُشِى به [إلى الأشرف] أنه يريد القبض عليه عند ركوبه [إلى] الميدان ، ويقال إنه لما دخل عليه(٥)

(١) الميادين جمع ميدان ، ومعناه هنا تسيير الخيل وترقيصها (évolutions á cheval) فى الميدان ، وقد ذكر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن جمعه الاصطلاحى موادين .

(٢) بغير ضبط فى س ، أو فى المراجع المذكورة فى هذه الحاشية ، وهى النقالة التى تستخدم لنقل الجرحى والموتى ؛ وقد ترجمها (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 113) إلى (Civière) ، أى النقالة التى تستخدم للأغراض المذكورة ، وترجمها (Dozy : Supp. Dict. Ar.) إلى (palissade) ، أى السياج الذى يعمل من مخازق الخشب ، ويسمى الحسيكة أيضاً .

(٣) فى س " يتلافى " .

(٤) بغير ضبط فى س ، انظر (Zetterstéen : Beitrage. Index) ، حيث ورد هذا الاسم " ابن سعلوس " ، بغير أداة التعريف دائما .

(٥) فى س " على الاشرف " .

وُجد لابساً عدة الحرب . وعند ما قُبض على طرنطاى نزل الشجاعى — وكان عدوّه — إلى داره ، وأوقع الحوطة على موجوده ، فوَجد له من الذهب العين ألف ألف وستمائة ألف دينار مصرية ، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصرى ، ومن العُدد والقماش والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال ، والآلات والأملاك والنحاس المُكفّت[1] والمُطعّم[2] ، والزردخاناه والسروج واللجم ، وقماش الطشتخاناه والركاب خاناه والفراش خاناه ، والحوائص[3] والبضائع والمقارضات والودائع ، والقنود[4] والأعسال ، ما لا يحصر .

(١١٩٣) ولما حملت أموال طرنطاى إلى الأشرف قال : "من عاش بعد عدوّه يوما فقد بلغ المنى" . وبعد أيام من مقتل طرنطاى سُئل[5] ولدُه الحضور ، فلما وقف بين يدى الأشرف إذا هو أعمى ، فبكى ومدّ يده كهيئة السؤال وقال : "شيء لله" ، وذكر أن

---

(١) النحاس المكفت هو المطلى سطحه كله أو جزء منه فقط بمعدن آخر يكون ثمينا ، كالذهب والفضة . (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 114. N. 1) . غير أن المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠٥) يقول فى باب سوق الكفتيين ، أن الكفت "هو ما تطعم به أوانى النحاس من الذهب والفضة" ، أى أن التكفيت هو التطعيم (انظر الحاشية التالية) . وقد ذكر المقريزى أيضا (نفس المرجع والجزء والصفحة) أنه "كان لهذا الصنف من الأعمال بديار مصر رواج عظيم ، وللناس فى النحاس المكفت رغبة عظيمة ... ... فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ، ولا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت" . والدكة عبارة عن شيء شبه السرير ، يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون ؛ وفوق الدكة دست (كذا) طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض ، تبلغ كبراها ما يسع نحو الأردب من القمح ، وطول الأكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض أصبعين ؛ ومثل ذلك دست أطباق عدتها سبعة ، بعضها فى جوف بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر ؛ وغير ذلك من المناير (كذا) والسرج وأحقاق الأشنان ، والطشت والإبريق والمبخرة ؛ فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتى دينار ذهبا . وكانت العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب وأماثل التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك : دكة من فضة ، ودكة من كفت ، ودكة من نحاس أبيض ، ودكة من خشب مدهون ، ودكة من صينى ، ودكة من بلور ، ودكة كداهى (كذا) ، وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين ..." .

(٢) النحاس المطعم هو المنقوش (incrusté) بخيوط من الذهب أو الفضة ، أو هما معا (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 114, N. 2) ، وقد يطعم الخشب بالأبنوس أو العاج ، كما تقدم بالحاشية السابقة (سطر ١٦) .

(٣) يوجد قبالة هذا اللفظ بهامش الصفحة فى س كلمة تكاد تقرأ "والوشحاناه" .

(٤) فى س "القنود" ، وقد ظنها ناسخ ب (٢٣٠ ب) "القيود" .

(٥) فى س "سال" .

لأهله أياما ما عندهم ما يأكلون . فرقّ له [السلطان] ، وأفرج عن أملاك طرنطاى ، وقال : "تبلَّغوا بريعها" .

وفيه وُلِّىَ شرف الدين الحسن بن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق ، بعد موت نجم الدين أحمد بن قدامة . وتحدَّث الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى النيابة بعد طرنطاى ، من غير أن يُخلع عليه ، ولا كُتب له تقليد النيابة . ثم استقرّ فى نيابة السلطنة الأميرُ بدر الدين بيدرا ، وخُلع عليه .

وفى تاسع عشر ذى القعدة طُلب الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بالشام ، فحضر فى ذى الحجة ، فأمر الأشرف بضربه فعوقب مراراً . واستقرّ عوضَه سيفُ الدين طوغان المنصورى ، وأعيد تقى الدين توبه إلى وزارة الشام ، فأوقع الحوطة على موجود سنقر الأعسر.

وفيه أُحضر الأمير بدر الدين بكتوت العلائى من حمص إلى القاهرة ، وتوجه الأمير حسام الدين سنقر الحسامى بتقليد الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام واستمراره على عادته ، فوصل فى ثامن عشره .

و [فى هذه السنة[١]] أكثر السلطان من تفرقة الأموال ؛ وأبطل [عدّة] حوادث[٢] ، [و] منها ما [كان قد] تجدّد على الغلة ببلاد الشام ، وسامح ما تأخر من البواقى[٣] بأرض مصر والشام .

ومات فيها من الأعيان قاضى الحنابلة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ، عن نحو أربعين سنة بدمشق . وتوفى قاضى الشافعية بحلب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى ، عن أربع وستين سنة بدمشق . وتوفى رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل ابن مسعود الفارقانى الشافعى ، عن تسعين سنة ، خارج دمشق مخنوقا . وتوفى عز الدين

---

(١) ليس لما بين القوسين وجود فى س ، لكنه فى ب (٢٣١ أ) .

(٢) الحوادث جمع حدث ، وهى المكوس التى لا تستند إلى قانون شرعى (Les impôts qui ne sont pas autorisé par la loi) انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) البواقى هى ما يتأخر عند الناس من أموال الخراج . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٢) .

أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميرى الديرينى[١] الشافعى . وتوفى فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن عز القضاة ، بدمشق عن ستين سنة . وتوفى المحدّث شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى بكر بن المحدّث الرسعنى الحنبلى ، غريقاً بنهر الأردن ، وهو عائد من مصر لدمشق ، عن ثمان وستين سنة .

وفيها كانت حرب بين أمير الركب القارقانى و بين أهل مكة عند ورود الثّنِيَّة[٢] ، قُتل فيه رجل من بنى حسن . ثم قدم أبو خرص يبشّر بسلطنة الأشرف خليل ، فكانت وقعة أخرى بعد الحج ، فبادر الحجاج إلى الرحيل وخرجوا سالمين .

* * *

سنة تسعين وستمائة . فى سادس المحرم أُفرِج عن الملك العزيز فخر الدين عثمان ابن المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابن أيوب ، وكان قد اعتقله الملك الظاهر بيبرس فى رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وستين ، فأقام فى الاعتقال عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما . ورَتّب [الأشرف] له مايقوم بحاله ، ولزم داره [واشتغل بالمطالعة والنسخ ، وانقطع عن[٣] السعى إلا للجمعة أو الحمام أو ضرورة لابد منها] .

وفيه كَتب الأشرف إلى شمس الدين محمد بن السَّلْعُوس وهو بالحجاز كتابا ، وكَتب بخطه بين الأسطر : "يا شقير[٤] ! يا وجه الخير ! عجّل السير فقد مَلَّكْنا" . فلما أتاه الكتاب وهو عائد من الحج انضم الناس إليه ، وتودّدوا له وبالغوا فى إكرامه ، حتى وصل قلعة الجبل يوم عاشوراء .

---

(١) بغير ضبط فى س ، أو فى المراجع المذكورة بهذه الحاشية ، والنسبة إلى ديرين — أو درين كما فى فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٦٠ — وهى قرية بمركز طلخا شرقى نبروه بمديرية الغربية . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١١ ، ص ٧٢) .

(٢) يوجد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٣٥ ، وما بعدها) موضعان بهذا الاسم قرب مكة ، وهما ثنية أم قردان والثنية البيضاء .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٤ أ) .

(٤) كذا فى س ، وكذلك فى النويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٤ ب) ؛ وهو فى ب (٢٣١ ب) "يا سفير" ، وقد ترجمه (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 117) إلى مرادف هذا المعنى " O voyageur " .

وكان الأمير سنجر الشجاعى قد تحدث فى الوزارة منذ تسلطن الأشرف ، من غير أن يَخْلع عليه ولا كتَب له تقليداً ؛ فلما كان يوم (١٩٣ ب) الخميس ثانى عشره استقر ابن السلعوس فى الوزارة ، وخُلع عليه وفُوّض إليه سائر أمور الدولة ، وجُرّد معه عدة من المماليك السلطانية يركبون فى خدمته ويترجّلون فى ركابه ، ويقفون بين يديه ويمتثلون أمره . فتمكّن تمكُّناً لم يتمكنه وزير قبله فى الدولة التركية ، وصار إذا أراد الركوب إلى القلعة اجتمع ببابه نظار الدولة ومشد الدواوين ، ووالى القاهرة ومصر ، ومستوفو[1] الدولة ونظار الجهات ومشدو[2] المعاملات ، ونحوُهم من الأعيان . ثم يحضر قضاة القضاة الأربعة[3] وأتباعهم ، فإذا تكامل الجميع ببابه دخل إليه حاجبه وقال : "أعز الله مولانا الصاحب ، قد تكمّل الموكب" ؛ وكان علامةَ تكملة الموكب ببابه حضورُ القضاة الأربعة[4] ، فيخرج حينئذ ويركب والناس سائرون بين يديه على طبقاتهم : فأقربهم إليه قاضى القضاة الشافعى وقاضى القضاة المالكى ، ومسيرهما معاً بين يديه أمام فرسه ، وقُدّام المذكورَين قاضى القضاة الحنفى وقاضى القضاة الحنبلى ، ثم نظار الدولة ثم المستوفون[5] بالدولة ثم نظار الجهات على قدر مراتبهم ؛ فلا يزالون حتى يستقر بمجلسه من قلعة الجبل فينصرف القضاة ، ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة ، ويركبون معه إلى أن يصل داره .

واتفق ليلةً أنه تأخر فى القلعة إلى عشاء الآخرة وأُغلق باب القلعة ، فانقلب الموكب إلى جهة باب الإسطبل ، ووقف القضاة على بغلاتهم بظاهر باب الإسطبل حتى خرج وساروا فى خدمته إلى داره ، ولم يجسر أحد أن يتأخر قط عن الركوب فى موكبه ؛ وكان مع ذلك لاينتصب قائماً لأحد . ولما عظُم موكبه وصار الأكابر يزدحمون فى طول الشارع بالقاهرة ، ويضيق بهم لكثرة من معه ، وتزدحم الغلمان أيضاً ، تحَوّل من القاهرة وسكن بالقرافة . وتعاظم فى نفسه واستخف بالناس ، وتعَدَّى طَوْرَ الوزراء ، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائماً لأحد منهم ، ومنهم من لا يلتفت إليه ؛ وإذا استدعى أميراً

(١) فى س "مستوفين" .
(٢) فى س "مشدين" .
(٣ ، ٤) فى س "الاربع" .
(٥) فى س "المستوفين" .

قال : " فلان أمير جاندار ، أو فلان الأستادار " ، باسمه من غير نعته . ثم ترقى حتى استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا ، وعارضه وتحدّث فيما يتحدّث فيه ، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه .

واتفق أنه قام يوما (١٩٤ ا) من مجلس الوزارة بالقلعة يريد الدخول إلى الخزانة ، فصادف خروج الأمراء من الخدمة مع النائب بيدرا ، فبادر الأمراء الأكابر إليه وخَدَمُوه[١] وقبَّل بعضهم يده ، وفسحوا بأجمعهم له وهموا بالمشى قدامه ، فأشار إليهم أن ينصرفوا . فلما وطئ عتبة باب القلعة برجله وافى هناك الأمير بيدرا ، [و] سَلّم كل منهما على الآخر وأومأ بالخدمة ، إلا أن النائب بيدرا خدم الوزيرَ أكثر مما خدمه الوزيرُ . فرجع بيدرا معه ولم يكن يسامته فى المشى ، بل كان النائب يتقدمه قليلا ويميل بوجهه إليه إذا حدثه الوزير ، حتى انتهيا إلى باب الخزانة . فأمسك ابن السلعوس بيد بيدرا النائب ، وأشار إليه بالرجوع ، وقال . " بسم الله يا أمير[٢] بدر الدين ! " ، [و] لم يزده على ذلك .

وفى هذا الشهر قدمت رسل عكا يسألون العفو ، فلم يُقبل منهم ما اعتذروا به . وقدم أمراء العربان من كل جهة : فقدم الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل ، وسابق الدين عبية أمير بنى عقبة ، وقدّما التقادم ، فأنعم عليهم [جميعاً] وأعيدوا . وقدم [الملك المظفر[٣]] صاحب حماة ، فحُمل إليه ما جرت به العادة ، وكُتب تقليده .

[وفى يوم[٤] الجمعة] سابع صفر قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير

(١) المقصود بهذه العبارة أن الأمراء تقدموا نحو الوزير ابن السلعوس وأدوا له التحية المناسبة لمقامه ، وهذا الاستعمال الاصطلاحى لفعل " خدم " ومشتقاته كثير الورود فى كتب المؤرخين بمعنى التحية ؛ وكان للخدمة فى حضرة السلطان صيغ كثيرة ، منها الإيماء باليد اليمنى إلى الأرض ، وخفض الرأس نحو الركوع ، وتقبيل الأرض سجوداً ، ومس الأرض بالأصابع خمس مرات . ويأتى فعل " خدم " أيضاً بمعنى أهدى وقدم ، فيقال " خدم فلان الخليفة بمصحف جليل وقطعة بلخش " ، و" خدم فلان من ماله الخزانة السلطانية بثلاثمائة ألف دينار " . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 119. N. 7.) .

(٢) فى س " يامر " .

(٣) موضع ما بين القوسين بياض فى س ، وقد أضيف ما بينهما من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٥ ب) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٥ ا) .

جرمك الناصرى . وعُدَّ على سنقر الأشقر أنه أفشى سرَّ طرنطاى حتى قُبِض عليه ، بعد ما أحسن إليـه طرنطاى غاية الإحسان ، ومنع الملكَ المنصور من القبض عليه مراراً ، فلم يَرْعَ له ذلك . وفيه[1] أفرج عن الأمير كتبغا وأعيد إلى إمرته ، وأنعم عليه إنعاما زائداً .

و[فى هذا الشهر[2]] شرع السلطان فى الاهتمام بفتح عكا ، و بعث الأميرَ عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار إلى الشام لتجهيز أعواد المجانيق[3] ، فقدم دمشق فى سلخه . [وجهزت أعواد المجانيق من دمشق] ، و برزت فى أول ربيع الأول وتكاملت فى ثانى عشره ، وسار بها الأمير علم الدين سنجر الدواداري أحد أمراء الشام ؛ ثم فُرِّقت على الأمراء مقدمى الألوف ، [فتوجه كل أمير ومضافيه بما أُمِر بنقله منها] . وتوجه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بالجيش من دمشق فى العشرين منه ؛ وخرج من القاهرة الأمير سيف الدين طغريل الأيغانى إلى استنفار الناس من الحصون بممالك الشام : فوصل المظفر صاحبُ[4] حماة إلى دمشق فى ثالث عشريه ، بعسكره و بمجانيق وزردخاناه ؛

(١) الضمير عائد على يوم الجمعة السابق ذكره فى سطر ١٧ ، ص ٧٦٢ ، والعمدة فى هذا على النويرى (نهاية الأرب ج ٢٩ ، ص ٢٩٥ أ) .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٢٩٦ ب) .

(٣) فى س " المناجنيق " .

(٤) رافق المؤرخ أبو الفداء قريبه المظفر صاحب حماة فى هذه الحملة ، وقد أثبت فى مؤلفه (المختصر فى أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٢٥ — ٢٦) ما قام به وما شاهده من وقعة عكا ، وهو يوضح كثيراً من أساليب الحرب فى تلك العصور ومن تفاصيل القتال فى الموقعة نفسها ، ونصه : "فى هذه السنة فى جمادى الآخرة فتحت عكا ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الأشرف سار بالعساكر المصرية إلى عكا ، وأرسل إلى العساكر الشامية وأمرهم بالحضور ، وأن يحضروا صحبتهم المجانيق ؛ فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل وسائر عسكر حماة صحبته إلى حصن الأكراد ، وتسلمنا منه منجنيقاً عظيما يسمى المنصورى حمل مائة عجلة ، ففرقت فى العسكر الحموى ، وكان المسلم إلى منه عجلة واحدة ، لأنى كنت إذ ذاك أمير عشرة . وكان سيرنا بالعجل فى أواخر فصل الشتاء ، واتفق وقوع الأمطار والثلوج علينا بين حصن الأكراد ودمشق ، فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة . وسرنا بسبب العجل من حصن الأكراد إلى عكا شهراً ، وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة . وكذلك أمر السلطان بجر [المجانيق وآلات الحصار من جميع الحصون إليها ، فاجتمع على عكا من] المجانيق الكبار والصغار ما لم يجتمع على غيرها . وكان نزول العساكر الإسلامية عليها فى أوائل جمادى الأولى من هذه السنة ، واشتد عليها القتال . ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها ، بل كانت (ص ٢٦) مفتحة وهم يقاتلون فيها . وكانت منزلة الحمويين برأس الميمنة على عادتهم ، فكنا على جانب البحر ، والبحر عن يميننا إذا واجهنا عكا . وكان يحضر إلينا مراكب مقبية بالخشب الملبسين جلود الجواميس ، وكانوا يرموننا منها بالنشاب والجروخ . وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة ، ومن جهة يميننا من البحر . وأحضروا =

ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب الفتوحات بعساكر الحصون وطرابلس، وبالمجانيق والزردخاناه فى رابع عشريه؛ وسار جميع النواب بالعساكر إلى عكا.

و[أما السلطان الملك الأشرف، فإنه لما[1] عزم على التوجه إلى عكا] أمَرَ بجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بالقبة المنصورية بين القصرين من القاهرة عند قبر أبيه، فى ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر؛ فباتوا هنالك وعُمل مهمٌّ عظيم. وحضر الأشرف (١٩٤ ب) بكرة يوم الجمعة إلى القبة المنصورية، وتصَدَّق بجملة كبيرة من المال والكساوى، وفرّق على القراء والفقراء مالاً كثيراً، وفرّق فى أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط مالاً وثيابا، وعاد إلى القلعة.

وفى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول توجه السلطان بالعساكر يريد أخْذ عكا، وسيّر حريمه إلى دمشق فوصلوا إليها فى سابع ربيع الآخر؛ وسار السلطان فنزل عكا فى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، ووصلت المجانيق[2] يوم[3] ثانى وصوله وعدّتها اثنان وتسعون منجنيقاً، فتكامل نصبها فى أربعة أيام، وأقيمت الستائر[4] ووقع الحصار. وقد أتت جمائع الفرنج [إلى عكا] أرسالاً من البحر، وصاربها عالَم كبير. فاستمر الحصار إلى سادس عشر جمادى الأولى، وكثرت النقوب بأسوار عكا. فلما كان يوم الجمعة سابع عشره عزم

= بطسة وفيها منجنيق يرمى علينا وعلى خيمتنا من جهة البحر، فكنا منه فى شدة عظيمة، حتى اتفق فى بعض الليالى هبوب رياح قوية، فارتفع المركب وانحط بسبب الموج، وانكسر المنجنيق الذى فيه بحيث أنه انحطم ولم ينصب بعد ذلك. وخرج الفرنج فى أثناء هذا الحصار بالليل وكبسوا العسكر وهزموا اليزكية، واتصلوا إلى الخيام وتعلقوا بالأطناب، ووقع منهم فارس فى جوبة مستراح بعض الأمراء فقتل هناك؛ وتكاثرت عليهم العساكر فولى الفرنج منهزمين إلى البلد، وقتل عسكر حماة عدة منهم. فلما أصبح الصباح علق الملك المظفر صاحب حماة عدة من رءوس الفرنج فى رقاب خيلهم التى كسبها العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف. واشتدت مضايقة العسكر لعكا حتى فتحها الله تعالى لهم، فى يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف ... ...".

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢٩٥ ب)، وقد تطلبت هذه الإضافة تعديلا طفيفا فى المتن، ونصه فى س كالآتى: "وامر السلطان بجمع العلما ...".

(٢) فى س "المناجنيق". (٣) كذا فى س.

(٤) تقدم شرح لفظ الستائر فى ص ١٠٢ (حاشية ٣)، ويضاف هنا — زيادة فى التعريف بها — أنها كانت تعمل أحياناً من اللبود (feutre)، بطول المكان الذى يراد رميه بالمقذوفات كستر للرماة، كما أنها كانت تصنع من الخشب كما تقدم بالحاشية المشار إليها. انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد، ص ٣٨٠؛ وبيبرس المنصورى: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٦٩ ب — ١٧٠ أ).

السلطان على الزحف ، فرتّب كوساته على ثلاثمائة جمل ، وأمر أن تُضْرب كلها دفعة واحدة . وركب [السلطان] وضُربت فهال ذلك أهل عكا ، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس ، فلم ترتفع الشمس حتى علت الصناجق الإسلامية على أسوار عكا . وهرب الفرنج فى البحر وهلك منهم خلق كثير فى الازدحام ، والمسلمون يَقتلون ويَأسرون وينهبون فقتلوا ما لا يحصى عدّه كثرة ، وأخذوا من النساء والصبيان ما يتجاوز الوصف . وكان عند فتحها [أن] أقبل من الفرنج نحو عشرة آلاف فى هيئة مستأمنين ، ففرّقهم السلطان على الأمراء فقتلوهم عن آخرهم[1] .

وكانت مدة حصار عكا أربعة وأربعين يوما ، واستشهد من المسلمين الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى — ودفن بجُلْجُولِيّة[2] ، وعز الدين أيبك العزى نقيب العساكر ، وسيف الدين أقش الغمتى ، وبدر الدين بيليك المسعودى ، وشرف الدين قيران السكزى ، وأربعة من مقدمى الحلقة وجماعة من العسكر .

وفى يوم السبت ثامن عشره وقع الهدم فى مدينة عكا ، فهدمت الأسوار والكنائسُ وغيرها وحرّقت ، وحمل كثير من الأسرى بها إلى الحصون الإسلامية .

وفتحت صور وحيفا وعثليث[3] وبعض صيدا بغير قتال ، [و] فرّ أهلها خوفا على أنفسهم ، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى بقية جمادى الأولى . فقدمت البشائر بتسليم مدينة صور (١١٩٥) فى تاسع عشره ، وبتسليم صيدا فى العشرين منه ، وأن طائفة

(١) يوجد فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٦٨ ب — ١٧٠ ب) وصف شاهد عيان آخر لموقعة عكا ، وهو لا يقل عن الوصف السابق أهمية من حيث تفاصيل ناحية ثانية من الموقعة ، ومن حيث التفصيلات الخاصة بوسائل الحرب عامة . انظر ملحق رقم ١٠ ، فى آخر هذا الجزء .

(٢) بغير ضبط فى س . انظر ص ٥٣٤ ، سطر ٧ .

(٣) يوجد فوق هذا اللفظ فى س إشارة إلى لَحَق بهامش الصفحة ، وهو غير منسجم مع عبارة المتن ، ولذا رؤى إيراده هنا رغم وجوده بالمتن فى ب (٢٣٣ أ) ، ونصه : "فتسلم السلطان عثليث فى مستهل شعبان ثم أنطرسوس فى خامسه ؛ ووجد بمدينة عكا ناووس فى كنيسة وهو من رخام أحمر ، وفى وسطه لوح كبير من رصاص مكتوب فيه بالقلم الرومى عدة أسطر ، فأخذه الأمير علم الدين سنجر الدواداری ، وتتبع من يقرؤه حتى وجده ، فإذا فيه أنه يدوس هذه الأرض رجال أمة نبى من العرب له شريعة ، ويقهر من يعاديه ويكون دينه أعظم الأديان ، وتملك أمته جميع أقاليم الفرس وسائر طوائف الروم ، وإذا قربت سنة سبعمائة ملكت أمته سائر بلاد الإفرنج ، وتخرب الكنائس ؛ وفيه خمسة أسطر مطموسة ، وقرئ بحضرة السلطان فى دمشق" .

من الفرنج عصوا فى برج منها . فأمر [السلطان] بهدم صور وصيدا وعثليث وحيفا ، فتوجه الأمير شمس الدين نبا[1] الجقدار[2] بن الجقدار[3] فى حادى عشريه لهدم صور . واتفق أمر عجيب : وهو أن الفرنج لما قدموا إلى صور كان بها عز الدين نبا والياً عليها من قِبل المصريين ، فباع صور للفرنج بمال ، وصار إلى دمشق . فقدر الله خرابها على يد الأمير شمس الدين نبا بن الجقدار[4] . واتفق أيضاً أن الشيخ شرف الدين ....[5] البوصيرى رأى فى منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلا ينشده :

قد أخذ المسلمون عكا وأشبعوا الكافرين صَكّا
وساق سلطاننا إليهم خيلا تدك الجبال دكّا
وأقسم الترك منذ سارت لا تَرَكوا للفرنج مُلْكا

فأخبر بذلك جماعة ، ثم سار الأشرف بعد ذلك وفتح عكا وخربها ، ولم يدع فى بقية الساحل أحداً من الفرنج . وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى ذلك :

يابنى الأصفرِ[6] قد حَلّ بكم نقمة الله التى لا تنفصلْ
قد نزل الأشرف فى ساحلكم فابشروا منه بصفع متصل

(١) كذا فى س أكثر من مرة ، انظر سطر ٣ ، ٥ .

(٢) فى س " الجقدار " بالحاء ، وليس فى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ، أو بالكتب المؤلفة فى أنظمة دولة المماليك ، كالعمرى والنويرى والقلقشندى وابن شاهين والخالدى ، مايدل على وظيفة بهذا الاسم فى بلاط السلاطين . انظر الحاشية التالية لشرح لفظ جقدار .

(٣) الجقدار هو الذى يمشى فى المواكب السلطانية عن يمين السلطان ، ويحمل دبوساً (massue) له رأس ضخم مذهب ، ومن واجباته أن يكون نظره متجهاً إلى السلطان من أول خروج الموكب إلى انفضاضه . هذا ولفظ الجقدار مركب من كلمتين ، أولاهما تركية وهى جق ومعناها الدبوس (massue) ، والثانية فارسية وهى دار ومعناها ممسك ، فيكون الجقدار حامل الدبوس . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) فى س " الحقدار " .

(٥) بياض فى س .

(٦) أطلق المؤرخون المسلمون هذه التسمية على الدولتين الرومانية والبيزنطية وأهلهما ، وقصدوا بالأصفر كل ما هو غير أسود من الأمم ، ثم استعملوا هذه التسمية للدلالة على مسيحيى أوربا جميعا ولا سيما أسبانيا ، وقد قصر هذا الاستعمال فى العصور الحديثة على أهل الروسيا . انظر (Enc. Isl. Art. Aṣfar) . راجع أيضا القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٨٢ ، ٤٠٦ ، ج ٦ ، ص ٨٧) ، حيث ورد أن الدولة الرومانية القديمة كانت تعرف ببنى الأصفر ، نسبة إلى " نهر الصفر " الذى قال عنه إن روما واقعة عليه .

وقد أكثر الشعراء فى ذكر هذا الفتح ، وقال الشهاب محمود الحلبى كاتبُ الإنشاء لما عايَنَ النِّيران فى جوانب عكا ، وقد تساقطت أركانها :

مررتُ بعكا بعد تخريب سورها وزَنْدُ أُوار النار فى وسْطها وَارِى
وعاينتها بعد التنصر قد غـدت مجوسـية الأبراج تسجد للنار

وقال ابن ضامن الضبع بعكا :

أَدُمَى[1] الكنائس إن تكن عبثت بكم أيدى الليالى أو تغـيَّرَ حالُ
فلطالما سجدت لَكُنَّ فوارس شمُّ الأنوف جحاجح أبطالُ
فعزاء عن هـذا المصاب فإنه يوم بيوم والحـروبُ سجالُ
هذا بذاك ولا نُعَـيِّر دهرنا ولكل دهرٍ دولة ورجالُ[2]

وفى هذه المدة وَشى الأميرُ علم الدين سنجر الحموى — المعروف بأبى خرص — إلى السلطان بالأمير حسام الدين لاجين نائب الشام ، ثم أوهم لاجين بأن السلطان يريد القبض عليه . فركب [لاجين] من الوطاق بعكا ليلا يريد الفرار ، فساق خلفه الأمير علم الدين سنجر الدواداری وأدركه ، وقال له : " بالله لا تكن السبب فى هلاك المسلمين ، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا ، وإن بلغ الفرنجَ فرارُك ، وأن العسكرَ قد ركب خلفك قويت نفوسهم وفتر الحصار " ؛ فرجع معه وظنّ أن الأمر لا يبلغ السلطان ، وكان ذلك فى ثامن جمادى الأولى . فلما كان فى صبيحة هـذه الليلة خلع السلطان عليه وطيّب خاطره ، ثم قبض عليه فى ثانى يوم الخلعة ، وبعثه إلى قلعة صفد ، ثم حمل إلى (١٩٥ ب) قلعة الجبل بمصر .

ورحل السلطان إلى دمشق ، فدخلها فى ثانى عشر جمادى الآخرة ، وقد زينت دمشق منذ فتحت عكا فكان يوما عظيما . وفيه استقر الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى نيابة دمشق ، وزاد [السلطان] فى إقطاعه ورواتبه عما كان لنواب الشام ، وأذن له أن

(١) مضبوط هكذا فى س .

(٢) أورد بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٠ ب — ١٧١ ب) قصيدة فى هذا الصدد أيضا ، وهى من نظم بدر الدين محمد بن أحمد بن عمر المنبجى البزاز بالقاهرة ، وهذه القصيدة وكثير غيرها وارد بالنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٦ أ — ٢٩٧ ب) .

يطلق من الخزائن ما أراد من غير مشاورة ، وجعل له فى كل يوم ثلاثمائة درهم على دار الطُّعْم[١] . واستقر أيضاً الأمير جمال الدين أقش الأشرفى فى نيابة الكرك ، عوضاً عن ركن الدين بيبرس ؛ ونقل بيبرس إلى إمرة[٢] بمصر . وقبض أيضاً على الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب قلعة دمشق ، وضُرب بحضرة السلطان ضربا كثيراً ، وأُلبس عباءة[٣] واستُعمل مع الأسرى فى العمل ؛ وأُخرق به وأهين إلى الغاية ، ووقعت الحوطة على موجوده ، ثم حُبس بالقلعة ؛ ثم حمل على البريد إلى مصر ، ثم رُدَّ من أثناء الطريق بشفاعة بعض الأمراء وأفرج عنه ، ثم أعيد لنيابة القلعة . وسبب هذا أن الأمير شرف الدين بن الخطير كان يمزح بحضرة السلطان مع الأمراء ، ويومئ إليه السلطان بذلك فيُحتمل منه ما يتكلم به ؛ وكان أرجواش على النمط الأول من البعد عن المجون ، فقال له ابن الخطير وهو واقف بين يدى الأشرف : "يا مولانا السلطان ! كان عند والد المملوك[٤] ببلاد الروم حمار أشهب أعور ، أشبه شيء بهذا الأمير علم الدين أرجواش" ؛ فضحك الأشرف ، وغضب أرجواش وقال هذه صبيانية ، فحنق منه الأشرف وعمل ما ذكر .

وفى ثامن عشره عزل طوغان عن شد الدواوين بدمشق ، وعيد إلى ولاية البر ؛ واستقر سنقر الأعسر فى شد الدواوين بدمشق .

وفى ثانى رجب عزل تقى الدين توبه عن وزارة دمشق ، واستقر فيها محيى الدين بن النحاس ، ومُنع أن يقال له وزير ولكنْ ناظر[٥] الشام . وفى ثامن عشره استقرَّ شرف الدين

(١) عرَّف القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٧) هذه الدار التى كانت بدمشق ، بأنها كانت بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، وكان لها مشد يوليه نائب دمشق من بين أمراء العشرات أو مقدمى الحلقة أو الأجناد .

(٢) كانت هذه النقلة بناء عن رغبة بيبرس نفسه ، وقد أشار إلى ذلك فى كتابه (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٢ ب) فى العبارة التالية : "ورسم [السلطان] لى بالمسير إلى الكرك ، فسألته أن أكون فى خدمته وأعود فى ركابه وصحبته ، واعتفيت من العود إلى الكرك فأجاب إلى الإعفاء من العود إليها ، (١٧٣ أ) ورتب الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائبا عن السلطنة فيها" .

(٣) العباءة معطف قصير الأكمام ، ومن معانيها القماش (الجل) الذى يغطى به ظهر الجمل أو الحصان (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، ولعل هذا المعنى الثانى هو المقصود هنا ، أو لعل المقصود لباس كان يلبسه الفعلة لتعبئة التراب .

(٤) قصد ابن الخطير بهذا النعت نفسه .

(٥) راجع ص ٧١٥ ، حاشية ٤ .

أحمد بن عيسى بن السيرجي فى حسبة دمشق ، وعزل تاج الدين بن الشيرازى .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره سار السلطان من دمشق إلى مصر ، فدخل إلى القاهرة من باب النصر فى بكرة يوم الاثنين تاسع شعبان . وخرج من باب زويلة إلى القلعة وقد زُينت قبل وصوله بأيام ، فكانت زينة لم يسمع بمثلها ، وكثر سرور الناس وامبهم .

وكان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام قد سار فى رابع رجب إلى صيدا ، وحاصر البرج حتى فتحه فى خامس عشره ، وعاد إلى دمشق يوم رحيل السلطان منها . ثم توجه إلى بيروت ، فتلقاه (١١٩٦) أهلها طائعين فنزل بقلعتها ، وقبض على الرجال وقيّدهم وألقاهم فى الخندق ، وافتتحها فى ثالث عشرى رجب ، وعاد إلى دمشق فى سابع عشرى رمضان ؛ ولم يبق فى جميع الساحل من الفرنج أحد .

وفى شعبان أوْقف الملك الأشرف على القبة المنصورية بين القصرين من قرى عكا الكابِرَة وتل الميشوح وكِرْدانة ، ومن ساحل صور مَعْرَكة وصَرِيفين . وأوْقف أيضاً على المدرسة الأشرفية بجوار السيدة نفيسة قرية الفَرَح من عكا ، وقرية شعر عمر وقرية الحمراء منها ، ومن ساحل صور قرية طبرينة[١] .

وفى ثامن عشره أفرج [السلطان] عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى ، [وكان السلطان الملك المنصور[٢] قلاون قد اعتقله فى أوائل دولته كما تقدّم ذكره ، فأفرج الأشرف عنه] . وكُتب إفراجه وجعل فى كيس حرير أصفر ، وخُتم عليه بخاتم السلطان ، وتوجّه به إلى الجب[٣] الأميرُ بدر الدين بيدرا النائب والأميرُ زين الدين كتبغا وعدة من الأمراء ، وأخرجوه وقرأوا عليه[٤] الإفراج ، وأحضروا تشريفةً وهمّوا بكسر

(١) يوجد بين صيغ هذه الأسماء هنا وبين مايقابلها فى ترجمة (Quatrèmere : Op. Cit. II. 1. P. 131) خلاف جوهرى ، وقد اكتفى بضبط ما ليس فيه خلاف بين المرجعين فحسب .

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٨ ب) ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحادث فى ص ٧٠٦ ، سطر ٥ .

(٣) الجب بئر بقلعة الجبل ، وقد وصفه المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٣) بأنه الجب الشنيع لسجن الأمراء ، وأنه كان مهولا مظلما كثير الوطاويط كريه الرائحة ، يقاسى المسجون فيه ما هو كالموت أو أشد منه ؛ وقد بدأه السلطان قلاون سنة ٦٨١ هـ ، ولم يزل يستخدم لذلك الغرض حتى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون .

(٤) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٨ ب) نص أمر الإفراج وسماه : " إفراج =

قيده ، فقال : " لا يفك القيد من رجلى ، ولا ألبس التشريف ، إلا بعد أن أمثل بين يدى السلطان " ، وصمم على ذلك . فأعلم السلطان به ، فأمر بإحضاره بعد فك قيده وهو بملبوسه الذى عليه فى الجب ، فكسر حينئذ قيده ومشى إلى السلطان . فلما عاينه قام إليه وأكرمه وألبسه التشريف وأجلسه بجانبه ، وأنعم عليه بالأموال وأنواع الثياب ، وأعطاه فى مجلسه إمرة مائة فارس ، وعين له إقطاعا وافرا : منه منية بنى خصيب در بستا (١) ، بجواليها ومواريثها [الحشرية (٢)] ؛ ونزل إلى داره . فصار ينتسب إلى الملك الأشرف ويكتب بيسرى الأشرفى ، بعد ما كان يكتب الشمسى .

وفى رابع رمضان أفرج عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب الشام ، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا ، والأمير شمس الدين سنقر

= شريف سلطانى ، ونسخته بعد البسملة : الحمد لله على نعمه الكاملة ومراحمه الشاملة ، وعواطفه التى أضحت بهابدور الإسلام بازغة غير آفلة ، ومواهبه التى تجول وتجود ، وتحيى رميم الآمال بعد رمسها بأمسها فى أضيق اللحود ، وتقرر لها بالفضل كل جحود . أحمده حمداً يعيد سالف النعم ، ويفيد أنف الكرم الذى خص وعم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تؤدى حقوقها ويجتنب عقوقها . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بمكارم الأخلاق ، والموصوف بالعلم والحلم على الإطلاق ، صلاة لا تزال عقودها حسنة الاتساق ؛ ونسلم تسليما كثيراً . وبعد فإن أحق من عومل بالجميل ، وبلغ من مكارم هذه الدولة القاهرة الرجاء والتأميل ، من إذا ذكرت أبطال الإسلام كان أول مذكور ، وإذا وصفت الشجعان كان (فى الأصل كام) أمام صف كل شجاع مشهور ، وإذا تزينت سماء الملك بأنجم كان بدرها المنير ، وإذا اجتمع ذوو الآراء على امتثال أمر كان خير مشير ، وإذا عدت أوصاف أولى الأمر كان أكبر أمير . ممركم (كذا) تحملت المواكب ما خلوا (كذا) له بأعلى قدر ، وترتبت المراتب منه بأبهى بدر ؛ وهو المقر الأشرف العالى المولوى الأميرى الكبيرى ، وذكر ألقابه (كذا فى الأصل) ، البدرى بيسرى الشمسى الصالحي النجمى الملكى الأشرفى ، فهو الموصوف بهذه الأوصاف والمدح ، المعروف بهذه المكارم والمنح . فلذلك اقتضى حسن الرأى الشريف العالى ، المولوى السلطانى المالكى الأشرفى الصلاحى ، لا زالت الكرب فى أيامه تكشف ، والبدور تكسى فى دولته الغراء شرقا ولا تخسف ، أن يفرج عنه فى هذه الساعة من غير تأخير ، ويمثل بين يدى المقام الأعظم السلطانى بلا استئذان نائب ولا وزير ، إن شاء الله تعالى " .

(١) فى س " دربستا " ، وقد اعتبر (Quatremère: Op. Cit II. 1. P. 131 - 132) هذا اللفظ جزءاً متمما لاسم منية بنى خصيب ، فترجمه إلى (Moniet- Beni khasib- Derbesta)

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٨ ب) ، والمواريث الحشرية حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ج ٤ ، ص ٣٣) ، هى تركات من " يموت ولا وارث له ، أو له وارث لا يستغرق ميراثه " ؛ وكان لها ديوان اسمه ديوان المواريث الحشرية ، ورئيسه ناظر له التحدث على تلك المواريث ، و " إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم " . انظر أيضاً (Quatremère: Op. Cit. II. I. P. 132. N. 16.)

الطويل ، وأُمِّرُوا على عادتهم . وقُبض على الأمير علم الدين سنجر الدواداري بدمشق ، وحمل إلى قلعة الجبل مقيدا ، فوصل فى سابع عشره .

وفى هذا الشهر عزم السلطان على صرف قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز عن وظيفة القضاء وسائر ما بيـده من المناصب ، بكثرة حَطِّ الوزير ابن السلعوس عليه[1] . وخرج البريد فى يوم تاسع رمضان بطلب بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة خطيب القدس ، لِيَلِىَ القضاء بمصر : (١٩٦ ب) وكان السبب فى طلبه أن ابن بنت الأعز لمـا عزل استدعى السلطان أعيان الفقهاء الشافعية بمصر والقاهرة ، وجعل كل واحد فى مكان فلم يعلم واحد منهم بالبقية ، وأحضر [هم] واحدا واحدا وسأله عن الجمـاعة من يصلح فيهم لولاية القضاء ، فمـا منهم إلا من أساء القول فى أصحابه ورماه بمـا لا يليق ، فانصرفوا وقد انـكف[2] السلطان عن ولايتهم ، وأعلم وزيره ابن السلعوس بمـا قال بعضهم فى حق بعض من الفحش . فأشار [ابن السلعوس] عليه بولاية ابن جماعة خطيب القدس لصحبة تقدمت له معـه ، فوصل إلى القـاهرة فى يوم الاثنين رابع عشره ، وأفطر عند الوزير ؛ وبالغ [الوزير] فى خدمته ، وسار فى موكبه يوم الخميس سابع عشره إلى القلعة ، ودخل به على السلطان . فعُزِل ابن بنت الأعز ، ووُلِّى ابن جماعة قضاء القضاة ، وفُوِّض إليه تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين وخطابة الجامع الأزهر . فـكتم ابن جمـاعة الولاية ، وأفطر ليلة الجمعة عند الوزير ، فصار يخاطبه بقاضى القضاة ، وأعلن بعزل ابن بنت الأعز ؛ فهنَّأ الناس ابن جماعة . وعند ما خرج [ابن جماعة] من دار الوزير وصل إليـه التقليد مع ابن عز الدين الحنبلى ، فلما أصبح يوم الجمعة ثامن عشره لبس الخلعة ، ومشى الشهود فى خدمته ، فركب بالخلعة إلى دار الوزير وخدمه ، ثم سار إلى منزله . وركب إلى الجامع الأزهر بالخلعة ، فخطب وصلى بالناس وعاد إلى منزله . ثم تحول إلى الصالحية يوم

---

(١) كان ابن بنت الأعز ، كالأمير حسام الدين طرنطاى ، من الكارهين للملك الأشرف خليل منذ أيام أبيه السلطان قلاون ، وهذا فضلا عما كان بين قاضى القضاة ابن بنت الأعز وابن السلعوس من التنافس والعداء . (النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٩ أ) .

(٢) فى س "ابلعب" بغير نقط البتة ، وهى فى ب (٢٣٥ أ) "ابلفت" وقد صححها (Quatremère: Op. Cit. II. I. P. 134. N. 18) إلى الصيغة المثبتة هنا .

الجمعة خامس عشريه ، ودرّس بالصالحية فى يوم الأحد ثانى عشرى شوال ، وكان درساً حفلا و يوما مشهوداً .

وأما ابن بنت الأعز ، فإن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى دخل به إلى السلطان وقرر معه أن يوليه قضاء الشام ؛ فلما شعر بذلك ابن السلعوس[(١)] خشى أن يبقى له حاله فيتمكن بها فى الدولة ، فرتّب له عدة من الناس ليثوروا به . فلما جلس السلطان بدار العدل رسم لابن السلعوس أن يجهز ابن بنت الأعز قاضياً بدمشق ، ويُعنى بتشريفه ويَكتب تقليده ، فما انفصل مجلس دار العدل حتى أحضر[(٢)] الشريف بن ثعلب وادعى على ابن بنت الأعز بما قرّره معه [الوزير ابن السلعوس قبل[(٣)] ذلك] ، و[كان قد] جهّز[(٤)] آخر إلى أن يفتى بتعزيره ، وآخر ليشهد بفسقه . فانتدب [السلطان] لمرافعته جماعة ، ورمَوه بعظائم بغياً منهم وعدوانا : منها أنه يشد الزُنّار من تحت ثيابه ، وأنه نصرانى وما زال ، حتى رسم السلطان أن يُرْكَب حماراً و يشهر . فقبض عليه الوزير ونكل به ، ورسّم عليه وطالبه بمال كثير ، وشنع فى إهنته ، وأراد ضربه فحماه الله منه .

وما زال [ابن بنت الأعز] فى الإهنة إلى أن أُخذ يوماً بالترسيم إلى القلعة وهو ماش والأعوان تحتاطه ، فرأى ثلاثة من خواص الأمراء نازلين من القلعة ، فقال لهم : "يا أمراء ! أما تنظرون[(٥)] فى حالى وما أنا فيه من الإهنة مع هؤلاء الرسل ؟" فساءهم ذلك وجرّدوا دبابيسهم وحطموا يريدون ضرب الرسل ، وقالوا : "قاضى القضاة ماش ، وأنتم ركاب ؟" فقالوا : "الصاحب أمرنا بهذا ، ما لنا ذنب ولا نريد هذا الفعل" ؛ فشقّ عليهم ما رأوا وعادوا إلى السلطان ، وألقوا سيوفهم وقالوا (١٩٧ ا) : "يا خوند ! قد بلغ الأمر من حال قاضى القضاة أن يمشى والرسل ركاب" ، وذكروا ما هو فيه من الإهنة ، فقال لهم

(١) فى س "السلعوع" .
(٢) كذا فى س بغير ضبط ، ولعل المقصود "حضر" .
(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٩ ا) ، ومما يؤسف له أن عبارة النويرى فى هذا الصدد أخصر مما يقابلها هنا ، ولذا تعذر توضيح بعض الإبهام الشامل للعبارة كلها .
(٤) فى س "جهر" .
(٥) فى س "ما تنظروا" .

[السلطان] : " يستأهل أكثر من هذا ، لأنهم قالوا عنه إنه كافر يشدّ الزنّار من تحت ثيابه " . فقالوا : " يا خوند ! إن كان قاضى القضاة كافراً فابن الساعوس مسلم ، إمّا تهبه لنا ، و إمّا تمكّنا من ابن السلعوس ، و إمّا أن تنفينا " .

وكان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح له عناية به[1] أيضاً ، فتحدّث مع الأمير بيدرا النائب . وكان بيدرا بينه و بين ابن بنت الأعز شحناء ، فقال بيدرا لبكتاش : " تحدّث مع السلطان فى أمر سنجر الحموى أبى خرص أن يطلقه ، وأنا أشفع فى ابن بنت الأعز " . فاتفقا على ذلك ، وشفع بيدرا فى ابن بنت الأعز ، وشفع بكتاش فى أبى خرص ، فأفرج السلطان عنهما معاً .

ولزم ابن بنت الأعز داره ، ولم يُترك بيده شىء من الوظائف ، وكان بيده سبعة عشر منصبا : وهى قضاء القضاة بديار مصر كلها ، وخطابة الجامع الأزهر ، ونظر الخزانة ، ونظر الأحباس ، ومشيخة الشيوخ ، ونظر التركة الظاهرية [بيبرس] وأولاده وأوقافه وأملاكه ، وعدة تداريس . وكان عنـد ما عزل [قد] رُسِّم عليه فى شوال ، وأُلزم بالإقامة فى زاوية الشيخ نصر المنبجى[2] خارج القاهرة حتى قام بما قُرِّر عليـه من المـال ، بعد ما باع ورهن واقترض . ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدّث له الأمير بدر الدين بيدرا فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار ضريح الإمام الشافعى ، فوليه وتحوّل إلى المدرسة المذكورة ، فكان هذا سبباً لمحنته الثانية . ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمـانية وثلاثين ألفا .

وفى خامس عشرى رمضان أفرج [السلطان] عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبى على القُبّى بن الأمير أبى بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسى ، ورسم له أن يخطب

(١) الضمير عائد على ابن بنت الأعز . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٩٩ أ) .

(٢) لا يوجد فى س سوى المقطع الثانى من هذا الاسم ، وقد كمل من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٣٢) ، حيث يوجد وصف لهذه الزاوية نصه : " هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة ، أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجى الناسك القدوة ، وحدّث بها عن إبراهيم بن خليل ؛ وكان [الشيخ نصر] فقيهاً معتزلا عن الناس متخلياً للعبادة ، يتردد إليه أكابر الناس وأعيان الدولة ؛ وكان للأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فيه اعتقاد كبير ، فلما ولى سلطنة مصر أجلّ قدره وأكرم محله ، فهرع الناس إليه وتوسلوا به فى حوائجهم ؛ وكان يتغالى فى محبة العارف محيي الدين محمد بن عربى الصوفى ، ولذلك كانت بينه وبين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية مناكرة كبيرة ؛ ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة ، فى ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ودفن بها " .

فى يوم الجمعة . فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال ، فخرج بسواده وهو متقلد سيفاً محلى ، وخطب بجامع القلعة وذكر الخطبةَ التى خطب بها فى أيام الملك الظاهر بيبرس — وهى من إنشاء شرف الدين — ، إلا أنه ذكر فيها الملكَ الأشرف ، وكان بين الخطبتين مدة ثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما . فلما فرغ من الخطبة لم يُصَلِّ بالناس ، وقدَّم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فصلَّى بهم صلاة الجمعة . واستمر [الخليفة] يخطب بجامع القلعة ، واستناب عنه بالجامع الأزهر صدر الدين عبد البر ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين .

وفى تاسع شوال قُبض على الأمير سيف الدين قرا رسلان المنصورى والأمير جمال الدين أقوش الأفرم بدمشق ، واعتُقِلا بقلعتها ؛ وأُقْطِع عز الدين أزدمر العلائى إقطاع قرا رسلان ، وسنقرُ المساح إقطاع الأفرم .

وفى ليلة الاثنين رابع ذى القعدة (١٩٧ ب) عمل ختم بالقبة المنصورية ، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس ؛ ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الاثنين ، فخطب الخليفة وعليه سواده خطبةً بليغة حرّض فيها على أخذ العراق ؛ وكان يوماً مشهودا ، فُرّقت فيه صدقات جمة . وكُتب إلى نائب الشام بعمل ختم ، فاجتمع الناس فى ليلة الثلاثاء حادى عشره بالميدان الأخضر خارج دمشق وختموا القرآن ، وحضر الوعاظ والأعيان .

وفى هذا الشهر قبض بدمشق على الشيخ سيف الدين . . . .[1] الرُّجَيْجِى[2] ، [وهو] من أولاد الشيخ يونس ، وحُمِل إلى قلعة الجبل على البريد .

وفى هذه السنة كملت عمارة قلعة حلب ، وكُتب عليها اسم الملك الأشرف . وفيها أُخْرِج بولدى الملك الظاهر بيبرس ، وهما المسعود نجم الدين خضر والعادل بدر الدين سلامش ، من الاعتقال ، ونفيا[3] إلى ملك الفرنج . فسار بهما [ومعهما[4] والدتهما] الأميرُ

---

(١) بياض فى س . (٢) فى س "الرحجى" بغير ضبط ، ولعل النسبة إلى رجيج ، وهو موضع ذكره ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٥٦) بأنه ببلاد العرب ، ولم يزد على ذلك .

(٣) كان سبب إخراج هذين السلطانين المعزولين تلك السنة ، نقلا عن بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٥ ا) ، أن السلطان الأشرف توهم منهما "أوهاماً أخطرت بباله إبعادهما عن البلاد الإسلامية وإخراجهما من الديار المصرية ، فأخرجهما ووالدتهما معهما" .

(٤) انظر الحاشية السابقة .

عز الدين أيبك الموصلى الأستادار إلى الإسكندرية ، وحملهم فى البحر إلى القسطنطينية ؛ فلما وصلوا أكرمهم الأشكرى متملكها وأجرى عليهم مايقوم بهم ، وكانت حرمهم[١] معهم.

وفيها كملت عمارة قلعة حلب ، وكان الأمير قرا سنقر نائب حلب قد شرع فى عمارة حلب ، فأحكم[٢] بنيانها وأدار سورها[٣] وأقام شعائر جامعها ، وكان لها منذ خرَّبها هولاكو نحو ثلاث وثلاثين سنة خرابا . ووقع الشروع فى عمارة دمشق من شوال ، فبنيت بها الأُدُر السلطانية والطارمة[٤] والقبة الزرقاء ؛ وتولى ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وبالغ فى تحسينها ، فكانت جملة ما عمل فى سقوفها أربعة آلاف مثقال ذهب .

وفيها لم يحجّ الشريف أبو نمى خوفاً من المصريين . وفى شهر ربيع الأول منها مات ملك الططر [بفارس ، وهو] أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكز خان ، وملَك بعده أخوه كَيْخَتُو[٥] بن أبغا ؛ وترك أرغون ولدين [وهما] قازان وخربندا ، [وكانا[٦] بخراسان] . فأفحش كيختو[٧] فى [الفسق بنسوان المغل و] اللواط [بولدانهم] ، حتى أبغضته رعيته . وفيها مات قتيلا تُلَاَبُغَا[٨] بن منكوتمر بن طوغان ، قتله نغيه[٩] بن

(١) ذكر بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٥ أ) ، فى هذا الصدد أيضاً أن بدرالدين سلامش توفى فى منفاه بالقسطنطينية ، "فصبرته والدته وصيرته فى تابوت إلى أن اتفقت عودتها ، فأعادته معها إلى الديار المصرية ودفنته بها " .

(٢) فى س " واحكم " .

(٣) يلى هذا فى س عبارة " واحكم بنيانها " مرة ثانية .

(٤) الطارمة هنا بيت من خشب يبنى سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان ، وهى لفظة فارسية الأصل ، وجمعها طارمات . (محيط المحيط ؛ Dozy : Supp. Dict. Ar. ؛ المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٥ ؛ ج ٢ ، ص ٤٤٤) .

(٥) ضبط هذا الاسم على منطوقه فى (Browne : Lit. Hist. Of Persia. III. P. 37.) .

(٦) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٤ أ) .

(٧) فى س " كيخوا " .

(٨) ضبط هذا الاسم على منطوقه (Tulabugha) فى (Howorth : History Of The Mongols. II. I. PP. 135, 137) . وليس تلابغا ابنا لمنكوتمر كما ذكر المقريزى هنا ، بل أبوه بارتو (Bartu) ابن طوغان ، وأما منكوتمر بن طوغان فعمه (Ibid : Loc. Cit.) . وكان تلابغا قد تملك على التتر القفجاق بعد عمه الثانى تدان منكو بن طوغان ، منذ ٦٨٦ هـ (١٢٨٦ م) ، ومات مخنوقاً على يد نوغاى (Nogai) كما بالمتن .

(٩) كذا فى س ، وهو وارد فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٤ أ) برسم " نوغيه " ، وفى المراجع الأوربية مثل (Howorth : Op. Cit. II. 1. PP. 123, 127) برسم (Nogai) . وكان هذا الأمير من سلالة دوشى بن جنكزخان مؤسس الفرع التترى المعروف باسم القفجاق بجنوبى =

مغل[1] بن ططر بن دوشى خان بن جنكز خان . وقام بعـده فى الملك طُقْطُغا[2] بن منكوتمر بن طوغان ، [وهو] ابن عم[3] تلابغا ، فرتّب تغيه إخوةَ طقطغا معه[4] ، وهم بُرْلك وصِرَاى بُغَا وتُدَان[5] .

ومات فى هذه السنة من الأعيان السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس ، ببلد إِسْطَنْبُول[6] عن اثنتين وعشرين سنة . ومات القان أرغون بن أبغا بن هولاكو ابن طلو بن جنكز خان ، ملك التتار [بفارس] فى ربيع الأول ، عن نحو سبع سنين من ملكه ؛ وقام من بعـده أخوه كيختو بن أبغا . وتوفى تاج الدين أبو محمد عبـد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى فقيه الشام ، عن ست وستين سنة بدمشق . وتوفى المسند فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المعروف بابن البخارى المقدسى السعدى ، عن أربع وتسعين سنة بدمشق ؛ وقد

= الروسيا الحالية ، وكان جده تقال بن دوشى قد ورث الحكم بعد أبيه دوشى على الجهات التى سكنتها قبائل البشنج (Pechenegs) بحوض نهر البج (Bug) ، على أن يكون تابعاً لإخوته خانات القفجاق . وتولى نوغاى بدوره على تلك البلاد ، وظل كسلفه تابعاً للخانات ، وصار قائداً عاما لجيوش بركه ومنكوتمر وتدان منكو وتلابغا ، وكان على يديه معظم انتصاراتها وفتوحها بالعراق الأعلى وأرمينية وبلاد البلغار والمجر وليتوانيا ، فعظم قدره حتى نافر تلابغا وآتمر به مع بعض أولاد عمه منكوتمر ومنهم طقطغا ، وتمكن منه وقتله كما بالمتن . (انظر الحاشيتين التاليتين ؛ وكذلك .Howorth : Op. Cit. II. 1. PP.135 et seq.; II. 2. PP. 1011 et seq) .

(١) كذا فى س ، غير أنه لا يوجد فى (Lane-Poole : Muh. Dyns. Table facing P. 240) بين آباء هذا الأمير من اسمه مغل ، فهو حسبما ورد فى ذلك المرجع "نوغاى بن ططر بن تقال (Teval) ابن دوشى بن جنكزخان" . انظر أيضا (.Howorth : Op. Cit. II. P. 1011) .

(٢) كذا فى س بغير ضبط ، وهو (Toktogu or Toktu) الوارد فى .Howorth : Op. Cit) (II. 1. P. 141 ، وقد حكم مغول القفجاق حتى سنة ٧١٢هـ (١٣١٣م) . انظر أيضا .Ibid. Op. Cit) (II. 1. P. 147 ؛ وكذلك (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 230) .

(٣) فى س "اخو" ، وخطأ القريزى ناشئ من غلطه فى القول (س ٧٧٥ ، سطر ١٢) بأن تلابغا ابن لنكوتمر . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. Table facing P. 240) .

(٤) الضمير عائد على طقطغا . (انظر الحاشية التالية) .

(٥) ضبطت هذه الأسماء على منطوقها فى (Howorth : Op Cit II. 1. P. 140) ؛ وكان أولئك الأبناء ، حسبما جاء أيضا فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، س ١٧٣ ب — ١٧٥ أ) قد انحازوا وأخوهم طقطغا من أول الأمر إلى جانب نوغيه ، واشتركوا معه فى اغتيال تلابغا ، وكوفئوا على ذلك كما بالمتن ؛ هذا وقد كان لنكوتمر خمسة أبناء غير هؤلاء ، وهم ألغوى وطغريل وبولاخان وقادان وكوتوجان ، وكانوا فى جانب تلابغا فاغتيلوا معه .

(٦) بغير ضبط فى س ، وهى القسطنطينية ، وقد وردت تسميتها باسم اسطنبول فى كتب ابن الأثير وأبى الفداء وياقوت ، وهو مشتق من الاسم اليونانى الأصلى لهذه المدينة . انظر (Enc. Isl. Art. Constantinople).

انفرد بعلو الإسناد . وتوفى خطيب حلب شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير بن أحمد بن سليمان الشيبانى الخابورى الشافعى ، عن تسعين سنة بحلب . وتوفى خطيب حماة وفقيهها بدر الدين أبو محمد عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المغيزل العبدى الحموى بها ، عن سبعين سنة ، قَدِم القاهرة . وتوفى علاء الدين أبو الحسن على بن الكمال أبى محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان بن الزملكانى الأنصارى الشافعى ، بدمشق عن نيف وخمسين سنة . وتوفى محيى الدين أبو يعلى محمد بن عمر بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقى بن أمين الدولة الرعبانى الحلبى الحنفى ، عن نيف وثمانين سنة بحلب . وتوفى العفيف أبو الربيع سليمان على بن عبد الله بن على بن ياسين التلمسانى العابدى ، عن ثمانين سنة بدمشق . وتوفى طبيب الشام عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نجم بن طرخان الأنصارى الدمشقى ، عن تسعين سنة . وتوفى الأديب شرف الدين عيسى بن فخر الدين أياز بن عبد الله الوالى .

***

سنة إحدى وتسعين وستمائة . فى رابع عشر صفر وقع حريق فى بعض خزائن قلعة الجبل ، تلف فيه كثير من الكتب وغيرها .

وفى حادى عشر ربيع الأول عمل ختم بالقبة المنصورية ، ونزل السلطان وتصدّق بمال كثير . وفى يوم الجمعة تاسع عشريه خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بجامع قلعة الجبل خطبة بليغة حثّ فيها على الجهاد ، وصلّى بالناس صلاة الجمعة . وفيه نودى بالنفير للجهاد ، وخرج السلطان فى الثامنة من يوم السبت ثامن ربيع الآخر بجميع عساكره . فورد البريد بأن التتار أغاروا على الرحبة واستاقوا مواشى كثيرة ، وخرجت إليهم تجريدة من دمشق .

وفى يوم السبت سادس جمادى الأولى دخل السلطان إلى دمشق ، وأنفق فى العساكر يوم الاثنين ثامنه . وفى نصفه تزوّج الأمير سنقر الأعسر بابنة الصاحب شمس الدين ابن السلعوس ، على صداق جملته ألف وخمسمائة دينار ، المعجّل مبلغ (١١٩٨) خمسمائة دينار . وفيه وَصل الملك المظفر صاحب حماة ، وعرض السلطانُ عساكره ، وقَدِم جيش الشام فسار إلى حلب .

ثم خرج السلطان من دمشق فى الخامسة من يوم الاثنين سادس عشره ، فدخل حلب فى ثامن عشريه ، وخرج منها فى رابع جمادى الآخرة يريد قَلْعَة[١] الرُّوْم ، فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه ، ونصب عشرين منجنيقا[٢] ورمى عليها ، وعملت النقوب . وعمل الأمير سنجر الشجاعى نائب دمشق سلسلة وشبكها فى شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض ، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالا شديداً . ففتح الله القلعة يوم السبت حادى عشر رجب عنوةً ، وقُتِل من بها من المقاتلة ، وسبى الحريم والصبيان ، وأُخذ بترك الأرمن وكان بها فأسر . وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين[٣] يوما ؛ و [قد] سماها السلطان قلعة المسلمين فعرفت بذلك ، وحمل إليها زردخاناه وألفا ومائتى أسير[٤] ؛ واستشهد عليها الأمير شرف الدين بن الخطير . فلما وردت البشائر[٥] إلى دمشق بفتح قلعة الروم زينت البلد ودقت البشائر ؛ ورتّب السلطان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام لعمارة قلعة المسلمين ، فعمر ما هدمته المجانيق والنقوب ، وخَرّب ربضها .

وعاد السلطان راجعاً فى يوم السبت ثامن عشره ، فأقام بحلب إلى نصف شعبان ؛ وعَزَل قرا سنقر عن نيابة حلب ، وولى [عوضه] الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى ؛ ورتب بها الأمير عز الدين أيبك الموصلى شاد الدواوين . ورحل [السلطان]

(١) بغير ضبط فى س ، وهى قلعة غربى الفرات مقابل البيرة ، وتقع بينها وبين سميساط . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٦٤ ، وما بعدها) .

(٢) عين النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٠ أ) أنواع هذه المجانيق ، فقال إن "خمسة منها فرنجية ، وخمسة عشر قوابغا (كذا) وشيطانية" . هذا ويوجد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٨٩) تفصيلات عن مواضع تلك المجانيق ونصها : "وحكى الأمير سيف الدين ابن المحفدار ، قال إن مدة المقام على حصار قلعة الروم ثلاثة وثلاثين يوماً ، وعدة ما نصب عليها من المجانيق تسعة عشر ، فرنجية خمسة ، وقوابغاية (كذا) وشيطانية أربعة عشر ، خارجاً عن منجنيق صاحب حماة على رأس الجبل ، ومن الجهة البحرية الفراتية الأقرم اثنان ، والسطان واحد فرنجى ، ومن الجهة الشرقية وعلى جانب الفرات بيبسرى واحد ، ومن الجهة الغربية خمس قوابغاية وشيطانية فى الوادى خمسة عشر" .

(٣) كان بيبرس المنصورى ، مؤلف كتاب زبدة الفكرة المتداول فى هذه الحواشى ، ممن حضروا هذه الوقعة ، وقد وصف القتال فى كتابه المذكور (ص ١٧٦ أ — ١٧٧ ب) بتفصيل أكثر مما هنا .

(٤) هذه الجملة الأخيرة ليست واضحة تماماً ، وهى فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٠ ب) كالآتى : "ووصل الى الزردخاناه السلطانية من الأسرى ألف أسير ومائتا أسير" .

(٥) يوجد فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٠ ب ، وما بعدها) نص كتاب البشارة الوارد إلى دمشق . انظر ملحق رقم ١١ فى آخر هذا الجزء .

إلى دمشق ، فدخلها فى الثانية من يوم الثلاثاء عشرى شعبان ، وبين يديه بترك الأرمن صاحب قلعة الروم وعدة من الأسرى .

وفيه خرج الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر إلى جبال كَسْرُوَان(١) من جهة الساحل ، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم ، واضطرب العسكر اضطرابا عظيما ، فطمع أهل الجبال فيهم . وتشوش الأمراء من ذلك ، وحقدوا على بيدرا ونسبوه أنه أخذ منهم الرشوة . فلما عاد إلى دمشق تلقاه السلطان وترجّل له عند السلام عليه ، وعاتبه سرا فيما كان منه ؛ فمرض بيدرا حتى أشفى على الموت ، وتُحدِّث أنه سُقِى السم ؛ ثم عوفى وتَصَدَّق فى رمضان بصدقاتٍ جمة ، وَرَدَّ أملاكا اغتصبها لأربابها ، وأطلق عدةً من سجونه ، وجمع الناس فى عاشره بجامع بنى أميـة وعمل مهما لقراءة ختمة كريمة .

وفى خامس عشر شهر رمضان توفى محيي الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء ، وهو بدمشق ؛ فأجرى السلطان معلومه على ولده علاء الدين على ، وجعله من جملة كتاب الإنشاء . وأقرّ [السلطان] فى ديوان الإنشاء تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخى الحلبى ، عوضا عن ابن عبد الظاهر(٢) .

(١٩٨ ب) وفيه كثر موتان الجمال حتى حمل الأمراء أثقالهم على الخيل ، فأذن السلطان لضعفاء العسكر فى العود إلى القاهرة ، فساروا من دمشق فى ثانى عشريه . وحضر الأمير علم الدين سنجر الدوادرى من قلعة الجبل بعد ما أفرج عنه ، فأنعم عليه بأمرة فى ديار مصر .

وفى ليلة عيد الفطر فرّ الأمير حسام الدين لاجين الصغير من داره بدمشق ، خوفا من السلطان لما بلغه من أنه يريد القبضَ عليه ؛ فنودى بدمشق من أظهر لاجين فله ألف دينار

(١) بغير ضبط فى س ، وقد سماها بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٧٢ أ) جبال الضنيين ، وهى جبال الدرزية — الدروز — بلبنان ، ومنها ينبع نهر إبراهيم (Le Strange : Palest. Under Moslems, PP. 57,80.)

(٢) يوجد فى س ، بين الصفحتين ١٩٧ ب ، ١٩٨ أ ، ورقتان منفصلتان ، بإحداهما وفيات سنة ٦٩٠ هـ ، وقد تقدمت فى موضعها (انظر ص ٧٧٦ — ٧٧٧) ، وبالثانية وفيات سنة ٦٩٢ هـ ، وقد أوردت فى مكانها المناسب فيما يلى .

ومن أخفاه شُنق ؛ وركب السلطان فى خاصته وترك سماط العيد ، وساق فى طلب لاجين وأخذ عليه الطرُقَ ، ثم عاد بعد العصر فى أسوأ حال من التعب ، ولم يجد له أثرا فقلق . واتفق أن لاجين نزل على طائفة من العرب ، فقبضوه وأحضروه إلى السلطان فاعتقله . وقبض [السلطان] على الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا حَمِى[1] لاجين ، وحمل هو ولاجين إلى قلعة الجبل بمصر .

وفى سادسه استقر الأمير عز الدين أيبك الحموى فى نيابة دمشق ، عوضا عن الشجاعى . واستقر الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى نائباً بالفتوحات ، عوضا [عن] بلبان الطباخى بحكم انتقاله إلى نيابة حلب . وفيه قدم الشجاعى من قلعة المسلمين بعد ما عَمَّرَ ما هُدم منها ، فشق عليه عزله عن دمشق .

وفى الثلث الآخر[2] من ليلة الثلاثاء تاسعه خرج السلطان من دمشق عائدا إلى مصر ، بعد ما رسم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم وبيده شمعة موقودة عند ركوب السلطان ؛ فخرجوا بأجمعهم ورُتّبوا من باب النصر إلى مسجد القدم ، فعندما ركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة ، فسار بينها حتى نزل مخيمه . ونُقِلَ محيى الدين بن النحاس من نظر دواوين دمشق إلى نظر الخزانة ، عوضاً عن أمين الدين بن هلال ؛ وأقيم فى نظر دواوين دمشق جمالُ الدين بن إبراهيم بن صصرى ؛ واستقر الأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصورى مقدَّمَ[3] المماليك السلطانية .

وقدم السلطان إلى القاهرة يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة ، ودخل من باب النصر ، وصعد إلى القلعة من باب زويلة . وقد عُمل من الزينة والقلاع والتهانىء [شىء كثير] ، وأوقد من الشموع ما يجل وصفه ، فإن الناس احتفلوا لذلك احتفالا عظيما فاق جميعَ

(١) فى س "حمو" .

(٢) كذا فى س ، وفى ب (٢٣٧ ب) "الأخير" ، ولكن النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٢ ب) متفق مع الرسم المثبت هنا بالمتن .

(٣) كان عمل المتولى لتلك الوظيفة ، حسبما ورد فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ ؛ ج ٥ ، ص ٤٥٦) التحدث على المماليك السلطانية والحكم فيهم ، وكان يعين عادة من بين الخدم الطواشية والخصيان المقربين من السلطان ، ويشغل رتبة أمير طبلخاناه ، ويعاونه فى عمله نائب برتبة أمير عشرة ؛ هذا وكان للأمراء أيضا مقدمون للقيام على شئون مماليكهم .

ما تقدم فى معناه . وولى صحابةَ ديوان الإنشاء عمادُ الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد ابن الأثير بعد وفاة والده ، فإن والده لم يقم فى كتابة السر إلا نحو شهر ، ومات بغزة عند عوده من دمشق فى تاسع عشر شوال .

وفى ذى القعدة ندب الوزيرُ ابنُ السلعوس العَلَم ابن بنت العراقى لمرافعة تقى الدين ابن بنت الأعز ، وعُقِد له مجلس وادّعى عليه العَلَم المذكور بعظائم ، فاستمر فى المحنة بقية السنة .

وفى آخر ذى الحجة قُبِض على الأمير شمس الدين (١١٩٩) سنقر الأشقر ، والأمير سيف الدين جرمك الناصرى ، والأمير سيف الدين الهارونى ، والأمير بدر الدين بكتوت ، واعتُقِلوا .... (١)

ومات فيها من الأعيان الملك المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق ابن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق ، صاحب ماردين ، بعد ما ملك ثلاثا وثلاثين سنة . ومات الأمير سنقر الأشقر عن سبعين(٢) سنة . وتوفى كاتب السر فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محيى الدين أبى الفضل عبد الله بن عبد الظاهر ، عن أربع وخمسين سنة بدمشق . وتوفى كاتب السر تاج الدين أبو العباس أحمد بن شرف الدين أبى الفضل سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبى ، بغزة . ومات مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الطبرى المكى الشافعى بالقدس ، عن اثنتين وستين سنة ، قدم القاهرة . وتوفى كاتب الإنشاء بدمشق سعد الدين أبو الفضل سعد الله بن مروان أبى عبد الله الفارقى ، وهو فى عَشْرِ(٣) الستين . وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقى بن أمين الدولة الحلبى بالقاهرة ، عن سبعين سنة . و [توفى] فخر الدين(٤) أبو عمرو عثمان بن خضر بن غنى بن عامر الأنصارى

(١) بياض فى س .

(٢) انظر ص ٧٨٢ ، حاشية ٣ .

(٣) العشر العقد من السنين (decade) ، والمقصود بعبارة "عشر الستين" أن المتوفى مات فى العقد السادس ، أى بين الخمسين والستين .

(٤) بعض ألفاظ هذه الوفاة محجوب بورقة ملصقة فوقها فى س ، وقد حققت من ب (٢٣٨ ب) .

المصرى المؤدب ، فى جمادى الآخرة وهو فى عَشْر الثمانين ، وقد حَدَّث عن ابن باقا ومكرم الفارسى .

وفيها قبض الأمير بكتوت على الشريف راجح بن إدريس من ينبع [1] ، وحمله إلى مصر . وكانت [2] الخطبة بمكة للأشرف خليل إلى آخر ربيع الأول ، ثم انقطعت لانقطاع أخبار مصر ، فلما قدم الحُجّاج وهمْ قليل حجّ أبو نمى ؛ وقدم حاجُّ الشام فى ركبين . وكانت جفلة بعرفة وعزّ الماء ، فأبيعت الراوية بأربعة دنانير مكية .

***

سنة اثنتين وتسعين وستمائة

سنة اثنتين وتسعين وستمائة . فى ليلة أول المحرم أُخرِج من فى الجب من الأمراء : وهم سنقر [3] الأشقر وجرمك والهارونى وبكتوت وبيبرس وطقصوا ولاجين ، وأمر بخنقهم قدام السلطان ، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا . وتولى خنق لاجين الأمير قرا سنقر ، فلما وُضع الوتر فى عنقه انقطع ، فقال : "ياخوند ! مالى ذنب إلا حَمِيّ [4] طقصُوا وقد هلك ، وأنا أطلّق ابنته" . وكان قراسنقر له به عناية ، فتلطف به ولم يعجّل عليه ، لما أراد الله من أنّ لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه ، [وانتظر أن تقع به [5] شفاعة] . فشفع الأمير بدر الدين بيدرا فى لاجين ، وساعده من حضر من الأمراء ، فَعُفِى عنه ظنا أنه لا يعيش ، فحُمل وكان من أمره ما سيذكر إن شاء الله .

وفى أول المحرم استقر الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى فى نيابة طرابلس والحصون ، عوضاً عن طغريل الإيغانى ، فسار من القاهرة .

وفى رابعه سار السلطان من قلعة الجبل إلى الصعيد ، واستخلف الأميرَ بيدرا النائب

(١ ، ٢) ما بين الرقمين من الألفاظ محجوب بورقة ملصقة فوقها فى س ، ولكنها فى ب (٢٣٨ ب) .

(٣) تقدم ذكر وفاة هذا الأمير ضمن وفيات السنة السابقة (انظر ص ٧٨١ ، سطر ١٢) ، ويظهر أن منشأ الخطأ هنا أن المقريزى اعتمد فى كتابة سنة ٦٩١ ووفياتها على مرجع جاءت به وفاة هذا الأمير فى تلك السنة . واعتمد فى كتابة سنة ٦٩٢ وحوادثها على مرجع جاء به ما هو مذكور هنا بصدده . (انظر الحاشية التالية) .

(٤) فى س "حموى" .

(٥) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ؛ ج ٢٩ ، ص ٣٠٣ أ) ، ويلاحظ أن النويرى ذكر هذه الحوادث تحت سنة ٦٩١ هـ .

بقلعة الجبل وهو مريض . فانتهى السلطان إلى مدينة قوص ، ونادى هناك بالتجهيز لغزو اليمن . وكشف الوزير ابن السلعوس الوجه القبلى ، فوجد الجارى فى ديوان الأمير بيدرا من الجهات — عما هو فى إقطاعاته ، وما اشتراه وما حَمَاه — أكثر مما هو جار فى الخاص السلطانى ، ووَجد الشُّوَن السلطانية بالوجه القبلى خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة . فأبلغ ذلك إلى السلطان وأغراه ببيدرا حتى تغيّر عليه ؛ فبلغ الخبر بيدرا فخاف وأخذ يتلافى الأمر ، وجهز تقدمة جليلة منها خيمة أطلس أحمر بأطناب حرير وأعمدة صندل محلاة ومفصلة بفضة مذهبة وبُسُطها من حرير ، وضَرَبها بناحية العدوية[1] مع ما أعدّه . فلما عاد السلطان نزل بها ولم يكترث بالتقدمة ، وطلع (١٩٩ب) إلى القلعة ، فارتجع عدة من جهات بيدرا للخاص السلطانى .

وفى صفر وقع بغزة والرملة ولدّ والكرك زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج من قلعة الكرك ، وتوالت الأمطار والسيول حتى خربت طواحين العَوْجَاء[2] وتكسّرت أحجارها ؛ ووجد فى السيل أحد عشر أسداً موتى ؛ وزُلزلت أيضاً البلاد الساحلية فانهدمت عدة أماكن ؛ فلما ورد الخبر بذلك خرج الأمير علاء الدين أيدغدى الشجاعى من دمشق لعمارة ما تهدم بمرسوم شريف . وورد كتاب الأمير عز الدين أيبك الرومى من قلعة المسلمين يطلب ثلاثين سراقوجا[3] ، حتى إذا وَجَّه لكشف أخبار العدو لبسها من يبعثه فلا يعرف مَنْ هُم .

[وفيه] عيَّن [السلطان] برسم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب تعبئة قماش حرير بسبب زواج ابنته ، و[أمر بعمل] تعبئة لوالدته [أيضاً] ، وجهز [ذلك] على يد حاجبه من الخزانة . ورسم [السلطان] ببناء بئر فى العريش وأخرج لها عدة من الغوّاصين ، فلما تم بناؤها ركّب عليها ساقية .

---

(١) العدوية بلدة صغيرة خارج القاهرة كما يفهم من المتن ، وقد ذكر (ابن دقماق : كتاب الانتصار ، ج ٥ ، ص ٤٣) أنها "كانت بالقرب من بركة الحبش ، وهى ما بينها وبين طرا ... ... على ضفة النيل الغربية" . هذا وبعض حروف الألفاظ الواردة بين الرقين محجوب فى س بورقة ملصقة فوقه ، ولكن العبارة كلها واضحة فى ب (٢٣٨ ب) .

(٢) بغير ضبط فى س ، وهى اسم لنهر بين أرسوف والرملة بفلسطين ، واسمه أيضاً نهر أبى فطرس — بطرس ، وعلى ضفافه موضع الطواحين المشار إليها بالمتن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٤٤ ؛ ج ٤ ، ص ٨٣١ — ٨٣٢) .

(٣) فى س "سراقوج" .

وفيه قتل علاء الدين. . . .[١] البريدى والى الأشمونين[٢] نفسه ، فاستقر عوضه بكتمر الوسكى . وقُبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائى أحد أمراء دمشق ، وحمل إلى القاهرة فقدم أول ربيع الأول .

و[فيه] رسم بتجهيز العساكر إلى دمشق ، فسار بها الأمير بيدرا ، ثم سار الوزير بالخزائن . وركب السلطان على الهجن فى أول جمادى الأولى ومعه جماعة من أمرائه وخواصه ، وسار إلى الكرك من غير الدرب الذى يُسلك منه إلى الشام ، فرتّب أحوالها . وتوجه إلى دمشق ؛ فقدمها فى تاسع جمادى الآخرة بعد وصول الأمير بيدرا والوزير بثلاثة أيام ، فأمر بالتجهيز إلى بَهَسْنا وأَخْذِها من الأرمن أهل سيس[٣] . فقدم رسل سيس يطلبون العفو ، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا ومرعش وتل حمدون ، فسار الأمير طوغان والى البر بدمشق معهم ليتسلمها ؛ وقدم البريد إلى دمشق بتسليمها فى أول رجب ، فدُقت البشائر . واستقر الأمير بدر الدين بكتاش الزردكاش فى نيابة بهسنا ، وعُيِّن لها قاض وخطيب ، واستُخْدِم لها رجال وحَفَظَة . وقدم الأمير طوغان ومعه رسل سيس بالحمل والتقادم إلى دمشق فى ثامن عشريه بعد توجُّه السلطان ، فتبعوه .

وكان السلطان قد خرج فى ثانى رجب إلى حمص ومعه جماعة من العسكر ، و[قد] سير ضَعَفَة العسكر إلى القاهرة (١٢٠٠) ؛ ثم سار من حمص إلى سلمية ، وطَرَق مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حُدَيْثَة[٤] بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل ، وقبض عليه وعلى إخوته محمد وفضل ووهبة ، وبعثهم مع الأمير حسام الدين لاجين إلى دمشق ،

(١) بياض فى س .

(٢) بغير ضبط فى س ، وهو خامس أعمال الوجه القبلى ، وموقعه بين عملى البهنسى والمنفلوطية ، واسمه عمل الأشمونين والطحاوية ، ومقر الولاية به مدينة الأشمونين . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٩٨ — ٣٩٩) . وكانت مدينة الأشمونين نفسها ، حسبما جاء فى مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٧٤ — ٧٦) بين البحر اليوسفى والنيل ، وقد تحول النيل عنها فى القرون الوسطى ، فقامت عوضاً عنها مدينة المنية .

(٣) كان السلطان خليل قد كتب بعد فتح عكا إلى ملك الأرمن كتاباً أشاد فيه بعظم مجهود الجيوش المملوكية قبالة تلك المدينة ، ودعاه إلى حمل القطيعة المقررة إلى الأبواب السلطانية والحضور بنفسه قبل فوات الأوان . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 8) ، حيث هذا الكتاب وارد كاملا .

(٤) كذا فى س بغير ضبط ، وقد ورد هذا الاسم "حذيفة" مضبوطاً فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٣ ب) .

فقدمها [لاجين] فى سابعه . وقدم السلطان فى يومه أيضاً ، فأقام فى إمرة العرب الأميرَ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن على بن حُدَيْثَة[١] بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل على . وبعث [السلطان] الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، أمير جاندار إلى الشوبك ، فهدم قلعتها ولم يبق منها إلا قُلّتها[٢] فقط .

وفى شهر رجب وقع ببعلبك أمطار وسيول خارجة عن الحد ، ففسد من كرومها ومزارعها ومساكنها ما تزيد قيمته على مائة ألف دينار . وفى حادى عشره سار الأمير بيدرا بالعساكر والوزير ابن السلعوس بالخزائن[٣] من دمشق ؛ ثم ركب السلطان فى خواصه يوم السبت ثالث عشره ، فقدم غزة بكرة الأربعاء سابع عشره ، ودخل قلعة الجبل فى ثامن عشريه ، وقدم الأمير بيدرا بمن معه أول شعبان . وفيه ولى طوغان والى البر بدمشق نيابة قلعة المسلمين ، وولى إسندمر كرجى بَرَّ دمشق .

وفى شعبان استقر شمس الدين أحمد السروجى الحنفى فى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة ؛ بعد وفاة قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى الأرزنكانى .

وفى أول شهر رمضان أُفرج عن تقى الدين ابن بنت الأعز ، بعدما اشتد به البلاء واعتُقل فى سجن الحكم وتُوُعِّدَ بالقتل ؛ فعاد إلى بيته بالشافعى من القرافة ، ومَدح ابنَ السلعوس بقصيدة أراد إنشادها بنفسه فخاف الوزير عليه ، فأنشدها أخوه علاء الدين . ثم إنه ثبتت براءته مما رمى به ، وتوَجَّه إلى الحج مع الركب .

وفى يوم السبت ثانى شوال قُبض على الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار ، وأحيط على جميع موجوده بمصر والشام .

وفى ذى الحجة رسم بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخى السلطان ، فنُصب القبق تحت القلعة مما يلى باب النصر فى العشرين منه ، وفُرِّقت الأموال والخلع على من أصاب فى رميه . وكان قد رُسم بعرض العساكر بحضور الأمير بيدرا ، فأقامت فى العرض

(١) مضبوط فى س ، بضم الحاء فقط .

(٢) فى س " قلتها " بغير ضبط ، والقلة هنا البرج (tour) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) فى س " بيدار بالعساكر من دمشق والوزير ابن السلعوس بالخزائن " ، وقد عدلت إلى الترتيب الوارد هنا بالمتن .

أياماً ، فرُمى بيدرا بتغاضيه ، وأن بعض العسكر يستعير العدة ، فرُسم بعرض الجميع جملة واحدة فى الميدان ، فكان يوماً مشهوداً . وممن أصاب [فى رمى القبق] الأمير بيسرى ، فأُنعم عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار عيناً[١] سوى الخلع وغيرها . وخُتن الأمير محمد وأولاد الأمراء فى يوم الاثنين ثانى عشريه ، ونثر الأمراء الذهب حتى امتلأت الطشوت منه .

وفى آخر ذى الحجة استقرّ فى كتابة السرّ القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العُمَرى ، عوضاً عن عماد الدين إسماعيل بن الأثير .

وفى هذه السنة خطب الشريف أبو نمى بمكة للملك الأشرف ، بعدما [كان] يخطب فيها لصاحب اليمن ؛ ونقش السكة أيضاً باسمه ، وجهز بذلك محاضر مع...[٢] ابن القسطلانى .

وفيها قدم رَسُل كيختوا ملك التتار بكتابه يتضمن أنه يريد الإقامة بحلب ، فإنها مما فتحه أبوه هولاكو ، وإن لم يُسمح له بذلك أَخَذَ بلاد الشام . فأجابه [السلطان] بأنه "قد وافق القان ما كان فى نفسى ، فإنى كنت على عزم من أخذ بغداد ، وقتل[٣] رجاله ، فإنى أرجو أن أردها دار إسلام كما كانت ، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه" ؛ وكتب إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وعرض العساكر .

وفيها وقف الحجاج يوم الاثنين والثلاثاء ، ولم يصلوا الجمعة من خوف العطش لقلة الماء . وحلّف أميرُ الركب الشريف أبا نمىّ يميناً أنه يتوجه إلى السلطان ، وكان قد أعطاه

(١) السبب فى هذا الإنعام الجزيل أن الأمير بيسرى أحدث فى ذلك الحفل تعديلا جديداً فى رمى القبق ، وقد شرح النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٤ أ) ذلك ، ونصه : "وكان ممن أصابه (الهاء عائدة على القبق) الأمير بدر الدين بيسري الشمسى الصالحى ، فرماه مالم (كذا) يرم غيره قبله . وذلك أنه كان قد اقترح سرجاً وطى المرادفة (كذا) جداً ، فلما رآه السلطان قال له : قد كبرت يا أمير بدر الدين ، فاقترحت هذا السرج ليسهل عليك الركوب ، فقال [الأمير بيسرى] : إن كان المملوك قد كبر ، فقد رزقت ستة أولاد وهم فى خدمة السلطان ؛ ولم يكن اقترح هذا السرج إلا لأجل القبق . ثم ساق الأمير بدر الدين نحو صارى القبق ، والعادة الجارية أن الرامى لا يرميه إلا إذا صار بجانب الصارى ، فساق إلى أن تعدى الصارى فما شك الناس أنه فاته الرمى ، ثم استلقى على ظهر فرسه حتى صار رأسه على كفل الفرس ، فرماه وهو كذلك بعد أن تعداه ، فأصاب القرعة وكسرها . فصرخ الناس لذلك واستعظموه ، وظهرت للسلطان فائدة السرج ، فأمر أن ينعم عليه بما بقى فى ذلك الوقت من المال المرصد للإنعام فأعطيه ، وكان خمسة وثلاثين ألف درهم ...".

(٢) بياض فى س .

(٣) فى س "وقلب رحاله" ، والتصحيح المثبت هنا من (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 150. N. 37.)

ألف دينار عيناً ، بعث بها إليه السلطان من مصر . وفيها تلف فى البحر ستة عشر مركباً من جلاب اليمن ، أكثرها من عدن .

ومات[١] فى هذه السنة من الأعيان الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد ابن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى ، صاحب حماة ، وهو متوجه إلى القاهرة ، عن سبع وخمسين سنة[٢] . ومات الأمير علم [الدين] سنجر الحلبى الثائر[٣] بدمشق ، وهو من أبناء الثمانين بالقاهرة . وتوفى قاضى القضاة الحنفى معز الدين أبو عبد الله النعمان ابن الحسن بن يوسف الخطيبى ، بالقاهرة . وتوفى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبى محمد عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدى الكاتب ، لسان ديوان الإنشاء ، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة . وتوفى شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن الحافظ[٤] جمال الدين أبو حامد محمد بن على بن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى ، بالقاهرة عن إثنتين وستين سنة . وتوفى كمال الدين أبو عباس أحمد بن زيد الدين أبى عبد الله محمد بن رضى الدين أبى محمد عبد القادر بن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد ابن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبى بها ، عن ثلاث وثمانين سنة ، له[٥] رحلة . وتوفى قدوة الشام أبو إسحاق إبراهيم بن قدوة الشام يوسف المدعو عبد الله بن يونس بن إبراهيم

---

(١) الوفيات التالية واردة فى س على ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٩٧ب ، ١٩٨أ ، وقد لصقت هناك خطأ . (انظر ص ٧٩٩ ، حاشية ٢) . ويلاحظ أن هذه الوفيات فى ب (٢٤٠أ) أو فى (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 150) ، على أنه ليس ثمت شك فى مناسبتها هنا ، وذلك واضح من مطالعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٤ ب — ٣٠٥ أ) ، وابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٤١٩ — ٤٢٢) .

(٢) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٤ ب) وفاة أيوبى آخر هذه السنة ، وهو الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك المسعود صلاح الدين أقسيس بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب ، وكانت وفاته يوم الخميس خامس شهر رجب ، ومولده بالكرك ليلة الأربعاء سادس عشر شوال سنة ٦٥٩ هـ .

(٣) فى س "الناير" .

(٤) فوق هذا اللفظ فى س إشارة إلى عبارة بالهامش بخط مخالف ، نصها : "هذا هو الارزنكانى الهوى" .

(٥) كذا فى س .

ابن سلمان الأرموى الزاهد ، عن سبع وسبعين سنة بدمشق . وتوفى الأديب كمال الدين أبو الحسن على بن على بن محمد بن المبارك بن سالم بن الأعمى الدمشقى بها ، عن اثنتين وثمانين سنة .

* * *

(٢٠٠ ب) سنة ثلاث وتسعين وستمائة . فى ثالث المحرم عدّى السلطان النيل إلى بر الجيزة يريد البحيرة للصيد ، ومعه الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس . واستخلف بقلعة الجبل الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ؛ وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا و بين ابن السلعوس . فوصل [السلطان] إلى تروجة ونزل بها ، وتوجه الوزير إلى الإسكندرية ليعبى القماش [ويحصل[1] الأموال] ، بعد ما خلع [السلطان] عليه طَرْد وَحْش[2] . فوجد [الوزير] أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات[3] ، فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا ، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفى الإطلاقات[4] على جارى العادة . فاشتد غضب السلطان ، وطلب بيدرا وسبّه بحضرة الأمراء ، وتوعّده بأنه لا بد أن يُمَكِّن ابن السلعوس من ضربه بما لا يذكر . فتلطف بيدرا حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه ، [فجمع أعيان الأمراء من خشداشينه ومنهم] الأمير لاجين والأمير قراسنقر ومن يوافقه ، وقرر معهم قتل السلطان ، فإنه كان قد أذن للأمراء الأكابر أن يخرجوا إلى إقطاعاتهم فساروا إليها وبقى فى خواصه إلى يوم تاسوعاء[5] . فتوصل الأمير بيدرا إلى أن أشير على

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ أ) .

(٢) بغير ضبط فى س ، وكان هذان اللفظان يطلقان على نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرد . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) كذا فى س ، وقد ترجمها (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 151) إلى (fabriques) أى الأقمشة . هذا ولا يوجد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) مرادف لهذا اللفظ بعينه فى مادة عمل ، على أن هناك لفظ معاملات ، ومن معانيه (affaires de commerce) أى أعمال المتاجرة ؛ وهناك أيضاً لفظ استعمل (faire le métier de courtier) ، ومعناه مزاولة مهنة الدلالين .

(٤) الإطلاقات جمع إطلاق ، وهو حسبما نقله (Quatremère : Op. Cit. II 2. P. 65. N. 26) "إما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة ، أو ابتداء فى معروف أو زيادة فى إحسان على ما كان مقرراً" ، ومن معانيه أيضاً قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٥) أى يوم التاسع من شهر المحرم ، وهو السابق ليوم عاشوراء المعروف .

السلطان بتقدم العسكر إلى القاهرة ، فبعث الأمير سيف الدين أبا بكر (١) بن الجمقدار (٢) نائب أمير جاندار إلى بيدرا يأمره أن يسير تحت الصناجق بالأمراء والعسكر . فلما بلّغه ابن أمير جانْدار الرسالة نَفَرَ (٣) فيه ، ثم قال له السمع والطاعة وقد تبيّن الغضب فى وجهه ، فرجع ابن أمير جاندار وحمل الزردخاناه وسار ، ورحل الدهليز والعسكر .

وأصبح السلطان يوم عاشوراء ، فبلغه أن بتروجة طيراً كثيراً ، فساق وضرب حلقة صيد ، وعاد إلى مخيمه آخر النهار . ثم لما كان الحادى عشر توجه الناسُ (٤) إلى القاهرة ، وحضر بيدرا ومن قرّر معه قتلَ السلطان إلى الدهليز ، فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستوراً (٥) ، فتوجهوا إلى خيامهم .

وركب السلطان جريدة وليس معـه سوى الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار ، وأراد أن يسبق الخاصكية ، فرأى طيراً فصرع منـه بالبندق شيئاً كثيراً . ثم التفت إلى أمير شكار وقال : " أنا جيعان ، فهـل معك ما آكل ؟ " فقال : " والله ما معى غير رغيف واحد وفرّوج فى صَوَلقى (٦) ادّخرته لنفسى " ، فقـال : " ناولنيه " ، فناوله ذلك فأكله كله . ثم قال له : " امسك فرسى حتى أنزل أبول " ؛ وكان [الأمير شهاب الدين] ينبسط (٧) مع السلطان ، فقال : " ما فيها حيلة ، السلطان ركب حصانا وأنا راكب حجر وما يتفقان (٨) " . فقال له السلطان : " انزل أنت واركب خلفى حتى

---

(١) فى س بو بكر .

(٢) فى س " الحقدار " وهو فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ ب) المحقدار . انظر ص ٧٦٦ ، حاشية ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٣) كذا فى س بغير ضبط ، والمعنى أن بيـدرا أظهر الغضب لنائب أمير جاندار عند ما بلغه رسالة السلطان . راجع (Dozy : Supp . Dict. Ar.) .

(٤) تقدم استعمال هـذا اللفظ للدلالة على الأمراء والأجناد من كبار المماليك . (انظر ص ٦٩٠ ، حاشية ٢) .

(٥) الدستور هنا الإذن (Dozy: Supp. Dict. Ar.) ، والمعنى أن السـلطان أعطى الأمراء ذلك اليوم إذنا بالتغيب عن مجلسه .

(٦) مضبوط هكذا فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ أ) ، وهو جراب — أو كيس — من جلد يربط على الجانب الأيمن من الحياصة ، توضع به حاجات السفر من الزاد ، وجمعـه صوالق . (Quatremère : Op. Cit. II. 1. P. 152. N. 40; Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٧) فى س " منسط " .

(٨) فى س " سفقا " .

أنزل أنا" ، فنزل وناول السلطانَ عنان فرسه وركب خلفه ؛ فنزل السلطانُ وقضى حاجته ، ثم قام وركب حصانه ، ومسك فرس أمير شكار حتى ركب ، وأخذا يتحدثان .

فلما[١] كان وقت العصر بعث بيدرا مَنْ كَشَف له خبر السلطان ، فقيل له ليس معه أحد ، فركب بمن وافقه . فلم يشعر السلطان[٢] إلا بغبار عظيم قد ثار ، فقال لأمير شكار : "اكشف خبر هذا الغبار" ، فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء ، فسألهم فلم يجيبوه . ومرّوا فى سَوْقهم حتى وصلوا إلى السلطان وهو وحده ، فابتدره بيدرا بالسيف وضربه أبَانَ يده ، ثم ضربه ثانيا هدّ[٣] (٢٠١ ا) كتفه . فتقدم الأمير لاجين إليه وقال له : "يابيدرا ! من يريد مُلك مصر والشام تكون هذه ضربته" ، وضَرَب السلطان على كتفه حلّه ، فسقط إلى الأرض ، فجاءه بهادر رأس نوبة وأدخل السيفَ فى دبره ، واتكأ عليه إلى أن أخرجه من حلقه . وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف : وهم قراسنقر ، وأقسنقر الحسامى ، ونوغاى ، ومحمد خواجا ، وطرنطاى الساقى ، والطنبغا رأس نوبة[٤] ، وذلك فى يوم الاثنين ثانى عشر المحرم . . . .[٥] .

فبقى الملك الأشرف ملقى فى المكان الذى قتل به يومين ، ثم جاء[٦] الأمير عز الدين أيدمر العجمى والى تروجة ، فوجده فى موضعه عريانا بادى العورة ، فحمله على جمل إلى دار الولاية ، وغسله فى الحمام وكفنه ؛ وجعله فى بيت المال بدار الولاية إلى أن قدم الأمير سعد الدين كُوجَبَا[٧] الناصرى من القاهرة ، وحمله فى تابوته الذى كان فيه إلى تربته بالقرب من المشهد النفيسى ظاهر مصر ، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثانى عشرى صفر .

فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام ، وعمره نحو ثلاثين سنة .

(١ ، ٢) العبارة الواردة بين الرقين مكتوبة على هامش الصفحة فى س ، وبعض ألفاظها محجوب بورقة ملصقة ، ولكنها تامة فى ب (٢٤٠ ب) .

(٣) الحرف الثانى من هذا الفعل محجوب بورقة ملصقة فى س ، ولكنه واضح فى ب (٢٤٠ ب) .

(٤) هذه القصة واردة بتفصيل أكثر مما هنا فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ ا — ٣٠٦ ا) ، وقد أثبتها النويرى مما حكاه كل من الأميرين شهاب الدين أمير شكار وسيف الدين نائب أمير جاندار مباشرة .

(٥) على هذا بياض فى س ، به آثار كتابة ممحوة .

(٦) فى س "فبقى مكانه يومين حتى جا" ، وقد عدلت العبارة إلى ما بالمتن من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ ا) .

(٧) فى س "كوحبا" بفتح الحاء فقط ، وقد صحح وضبط من (Zetterstéen : Beiträge. P. 27) .

ومات عن ابنتين ، ولم يترك ولداً ذكراً . وكان ملكا كريماً شجاعاً مقداماً ، سريع الحركة مظفراً فى حروبه : فتحَ عكا وصور وبيروت وبهسنا وقلعة الروم . وكان مع مافيه من شدة البادرة حَسَنَ النادرة ، يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط ؛ لا يُعلِّم على مكتوب حتى يقرأه كله ، ولابد أن يستدرك على الكتاب فيه مايتبين لهم فيه الصواب . إلا أنه تعاظم فى آخر أيامه ، وصار لايكتب اسمه وإنما يكتب خ إشارة إلى أول حروف اسمه ، ومنع أن يكتب لأحدٍ الزعيمى ، وقال : "مَنْ زعيم الجيوش غيرى ؟" وأبطل من دمشق مَكسا كان يؤخذ فى باب الجابية على كل حمل قمح خمسة دراهم ، وكتب بخطه الذى يكتب به العلامة بين أسطر المسموح الذى كتب بإبطال ذلك مانصه : "ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة ، ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة" .

وأما الأمراء ، فإن الأمير زين الدين كتبغا المنصورى كان قد انفرد ومعه جماعة من الأمراء عن الملك الأشرف وساروا للصيد ؛ وبقى فى الدهليز السلطانى من الأمراء سيف الدين برغلى ، وركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وحسام الدين لاجين الأستادار ، وبدر الدين (٢٠١ ب) بكتوت العلائى ، وجماعة من المماليك السلطانية . فلما قَتل بيدرا السلطانَ عاد بمن معه من الأمراء ، ونزل بالدهليز وجلس فى دست السلطنة ، وقام الأمراء فقبّلوا الأرض بين يديه وحلفوا له ، وتلقب بالملك الأوحد — وقيل المعظم ، وقيل الملك القاهر . ثم قَبض [1] [بيدرا] على الأمير بيسرى والأمير بكتمر السلاح دار [2] أمير جاندار ، وقصد قتلهما ثم تركهما تحت الاحتياط لشفاعة الأمراء فيهما ، وركب إلى الطرانة فبات بها .

وقد سار الأمراء والمماليك السلطانية [ومعهم الأمير [3] برغلى ، وهم] الذين كانوا بالدهليز والوطاق ، [وركبوا] فى آثار بيدرا ومن معه [يريدون القبض عليه] . فبلغ الأمير كتبغا ومن معه مقتل السلطان وسلطنة بيدرا ، فلحق بمن معه الأميرَ بُرغلى ومن معه من الأمراء والمماليك ، وجدُّوا بأجمعهم فى طلب بيدرا ومن معه ، وساقوا فى تلك الليلة إلى الطرّانة .

(١) فى س "فقبض" .
(٢) كذا فى س ، وأيضا فى ب (٢٤١ أ) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ ب) .
(٣) عبارة المقريزى هنا ليست واضحة تماما ، وقد أضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ ب) .

وقد لحق بيدرا بسيف الدين أبى بكر بن الجمقدار(١) نائب أمير جاندار ، والأمير صارم الدين .... (٢) الفخرى ، والأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار ، ومعهم الزرد خاناه ، عند المساء من يوم السبت الذى قُتل فيه السلطان . فعند ما أدركهم تقدم إليه بيبرس أمير جاندار وقال له : " يا خوند ! هـذا الذى فعلتَه كان بمشورة الأمراء ؟ " فقال : " نعم ! أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم ، وها هم كلهم حاضرون " . ثم شرع يعدّد مساوئ الأشرف ومخازيه واستهتارَه بالأمراء ومماليك أبيه ، وإهمالَه لأمور المسلمين ، ووزارتَه ابن السلعوس ، ونفورَ الأمراء منه لمسكه عز الدين الأفرم وقتل سنقر الأشقر وطقصوا وغيره ، وتأميرَه مماليكه ، وقلةَ دينه وشربه الخمر فى شهر رمضان وفسقه بالمردان . ثم سأل [بيدرا] عن الأمير كتبغا فلم يره ، فقيل له : " هل كان عند كتبغا من هذه القضية علم ؟ " قال : " نعم ! هو أول من(٣) أشار بها " .

فلما كان يوم الأحد ثانى [يوم] قتلة الأشرف ، وافى الأمير كتبغا فى طُلْب كبير من المماليك السلطانية — [عدته(٤)] نحو الألفى فارس ، وجماعة من الحلقة [والعسكر] و [معهم] الأمير حسام الدين لاجين الأستادار — الطرّانة وبها بيدرا يريدون قتاله . وميّز كتبغا أصحابه بعلائم حتّى يُعرفوا من جماعة بيدرا ، وهو أنهم جعلوا مناديل من رقابهم إلى تحت آباطهم . فأطلق بيدرا حينئذ [الأميرين] بيسرى وبكتمر السلاح دار، [ليكونا عونا له فكانا عونا عليه] . ورتب كتبغا جماعة ترمى بالنشاب ، وتقدم بمن معه وحملوا على بيدرا حملة منكرة ؛ وقصد [الأميرُ] كتبغا بيدرا وقد فوّق سهمه ، وقال : " يا بيدرا ! أين السلطان ؟ " ورماه بسهم وتبعه البقية بسهامهم ، فولى بيدرا بمن معه وكتبغا فى طلبه حتى أدركه . وقتل [بيدرا] بعدما قطعت يده ثم كتفه كما (٢٠٢ ا) فعل بالأشرف ، وحُملت رأسه على رمح وبُعث بها إلى قلعة الجبل فطيف بها القاهرة ومصر . ووُجد فى جيب بيدرا ورقة فيها : " مايقول السادة الفقهاء فى رجل يشرب الخمر فى شهر رمضان ، ويفسق بالمردان ولا يصلى ؟

(١) فى س " الحقدار ".
(٢) بياض فى س .
(٣) قبالة هذه العبارة آثار كتابة ممحوة .
(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٥ ب) .

فهل على قاتله ذنب أم لا ؟" فكتب جوابها : "يُقتل ولا إثم على قاتله" . وعند ما انهزم بيدرا هرب لاجين وقراسنقر ، ودخلا القاهرة فاختفيا .

وكان الذى وصل إلى قلعة الجبل بخبر مقتل السلطان سيف الدين سنكو[١] الدوادار . ولما بلغ الأميرَ علم الدين سنجر الشجاعى قتلُ السلطان ضَمّ الحراريق والمعادى وسائر المراكب إلى بر مصر والقاهرة ، وأمر أن لا يُعَدَّى بأحد من الأمراء والمماليك إلا بإذنه . فوصل الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء والمماليك ، بعد قتل بيدرا وهزيمة أصحابه ، فلم يجدوا مركباً يعدون به النيل . فأشار على من معه من الأمراء وهم حسام الدين لاجين الأستادار ، وركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وسيف الدين برلغى[٢] ، وسيف الدين طغجى ، وعز الدين طقطاى ، وسيف الدين قطيبة[٣] ، وغيرهم — أن ينزلوا فى برّ الجيزة بالخيام حتى يراسلوا الأمير سنجر الشجاعى ، فوافقوه وضربوا الخيام وأقاموا بها ، و بعثوا إلى الشجاعى فلم يمكنهم من التعدية . وما زالت الرسل بينهم و بينه حتى وقع الاتفاق على إقامة الملك الناصر محمد[٤] بن قلاون ، فبعث عند ذلك الحراريق والمراكب إليهم بالجيزة ، وعدوا بأجمعهم وصاروا إلى قلعة الجبل فى رابع عشر المحرم .

السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن [السلطان] الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفى العلائى الصالحى

أمه أشْلُوْن خاتون ابنة الأمير سكناى[٥] بن قراجين بن جنكاى[٦] نوين . ولد يوم السبت النّصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من مصر ، فلما قتل أخوه

---

(١) كذا فى س . (٢) كذا فى س . انظر ص ٧٩١ ، سطر ١٢ ، ٢٠ .

(٣) فى س "قطيه" . والرسم المثبت هنا من ب (٢٤٢ أ) .

(٤) يوجد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤١١) عبارة بصدد اتفاق الأمراء على سلطنة الناصر محمد ، وهى توضح قصر مدى احترامهم لمبدء الوراثة الشرعية ، ونصها : "وأجمعوا أمرهم على أن تكون السلطنة للسلطان الملك الناصر أخى السلطان الملك الأشرف ، حفظاً لنظام البيت ، ورعاية فى الحى حق الميت" .

(٥) فى س "سكباى" . انظر ص ٧٠٩ ، سطر ١٠ .

(٦) كذا فى س . انظر ص ٧٠٩ ، سطر ١١ .

الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالقرب من تروجة ، وعدّى الأمير زين الدين كتبغا والأمراء ، اجتمع بهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ومَنْ كان بالقاهرة والقلعة من الأمراء الصالحية والمنصورية ، وقرّروا سلطنة الناصر محمد . وأحضروه — وعمره تسع[١] سنين سوا[٢] — فى يوم السبت سادس عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وأجلسوه على سرير السلطنة . ورتّبوا الأمير زين الدين (٢٠٢ ب) كتبغا نائب السلطنة عوضاً عن بيدرا ، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى وزيراً ومدبراً عوضاً عن ابن السلعوس ، والأمير حسام الدين لاجين الرومى الأستادار[٣] أطابك العساكر ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادارا[٤] ، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار دوادارا[٥] ، وأعطى إمرة مائة فارس وتقدمة ألف ، وجُعل إليه أمر ديوان الإنشاء فى المكاتبات والأجوبة والبريد . وأُنفق فى العسكر وحُلِّفُوا فصار كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة ، وليس للملك الناصر من السلطة إلا اسم الملك من غير زيادة على ذلك ؛ وسكن كتبغا بدار النيابة من القلعة ، وجُعل[٦] الخوانُ يُمدُّ بين يديه .

و[أما الشام[٧] فإنه] كُتب إلى دمشق كتاب على لسان الملك الأشرف ، [ومضمونه] : "إنا[٨] قد استنبنا أخانا الملك الناصر محمداً[٩] ، وجعلناه ولى عهدنا حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدو يكون لنا من يخلفنا" ؛ ورسم فيه بتحليف الناس[١٠] [للملك الناصر محمد] ، وأن يقرن

(١) الحرف الأول من هذا اللفظ محجوب فى س بورقة ملصقة فوقه ، وقد حقق من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٦ أ) .

(٢) كذا فى س .

(٣) قبالة هذا اللفظ بهامش الصفحة فى س عبارة بخط مخالف ، وهى شرح للفظ أستادار ، ونصها : "استادار كلمة فارسية أصلها اصطاسرا بمعنى اصطا كبير ، ثم عربوه فقالوا أستاذ ، ومعنى سرا دار الكبير كالسلطان ونحوه ، فلما تلاعبوا بهذه الكلمة قالوا استادار" .

(٤) فى س "استادار" .

(٥) فى س "دوادار" .

(٦) مضبوط هكذا فقط فى س .

(٧) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٦ أ) .

(٨) فى س "ماتا" .

(٩) فى س "محمد" .

(١٠) فى س "الناس له" . وقد ذكر الاسم بدل الضمير للتوضيح .

اسمه باسم الاشرف فى الخطبة . وتوجه بالكتاب الأمير سيف الدين ساطلمش وسيف الدين بهادر التترى ، فدخلا دمشق يوم الجمعة رابع عشريه ؛ وجمع الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب دمشق الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان وحلّفهم ، وخطب باسم الملك الأشرف والملك الناصر ولى عهده ؛ وكان ذلك من تدبير الشجاعى . فقدم من الغد البريد إلى دمشق بالحوطة على موجود بيدرا ولاجين وقرا سنقر ، وطرنطاى الساقى وسنقرشاه وبهادر رأس نوبة ، فظهر قتل الأشرف وإقامة أخيه الناصر بعده . فاستمر الأمر فى الخطبة بالشام على ذلك إلى حادى عشر ربيع الأول ، حتى ورد مرسوم ناصرى بالخطبة للملك الناصر وحده بالسلطنة ، فخطب له كذلك فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول ، وتُرُحّم على أبيه المنصور وأخيه الأشرف .

ثم كتب إلى [1] . . . . ووَقَع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا فى قتل الأشرف : فأول من وُجد منهم الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، والأمير جمال الدين أقش الموصلى الحاجب ، فضربت أعناقهما وأحرقت أبدانهما فى المجاير [2] ثامن يوم سلطنة الناصر . ثم أخذ بعدهما سبعة أمراء : وهم حسام الدين طرنطاى الساقى ، ونوغاى السلاح دار ، وسيف الدين الناق الساقى [3] السلاح دار ، وسيف الدين أروس الحسامى السلاح دار ، (٢٠٣ ا) وعلاء الدين الطنبغا الجمدار ، وأقسنقر الحسامى ، وناصر الدين محمد بن خواجا — ثم قبض على قوش قرا السلاح دار ، وذلك فى العشرين من المحرم — ، فسجنوا بخزانة البنود [4]

---

(١) هذه الجملة الناقصة واردة فى س فقط ، ويليها بياض قدر سطرين تقريبا ، وبه آثار كتابة ممحوة محواً تاما .

(٢) المجاير جمع جيارة ، وهى القرن التى يحرق بها الجير . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . هذا وقد ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤١٣) أن جسدى الأميرين أحرقا بباب البرقية .

(٣) كذا فى س .

(٤) كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية ، بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوك وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية ، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع ، وبها مدرسة لتعليم مماليك تلك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة . ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع سنة ٤٦١ هـ ، وجعلت بعد هذا الحريق حبسا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية . وقد اتخذها ملوك بنى أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه الأمراء والمماليك ، ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ، واستمرت مخصصة لذلك الغرض زمن دولة المماليك حتى عهد الناصر محمد بن قلاون . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٢٣ ، وما بعدها) .

من القاهرة . وتولى بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقرّوا على من كان معهم ، ثم أخرجوا يوم الاثنين ثامن عشره ، وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة ، وسُمِّروا على الجمال وأيديهم معلقة فى أعناقهم ، وشقوا بهم — ورأس بيدرا على رمح قدامهم — القاهرة ومصر . واجتمع لرؤيتهم من العالم مالا يمكن حصره ، بحيث كادت [القاهرة [(١)] ومصر] أن تنهبا [(٢)] . ومروا بهم على أبواب دورهم ، فلما جازوا على دار علاء الدين الطنبغا خرجت جواريه حاسرات يلطمن ، ومعهن أولاده وغلمانه قد شقوا الثياب وعظم صياحهم ؛ وكانت زوجته بأعلى الدار ، فألقت نفسها لتقع عليه فأمسكتها [(٣)] جواريها ، وهى تقول : "ليتنى فداك" ، وقطعت شعرها ورمته عليه ؛ فتهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم . واستمروا على ذلك أياماً : فمنهم من مات على ظهور الجمال ، ومنهم من فُكّت مساميره وحمل إلى أهله ثم أُخذ مرة ثانيةً وأُعيد تسميره فمات .

هذا وجوارى الملك الأشرف وعيال حواشيه قد لَبِسْن الحداد وتذرّعن [(٤)] السخام ، وطفن فى الشوارع بالنوّاحات يقمن المآتم ، فلم يُرَ بمصر أشنع من تلك الأيام . ثم أُخذ بعد ذلك الأمير سيف الدين قجقار [(٥)] الساقى فشنق بسوق الخيل ، ولم يوقف لقراسنقر ولا للاجين على خبر البتة .

وبلغ الوزير ابن السلعوس وهو بالإسكندرية مقتل الملك الأشرف ، فخرج ليلا وسار إلى القاهرة ، فنزل بزاوية الشيخ جمال الدين [أحمد بن محمد [(٦)] بن عبد الله] الظاهرى

---

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. 5.) حيث الجملة مترجمة إلى :

" Une foule innombrable s'était réunie pour contempler ce spectacle, en sorte que le deux villes purent presque livrées au pillage. "

(٢) فى س "نهب" .

(٣) فى س "فامسكها" .

(٤) فى س "تدرعن السخام" . وفى لسان العرب تذرع الشخص الكلام — أو السخام — أكثر منه وأفرط فيه ، والأسد المذرع الذى على ذراعيه دم فريسته ؛ أما السخام فهو الفحم وسواد القدر ، فيكون معنى الجملة أن الجوارى قد أكثرن من تلطيخ أذرعهن بتلك المادة السوداء .

(٥) فى س "قجقار" . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤١٢) .

(٦) موضع ما بين القوسين بياض فى س ، والإضافة من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٣١) ، حيث يوجد وصف لتلك الزاوية وتعريف بصاحبها ، نصه : "هذه الزاوية خارج باب البحر ظاهر القاهرة عند حمام طرغاى على الخليج الناصرى ، كانت أولا تشرف على بحر النيل الأعظم ، فلما =

خارج القاهرة وبات عنده . ثم ركب منها بكرة بهيئته ودسته [١] إلى داره ، فأتاه القضاة والأعيان وسلموا عليه ، فجرى معهم على عادته من الترفع والكِبْر ، ولم يقم لأحد ولا احتفل بكبير . فقال له بعض أخصائه : " الرأى أن تختفى حتى تسكن الفتنة " ؛ فقال : " هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا ، فكيف نختاره لأنفسنا ؟ " واستمر فى بيته والناس تتردد إليه خمسة أيام ؛ [وذلك] من أجل أنَّ حَرَمَ الملك الأشرف بعثن إلى الأمير كتبغا النائب يشفعن فيه ، فإنه من أحباب السلطان وأخصائه . فشق ذلك على الشجاعى وتحدّث مع (٢٠٣ ب) كتبغا وغيره من الأمراء ، وحرّضهم عليه وأغراهم به . فاستدعاه كتبغا فى اليوم السادس وهو ثانى عشرى المحرم ، فركب فى دسته على عادته ؛ فعند مادخل إليه قبض عليه وأسلمه للشجاعى فأحاط به ، وأنزله من القلعة ماشياً إلى داره والأعوان محيطة به ، فلم يُمَكّن من العبور إليها . وأخذه أعدى أعاديه الأميرُ بهاء الدين قراقوش الظاهرى شاد الصحبة ليطالبه بالأموال ، فضربه ضربا شديداً بلغ فى مرة واحدة ألفاً ومائة ضربة بالمقارع ، فأنكر عليه الشجاعى [ذلك] . ونقل ابن السلعوس إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ السعودى شاد الدواوين ، فعاقبه بأنواع العقوبات وعذّبه أشدّ عذاب ، واستخرج منه مالا كثيراً : منه مبلغ تسعة آلاف دينار تحت يد شخص بالشام ، فكَتب التذاكر إلى الشام ، وأخذ المبلغ المذكور .

وكانت عقوبة ابن السلعوس فى المدرسة الصاحبية [٢] بسويقة الصاحب من القاهرة ،

= انحسر الماء عن ساحل المقس ، وحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى ، صارت تشرف على الخليج المذكور ... والظاهرى هنا هو أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهرى ، كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى ، وبرع حتى صار إماما حافظا ، وتوفى فى ليلة الثلاثاء لأربع بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة بالقاهرة ، ودفن بتربته خارج باب النصر ... " .

(١) الدست هنا الموكب الذى يرافق السلطان أو الأمير فى روحاته وغدواته . "La pompe, l'appareil qui accompagne le souverain ou son ministre." ومن معانيه أيضا الحاشية التى تحيط بالسلطان أو الأمير : " les grands, les courtisans qui accompagnent un prince. " . راجع : (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . وهو لفظ فارسى أخذته العرب وتصرفت به لمعان كثيرة غير المعنيين المذكورين ، وجمعه دسوت . (محيط المحيط) .

(٢) تنسب هذه المدرسة إلى الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر ، وزير السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ٣٧١ ، وما بعدها) .

وفى كل يوم يضربه لؤلؤ بالمقارع ويخرجه من الصاحبية إلى القلعة وهو على حمار : فيقف له أراذل الناس فى طول الطريق ومعهم المداسات المقطعة ويقولون له : "يا صاحب ! عَلِّمْ لنا على هذه" . ويسمعونه كل مكروه ، فينزل به من الخزى والنكال مالا يعبر عنه . وكان لؤلؤ هذا ممن أنشأه ابن السلعوس ؛ فإنه كان قد طُلب من دمشق لما قُتل مخدومه الأمير طرنطاى النائب — وكان يلى ديوانه بالشام — ، فأحسن إليه ابن السلعوس وولاه شدّ الدواوين بمصر ، وصار يقف فى خدمته كأنه بعض النقباء ، فلا يسميه إلا لؤلؤ ؛ فقدّر الله أنه وقع فى يده ، فبالغ فى إهانته وصارت العقوبة فى كل يوم تتزايد عليه والشدائد تتضاعف ، ويتولى عقوبته شرّ الظَّلَمة وأبعدهم من الشفقة ، إلى أن مات فى يوم السبت عاشر صفر ، وقيل خامس عشره ، وقيل سابع عشره ؛ وضُرب بعد موته ثلاث عشرة مقرعة ، ودفن بالقرافة .

وفى تاسع عشر صفر عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة عن وظيفة القضاء ، وأُعيد قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى سائر ما كان بيده من المناصب . واستقرّ ابن جماعة فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى من القرافة ، وتدريس المشهد الحسينى بالقاهرة .

وفى هذه المدة أحكم الشجاعى أمر الوزارة ، فاشتدت مهابة الناس له (١٢٠٤) وقويت نفسه ، وأحب أن يستبد بالأمور . فشرع فى إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه ، واستمال الأمراء البرجية والمماليك السلطانية ، وفرق فيهم نحو الثمانين ألف دينار سرا ، وقرر معهم أن من آتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه إقطاعه ، وأن الأمير علم الدين سنجر البندقدارى يقبض على كتبغا إذا جلس على السماط . وكان ممن اطلع على هذا الأمير سيف الدين قنغر[1] التترى الوافد فى الدولة الظاهرية — وهو من جنس كتبغا ، فأعلمه الخبر .

(١) كذا فى س ، واسمه قُنْقُر بهذا الضبط فى (Zettersléen: Op. Cit. P. 29) . وتوجد فى نفس المرجع والصفحة ترجمة قصيرة لهذا الأمير ، منها أنه كان له "اثنا عشر ولدا ذكورا ، فكان منهم ستة فى خدمة السلطان الملك الأشرف ، وخمسة فى خدمة علم الدين الشجاعى ، وواحد منهم صغير . وكان لهذا قُنْقُر منزلة عظيمة عند الشجاعى وكلمة مسموعة وشفاعة مقبولة ، وله اطلاع على الدولة بسبب أولاده" .

فاحترز كتبغا على نفسه وأعلم أصحابه من الأمراء وغيرهم . فلما كان يوم الخميس ثانى عشرى صفر اجتمع الأمراء بمساطب باب القلة من قلعة الجبل على العادة ، ينتظرون فتح باب القلعة ليركبوا فى خدمة الأمير كتبغا فى الموكب كما جرت به العادة ، فلم يشعروا إلا برسالة قد خرجت على لسان أمير جاندار بطلب جماعة من الأمراء : وهم سيف الدين قبجق [1] ، و بدر الدين عبد الله السلاح دار حامل الجتر ، وسيف الدين قبلاى [2] ، وركن الدين عمر السلاح دار أخو تمر ، وسيف الدين كرجى ، وسيف الدين طرنجى [3] ، وقرمشى السلاح دار ، و بورى السلاح دار ، ولاجين جركس ، ومغلطاى المسعودى ، وكرد الساقى ، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية . وقام بقية الأمراء للركوب ، فبينما هم يسيرون تحت القلعة بالميدان الأسود ، جاء الأمير قنغر ومعه ابنه جاورجى [4] ، فأخبرا النائب كتبغا أن الأمراء الذين استُدعوا اعتُقلوا ، وأن الشجاعى قد دبّر "أنك إذا طلعت قبض عليك وعلى من معك وقت الجلوس على السماط" . فعرّف كتبغا الأمراء الذين معه بما قال قنغر وولده ، فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة .

واستعجل الأمير علم الدين البندقدارى [5] ، وعمل ما لا كان ينبغى : وذلك أنه كان فى الموكب سيف الدين برلغى أمير مجلس ، وركن الدين بيبرس الجاشنكير الأستادار ؛ فلم يشعر بيبرس إلا وضربة دبوس جاءته فى رأسه أثرت فيه أثراً بقى فيه بعد ذلك ، وقُبض عليه وعلى برلغى و بُعث بهما إلى الاسكندرية . وعند قبضهما قال سنجر البندقدارى لكتبغا النائب فى جملة كلام فاوضه به : "أين لاجين ؟ أحضره !" فقال كتبغا : "ما هو عندى" . فقال سنجر : (٢٠٤ ب) "والله هو عندك" ، وجرّد سيفه ليضرب به كتبغا ، فبادره من ورائه بكتوت الأزرق مملوك كتبغا وضربه بسيف حلّ كتفه ، ونزل إليه بقية مماليك كتبغا وذبحوه .

(١) فى س "قبجق" ، انظر ص ٧٤٩ ، حاشية ٢ .

(٢) اسم هذا الأمير "قباى" فى النويرى ، (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٧ أ) .

(٣) كذا فى س ، واسمه "طرقجى" فى النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٤) كذا فى س ، واسمه "حاورشى" فى النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) ، والرسم الأقرب للنطق التترى "جاورشى" . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤١٣) .

(٥) كان هذا الأمير موكلا بالقبض على كتبغا . انظر ص ٧٩٨ ، سطر ١٩) .

وساق كتبغا ومن معه من الأمراء : وهم بيسرى و بكتاش الفخرى أمير سلاح و بكتوت العلائى و بهاء الدين يعقوبا[(١)] ونوكاى وأيبك الموصلى والحاج بهادر وأقسنقر كرتيه و بلبان إلى الباب المحروق وخرجوا عنه ، فنزلوا بظاهر السور ولبسوا عدة الحرب . و بعث كتبغا نقباء الخاقة فى طلب المقدمين وأجناد الحلقة والتتر والأكراد الشهرزوية ، فحضروا إليه . وركب الشجاعى وخرج إلى باب القلعة ، وحرك الكوسات ليحضر إليه الأمراء وأجناد الحلقة ، فإنه كان [قد] صرّ عدة صُرَر[(٢)] من ذهب ، وراسل المقدمين وأجناد الحلقة يعدُهم إذا وافقوه وقاتلوا معه ؛ فصار من يحضر إليه يعطيه صرة ذهب على قدره ، فلم يحضر إليه فى هذا اليوم إلا من لا يُغنى عنه ولا يجدى مجيئُه شيئاً . ثم أن كتبغا بعث إلى السلطان يطالب الشجاعى ؛ وقال له : " قد انفرد هذا برأيه فى القبض على الأمراء ولابد من حضوره ، فإنه بلغنا عنه ما أنكرناه " . فأرسل السلطان يعرف الشجاعى بذلك ، فامتنع أن يحضر إليه . ورَجَفَ[(٣)] كتبغا ، [وأخذ] يحاصر القلعة وقطع عنها الماء . و باتوا على ذلك .

فلما كان يوم الجمعة نزل الأمراء البرجية من القلعة على حمية ، وقاتلوا كتبغا ومن معه من العساكر ، وهزموهم وساقوا خلفهم إلى البئر البيضاء ؛ ومر كتبغا إلى ناحية بلبيس .

وكان بيسرى و بكتاش فى عدة من الأمراء لم يركبوا مع كتبغا فى هذا اليوم ، فلما سمعوا بكسرته شقّ عليهم ذلك وركبوا إلى البرجية وقاتلوهم ، وكسروهم حتى رُدّوا إلى القلعة . فقدم كتبغا بعد كسرته وانضم مع بيسرى و بكتاش ، وتلاحق بهم الناس . فجدّوا فى حصار القلعة حتى طلع الملك الناصر على البرج الأحمر وتراءى لهم ، فنزل الأمراء عن خيولهم إلى الأرض وقبلوا له الأرض ، وقالوا : " نحن مماليك السلطان ، ولم نخلع يدا من طاعته ، وما قصْدنا إلا حفظ نظام الدولة واتفاق الكلمة و إزالة الفساد " .

واستمر الحصار سبعة أيام ، وفى كل يوم ينزل الشجاعى ومعه الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين طغجى[(٤)] فى عدة من المماليك (١٢٠٥) السلطانية ،

(١) كذا فى س ، وفى (Zetterstéen : Beiträge. P. 84.) .

(٢) فى س "صررا" .

(٣) كذا فى س ، ومعنى رجف كتبغا أنه تهيأ للحرب . انظر محيط المحيط .

(٤) فى س "طعجى" ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Beiträge. P. 27) حيث ورد هذا الاسم أيضاً طقجى .

فيكون بينه و بين كتبغا وأصحابه قتال ، إلا أنه يتسال ممن معه فى كل يوم عدة و يصيرون إلى كتبغا .

فلما اشتد الحصار طلعت أم السلطان على سور القلعة ، وسألت الأمراء عن غرضهم حتى تعمل ، فقالوا : " مالنا غرض إلا القبض على الشجاعى و إخماد الفتنة ، ولو بقى من بيت أستاذنا (١) بنت عمياء كنا مماليكها ، لا سيا وولده الملك الناصر حاضر وفيه كفاية " . فانخدعت لقولهم ، واتفقت مع الأمير حسام الدين لاجين الأتابك وغلّقوا باب القلة من القلعة ، وصار الشجاعى بداره من القلعة محصورا . فعند ذلك تفرق عنه أصحابه ونزلوا إلى كتبغا ، فلم يجد بدًا من طلب الأمان فلم تجبه الأمراء ، فتحيّر وقال : " إن كنت أنا الغريم فأنا أتوجه إلى الحبس طوعا منى ، [وأبرأ مما (٢) قيل عنى] " ، وخرج إلى باب الستارة السلطانية وحل سيفه [بيده] ، وذهب نحو البرج ومعه الأمير بهاء الدين الأقوش (٣) والأمير سيف الدين صمغار .

وقيل إن الشجاعى لما أبى الأمراء أن يؤمنوه بعثوا آخر النهار عند العصر جماعة فيهم الأقوش إلى عند أم السلطان ، وطلبوا الشجاعى ليستشيروه فيما يفعل ؛ فلما حضر تكاثرت عليه المماليك ، ووثب عليه منهم أحد مماليك الأقوش وضربه من ورائه بسيف أطار يده ، وثنّى بأخرى أسقطت (٤) رأسه عن بدنه (٥) ، ورفعت فى الحال على السور . [وكان] عمره نحو الخمسين سنة .

و يقال إنه لما حضر قال له السلطان : " ياعمى ! لأى شىء هذا [الذى] أنتم فيه ؟ " فقال : " لأجلك ياخوند ! " فقال : " خلونى أعمل شيئاً تبقوا مطمئنين وأنا معكم ؛ وهو أنك تروح يا أمير علم الدين تقعد فى مكان بالقلعة وترسل وراء الأمراء ليطلعوا (٦) ، و بعد أيام نوفق بينكم ، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها وتستريح منهم " . فقام الأمراء

(١) المقصود بذلك السلطان قلاون ، وفى هذه العبارة دليل جديد على أهمية علاقة المماليك بأستاذهم .

(٢) أضيف مابين الأقواس بهذه الفقرة من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٨٦ أ) ، حيث العبارة أكثر تفصيلا .

(٣) فى س "لاقوش". انظر مايلى، سطر ١٢ ، وكذلك (Zetterstéen : Beiträge, P. 3I.) .

(٤) فى س "سقط" .

(٥) فى س "بده" ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٠٤ ب) .

(٦) فى س "يطلعوا" .

الحاضرون وقبضوا عليه . وقيدوه وأخرجوه إلى مكان يسجن فيه ، فتوجه به الأقوش [نحو البرج [(١)] الجوانى] . فلما كان فى أثناء الطريق قتله ، وقطع رأسه ويده وأخذهما فى ذيل قرظيته [(٢)] ، ونزل إلى سوق الخيل والبرجية والمماليك السلطانية محيطة بباب القلعة ، فقالوا له : " مامعك ؟ " فقال : " خبز سخن أرسله السلطان إلى الأمراء ، ليعلموا أن عندنا الشئ بكثرة " ، يريد بذلك النجاة منهم . فظنوه صادقاً وتركوه ، ولو علموا بأن معه رأس الشجاعى لما خلص منهم . فصار إلى الأمراء وناولهم الرأس ، فبعثوا فى الحال من حلف السلطان (٢٠٥ ب) والأمراء الذين عنده .

وفُتح باب القلعة ، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة وهم راكبون إلى باب القلة ، ثانى يوم ؛ ودقت البشائر ، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشريه . فنودى بعد ذلك بالأمان ، ففتحت أبواب القاهرة وكانت كلها مغلقة إلا باب زويلة ، وكذلك الأسواق كانت معطلة فى هذه المدة .

ثم رُفع رأس الشجاعى على رمح وطيف بها القاهرة ومصر ، ولم يدَعوا زقاقا حتى طافوا بالرأس فيه ، وجَبَوا عليه مالا كثيراً . وفى الناس من كان يضرب الرأس بالمداسات ، ومنهم من يصفعه ويسبه ، وصاروا يقولون : " هـذه رأس الملعون الشجاعى " . وسُرَّ كثير من الناس لموته ؛ فإنه أكثر من المصادرات ، ونوّع الظلم والعسف أنواعا .

وفيه أُفرج عن الأمراء المعتقلين ؛ وأعيدت لهم إقطاعاتهم وأموالهم ، وجُدِّدت الأيمان للسلطان ولنائبه الأمير كتبغا . وأُنزل من كان ساكنا فى الأبراج والطباق بقلعة الجبل من المماليك السلطانية الذين رُمُوا بأنهم أثاروا هذه الفتنة ، وأُسكنت طائفة منهم فى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولونى ، وطائفة فى دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة ، وطائفة فى مناظر الميدان الصالحى بأرض اللوق ، واعتقلت طائفة .

وفى يوم الخميس تاسع عشريه استقر فى الوزارة الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، واستقر ابن عمه عز الدين الصاحب

(١) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٨٦ ب) .

(٢) كذا فى س ، وقد ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٧) أن الأقوش أحضر رأس الشجاعى " وقد لف فى بقجة " ، فلعل هذا هو المقصود بلفظ " قرظية " .

محيى الدين بهاء الدين فى وزارة الصحبة ، وصارا يجلسان جميعاً فى شباك الوزارة بقلعة الجبل ، والصاحب تاج الدين هو الذى يوقِّع . وفى سلخه أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم ،

وفى ثالث ربيع الأول أوقعت الحوطة بدمشق على موجود الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، وقبض على نوابه .

وفى العشرين من رجب حلف نائب دمشق والأمراء بها للسلطان ونائبه [(١)] وولى عهده الأمير كتبغا ، ودُعى له معه فى الخطبة . وفى خامس عشريه ركب الملك الناصر فى أبهة الملك ، وشقّ القاهرة من باب النصر حتى خرج من باب زويلة عائداً إلى القلعة ، وكتبغا والأمراء يمشون فى ركابه ، فكان يوماً مشهوداً ، ودقت البشائر بالقلعة .

وفى يوم عيد الفطر ظهر الأمير حسام الدين لاجين الصغير والأمير شمس الدين قراسنقر المنصوريان من الاستتار : وكانا وقت فرارهما عند وقعة بيدرا [قد] أطلعا الأمير سيف الدين بتخاص الزينى مملوك الأمير كتبغا النائب بحالهما ، فتلطّف مع أستاذه كتبغا فى أمرهما حتى صار يتحدث مع السلطان إلى أن عفا عنهما ؛ ثم تحدث [كتبغا[(٢)]] مع الأمير (١٢٠٦) بكتاش فى أمرهما ، وانتدبه لإصلاح حالهما مع الأمراء ، فركب ودار على الأمراء وأعيان المماليك ، وأزال ما كان فى نفوسهم من الوحشة . وقُرِّر الحال على أنهما يصعدان [إلى القلعة] يوم العيد ، فأتيا سراً إلى بيت الأمير كتبغا بقلعة الجبل ، فأخذهما معه ودخل إلى السماط ؛ فقبّلا الأرض للسلطان على العادة ، فأكرمهما وخلع عليهما وأمَّرُهما كما كانا ؛ ونزلا فحمل الأمراء إليهما من التقادم ما يجلّ وصفه . وكانت هذه الفعلة من كتبغا مع لاجين كعنز السوء بحثت عن حتفها بظلفها ، كما ستراه قريباً من خبرهما إن شاء الله . وفيه أفرج عن الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأخوته وأولاده .

وفى هذه السنة قصر مدّ النيل ولم يوف ، بل كانت نهايته خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع ، فغلت الأسعار . وفيها [(٣)] استقر فى قضاء دمشق قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين محمد الخويى بحكم وفاته . وفيها سار الشريف

(١) فى س "نابه" .
(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٧ ب) .
(٣) فى س "فيه" .

أبو نمى أمير مكة يريد مصر حتى يلقى السلطان الملك الأشرف ، لأنه خاف على ذلك ؛ فلما نزل ينبع ردّ إليه الشريف واجح بن إدريس ينبع ؛ وجاءه الخبر بقتل السلطان [الملك الأشرف] ، فرجع من ينبع إلى مكة . وغلت الأسعار بمكة ، فأبيع المدّ الملح بستة دنانير مكية : وغلت بها المياه فى شعبان ورمضان . وقدم حاج اليمن فى كثرة ، فبلغت الراوية أربعة دنانير ، وحمل الماء من عرفة إلى مكة . ثم أغاث الله بالأمطار وكانت بمنى قبله فى يوم الأحد ، فسار الناس منها يوم الأربعاء ومضوا إلى بلادهم . وفيها قتل الملك كيختو [بن أبغا بن هولاكو] ، وولى بعده بيدو بن [طوغاى [(١)] بن] هولاكو .

ومات فى هذه السنة من الأعيان قاضى قضاة الشام شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن قاضى القضاة شمس الدين أبى العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى المهلبى الشهير بابن الخوبى الشافعى ، بدمشق عن سبع وستين سنة ، ولى قضاء حلب ودمشق مصر ، ولم يبرح مشكور السيرة . وتوفى الوزير الصاحب فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسودى ، عن إحدى وثمانين سنة ، وزر مرتين . وتوفى الوزير الصاحب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبى الرجاء بن السلعوس التنوخى ، عن خمسين سنة مقتولا . وتوفى الزاهد المعتقد تقى الدين أبو محمد عبد الله بن على بن محمد بن ماجد السروجى ، بالقاهرة . وتوفى المحدث شرف الدين أبو على الحسن بن على بن عيسى بن الحسن بن على بن الصيرفى اللخمى ، عن نحو سبع وستين سنة . ومات [(٢)] قبلاى خان بن طلو بن جنكزخان ملك الصين ، وهو أكبر الخانات والحاكم على كرسى مملكة جنكزخان . وكانت مدته قد [(٣)] طالت ، فقام فى مملكة الصين بعده ابنه شيرمون [(٤)] بن قبلاى .

---

(١) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Lane - Poole : Muh. Dyns. P. 221.) ، على أن وضع هذه الوفاة هنا خطا ، فالمعروف أن كيختو قتل فى بلدة موقان ، يوم الخميس سادس جمادى الثانية سنة ٦٩٤ هـ (٢٣ أبريل ١٢٩٥ م) . انظر (Browne : Lit. Hist Of Persia, III. P. 39) . وقد أدرك المقريزى خطأه بذكره الوفاة فى موضعها الصحيح .

(٢) هذه الوفاة واردة خطأ فى س ضمن وفيات ٦٨٨ هـ ، وقد أرجئ إثباتها إلى هنا . انظر ص ٧٥٠ ، حاشية ٥ .

(٣) امتد عهد هذا الخان من سنة ٦٥٩ إلى ٦٩٣ هـ (١٢٩٠ — ١٢٩٤ م) ، وكان ميالا إلى الإسلام والمسلمين ، وقد نقل عاصمة الإمبراطورية المغولية إلى خان بالق وهى پكين الحالية ، وصير بذلك دولة المغول صينية . وهو الذى زاره الرحالة الإيطالى (Marco Polo) ، وخلده الشاعر الإنجليزى (Coleridge) فى إحدى قصائده الطويلة . (Enc. Isl. Art. Kubilai) .

(٤) كذا فى س ، والغالب أن المقريزى يقصد شنجكين (Chingkin) ثانى أولاد قبلاى من زوجته =

سنة أربع وتسعين وستمائة . فى المحرم [1] ورد الخبر بأن كيختو بن [أبغا] بن هولاكو ، الذى تسلطن بعد [أخيه] أرغون فى سنة تسعين ، قُتل فى سنة ثلاث وتسعين . وملك بعده ابن عمه [2] بيـدو ، [وهو ابن طرغاى بن هولاكو] ، فخرج عليه غازان بن أرغون بن أبغا نائب خراسان ، وكسره وأخذ الملك منه ، و[يقال] إنه [3] أسلم على يد الشيخ صدر الدين بن حمويه الجوينى .

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره اجتمع المماليك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التى تحت القلعة ، وركبوا الخيول ونهبوا ما قدروا عليـه . وداروا على خوشداشيتهم فأركبوهم ومضوا إلى باب [4] سعادة من أبواب القاهرة فأحرقوه [5] ، ودخلوا إلى دار الوزارة ليخرجوا من فيها من المماليك ، فلم يوافقوهم على ذلك فتركوهم ؛ وقصدوا سوق السلاح بالقاهرة ، وفتحوا الحوانيت وأخذوا السلاح ، ومضوا إلى خزانة البنود وأخرجوا من فيها من المماليك ، وساروا إلى إسطبل السلطان ووقفوا تحت القلعة . فركب الأمراء الذين بالقلعة وقاتلوهم ، (٢٠٦ ب) فلم يثبتوا وانهزموا وتفرقوا . فقُبض عليهم من القـاهرة

= الـكبرى ، وكان قبلاى قد عينه لولاية العهد بعد وفاة الابن الأكبر درجى (Dorji) . ثم مات هذا الابن الثانى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ، فنقل قبـلاى ولاية العهد بعد ذلك إلى حفيده ألجيتو (ūljaitū) بن شنجكين ، وهو الذى ملك بعد قبلاى ، وامتد حكمه إلى سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧م) . انظر : Howorth : Hist. Of The Mongols, 1. PP. 284 et Seq .).

(١) انظر ص ٨٠٤ ، حاشية ٢ .

(٢) فى س " اخيه " ، وقد صححت العبارة ، وأضيف مابين القوسين بعد مراجعة : (Lane - Poole : Muh. Dyns. P. 221) ، وكذلك (Browne : Lit. Hist Of Persia, III. P. 39) .

(٣) الضمير عائد على غازان ، وموضع الشك الذى استلزم إضافة لفظ " يقال " ، فضلا عن الحاجة إليه لانسجام العبارة ، أن المراجع مختلفة فى اسم الشخص الذى أسلم الملك غازان على يده ، فيقال " الشيخ صدر الدين إبراهيم " فقط ، ويقال " الشيخ إبراهيم الجوينى " . أما غازان فكان قد نذر — بين يدى وزيره المسلم واسمه أمير توروز — أن يعتنق دين الإسلام إذا انتصر على بيدو ، وصدق وعده بمجرد أن تم له ذلك ، فاعتنق الإسلام على مذهب الشيعة . وفى مدة حكمه ، التى امتدت إلى سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤م) ، تمت غلبة الإسلام على الديانة المغولية . (Browne: Lit. Hist. Of Persia, III. P.40, et seq) . هذا ويوجد فى (Zetterstéen : Beiträge, PP. 34-36) وصف طويل لإسلام غازان ، وقد تسمى بعد إسلامه باسم محمود . انظر أيضا ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٤٤ — ٤٤٥) .

(٤) عرف هذا الباب باسم باب سعادة ، حسبما جاء فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٨٣) ، نسبة إلى سعادة بن حيان غلام الخليفة المعز لدين الله الفاطمى .

(٥) فى س " احرقوه " .

وضواحيها ولم يفلت منهم أحد : فضُربت رقاب بعضهم بباب القلعة ، وقُطعت أيدى جماعة وأرجلهم ؛ وغُرّق كثير منهم ؛ وفيهم من أُكحل ، وفيهم من قطعت ألسنتهم ؛ ومنهم من صُلب على باب زويلة ، ومنهم من بقى ؛ وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة مملوك[١] .

وفى يوم الأربعاء حادى عشره خُلع الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام ، لم يكن [له] فيها أمر ولا نهى .

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى

كان فى مدة سلطنة الملك الناصر هو القائم بجميع أمور الدولة ، وليس للناصر معه تصرف البتة . ثم إنه أخذ فى أسباب السلطنة بعد قتل الشجاعى ، ولما دخل المحرم انقطع فى دار النيابة وأظهر أنه ضعيف البدن ، وباطنُ أمره أنه يريد أن يقرر أموره فى السلطنة ، فخرج إليه الناصر وعاده . فلما كانت فتنة المماليك جلس فى صباح تلك الليلة[٢] بدار النيابة ، وجمع الأمراء وقال لهم : "قد انخرق ناموس المملكة ، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه" . فاتفقوا على خلعه وإقامة كتبغا مكانه ، وحلفوا له على ذلك ؛ وقُدّم إليه فرس[٣] النوبة بالرقبة الملوكية ، وركب من دار النيابة قبل أذان العصر من يوم الأربعاء حادى عشر المحرم ، ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانيـة ، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس

(١) كانت هذه الفتنة التى أثارتها فئات المماليك الأشرفية المغضوب عليهم (انظر ص ٨٠٢ ، سطر ١٧) سببا فى حركة كتبغا لخلع الناصر محمد من السلطنة وإقامة نفسه مكانه ، وقد تم ذلك كله كما يلى بالمتن . انظر أيضا بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٨٧ ا — ١٨٨ ا) ، وكذلك ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤١٨ — ٤٢١) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ١٠٨ ا) .

(٢) فى س "الليل" .

(٣) كانت العادة أن يحفظ بقرب حضرة السلطان ، بالقلعة أو فى الأسفار ، فرس مجهز بالسرج والغاشية لاستخدامه فى الطوارئ ، وقد سمى باسم فرس النوبة ، وقد شرح (Blochet) ذلك فى حاشية للترجمة الفرنسية لابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٣٢ ، حاشية ١) ، ووصفها : "Ce cheval de faction était un coursier tout sellé et bridé, qui se trouvait à la porte de la tente sultanienne , en prévision de semblables occurrences" ، هذا ويظهر مما بالمتن أن فرس النوبة كان يستخدم أيضا للركوب إعلانا بقيام سلطان جديد .

على التخت بأهبة الملك ؛ وتلقب بالملك العادل ، فكانت أيامه شر أيام من الغلاء والوباء وكثرة الموتان .

ومن عجيب الاتفاق أن مُشْرِف[١] المطبخ السلطانى بالقلعة ضرب بعض المَرَقْدَارِيَّة[٢] ، فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة ، فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول : " يا نهار الشوم ! إن هذا نهار نحس " ، فجرى هذا الكلام فى هذا اليوم على ألسنة جميع الناس .

وفيه نُقل الملك الناصر محمد من القصر ، وأسكن هو وأمه فى بعض قاعات القلعة . وفى ثانى عشره مدّ العادل سماطا عظيما وجلس عليه ، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده ، وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه . فلما انقضى الأكل خُلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير ، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر ؛ وخُلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى ، وجُعل أمير جاندار ؛ وخُلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى ، واستقر أمير حاجب[٣] .

وفى رابع عشره خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا ؛ و[خرجت] كُتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصورى ، فقدم دمشق فى سابع عشره وحلّف النائب والأمراء ، ودقّت البشائر . وفى يوم الخميس تاسع عشره خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة ، وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزارة من أجل (١٢٠٧ ا) أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة .

---

(١) أطلق اسم المشرف على الذى يتولى أمر المطبخ السلطانى ، ويقف على مراقبة الأطبخة به حسب إرشاد أستادار الصحبة . انظر ص ١٢٧ ، حاشية ١ ، والقلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

(٢) المرقدار أحد صبيان المطبخ السلطانى ، وقد عرفه القلقشندى (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٧٠) بالآتى : " هو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه ، سمى بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الخوان ، ونحو ذلك " .

(٣) ليس فى المراجع المتداولة بهذه الحواشى وظيفة بهذا الاسم ، وربما قصد المقريزى هنا ، والنويرى أيضاً فى (نهاية الارب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٨ ب) ، وظيفة حاجب الحجاب ، وأوردها كل منهما على وزن أمير جاندار وأمير سلاح ؛ وكان موضوع وظيفة حاجب الحجاب هذه فى العصر المملوكى أن " صاحبها ينصف بين الأمراء والجند ، تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك ... " . القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ ؛ ج ٥ ، ص ٤٤٩) .

وفى يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتى على رأسه والتقليد بين يديه ، وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضى جمال الدين محمد بن المكرم بن أبى الحسن بن أحمد الأنصارى .

وشرع [السلطان] يؤمّر مماليكه فأمّر أربعة : وهم بَتْخاص[١] و [قد] جعله أستادارا[٢] ، وأغرلو وبكتوت الأزرق[٣] وقطلو بك ؛ فركبوا بالأمرة فى يوم واحد . وفوض [السلطان] وزارة دمشق للصاحب تقى الدين توبه التكريتى ، على عادته فى أيام المنصور [قلاوون] ؛ وكُتب له بردِّ ما أُخذ منه فى الدولة الأشرفية ، وسار من القاهرة .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الأولى عزل الصاحب تاج الدين محمد بن حنا من الوزارة[٤] ، واستقر بالقاضى فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى الدارى — [وكان] ناظر ديوانه وناظر الدواوين — فى الوزارة .

وفى هذا الشهر استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث ، وخرج النائب وسائر الناس مشاة . وتزايد الغلاء بديار مصر[٥] بعد ما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين ، وكانت التقاوى المخلدة قد أكلت[٦] . ولم يكن بالأهراء السلطانية غلال ، فإن الأشرف كان قد فرّق الغلال وأطلقها للأمراء وغيرهم حتى نفد ما فى الأهراء .

---

(١) فى س "بتخاص" . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P . 145) .

(٢) فى س " استادار " .

(٣) سمى الأمير بكتوت بهذا الاسم ، حسبما ورد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٢٤) ، "لأنه كان أخيف العينين ، . . . والأخيف هو الذى تكون إحدى مقلتيه سوداء والأخرى زرقاء" . انظر أيضاً محيط المحيط .

(٤) يوجد فوق هذا اللفظ فى س إشارة إلى لَحَق غير موجود بين الألحاق المبعثرة فى هوامش هذه الصفحة .

(٥ ، ٦) العبارة الواردة هنا بين الرقمين موجودة بهامش الصفحة فى س قبالة الإشارة المذكورة فى الحاشية السابقة ، وقد أثبت ناسخ ب هذه العبارة بعد لفظ "الوزارة" (انظر سطر ١٠) ، ومشى على ذلك (Quatremére : Op. Cit. II. 2. P. 24) . أما عبارة "التقاوى المخلدة" المذكورة فى عرض الجملة بالمتن ، فلعل المقصود بها التقاوى المحفوظة لأغراض الزراعة ، أو لعلها التقاوى التى ختم عليها بخاتم التخليد السلطانى لحفظها للزرع المقبل ، أو ربما كان المقصود أن تلك التقاوى كانت قد أكلتها الدابة المعروفة باسم الخلد (mole) وهى الفارة العمياء . راجع محيط المحيط ، وكذلك : (Dozy : Supp. Dict Ar.)

وقصر مدّ النيل كما تقـدم ، فصار الوزير يشترى الغلال المؤونة بدور السلطان وللعليق ، فتزايد الغلاء حتى بلغ تسعين درهما الأردب .

ووقع فى شهر ربيع الأول من هذه السـنة بديار مصر كلها وباء ، وعظم فى القاهرة ومصر ؛ وتزايد [حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف ، ويبقى الميت مطروحا فى الأزقة والشوارع ملقى فى الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه ، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم(١)] .

وفى سادس عشرى رمضان استقر نجم الدين أحمد بن صصرى فى قضاء العسكر بدمشق وسافر من القـاهرة . وأنعم على الملك الأوحد شادى(٢) بن الزاهر مجـير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبى بأمرة فى دمشق ، فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها ، وهو أول من أُمِّر طبلخاناه من بنى أيوب فى الدولة التركية . وقـدم الخبر بموت الملك المظفر شمس الدين أبى المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول التركمانى صاحب اليمن فى شهر رمضان ، فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة ، وكانت سيرته جيدة . وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممهد الدين عمر ولى عهده ، فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود وجمع لقتاله ، وحاصر عدن ثلاثة عشر يوما وملـكها وأخذ الأموال بغير حق ، وسار يريد تَعِزّ . فبعث إليه الأشرف جيشا قاتله وأسره وحمله إليه ، فاعتقله .

و [فيها] استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن (٢٠٧ ب) جماعة فى خطابة الجامع الأموى بدمشق ، زيادة على ما بيده من قضائها ، فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة سادس شوال ، وهو أول من جُمع له بين القضاء والخطابة بدمشق .

و [فيها] قبض على الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى نائب البلاد الطرابلسية ،

---

(١) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفـكرة ، ج ٩ ، ص ١٨٩ أ) ، حيث يوجد تفصيلات كثيرة عن ذلك الوباء وما سبقه من الغلاء . هذا وقد جاء فى (Zettersténn : Op. Cit. P 36) أنه مما زاد ذلك الوباء بلاء وشدة أن أهل برقة حصل عندهم غلاء عظيم وجراد كثير ، فانحدر منهم إلى الديار المصرية أعداد جمة بلغت خمسين ألفا ، وإلى الديار الشامية اثنين وثمانين ألفا ، فصادفوا البلاد وقد حصل الغلاء ، فهلـكوا وأهلـكوا . انظر ما يلى ص ٨١٠ ، سطر ٤ .

(٢) فى س " شاذى "

وحُمل إلى القاهرة ، فقدمها فى حادى عشر ذى القعدة واعتقل ؛ وأقيم بدله الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى .

وفيها قصر مدّ النيل و بلغ ستة عشر ذراعا وسبع عشرة أصبعا ، ثم هبط من ليلته ولم يعد ؛ فتزايد الغلاء واشتد البلاء . وأجدبت بلاد برقة أيضاً ، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز ، و بلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهما فضة . وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان فى شهر ذى الحجة سبعة عشر ألفا[1] وخمسمائة ، سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك . وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير ، وأكل بعضهم لحم بعض . وأناف عدد من عُرِّف بموته فى كل يوم ألف نفس ، سوى من لم يثبت اسمه فى الديوان . فلما اشتد الأمر فرّق السلطان الفقراء على أرباب الأموال بحسب حالهم .

وفيها كثرت الفلوس ، فعملت كل أوقية بسدس درهم . [وفيها] مات ملك تونس الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، ليلة الجمعة رابع عشرى ذى الحجة ، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر . و بويع بعده أبو عبد الله محمد المعروف بأبى عصيدة بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد .

ومات فى هذه السنة من الأعيان القان كيختو[2] بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكز خان ملك التتار قتيلا ، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين . ومات القان بيدو بن طرغاى بن هولاكو القائم بعد كيختو مقتولا ، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر ؛ وقام بعده غازان بن أرغون [بن] أبغا بن هولاكو . ومات الملك المظفر محمد بن المنصور عمر ابن على بن رسول ملك اليمن بقلعة تَعِزّ ، وقد تجاوز ثمانين سنة ، منها مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة . ومات الملك السعيد داود بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين ، وقام بعده أخوه المنصور غازى[3] . وتوفى شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد بن

(١) فى س "الف" .
(٢) انظر ص ٨٠٤ ، حاشية ١ ، وكذلك ص ٨٠٥ ، سطر ١ .
(٣) يلى هذا فى س لفظ "بعده" ، وقد حذف منعاً للتكرار .

جعفر بن الحسين بن حماد القدسى الشافعى ، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق ، وقد انتهت إليه رياسة الفتوى وولى خطابة الجامع الأموى . وتوفى عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن عمر بن فرج بن أحمد بن سابور الفارُوثى[١] الواسطى الشافعى ، عن ثمانين سنة بواسط ؛ [وكان قد] ولى الخطابة [بعد ابن[٢] المرحل] ، وكان إماماً فى عدة فنون . وتوفى محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكى الشافعى فقيه الحجاز ، بمكة عن تسع وسبعين سنة . وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الساكن الطوسى المشهدى ، بالقاهرة .

* * *

سنة خمس وتسعين وستمائة . فى المحرم حدث بقرية جُبَّة عُسَّال[٣] من قرى دمشق أمر عجيب : وهو أن شابا من أهلها خرج بثور له يسقيه الماء ، فلما فرغ [الثور] من شربه حمد الله ؛ فتعجب الصبى من ذلك ، وحكاه فلم يصدق . فلما كان فى اليوم الثانى خرج صاحب الثور به ليسقيه ، فشرب وحمد الله بعد فراغه ، فمضى به ، وكثر ذكر ذلك بالقرية . فخرج به فى اليوم الثالث و [قد] حضر أهل القرية ، فعندما فرغ الثور من شربه سمعه الجميع وهو يحمد الله . فتقدم بعضهم وسأله ، فقال الثور بكلام سمعه من حضر : " إن الله عز وجل كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدباً ، ولكن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم أبدلها الله تعالى بالخصب " ، وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بتبليغ ذلك إلى الناس . قال الثور فقلت : " يارسول[٤] الله ! ما علامة صدقى عندهم ؟ " قال : " أن تموت عقيب الإخبار " . (١٢٠٨) ثم مضى الثور إلى موضع مرتفع وسقط

---

(١) بغير ضبط فى س ، ولعل النسبة إلى فاروث ، وهى قرية على شاطىء دجلة بين بلدتى واسط والمذار . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٤٠) .

(٢) فى س " ولى خطابه وكان إماما فى عدة فنون . . . " ، وقد أصلحت العبارة وأضيف ما بين القوسين من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٢٥) .

(٣) فى س " حبه عسال " بغير ضبط ، وفى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣١) " جبة عسيل " ، وتسمى أيضا " جبة " فقط ، وهى ناحية تشمل عدة قرى بين دمشق وبعلبك .

(٤) فى س " رسول " .

ميتاً ، فتقاسم أهل القرية شعره للتبرك به ، وكفنوه ودفنوه . وحضر إلى قلعة الجبل محضر ثابت على قاضى الولاية بهذه الحادثة .

وفى ربيع الأول قدم البريد بوصول طائفة الأويراتية [١] من التتار ومقدمهم طرغاى [زوج بنت [٢] هولاكو] ، وأنهم نحو الثمانية عشر ألف بيت ، قد فرّوا من غازان ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام . فكُتب إلى نائب الشام أن يبعث إليهم الأمير علم الدين سنجر الدوادارى إلى الرحبة ليلقاهم ، فخرج من دمشق ، ثم توجه بعده الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق ؛ وخرج الأمير قرا سنقر المنصورى من القاهرة أيضاً ، فوصل دمشق فى ثانى عشريه ؛ ثم تبعه الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحاجب ، فأقام بدمشق حتى وصلت أعيان الأويراتية صحبة سنقر الأعسر فى ثالث عشريه . و[كانت] عدتهم مائة وثلاثة عشر رجلا ، ومقدمهم طرغاى ، ومن أكابرهم الوص وككباى ؛ فتلقاهم النائب والأمراء واحتفل لقدومهم احتفالاً زائداً .

ثم سار بهم الأمير قرا سنقر إلى القاهرة يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، فلما وصلوا بالغ السلطان فى إكرامهم والإحسان إليهم ، وأمّر عدة منهم . وبقوا على كفرهم ، ودخل شهر رمضان فلم يصم منهم أحد ، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها ، بل يُربط الفرس ويُضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل . فأنف الأمراء من جلوسهم معهم بباب القلة فى الخدمة ، وعظم على الناس إكرامهم ، وتزايد بعضهم فى السلطان ، وانطلقت الألسنة بذمه [حتى أوجب [٣] ذلك خلع السلطان فيما بعد] .

(١) تقدم التعريف بتلك القبيلة التترية فى ص ٧٠٨ ، حاشية ٣ .

(٢) أضيف مابين القوسين من (Zettérstéen : Op. Cit. P. 38) ؛ أما السبب فى لجوء هذه الفئة مع طرغاى ، وهو غير طرغاى أبى الملك بيدو (انظر ص ٨٠٤ ، سطر ٧) ، أن ذلك الأمير التترى كان قد اشترك فى المؤامرة التى دبرها بيدو لقتل كيختو ، فلما قتل كيختو وصار الملك إلى غازان خاف طرغاى على نفسه ، فاتفق ومن معه من كبراء الأويراتية على الذهاب إلى الشام واللوذ بالسلطان كتبغا ؛ ويلاحظ أن السلطان كتبغا كان تترى الأصل ، وهو الذى قاد الجيوش التترية التى انكسرت على يد السلطان قطز عند عين جالوت ، وحضر إلى مصر أسيراً ومازال بها حتى صار سلطاناً ، بل إنه كان حمى الأمير طرغاى المذكور ، إذ كان كل منهما قد تزوج فى أيامه الأولى من بنات هولاكو . انظر (Ibid : Op. Cit P. 33) ، وكذلك النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ١٣٨ ب) . لهذا كله كان السلطان كتبغا مهتما بأمر أولئك الواقدين ، وقد احتفى بهم وبالغ فى إكرامهم ، كما سيلى بالمتن .

(٣) أضيف مابين الأقواس بهذه الفقرة ، وكذلك ما يلى من الإضافات بالفقرتين التاليتين ، من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٠ ب — ٣١١ أ) .

وأما بقية الأو يراتية فإنه كُتب إلى سنجر الدواداري أن ينزلهم ببلاد الساحل ، فمرّ بهم على مرج دمشق ، وأخرجت الأسواق إليهم فنصبت بالمرج و بمنزلة الصَّنَمَيْن (١) وفى الكسوة ، ولم يمكَّن أحد من الأو يراتية أن يدخل مدينة دمشق . وأنزلوا من أراضى عثليث ممتدين فى بلاد الساحل ، وأقام الأمير سنجر عندهم [إلى أن حضر السلطان إلى الشام] . و [قد] هلك منهم عالم كبير ، وأخذ الأمراء أولادهم [الشباب للخدمة] ، وكَثُرت الرغبة فيهم لجمالهم ، وتزوج الناس ببناتهم ، وتنافس الأمراء والأجناد وغيرهم فى صبيانهم و بناتهم ؛ [ثم انغمس من بقى منهم فى العساكر] ، فتفرقوا فى الممالك ، ودخلوا فى الإسلام واختلطوا بأهل البلاد .

وفى يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى استقر فى (٢٠٨ ب) قضاء القضاة بديار مصر تقى الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيرى المعروف بابن دقيق (٢) العيد الشافعى ، بعد وفاة قاضى القضاة ذى الرياستين تقى الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة ذى الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العَلَامِى (٣) المعروف بابن بنت الأعز .

وفى هذه السنة اشتد الغلاء ، و بلغ سعر الأردب القمح المصرى إلى مائة وثمانين درهما ، والشعير تعدّى الأردب منه مائة درهم ، والفول بنحو تسعين درهما الأردب . و بلغ الترمس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم ، وأُبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة ، وأُبيع الفرُّوج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم . وذبحت فراريج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة ، وأُبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة ، وأُبيع الرطل منه بأربعة دراهم . وأُبيعت سفرجلة بثلاثين درهما ، وكل رطل لحم بسبعة دراهم ، وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم ؛ ولم يزد سعر القمح فى بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب .

(١) بغير ضبط فى س ، وهى قرية من أعمال دمشق فى أوائل حوران ، بينها و بين دمشق مرحلتان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٢٩) .

(٢) كان أصل تلقيب هذا القاضى بهذا اللقب ، حسبما جاء فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص٣٣٦ ا) ، أن جده وهب بن مطيع لبس فى يوم عيد ثيابا بيضاء ، فرآه جماعة من أهل الريف فقال قائل منهم كأن ثيابه دقيق العيد لبياضها ، فلزمه هذا اللقب واشتهر به بيته .

(٣) بغير ضبط فى س . انظر ص ٥٦٢ ، حاشية ١ .

وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء ، وهلكت[1] الكلاب والقطاط من الجوع . وانكشف حال كثير من الناس ، وشحّت الأنفس حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مدّ أسمطتهم . وكثر تعزير محتسب القاهرة ومصر لبياعى لحوم الكلاب والميتات ، ثم تفاقم الأمر[2] فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشى وبنى آدم ، وأكل النساء أولادهن الموتى . ورأى بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهى تستعطى ، فرقّ لها وأدخلها داره فإذا هى جميلة ، فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءاً طعاما فأكلته كله ولم تشبع ، فقدّم إليها مثله فأكلته وشكت الجوع ، فما زال يقدّم لها وهى تأكل حتى اكتفت ؛ ثم استندت إلى الحائط ونامت ، فلما حرّكوها وجدت ميتة ، فأخذوا من كتفها جرابا فلقوا فيه يد إنسان صغير ورجله ؛ فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء .

ثم إن الأسعار انحلّت فى شهر رجب ، حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهما ، والشعير بخمسة (١٢٠٩) وعشرين درهما الأردب .

وأما النيل فإنه توقف ، ثم وفى ستة عشر ذراعا وكسر الخليج ، فنقص فى يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصا فاحشا ثم زاد . فتزايد السعر وساءت ظنون الناس ، وكثر الشحّ وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال ، واشتدّ البكاء وعظم ضجيج الناس فى الأسواق من شدة الغلاء .

وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة فى كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت ، ويغسل فى الميضأة من الغرباء الطرحاء فى كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا ، ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين[3] بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم ويدفنهم ، فيشتغل نهاره بهم . ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن ، فإنه يدفن الواحد فى ثوب ثم ساعة ما يوضع فى

(١) فى س "هلك" .
(٢) هذا اللفظ مكرر فى س .
(٣) المستورين — ويقال المساتير أيضاً — جمع مستور ، ولهذا اللفظ معنيان فى كتب المؤرخين ، فيقصد بالمستور الرجل الغنى العفيف صاحب القدرة على الخير من غير إعلان عن نفسه ، ويقال المستور أيضا للفقير التقى المنزوى عن الناس . ويتضح من عبارة المتن هنا أن المعنى الأول هو المقصود ، انظر (Quatremére: Op. Cit. II. 2. P. 31. N 19.)

حفرتة يؤخذ[١] ثو به حتى يلبس لميت آخر ، فيكفن فى الثوب الواحد عدة أموات .

وعجز الناس عن مواراة الأموات فى القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم ، فعُملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة ، ثم تُطم بالتراب . وانتُدب أناس لحمل الأموات ورميهم فى الحفر ، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم ، فيحمله [الواحد منهم] ويلقيه إما فى حفرة أو فى النيل إن كان قريباً منه . وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات فى شِبَاك على الجمال ، و يعلقون الميت بيديه ورجليه من الجانبين ، و يرمى فى الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن ، ورُمى كثير من الأموات فى الآبار حتى تملأ ثم تردم . ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقى على الطرقات حتى أكلته الكلاب ، وأكل كثيراً[٢] منها بنو آدم أيضاً . وحُصِرَ فى شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قُدِر على معرفته ، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان ، وعظم الموتان فى أعمال مصر كلها حتى خلت القرى .

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر — وهو سادس عشر كانون الأول — ولم يقع المطر ، فتزايدت الأسعار فى سائر بلاد الشام . وجفّت المياه ، فكانت الدابة تُسقى بدرهم شربة واحدة ، و يَشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة ، ولم يبق عشب ولا مرعى . و بلغ (٢٠٩ ب) القمح كل غرارة فى دمشق بمائة وسبعين درهما ، والخبز كل رطل وأوقيتين بدرهم ، واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف . ثم أن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى قرأ صحيح البخارى تحت قبة النَّسْر بالجامع [الأموى بدمشق[٣]] فى يوم الأحد تاسع صفر ، فسقط المطر فى تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه ثلج ، فَسَرَّ الناس ذلك ؛ إلا أن الأسعار تزايدت ، ثم انحطت .

واشتد الغلاء بالحجاز ، حتى أبيعت الغرارة القمح فى مكة بألف ومائتى درهم . وفى رجب وقعت صاعقة على قبة زمزم ، فقتلت الشيخ على بن محمد بن عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة .

---

(١) فى س " اخذ " ، والجملة كلها غير مستقيمة تماما .

(٢) فى س "كثير منهم" ، والمقصود أن الأحياء من بنى آدم أكلوا كثيرا من الكلاب أيضا . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٠ ا) .

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Le Strange : Palest. Under Moslems. Index) .

وفيها قدمت أم الملك العادل سلامش بن [السلطان] الملك الظاهر [بيبرس] من بلاد القسطنطينية إلى دمشق فى حادى عشر رمضان ، وسارت إلى القاهرة فى ثامن عشره .

وفيها مات الملك السعيد إيلغازى بن المظفر فخر الدين قرا أرسلان [١] الأرتقى صاحب ماردين ، فكانت أيامه قريباً من ثلاث سنين ؛ وقام من بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى .

وفى يوم السبت سابع عشر شوال خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام [٢] ، واستخلف الأميرَ شمس الدين كرتيه فى نيابة السلطنة ، وولدَه الملك المجاهد أنص . فدخل دمشق فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة ، وحمل الأمير بيسرى الجِتْر على رأسه . وفيه استقر تقى الدين سليمان فى قضاء الحنابلة بدمشق ، عوضاً عن شرف الدين حسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسى بحكم وفاته فى ثانى عشرى شوال .

و [لما استقر السلطان [٣] بدمشق] خلع فى سادس عشره على الأمراء وأهل الدولة ؛ وشرع الصاحب فخر الدين الخليلى [٤] فى مصادرات أهل دمشق من الولاة والشادين : ورسَّم على سنقر الأعسر شاد الدواوين ، وعزل اسندمر كرجى [٥] والى البر ، وولى عوضه علاء الدين بن الجاكى ، وألزم الأعسر وسائر المباشرين بأموال جزيلة .

وفى رابع عشريه قدم الملك المظفر صاحب حماة إلى دمشق ، فتلقاه السلطان وأكرمه . وخرج عسكر كبير إلى حلب . وفى يوم الجمعة ثامن عشريه صلى السلطان بالجامع الأموى ، وخلع على خطيبه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة .

وفى يوم الاثنين ثانى ذى الحجة عُزل الأمير عز الدين أيبك الحموى عن نيابة دمشق ،

---

(١) فى س " قرارسلان " .

(٢) كان سبب سفر السلطان كتبغا تلك السنة إلى الشام ، حسبما ورد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج ، ص ٤٢٨ ، وما بعدها) أنه أراد أن يعزل الأمير عز الدين أيبك الحموى عن نيابة السلطنة بالشام ، ويولى مكانه أغرلو مملوكه ، ويرتب أحوال هؤلاء التتار الوافدين من الأويراتية " .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٢ أ) .

(٤) فى س " الحليلى " . انظر (Quatremére : Op. Cit. II. 2. P. 36) ، وكذلك النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠١ ب) .

(٥) فى س "كرحى " ، وهو وارد برسم "كجى " فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٢ أ) . انظر (Quatremére : Loc. Cit.) .

ووقعت الحوطة على خيوله وأمواله ؛ واستقر فى نيابة دمشق الأمير سيف الدين أغرلو العادلى ، وعمره نحو الثلاثين سـنة ؛ واستقر أيبك الحموى نائب دمشق على إقطاع أغرلو بديار مصر ، وخُلع عليه . وفى ثامنه استقر فى وزارة دمشق — عوضاً عن تقى الدين توبه وكيل السلطان — شهابُ الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الأذرعى الحنفى محتسب دمشق .

وفى ثانى عشره خرج السلطان إلى حمص ليتصيد ، فدخلها فى تاسع عشره ، وحضر إليه نائب حلب و بقية النواب . وانسلخت هذه السنة والسلطان على جُوْسِيَة[1] (١٢١٠) من قرى حمص بمخيمه ، وكان قد اشتراها .

وفيها ولى الشريف شمس الدين محمـد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد قاضى العسكر نقابةَ الأشراف بديار مصر ، بعد وفاة الشريف عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحلبى . واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق تقى الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة ، بعد موت شرف الدين حسن بن عبـد الله ابن الشيخ أبى عمر . وفيها استقر الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر محمد بن عمر بن على فى مملـكة اليمن ، بعد موت أخيه الأشرف ممهد الدين عمر .

ومات فى هذه السنة من الأعيان الملك الأشرف عمر بن المظفر محمد بن المنصور عمر ابن على بن رسول متملك اليمن ، وقد قارب سبعين سنة . وتوفى قاضى القضاة ذو الرياستين تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العـلامى الشافعى بالقاهرة عن [2] . . . . . وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أبو الفضائل الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن الحسن بن محمد بن قدامة المقدسى بدمشق ، عن سبع وخمسين سنة . وتوفى العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى ، عن نحو خمس وستين سنة بدمشق . وتوفى الصاحب محيى الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله ابن طارق بن سلامة بن النحاس الآمدى الحلبى الحنفى ، بدمشق عن إحدى وثمانين سنة ؛

(١) بغير ضبط فى س ، وهى قرية على مسافة ستة فراسخ من حلب ، وموقعها بين جبل لبنان وجبل سنير . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٤) .
(٢) بياض فى س .

[وكانت قد] انتهت إليه مشيخة فقه الحنفية ، وولى قضاء حلب ثم وزارة دمشق . وتوفى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عصرون التميمى الموصلى الشافعى ، بدمشق عن خمس وثمانين سنة . وتوفى المقرئ الزاهد شرف الدين أبو الثناء محمد بن أحمد بن مبادر بن ضحاك التّاذِفى (١) ، بدمشق عن إحدى وسبعين سنة . وتوفى السراج أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن الورّاق الشاعر ، عن نحو سبعين سنة . وتوفى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن خلف بن محمود الشافعى الفقيه الأديب ، بمصر .

***

سنة ست وتسعين وستمائة . فى ثانى المحرم قدم السلطان من حمص إلى دمشق . وفى يوم الجمعة رابعه صلى صلاة الجمعة بالجامع الأموى ، وأخذ قصصاً كثيرة رُفعت إليه ، ورأى بيد رجل قصة فتقدم إليه بنفسه ومشى عدة خطوات حتى أخذ القصة منه بيده . وفى سابع عشرة أُنعم على الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك السعيد بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب بإمرة طبلخاناه بدمشق . وفى حادى عشريه قُبض على الأمير اسندمر كرجى ، واعتُقل بقلعة دمشق ؛ وعُزِل سنقر الأعسر عن شد الدواوين بدمشق ، واستقر عوضه الأمير فتح الدين عمر بن محمد بن صبرة .

وفى بكرة (٢) يوم الثلاثاء ثانى عشريه رحل السلطان من دمشق بعساكره يريد

(١) فى س "التاذقى" بغير ضبط ، والرسم المثبت هنا من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٣٢) ؛ والتاذفى نسبة إلى تاذف ، وهى قرية من ناحية بزاعة بالشام ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨١١) .

(٢) العبارة التالية ، إلى آخر سلطنة العادل كتبغا ، تشبه فى معظم ألفاظها وترتيبها ما يقابلها فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٢ ب) ، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض أمثال هذا الشبه بين متنى السلوك ونهاية الأرب ، ورؤى هنا إيراد متن نهاية الأرب ، لإظهار مدى ذلك الشبه بين المرجعين ، مما يدل بوضوح على أن المقريزى كان ينقل من النويرى ، أو من مرجع آخر يشبهه كثيرا ، وأنه كان يحوّر بعض الألفاظ أو يعدل بعض الجمل بالحذف والتغيير ، حتى لا يكون قد نقل حرفيا . وهذا نص عبارة النويرى : " وفى بكرة نهار الثلاثاء الثانى من المحرم توجه السلطان بعساكره نحو الديار المصرية ، وقد أجمع أكابر الأمراء على خلعه ؛ فلما انتهوا إلى مجلس العوجاء جلس السلطان فى الدهليز ، وحضر الأمراء للخدمة . وطلب [السلطان] الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى طلبا مزعجا ، وكان قد توجه إلى الزيارة ؛ فلما حضر لم يقم [السلطان] له على عادته ، ويقال إنه كلمه بكلام غليظ ، ونسبه إلى أنه كاتب التتار =

القاهرة ، وقد توغّرت صدور الأمراء وتواعدوا على الفتك به . فسار إلى أن نزل بالعوجاء قريباً من الرملة ، وحضر الأمراء عنده بالدهليز ؛ فأمر بإحضار الأمير بيسرى فطُلب طلبا حثيثاً ، فلما حضر لم يقم له على عادته ، وأغلظ له فى الـكلام ونسبه إلى أنه كاتب التتار ، فـكانت بينهما مفاوضة . ثم نهض السلطان ، وانفض الأمراء وقد حرّك منهم ما كان عندهم كامناً .

فاجتمعوا عند الأمير حسام الدين لاجين النائب وفيهم بيسرى ، وسألوه عما كان من السلطان فى حق بيسرى ، فقال : "إن مماليك السلطان كتبوا عنك كتبا إلى التتار ، وأحضروها إليه وقالوا إنك كتبتها ، ونيته القبض عليك إذا وصل إلى مصر ، و[أن] يقبض علىّ أيضاً وعلى أكابر الأمراء ، ويقدم مماليكه . فأجمعوا عند ذلك على مبادرة السلطان ، فركبوا يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم وقت الظهر : وهم لاجين و بيسرى وقراسنقر وقبجاق والحاج بهادر الحاجب فى آخرين ، و[استصحبوا] معهم[1] حِمْل نقّارات[2] ، وساقوا مُلبَّسين إلى باب الدهليز ، وحركت النقارات حربياً . فركب عدة من العادلية واقتتلوا ، فتقدّم تكلان العادلى فضربه الأمير لاجين فى وجهه ضربة أخذت منـه جانباً كبيراً ، وجَرَح تـكلان

= وحصل بينهما مفاوضة . ثم نهض السلطان من المجلس ، وقام الأمراء واجتمعوا فى خيمة الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة ، وتكلموا فيما وقع ، فسأل الأمير بدر الدين بيسرى الأمير حسام الدين عن موجب إغلاظ السلطان له ، فقال ان مماليكه قد كتبوا عنك كتبا إلى التتار ، وأحضروها إليه ونسبوك إلى أنك كتبتها ، ونيته إذا وصل إلى قلعة الجبل أن يقبض علىّ وعليك وعلى أكابر الأمراء ، ويقدّم مماليكه . فأجمعوا عند ذلك إلى (كذا) خلعه ، وركب الأمير حسام الدين لاجين والأمير بدر الدين بيسرى والأمير شمس الدين قراسنقر والأمير سيف الدين قبجاق والأمير سيف الدين بهادر الحلبي الحاجب ، ومن انضم إليهم ؛ واستصحبوا معهم حمل نقارات ، وساقوا إلى باب الدهليز ، وحركت النقارات حربيا ، وذلك فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وتسـعين وستمائة . فلما مروا بخيمة بكتوت الأزرق العادلى قتلوه ، وركب بتخاص (بنجاس فى الأصل) العادلى وتوجه إلى باب الدهليز ، فقتلوه أيضا . ولما شاهد الملك العادل ذلك خرج من ظهر الدهليز ، وركب فرس النوبة ، وعبر على القنطرة التى على ماء العوجاء وساق ركضا ، وأدركه خمسة أو ستة من مماليكه ، واستقر به السير إلى دمشق ودخل قلعتها ، فـكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى" .

(١) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، س ١٩٣ أ) .

(٢) كانت النقارات — وواحدتها نقارة — من الآلات الملـكية المختصة بالمواكب العظيمة بمصر منذ أيام الفاطميين ، وكانت تحمل على عشرين بغلا على كل بغل ثلاث ، وتسير فى الموكب اثنتين اثنتين . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، س ٤٧٥ ؛ Dozy : Supp. Dict. Ar.) . وكانت النقارات تحمل فى ركاب السلاطين إلى الحرب ، فتستخدم فى إصدار الأوامر وفى الإيذان ببدء القتال ، كما هو واضح بالمتن .

فرس لاجين . (٢١٠ ب) وقُتل الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق العادلى فى خيمته ؛ وقُتل الأمير سيف الدين بتخاص العادلى ، وقد فرّ إلى الدهليز فأدركوه بباب الدهليز فقتلوه ؛ وَجَرحوا عدة من المماليك العادلية . فلم يثبت العادل ، وخرج من ظهر الدهليز ، وركب فرس النوبة ببغلطاق صدر [١] ، وعبر على قنطرة العوجاء يريد دمشق من غير أن يفطن به أحد ، ولم يدركه سوى خمسة من مماليكه [٢] . وهجم لاجين [على] الدهليز فلم يجد العادل وبلغه أنه فر ، فساق خلفه فلم يدركه ورجع إلى الدهليز ؛ فلما عاينه الأمراء ترجّلوا له ومشوا فى ركابه حتى نزل . فكانت مدة كتبغا ، منذ جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة ، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجاء فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة ، سنتين وسبعة عشر يوما .

السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى المعروف بالصغير

كان أولا من جملة مماليك الملك المنصور على بن الملك المعز أيبك ، فلما خُلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما ، من غير مالك شرعى ؛ فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة ثانية ، بحكم بيع قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكرى [٣] . وعُرف حين بيعه بشُقَير ،

(١) فى س " سلعطاق صدر " .

(٢) سيلاحظ القارئ بمقارنة المتن هنا بما يقابله من متن نهاية الأرب الوارد فى ص ٨١٨ ، حاشية ٢ ، أن العبارة التالية إلى آخر أخبار سلطنة العادل كتبغا غير موجودة البتة فى نهاية الأرب ؛ ولهذه الزيادات أشباه كثيرة كلما قورن المتنان ، ومنها يستنتج — إن صح القول بأن أخبار هذه السنين فى السلوك منقولة من نهاية الأرب — أن المقريزى لم يعتمد على النويرى فحسب ، بل اجتهد وأضاف من غيره من المراجع ، وقد فعل مثل ذلك بصدد ابن واصل ، كما تقدم فى موضعه . (انظر ص ٢٩٨ ، حاشية ١ ؛ ص ٧٣٩ ، حاشية ١ ؛ ص ٤٠٦ ، حاشية ٣) .

(٣) اطلع النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٢ ب) على عهد بيع لاجين تلك المرة الثانية من أجل السبب المذكور فى المتن هنا ، وهذا نص ما ورد فى النويرى بصدد المسألة كلها ، لتوضيح بعض ما يغمض فى عبارة المقريزى : " وكان [لاجين] من مماليك الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز [أيبك] ، فلما سفر [الملك المنصور] إلى القسطنطينية تأخر [لاجين] بالقاهرة . فاشتراه الملك المنصور [قلاون] فى أيام إمرته بسبع مائة وخمسين درهما ، ثم تبين له بعد ذلك أنه من مماليك الملك المنصور بن الملك =

فربى عند قلاون وقيل له لاجين الصغير، وترقى فى خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمّره [قلاون] واستنابه بدمشق لما مَلَك، وهو لا يُعرف إلا بلاجين الصغير[١]؛ فشُكرت سيرته فى النيابة، وأحبته الرعية لعفته عما فى أيديهم. فلما ملك الأشرف خليل ابن قلاون قَبَض[٢] عليه [وعزله عن نيابة دمشق، ثم أفرج عنه وولاه إمرة سلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق. ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانياً، ففرّ من داره بدمشق، فقُبِض عليه وحُمل إلى قلعة الجبل، وأُمِر بخنقه قدّام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بيدرا، وأعيد إلى الخدمة على عادته، واشترك مع بيدرا فى قتل الأشرف خليل]، كما تقدم ذكره. [ثم اختفى خبره مدة]، وتنقل فى المدن إلى [أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا فى أمره، فعُفِى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين فى نيابة السلطنة بديار مصر، إلى] أن ركب على كتبغا وفرّ منه[٣]، فنزل بالدهليز من العوجاء — وقيل من اللجون.

واجتمع الأمراء عنده، وهم بدر الدين بيسرى الشمسى، وشمس الدين قراسنقر المنصورى، وسيف الدين قبجاق، وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب، وسيف الدين كرد، وحسام الدين لاجين السلاح[٤]دار الرومى أستادار، وبدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، وعز الدين أيبك الخازندار[٥]، وجمال الدين أقوش الموصلى، ومبارز الدين أمير شكار،

= المعز، وقيل له إنه غائب ولا يصح بيعه إلا من حاكم، فاشتراه ثانيا من قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز بما يزيد عن ألف دينار، وباعه على الغائب بالنبطة له. وقد شاهدت أنا عهديته فى جملة عهد المماليك المنصورية السيفية، وشذ عنى تحقيق الثمن الثانى، إلا أنه يزيد عن ألف درهم، ولعل ذلك ألف وخمسون درهما".

(١) حاول النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) تحقيق سبب تلقيب لاجين بلقب "الصغير"، فقال: "وسألت بعض أكابر الأمراء من المماليك المنصورية، الذين كانوا فى خدمة السلطان فى زمن إمرته، عن لاجين الكبير الذى ميز هذا بالصغير بسببه فما عرفوه، ولعل هذه الشهرة وقعت عليه وقوع اللقب".

(٢) عبارة المقريزى هنا مقتضبة إلى حد بعيد، وقد أضيف ما بين الأقواس للإيضاح، وذلك بعد مراجعة ما سبق وروده بالمتن (ص ٧٦٧، ٧٧٠، ٧٧٩ — ٧٨٠، ٧٨٢، ٧٨٤، ٧٩٠، ٧٩١، ٨٠٣، ٨٠٧، ٨١٩ — ٨٢٠، ٨٢٨)، وكذلك النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٣١٢ ب — ٣١٣ أ).

(٣) الضمير عائد على كتبغا. انظر ص ٨٢٠.

(٤) فى س "السلحدار".

(٥) فى س "الخزندار".

وسيف الدين بكتمر السلاح[1] دار ، وسيف الدين سلار ، وسيف الدين طغى ، وسيف الدين كرجى ، وعز الدين طقطاى ، وسيف الدين برلطاى — فى آخرين ، حتى حملت الخزائن على البغال ورُمى الدهليز . وساروا فى خدمة لاجين إلى قريب المغرب ، ونزلوا قريباً من يازُوْر[2] ؛ وحضروا بأجمعهم بين يدى لاجين واتفقوا على سلطنته ، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم ، ولا ينفرد برأى دونهم ، ولايبسط أيدى مماليكه ولايقدّمهم ، وحلّفوه على ذلك . فلما حلف قال له الأمير قبجاق المنصورى : "نخشى أنك إذا جلست فى منصب السلطنة تنسى هذا الذى تقرّر بيننا و بينك ، وتقدّم مماليكك وتخوّل مملوكك منكوتمر [علينا ، فيصيبنا منه ما أصابنا من مماليك كتبغا" . وكان منكوتمر مملوك لاجين ، وكان يودّه و يؤثره ، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه[3]] . فحلف [لاجين] مرة ثانية أنه لايفعل ذلك ، ولا يخرج عما التزمه وشرطوه عليه ؛ فحلف له الأمراء وأرباب الدولة . وتلقب بالملك المنصور ، وركب بشعار السلطنة فى يوم (٢١١ ا) الثلاثاء سابع عشرى المحرم ؛ وبات تلك الليلة ، ورحل إلى سكرير[4] ومنها إلى غزة [يريد[5] الديار المصرية] ، فلما دخل غزة حمل الأمير بيسرى الجِتْر على رأسه ؛ فخطب له بغزة والقدس وصفد والكرك ونابلس ، وضربت بها البشائر .

هذا وقد ركب البريد من غزة ، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء . ورسم [السلطان لاجين] فى غزة بمسامحة أهل مصر والشام بالبواقى ، ثم سار منها فى يوم الخميس أول صفر . ونزل ظاهر بلبيس فى ثامنه ، وقد

(١) فى س "السلحدار" .

(٢) بغير ضبط فى س ، وهى بليدة بسواحل الرملة بفلسطين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٠٢) .

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٣٣) .

(٤) كذا فى س ، ولعل المقصود بلدة السَّكَّرِيَّة المذكورة فى (Le Strange : Palest. Under Moslems PP. 527, 547) وهى على مسافة مرحلة من الرملة ، أو لعله وادى السكران بمشارف الشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٠٦ — ١٠٧) . هذا وفى (Zetterstéen : Op. Cit. P. 41) أن السلطان لاجين ركب فى ثامن عشرى المحرم "من بدعرش فى دست المملكة ، ولقب بالملك المنصور ودخل إلى غزة" .

(٥) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٣ ا) .

خرج إليه أمراء مصر وحلفوا له ؛ ثم سار منها ضحوة وبات عند مسجد تبر ، وركب بكرة يوم الجمعة تاسعه إلى قلعة الجبل . ثم ركب إلى الميدان السلطانى بشعار السلطنة على العادة ، وشقّ القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة ، وعليه الخلعة الخليفتية — وهى جبة سوداء بزيق (١) وأكمام واسعة — والتقليد محمول بين يديه ، حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه ، وذلك فى يوم الخميس خامس عشره .

وفى يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هى عليه ، فسرّ الناس به . فإن القمح كان أربعين درهما الأردب إلى ما دونها ، فأبيع بعشرين ؛ وكان الشعير بثلاثين درهما الأردب ، فأبيع بعشرة ؛ وكان الرطل اللحم بدرهم ونصف ، فأبيع بدرهم وربع ؛ ودرّت الأرزاق وكثر الخير .

وفوّض [السلطان لاجين] نيابة السلطنة بديار مصر إلى الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، [واستمرّ بالصاحب (٢) فخر الدين بن الخليلى فى الوزارة] ؛ وجعل الأمير سيف الدين سلار أستادارا (٣) ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار ، والأمير سيف الدين بهادر الحاج حاجبا ، والأمير سيف الدين قبجاق المنصورى نائب الشام ؛ ومَنَع الوزيرَ من الظلم وأخذ المواريث بغير حق ، وألا يطرح البضائع على التجار ، فكثر الدعاء له .

وأما كتبغا فإنه قدّم [قبله (٤) إلى دمشق] أمير شكاره وهو مجروح ، ليعلم (٥) الأمير أغرلو نائب دمشق بما وقع ، فوصل (٦) فى يوم الأربعاء سلخ المحرم ؛ فكثر بدمشق القال والقيل ، وألبس أغرلو العسكر السلاح ووقفوا خارج باب النصر . فوصل كتبغا فى أربعة أنفس قبل الغروب وصعد القلعة ، وحضر إليه الأمراء والقضاة وجُدِّدت له الأيمان ، ثم

(١) الزيق من القميص ما أحاط منه بالعنق ، والزيق فى النسائج عند العامة الخط الدقيق المنسوج فيها مخالفاً لونها ، وقد يراد بالزيق أيضا قدة من الثوب . (محيط المحيط) .

(٢) أضيف مابين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٣ ا) .

(٣) فى س " استادار " .

(٤) عبارة المقريزى هنا غير منسجمة فى بعض الألفاظ ، وقد عدلت وأضيف إليها ما بين الأقواس من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٣ ا) .

(٥) فى س " فاعلم " .

(٦) فى س " ودخل " .

أوقع الحوطة على أموال لاجين . وقدم فى أول صفر الأمير زين الدين غلبك العادلى بطائفة من المماليك العادلية ؛ وجلس شهاب[1] الدين الحنفى [وزير الملك العادل كتبغا فى الوزارة بالقلعة] ، ورتب الأمور [وأحوال السلطنة] . فاشتهرت بدمشق سلطنة لاجين فى يوم ثالث عشره ، وأن البشائر دُقّت بصفد ونابلس والكرك . فصار كتبغا مقيما بقلعة دمشق لا ينزل منها ، وبعث الأمير سيف الدين طقصبا الناصرى فى جماعة لكشف الخبر ، فعادوا وأخبروه بصحة سلطنة لاجين . فأمّر كتبغا جماعة [من دمشق] ، وأبطل عدة مكوس فى يوم الجمعة سادس عشره ، وكتب بذلك توقيعاً قرئ بالجامع .

فبعث الملك المنصور لاجين من مصر الأمير سنقر الأعسر — وكان فى خدمته بمصر — ، فوصل إلى ظاهر دمشق فى رابع عشره ، وأقام ثلاثة أيام ، وفرّق عدة كتب على الأمراء وغيرهم وأخذ الأجوبة عنها ، وحلّف الأمراء . وسار إلى قارَا[2] ، وكان بها عدة أمراء مجرّدين[3] فحلّفهم وحلّف عدة من الناس ، وكتب بذلك كله إلى مصر . وسار إلى لدّ ، فأقام بها فى جماعة كبيرة لحفظ البلاد ، ولم يَعلم كتبغا بشىء من ذلك .

فلما كان يوم (٢١١ ب) السبت رابع عشريه وصل الأمير سيف كجكن وعدة من الأمراء كانوا مجردين بالرحبة ، [فلم يدخلوا[4] دمشق] ، ونزلوا[5] بميدان الحصا قريباً من مسجد القدم ؛ فأعلنوا باسم السلطان الملك المنصور لاجين ، وراسلوا الأمراء بدمشق فخرجوا إليهم[6] طائفةً بعد طائفة . وانحلّ أمر كتبغا ، فتدارك نفسه وقال [للأمراء] : " السلطان الملك المنصور خوشداشى ، وأنا فى خدمته وطاعته ، [وأنا أكون فى بعض القاعات بالقلعة إلى أن يُكاتَب السلطان ويرد جوابه بما يقتضيه فى أمرى] " ، فأدخله الأمير جاغان[7] الحسامى

(١) فى س " وجلس الوزير شهاب الدين . . . " ، وقد حذف لفظ " الوزير " من المتن لضرورة وجوده بالإضافة التالية بين القوسين ، وهى وغيرها من الإضافات بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٣ أ) .

(٢) كذا فى س بغير ضبط ، وقد أوردها ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢ — ١٣) برسم قارة ، وهى قرية كبيرة على الطريق من حمص إلى دمشق .

(٣) فى س " مجردون " .

(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٣ أ ، وما بعدها) .

(٥) فى س " فنزلو " . (٦) فى س " اليه " .

(٧) فى س " حاغان " . انظر ما يلى ص ٨٢٥ ، سطر ٢ ، وكذلك (Zeltersteen: Op. Cit. P.42)

مكاناً من القلعة . واجتمع الأمراء بباب الميدان ، وحلفوا للملك المنصور وكتبوا إليه بذلك ؛ وحفظ جاغان القلعة ورتب بها من يحفظ كتبغا ، وغلقت أبواب دمشق كلها إلا باب النصر ، وركب العسكر بالسلاح ظاهر دمشق ، وأحاط جماعة بالقلعة خوفا من خروج كتبغا وتحيزه فى جهة أخرى . وكثر كلام الناس واختلفت أقوالهم ، وعظم اجتماعهم بظاهر دمشق حتى أنه سقط فى الخندق[١] جماعة لشدة الزحام فيما بين باب النصر وباب القلعة ، فمات نحو العشرة .

واستمر الحال على هذا يوم السبت [المذكور] ، ثم دُقّت البشائر بعد العصر على القلعة وأُعلن بالدعاء للملك المنصور ، ودُعى له على المآذن فى ليلة الأحد ، وضربت البشائر على أبواب الأمراء . وفتحت الأبواب فى يوم الأحد ، وحضر الأمراء والقضاة بدار السعادة وحلَّفوا الأمراء بحضور الأمير أغرلو نائب الشام ، وحلف [هو] وأظهر السرور . وركب أغرلو[٢] والأمير جاغان البريد إلى مصر ؛ وبلغ ذلك الأمير سنقر الأعسر بلدّ ، فنهض إلى دمشق ودخلها يوم الخميس تاسع عشريه ، وقد تلقاه الناس وأشعلوا له الشموع ، وأتاه الأعيان ، ونودى من له مظلمة فعليه بباب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر .

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول خطب بدمشق للملك المنصور ، فلما كان يوم الجمعة ثامنه وصل الأمير حسام الدين الأستادار بعسكر مصر ليحلِّف الأمراء ، فَحُلِّفوا بدار السعادة فى يوم السبت تاسعه ؛ وقرئ عليهم كتاب الملك المنصور باستقراره فى الملك وجلوسه على تخت الملك بقلعة الجبل ، واجتماع الكلمة عليه وركوبه بالتشاريف الخليفتية والتقليد بين يديه من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد .

وفى يوم الاثنين حادى عشره وصل الأمير جاغان الحسامى من مصر ، وحلّف كتبغا [يميناً مستوفاة[٣] مغلظة] بحضرة الأمير حسام الدين الأستادار ، والأمير سيف الدين كجكن ، وقاضى القضاة بدر (١٢١٢ ا) الدين محمد بن جماعة — على أنه فى طاعة الملك

(١) فى س " الخند " والرسم المثبت هنا من ب (٢٥٢ ب) .

(٢) فى س " وركب هو والأمير جاغان " ، وقد أثبت العائد بدل الضمير للتوضيح .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهـذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٣ ب) .

المنصور وموافقته ، وقد أخلص النية له ورضى بالمكان الذى عيّنه له وهو قلعة صرخد ، وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحداً .

وفيه استقر تقى الدين توبه فى وزارة دمشق ؛ واستقر أمين الدين بن هلال فى نظر الخزانة ، عوضاً عن تقى الدين توبه ؛ واستقر الشيخ أمين الدين يوسف الرومى فى حسبة دمشق .

وفى سادس عشره وصل الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب دمشق من مصر ، [ونزل بدار السعادة على عادة النواب] .

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشره خرج كتبغا من قلعة دمشق إلى قلعة صرخد ومعه مماليكه ، وجُرّد من دمشق معه نحو المائتى فارس ساروا به حتى عبر قلعة صرخد ثم رجعوا ، فكانت مدة مفارقته الدهليز من العوجاء إلى أن خلع نفسه بدمشق فى يوم السبت رابع عشرى صفر أربعة وثلاثين يوما ؛ وجهز إليه إبنه أنص وأهله .

ووصل إلى دمشق نحو ستمائة تشريف فُرّقت على الأمراء والقضاة والأعيان ، ولبسوها يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر . وأفْرَج الملك المنصور عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وجعله أحد الأمراء ، وعن الأمير سيف الدين برلغى و بعثه إلى دمشق على إمرة بها ، وعن الأمير سيف الدين اللقمانى ، وعن[1] جماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا بدمياط والإسكندرية و بخزانة البنود من القاهرة و بخزانة شمايل[2] . فكان لهم يوم مشهود[3] ، فإنه كان فيهم خمسة وعشرون[4] أميراً ، أنعم على جميعهم وخلع عليهم . و[فيها أمّر السلطان لاجين[5] جماعة من مماليكه] ، فأعطى[6] مملوكه سيف الدين

---

(١) فى س "على" .

(٢) كانت تلك الخزانة ، نقلا عن المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٨٨) من أشنع سجون القاهرة وأقبحها منظرا ، وكان يحبس فيها من وجب عليه القتل من السراق وقطاع الطريق ، ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة . والراجح أنها بنيت لتكون سجنا ، فلم تكن كخزانة البنود التى أسست فى الأصل لحفظ أنواع الأعلام والأسلحة فى الدولة الفاطمية ، وقد سميت بخزانة شمايل نسبة إلى الأمير علم الدين شمايل والى القاهرة فى أيام السلطان الملك الكامل . انظر ص ١٩٨ .

(٣) فى س "يوما مشهودا" . (٤) فى س "عشرين" .

(٥) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٤ أ) .

(٦) فى س "واعطى" ، وقد عدلت بالفاء بعد إضافة الجملة السابقة .

منكوتمر إمرة ، ومملوكه علاء الدين أيدغدى شقير إمرة ، ومملوكه سيف الدين جاغان إمرة ، ومملوكه سيف الدين بهادر المعزى إمرة .

وتقدم [السلطان] إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري بعمارة الجامع الطولونى ، وعيّن لذلك عشرين ألف دينار عينا ، فعمره وعمّر أوقافه ؛ وأوقف قرية منية أندونة[1] من الأعمال الجيزية[2] عليه ، ورتّب فيه درس تفسير ودرس حديث نبوى ، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة ، ودرساً للطب وشيخ ميعاد[3] ، ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن . وسبب ذلك أنه لما هرب فى وقعة بيدرا من بر الجيزة ، واختفى بمنارة الجامع الطولونى — وكان إذ ذاك مهجوراً لا يوقد به سوى سراج واحد فى الليل ، ولا يؤذن أحد بمنارته ، وإنما يقف شخص على بابه ويؤذن — ، فأقام به مدة لم يظهر خبره ؛ فأراد أن يكون من (٢١٢ ب) شكر نعمة الله عليه عمارة هـذا الجامع فعمر ، وهو الآن بحمد الله عامر بعمارته له .

(٢١٢ ب) وفيها[4] كتب السلطان لاجين إلى الأشكرى بالقسطنطينية أن يجهز

---

(١) عرفت تلك القرية الواقعة بمديرية الجيزة الحالية بهذا الاسم نسبة إلى أندونة كاتب أحمد المدائنى ، وذلك فى عصر أحمد بن طولون بمصر . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ؛ مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٦ ، ص ٥٩) .

(٢) كذا فى س ، وهى فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٤ أ) "للطلب" . انظر الحاشية التالية .

(٣) عبارة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٤ أ) فى هذا الصدد كالآتى : "ودرسا للطلب وميعاد الرقائق" ، والميعاد درس دينى للوعظ والإرشاد ، والحث على التقوى (une leçon religieuse, une lecture de devotion) انظر (Dozy : Supp : Dict.Ar.) . ويتضح من الأمثلة التى أوردها (Quatremère : Op, Cit II. 2. p. 47. N. 8) للتعريف بأنواع المواعيد ، ومن عبارة النويرى المذكورة هنا أيضا ، أن رقائق الحديث النبوى (انظر ص ٥٠٧ ، حاشية ١) والآيات الوعظية من القرآن كانت أهم مواد تلك المواعيد .

(٤) عبارة المقريزى هنا حتى آخر الفقرة مقتضبة ، ونصها : "وفيها كتب الأشكرى بالقسطنطينية أن يجهز أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى القاهرة . فجهزهم وقد مات الملك العادل بدر الدين سلامش وصبروه فدفن بقرافة مصر ....." ؛ وقد عدلت بالإضافات مما سبق ومما سيلى بالمتن (انظر ص ٧٧٤ — ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٨٣١) ، ومما أورده النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٥ أ) أيضاً فى هذا الصدد تحت سنة ٦٩٧ هـ . أما سبب اهتمام السلطان لاجين بأمر أولاد الظاهر بيبرس ، حسبما جاء فى النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) وفيما يلى أيضاً (ص ٨٣١) ، فهو أن لاجين كان متزوجاً من إحدى أخواتهم ، وقد شفعت زوجته هذه لديه حتى سمح بإرجاعهم إلى القاهرة .

أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى القاهرة مكرّمين ، فجهّز الملك المسعود نجم الدين خضر والدته وحُرَمه ؛ وكان الملك العادل بدر الدين سلامش قد مات بالقسطنطينية سنة تسعين وستمائة ، فأُحضر فى تابوت مصبّرا ، فدفن بقرافة مصر . وقدم الملك السعيد خضر إلى السلطان ، وسأل الإذن بالحج ، فأذن له وسافر مع الركب .

وفيها نُقل الخليفة الحاكم بأمر الله من البُرج بقلعة الجبل إلى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولونى ، وأُجرى له ما يكفيه . و بعث إليه الملك المنصور بمال سنِىّ ، وصار يركب مع السلطان فى الموكب .

وفيها قدم من قضاة دمشق وأعيانها جماعة ، منهم قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل الحسن ابن قاضى القضاة تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازى الحنفى الرومى ؛ فولاه [السلطان] قضاء القضاة الحنفية بديار مصر ، عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى ، وعامله من الأكرام بما لم يعامل به أحداً ، وأقرّ ولده جلال الدين أبا المفاخر أحمد على قضاء القضاة الحنفية بدمشق . وقدم أيضا قاضى القضاة إمام الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الكريم القزوينى الشافعى ، فعرض السلطان عليه قضاء القضاة بديار مصر ، فلم يقبل واختار دمشق ، فولاه قضاء القضاة بدمشق فى رابع جمادى الأولى ، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين[1] محمد بن جماعة ؛ واستقر ابن جماعة فى خطابة جامع دمشق وتدريس القيمرية بها . وقدِم أيضا قاضى القضاة جمال الدين يوسف الزواوى المالكى ، فأُعيد إلى ولايته بدمشق ؛ وخُلع عليه وعلى إمام الدين القزوينى ، فعادا إلى دمشق فى ثامن شهر رجب . وقدم أيضا عز الدين حمزة [بن][2] القلانسى ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، واستعاد له من ورثة الملك المنصور [قلاون ؟] ما كان [قد] أُخذ منه ، وعاد إلى دمشق فى خامس عشرى رمضان .

وفيها ظهر بأرض مصر فأر كثير أتلف الزروع ، حتى لم يؤخذ[3] منه إلا اليسير . وعُزِل

(١) هذا الاسم "بدر الدين" مكرر فى س .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٤ ب) .

(٣) فى س "يوحد" ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٥٤ أ) .

الأمير فتح الدين عمر بن صبرة عن شدّ الدواوين بدمشق ، واستقر عوضه الأميرُ سيف الدين جاغان الحسامى فى ثامن عشر رجب .

و[فى هذه[1] السنة] طلب [السلطان] الأميرَ سنقر الأعسر من دمشق فى شهر رجب ، فركب البريد إلى القاهرة . ولما حضر أكرمه السلطان وجعله من أمراء مصر ، ثم ولاه الوزارة بديار مصر فى سادس عشريه ، وسلّمه الصاحبَ فخرَ الدين [بن] الخليلى ، فألزمه بمائة ألف دينار وقبض على أتباعه . واشتدت حرمتُه وعظمت مهابته ، فلا يُراجَع ولا يخاطَب إلا جوابا .

وفيها توقف النيل عن الزيادة قبل (١٢١٣) الوفاء ، فتزايد السعر ، و بلغ فى ذى القعدة الأردبُ القمح خمسة وأربعين درهماً ، ثم انحلّ السعر .

وفى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة قُبض على الأمير شمس الدين قرا سنقر نائب السلطنة ، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا ؛ وأحيط بموجود قرا سنقر الذى بمصر والشام ، وضُرب كاتبه شرف الدين يعقوب حتى مات تحت الضرب ، وضُيِّق على نوابه ودواوينه . وأراد السلطان إقامة مملوكه [الأمير[2] سيف الدين] منكوتمر [الحسامى] فى نيابة[3] السلطنة ، فعارضه الأمراء وغضبوا من منكوتمر ، فشقّ ذلك عليه وأراد تفريقهم : فبعث طغريل الإيغانى إلى الكشف بالشرقية ، وسنقر المساح إلى كشف الغربية ، و بيسرى إلى كشف الجيزة ؛ ثم قبض على قرا سنقر النائب والحاج بهادر وعز الدين أيبك الحموى وسنقر شاه الظاهرى والأقوش وعبد الله وكورى والشيخ على ، وقُيِّدوا . وولّى منكوتمر النيابة من غَدِ مَسْكِهم فى عشرى ذى القعدة ، واستقر فى نيابة[4] السلطنة .

وفيه ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة ، فتقطّر عن الفرس وانكسر أحد جانبى يده اليمنى ، وتهشّم بعض أضلاعه وانصدعت رجله . وخيف عليه ، فكسر المجبرون

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٤ ب) .
(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ج ٢٩ ، ص ٣١٤ ب) .
(٣) فى س "النيابه" ، وقد عدلت من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٤ ب) .
(٤) عبارة س كالآتى : "واستقر الامير سيف الدين منكوتمر الحسامى فى نيابه السلطنه" ، وقد عدلت على النحو المثبت بالمتن لانسجام العبارة .

عظم الجانب الآخر من يده حتى يتم لهم الجسر، فإنه قصر عن الجانب الآخر؛ وكان قد توقف السلطان عن موافقتهم، فقال له الوزير سنقر الأعسر: "أنا حصل لى مثل هذا، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر ضربته بدقماق حديد، فانكسر ثم جبر"، وكلمه بجفاء وغلظة واستخفاف من غير أدب. فاحتمل [السلطان] ذلك منه، وأجاب المجبرين لما قصدوه، وأسرّ استقر الأعسر فى نفسه. فلما كان فى يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة قبض عليه، ولم يولّ أحداً غيره.

وفى هذه السنة كان الأردب القمح من أربعين درهماً إلى خمسين، والأردب الشعير بثلاثين، واللحم بدرهمين ونصف الرطل. فنزل القمح إلى عشرين، والشعير إلى عشرة دراهم، واللحم إلى درهم وربع. وفيها كُتب بمسامحة أهل النواحى بما عليهم من بواقى الخراج المنكسرة.

وفى هذه السنة مَنَع السلطانُ من لبس الكلفتاة[1] الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن، واقتصد هو وخواصه فى الملبس. وجلس بدار العدل يومين فى الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين، وأعرض عن اللهو جملة ومَقَت من يعانيه، وصام شهرى رجب وشعبان، وتصدّق فى السر.

ومات فى هذه السنة من الأعيان قاضى القضاة الحنبلى عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى، عن خمس وستين سنة بالقاهرة فى صفر. وتوفى قاضى الحنفية بحلب تاج الدين أبو المعالى عبد القادر بن عز الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الكرم ابن عبد الرحمن بن علوى السنجارى، عن ثلاث وسبعين سنة بحلب، وهو معزول. وتوفى ضياء الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد ابن هبة الله بن طاهر بن يوسف بن التَّصِيبى[2] الحلبى وزير حماة، عن ثمان وسبعين سنة بحلب. وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الظاهرى الحلبى الحنفى

---

(١) تقدم التعريف بذلك النوع من غطاء الرأس فى ص ٤٩٣ (حاشية ١)، حيث ذكر أن الكلفتاة — أو الكلفتة أو الكافة أو الكاوتة — المزركشة كانت من مستحدثات عصر الأشرف خليل بن قلاون.

(٢) بغير ضبط فى س، وتصح كتابة هذا الاسم "النصيبينى"، والنسبة فى الحالين إلى بلدة نصيبين، وهى حسبما جاء فى ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٨٧) على جادة الطريق بين الموصل ودمشق.

شيخ الحديث ، عن سبعين سنة ، بزاويته خارج القاهرة فى ربيع [الأول[1]] . وتوفى عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصرى الحنبلى ، بالمدينة النبوية عن إحدى وسبعين سنة ، بعد ما جاور بها خمسين سنة . وتوفى الأديب سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن جعفر السرمرای[2] ، بدمشق عن ست وسبعين سنة ، وكان هجاء . وتوفى الشريف الحافظ عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن على بن محمد بن محمد الحسينى ، المعروف بابن الحلبى ، نقيب الأشراف بديار[3] مصر ، فى . . . . . .[4] ، ومولده سنة ست وثلاثين .

* * *

سنة سبع وتسعين وستمائة . فيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من بلاد الأشكرى إلى القاهرة ، بشفاعة أخته امرأة السلطان الملك المنصور لاجين ، ومعه أمه وأخوه الملك العادل سلامش وقد مات وصُبِّر ؛ فدفن سلامش بالقرافة . وكان السلطان قد احتفل لقدومهم ، وأخرج الأمراء إلى لقائهم وبالغ فى إكرامهم ، وأجرى على الملك المسعود الرواتب وجهّزه للحج .

وفيه توجه الأمير سيف الدين سلار أستادار إلى الكرك ، وأحضر ما كان بها من الأموال ؛ وقدم معه الأمير جمال الدين أقش[5] نائب الكرك ، فخلع عليه وأعيد إلى نيابته .

وفى حادى عشرى صفر ركب السلطان ، بعد ما انقطع لما به من كسر يده نحو الشهرين ، ونزل إلى الميدان ؛ ودقت البشائر ، وزينت القاهرة ومصر ، وكتب بالبشائر إلى الأعمال بذلك . وكان يوم ركوبه من الأيام المشهودة ، اجتمع الناس لرؤيته من كل مكان ، وأخذ

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٥ ا) .

(٢) كذا فى س ، وفى النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) " السامرى " ، ولعل النسبة إلى مدينة سر من رأى — سامرا — ، على أن النسبة إلى تلك المدينة "سرى" ، وذلك حسبما ورد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٣) .

(٣) بعض حروف هذين اللفظين زائل فى س ، ولكنه واضح فى ب (٢٥٥ ا) .

(٤) بياض فى س .

(٥) كذا فى س ، وقد سبق ورود هذا الاسم بتلك الصيغة ، وبرسم أقوش أيضا ، والرسم الثانى هو المتواتر فى (Zettersléen : Op. Cit. Index) .

أصحاب الحوانيت من كل شخص أجرة جلوسه نصف درهم فضة (٢١٣ ب)، واستأجرَ الناس البيوت بأموال جزيلة فرحا به، فإنه كان محبباً إلى الناس. وعاد [السلطان] من الميدان، فألبس الأمراء الخلع، وفرّق الصدقات فى الفقراء، وأفرج عن المحابيس.

وفى هذا الشهر استدعى السلطانُ قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، وَصِىّ الملك الناصر محمد بن قلاون، وقال له: "الملك الناصر ابن أستاذى، وأنا قائم فى السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها، والرأى أن يتوجه إلى الكرك[1]"، وأمره بتجهيزه. ثم قال[2] [السلطان للملك الناصر محمد بن قلاون]: "لو علمتُ أنهم يخلوك[3] سلطانا والله تركت[4] الملك لك، لكنهم لا يخلونه لك. وأنا مملوكك ومملوك والدك، أحفظ لك الملك، وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل[5] وتتخرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك، بشرط أنك تعطينى دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها". فقال له الناصر: "فاحلف لى أن تبقى على نفسى وأنا أروح"، فحلف كل منهما على ما أراده الآخر. فخرج [الناصر] فى [أواخر[6] صفر]، ومعه الأمير

(١) يلاحظ أن رواية النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٣١٥ ب) لهذا الحديث الذى أدلى به السلطان لاجين إلى قاضى القضاة زين الدين، أطول بكثير مما هنا، وقد أثبته النويرى من فم قاضى القضاة نفسه، ونصه: "فأخبرنى قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى عن خبر إرساله (الضمير عائد على الناصر محمد) إلى الكرك، قال طلبنى الملك المنصور حسام الدين، وقال لى اعلم أن السلطان الملك الناصر ابن أستاذى، وأنا والله فى السلطنة مقام النائب عنه، ولو علمت أنه الآن يستقل بأعباء السلطنة، ولا تنخرم هذه القاعدة ويضطرب الأمر، أقمته (كذا) وقمت بين يديه. وقد خشيت عليه فى هذا الوقت، وترجح عندى إرساله إلى قلعة الكرك، فيكون بها إلى أن يشتد عضده، ويكون من الله الخير. ووالله ما أقصد بإرساله إليها إبعاده ولكن حفظه! و [أما] السلطنة فهى له، وأمثال هذا من الكلام. قال [زين الدين] فشكرته على ذلك ودعوت له، ولعل السلطان الملك المنصور إنما قال هذا القول تطييبا لقلب قاضى القضاة لا حقيقة، وكان فى طى الغيب كذلك". ويستنتج من هذه المقارنة بين النصين — بفرض أن كثيراً من متن السلوك منقول من نهاية الأرب — أن المقريزى كان يتصرف فى النقل بالحذف والإثبات كما يشاء؛ ويلاحظ أيضا فيما يلى (سطر ١١)، أن الملك الناصر خاطب بنفسه السلطان لاجين بصدد إرساله إلى الكرك، وهذا الخطاب غير موجود بالنويرى، مما يدل على أن المقريزى أورد من الأخبار ما ليس موجوداً بنهاية الأرب.

(٢) فى س "ثم قال له"، وقد عدلت الجملة وأضيف ما بين القوسين للتوضيح.

(٣) كذا فى س. (٤) كذا فى س. (٥) كذا فى س.

(٦) موضع ما بين القوسين بياض فى س، وهذه الإضافة استنتاجية مما يلى (ص ٣٨٣، سطر ٢) ومن رواية النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٣١٥ ب)، حيث ورد أن الملك الناصر وصل إلى الكرك "فى رابع شهر ربيع الأول".

سيف الدين سلار أمير مجلس ، والأمير سيف الدين بهادر الحموى ، والأمير أرغون الدوادار ، وطيدمر جوباش رأس نوبة الجمدارية ؛ فوصل إلى الكرك فى رابع ربيع الأول ، فقام لخدمته الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك .

وفى يوم الاثنين سادسه قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، وعلى الأمير شمس الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب ، والأمير شمس الدين سنقرشاه الظاهرى . وسبب ذلك أن منكوتمر فى مدة ضعف السلطان كان هو الذى يعلّم عنه على التواقيع والكتب ، وصار يُخشى أن يموت السلطان [ولم يكن له[1] ولد ذكر] ، فيُجعل بعده فى السلطنة بيسرى ، وكان يكره منكوتمر . فحسّن منكوتمر لمن خيّل السلطان من ذلك وأن يعهد لأحد ، فاقتضى رأيه أن يجعل الأمير منكوتمر ولى عهده ، ويقرن اسمه باسمه فى الخطبة والسكة ؛ واستشار فى ذلك الأمير بيسرى فردّه ردًّا خشناً ، وقال : "منكوتمر لا يجىء[2] منه جندى ، وقد أمّرتَه وجعلتَه نائب السلطنة ، ومشّيتَ الأمراء والجيوش فى خدمته فامتثلوه رضاء لك ، مع ماتقدّم من حلفك ألا تقدّم مماليكك على الأمراء ولا تمكّنهم منهم ، فما قنعت بهذا حتى تريد أن تجعله سلطانا ، وهذا لا يوافقك أحد عليه" ؛ ونهاه أن يذكر هذا لغيره وخوّفه العاقبة ، وانصرف عنه . فلشدّة محبة السلطان فى منكوتمر أعلمه بما كان من بيسرى ، فأسرّها فى نفسه وعاداه وأخذ يدبّر عليه وعلى الأمراء ، ويغرى السلطان به وبهم .

واتفق مجىء الخبر بالخلف[3] بين المغل ، وخروج التجريدة إلى سيس[4] ، فلما تفرّق

---

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٦ ا) .

(٢) المقصود بهذه العبارة أن منكوتمر لا يصلح أن يكون جنديا ، والعبارة كلها واضحة فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٦ ا) ، حيث ورد بهذا الصدد ما نصه : "فتحدث [السلطان لاجين] فى ذلك مع الأمير بدر الدين بيسرى ، فأنكره غاية الإنكار ، وأجاب عنه بأقبح جواب ، ورده بأشنع رد . فكان مما حكى أنه قال للسلطان ، اعلم أن مملوكك هذا الذى أشرت إليه لا يصلح للجندية ، وقد أمرته وقدمته . . . ." .

(٣) فى "الحلف" . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 56) . ويشير المقريزى هنا إلى وقوع الخلف بين طقطوخان خان القفجاق وبين قريبه نوغاى ، كما يشير أيضاً إلى تمرد كثير من أمراء التتر وأعيانهم بفارس ، بسبب اعتناق ملكهم غازان الإسلام وهدمه معابد الديانات الأخرى ، وقد أدى ذلك الخلف إلى سلسلة من المؤامرات والثورات والقتل . انظر ما يلى ، وكذلك : Browne) . Lit. Hist. Of Persia. III. P. 41)

(٤) يشير المقريزى إلى التجريدة التى أرسلها السلطان لاجين إلى سيس تلك السنة عملا بمشورة منكوتمر ، =

الأمراء ولم يبق من يخافه [منكوتمر] توجّه إلى الأمير بيسرى ، واستمال أستاداره بهاء الدين أرسلان بن بيليك حتى صار من خواصه ، ورتّبه فيما يقوله . ثم حسّن [منكوتمر] للسلطان أن ينتدب بيسرى لكشف جسور الجيزة ، فتقدّم له بذلك مع أنها غضّ(١) منه ، إذ محلّه أجلّ من ذلك ، فلم يأب(٢) وخرج إلى الجيزة بمماليكه وأتباعه ؛ وصار يحضر الخدمة السلطانية بالقلعة فى يومى الاثنين والخميس ، ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثى لأجل تقدّمه ، ويعود إلى الجيزة حتى أتقن عمل الجسور . [فلما تكامل إتقان(٣) الجسور](٤) استأذن [بيسرى] السلطانَ فى عمل ضيافة له ، فأذن فى ذلك ، فاهتم لها اهتماماً زائداً ليحضر إليه السلطان بالجيزة . فأمكنت الفرصة منكوتمر ووجد سبيلا إلى بيسرى ، (١٢١٤) فخدع أرسلان أستادار بيسرى ورتّبه فى كلام يقوله للسلطان ، ووعده بإمرة طبلخاناه . فانخدع [أرسلان] ودخل مع منكوتمر إلى السلطان ، وقال له بأن " بيسرى رتّب أنه يقبض عليك إذا حضرْتَ لضيافته " ، فتخيّل [السلطان] من قوله .

واتفق أن بيسرى بعث إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطانى ، لينصبه للسلطان [فى مكان المهم] ، فبعثه إليه من غير أن يعلم السلطان . فلما مرّ الدهليز على الجمال من تحت القلعة [ليتوجهوا به إلى الجيزة] رآه السلطان ، فأنكر ذلك وبعث إلى منكوتمر يسأل منه . فأنكر أن يكون له علم به ، وقال إنما بيسرى استدعى به من مقدّم الفرّاشين ، وأخذه مماليكه من الفرش خاناه بغير إذن ، وشرع يحتج لصدق(٥) ماقاله أرسلان بهذا . فرد السلطان الدهليز إلى الفرش خاناه ، وغلب على ظنه صدقُ ما نُقل له عن [بيسرى] .

= وكان منكوتمر قد حسن للسلطان ذلك لأمر فى نفسه ، وهو ذهاب الأمراء والجند عن القاهرة . انظر ما يلى ، وكذلك ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٣٧) .

(١) فى س " غضاضه " .

(٢) " يابى " .

(٣) أضيف مابين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٥ ب) ، حيث العبارة أكثر تفصيلا مما هنا .

(٤) فى س " فاستاذن " .

(٥) كذا فى س .

[ولما وقع ذلك أطلع عليه(١) بعض الأمراء الأكابر] ، فبعث [أحدهم وهو] الأمير سيف الدين طُقْجِى(٢) الأشرفى يعلم بيبسرى بما جرى ، ويعده بأنه معه هو وجماعة من الأمراء ، فلم يلتفت إلى قوله . فبعث أرغون أحد مماليك السلطان إلى بيبسرى بالخبر على جليّته ، وحذّره من [الحضور إلى خدمة السلطان] ، و [أنه إن حضر] أن يكون على استعداد . فلما أراده الله حضر بيبسرى يوم الاثنين المذكور(٣) إلى الخدمة على العادة ، فقام له السلطان على عادته وأجلسه بجانبه . فلما قدم السماط لم يأكل بيبسرى واعتذر بأنه صائم ، فأمر السلطان برفع مجمع من الطعام برسم فطوره فرفع له ، وأخذ يحادثه حتى رفع السماط . وخرج الأمراء وقام الأمير بيبسرى معهم ، فلما مشى عدة خطوات استدعاه السلطان إليه وحدّثه طويلا ، [وكان الحجاب والنقباء يستحثون الأمراء على الخروج] . ثم قام(٤) بيبسرى من عند السلطان ومشى خطوات ، فاستدعاه السلطان ثانيا فعاد ، وحدّثه أيضاً حتى علم أن المجلس والدهاليز لم يبق بها أحد سوى مماليك السلطان فقط ، فتركه(٥) . فقام [بيبسرى] ومشى ، فاعترضه سيف الدين طقجى وعلاء الدين أيدغدى شقير ، [وعدلا به إلى جهة أخرى] ؛ وقبض(٦) [أيدغدى] شقير [على] سيفه [وأخذه من وسطه] ، فنظر إليه طقجى وبكى ، وجبداه إلى القاعة الصالحية فاعتقل بها . فارتجت القلعة ، وطار الخبر إلى القاهرة فأغلق باب زويلة وماج الناس ، ثم فتح باب زويلة . ووقعت الحوطة على جميع موجوده ، وقبض على جماعة من مماليكه ثم أفرج عنهم . وأقام بيبسرى فى القاعة مُكرّما ، وحُملت إليه امرأته [وهى والدة أحمد بن السلطان الملك المنصور ؟] ، فمازال معتقلا حتى مات .

---

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٥ب – ٣١٦ا) .

(٢) فى س "طغى" بغير ضبط ، و "طغجى" أيضاً فيما يلى (سطر ١٢ ، ١٤) ، والصيغة المثبتة هنا من النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) ، وكذلك (Zetterstéen : Beiträge. P. 50) ، وسيصلح هذا الاسم إلى تلك الصيغة فيما يلى بغير تعليق .

(٣) وافق يوم الاثنين هذا ، حسبما ذكر النويرى ، (نفس المرجع والجزء والصفحة) ، اليوم السادس من شهر ربيع الآخر ، انظر ص ٨٣٣ ، سطر ٤ .

(٤) فى س ، "وقام فمشى خطوات ، واستدعاه ثانيا فعاد وحدثه ايضا . . ." ، وقد عدلت العبارة وزيدت بعض الألفاظ للتوضيح ، وذلك من النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٥) فى س "تركه" . (٦) فى س "واخذ" .

ومن العجب أن كلا من السلطان و بيسرى أُتى عليه فى هـذه القضية من أخص أصحابه : فإن أرسلان[١] ابن لبدر الدين بيليك أمير مجلس ، وكان بدر الدين هـذا مملوكا للأمير بيسرى ، ورباه[٢] بيسرى كالولد حتى كبر ، وقدمه على أكابر مماليكه وعمله أستاداره ، و بالغ فى الإحسان إليه حتى أنه أعطاه فى يوم (٢١٤ ب) واحد سبعين فرسا ، وكان هو السبب فى سلب نعمته كما ذكر . وأرغون كان أخص مماليك السلطان وأقربهم إليـه ، فأفشى سره إلى بيسرى من حنقه لأن غيره من المماليك أخذ إمرة طبلخاناه وأُعطى هو إمرة عشرة ، فبقى فى نفسه لذلك إحنة .

ولمـا قبض على بيسرى والأمراء نفرت القلوب ، وأكَّد الوحشةَ موتُ عشرة أمراء فى خمسة أيام ، فاتّهم السلطان بأنه سمّهم .

وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الخطبة بالمدرسة المعظمية ، بسفح قاسـيون خارج دمشق . وفى سابع عشره أعيد الصاحب فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى إلى الوزارة بديار مصر ، فتتبع ألزام الأمير سنقر الأعسر ، وأحضر أستاداره سيف الدين كيكلدى من دمشق وأحاط بموجوده .

وفى جمادى الأولى قبض السلطان على جماعة من أمراء مصر . وصُرِف بهاء الدين . . . .[٣] الحلى عن نظر الجيْش ، وأُخذ خطه بألف ألف درهم ، واستدعى عماد الدين . . . .[٤] بن المنذر ناظر الجيش بحلب ، واستُكْتِب إلى أن حضر أمين الدين . . . .[٥] ابن الرقاق . وسبب ذلك أن ابن الحلى كان قد استشاره السلطان فى تولية منكوتمر النيابة ، فقال له : " إن دولة السعيد ما أخربها إلا كوندك ، ودولة الأشرف أخربها بيدرا ، ودولة العادل تلفت بسبب مماليكه ؛ ومنكوتمر شاب كبير النفس لا يرجع لأحد ، ويُخاف من تحكمه وقوعُ فسادٍ كبير " . فسكت عنه السلطان وأعلم منكوتمر بذلك ، فأخذ [منكوتمر] يعاديه حتى أنه لما ولى النيابة ودخل عليه قال له : " [يا] قاضى ! هذا ببركة وعظك

(١) فى س " فان ارسلان ابوه سلك مملوك بيسرى وامير مجلس ، ورباه بيسرى كالولد حتى كبر . . . " ، والعبارة على هذا الترتيب غير واضحة ، وقد عدلت وأبدلت بعض كلماتها للتوضيح ، وذلك من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٥ ب) .

(٢) الضمير عائد على أرسلان .

(٣ ، ٤ ، ٥) بياض فى س .

السلطان" ، فأطرق . وأخذ منكوتمر يُغرى السلطان به ، ويذكر سعَةَ أمواله بمصر والشام ، وأنه كثير اللعب . وكان [ابن الحلى] يُحب بعض المماليك الخاصكية ، فترصّده [منكوتمر] حتى علم أنه عنده فأعلم[1] بذلك السلطان ؛ فأرسل إليه الطواشى المقدّم فى عدة نقباء[2] ، فهجموا عليه ببستانه بالقرب من الميدان وأخذوه والمملوك ، فسُلّم إلى الأمير أقوش الرومى ، وقُبض على حواشيه وأُحيط بموجوده مِصْراً وشاماً .

وفيه قدم البريد بأن رجلا من قرية جِيْنِين بالساحل ماتت امرأته ، فلما دفنها وعاد إلى منزله تذكّر أنه نسى فى القبر منديلا فيه مبلغ دراهم ، فأخذ فقيهَ القرية ونبش القبر ليأخذ المال ، والفقيه على شفير القبر . فإذا بالمرأة جالسة مكتوفة بشعرها ورجلاها أيضاً قد رُبطا بشعرها ، فحاول حلّ كتافها فلم يقدر ، فأخذ يجهد نفسه فى ذلك ، فخُسِف به وبالمرأة إلى حيث لم يعلم لهما خبر ؛ فغُشِى على فقيه القرية مدة يوم وليلة . فبعث السلطانُ بخبر هذه الحادثة وما قد كُتب به من الشام فيها إلى الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، فوقف عليه وأراه الناس ليعتبروا بذلك .

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الخلف بين طقطاى وطائفة نغيه حتى قُتل[3] منهم كثير من المغل ، وانكسر الملك طقطاى[4] ؛ وأن غازان قَتل وزيره نيروز وعدة ممّن يلوذ به . فاتفق الرأى على أخذ سيس ما دام الخُلف بين المغل ، وأن يخرج الأُميربدر الدين بكتاش أُمير سلاح ومعه ثلاثة أُمراء وعشرة آلاف فارس ؛ وكُتب لنائب الشام بتجريد الأمير بيبرس الجالق وغيره من أُمراء دمشق وصفد وحماة وطرابلس ، وعُرِض الجيش

---

(١) فى س " اعلم " .

(٢) النقباء جمع نقيب ، وكان عمل صاحب تلك الوظيفة ، عند السلطان أو الأمير ، القيام بتأدية الخدمات الصغيرة لسيده . راجع القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ — ٢٢) .

(٣) كذا فى س ، ويشير المقريزى هنا إلى وقوع الخلف بين طقطو خان (Toktu Khan) ملك مغول القفجاق ، وبين قريبه وصاحب نعمته نوغاى (Nogai) ، انظر ص ٧٧٥ (حاشية ٩) ، وقد انتهى ذلك بهزيمة نوغاى وموته ، وأعقبه حرمان سلالته من أملاك أبيهم (Howorth : Hist. Of The Mongols. II. 1. PP. 143, et seq.) . هذا وقد أشار المقريزى إلى وقوع ذلك الخلف إشارة خفيفة فيما سبق ، انظر ص ٨٣٣ ، سطر ١٦ .

(٤) فى س " تمطاى " ، والمعروف أن نوغاى هو الذى انكسر ومات كما بالحاشية السابقة ، وأن الملك طقطاى ظل صاحب اليد العليا فى مملكته حتى وفاته سنة ٧١٢ هـ (١٣١٣ م) . انظر : (Howorth : Hist. Of The Mongols. II. 1. pp. 144—147).

فى . . .[١] جمادى الأولى . فلما تجهّزوا سار الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى إلى غزاة سيس ، ومعه من الأمراء حسام الدين لاجين الرومى الأستادار وشمس الدين أقسنقر كرتاى ومُضافيهم ، فدخلوا دمشق فى خامس جمادى الآخرة ؛ وخرج معهم منها الأمير بيبرس الجالق العجمى والأمير سيف الدين كجكن والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ومُضافيهم فى ثامنه ، وساروا بعسكر صفد وحمص و بلاد الساحل وطرابلس والملكَ المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة . فلما بلغ مسيرُهم متملكَ سيس بعث إلى السلطان يسأله العفو ، فلم يجبه[٢] .

[ووصلت[٣] هـذه العساكر إلى حلب] ، وجهّز [السلطان] الأميرَ علم الدين سنجر الدوادارى بمضافيه من القاهرة [ليلحق بهم] ، فأدرك العساكر بحلب . وخرجوا منها بعسكر حلب إلى العمق ، وهم عشرة آلاف فارس : فتوجّه الأمير بدر الدين بكتاش فى طائفة من عقبة بغراس إلى إسكندرونة ، ونازلوا تل حمدون[٤] ؛ وتوجّه الملك المظفر [صاحب حماة والأمير علم الدين سـنجر الدوادارى والأمير شمس الدين أقسنقر كرتاى] فى بقية الجيش إلى نهر جهان ، ودخلوا [جميعاً] دَرْبَنْد سيس فى يوم الخميس رابع رجب . وهناك اختلفوا[٥] : فأشار الأمير بكتاش بالحصار ومنازلة القلاع ، وأشار سنجر الدوادارى بالغارة فقط[٦] ، وأراد أن يكون مقـدَّمَ العسكر ، ومَنَع الأميرَ بكتاش [من الحصار[٧] ومنازلة

(١) بياض فى س .

(٢) تقدمت الإشارة إلى هـذه الحملة التى أنفذها السلطان لاجين عملا بمشورة منكوتمر ، انظر ص ٨٣٣ ، سطر ١٦ ، وحاشية ٤ هناك . وتنتهى هنا صفحة ٢١٤ ب من نسخة س ، وما يلى بالمتن إلى ص ٨٤٤ ، سطر ١ وارد بالمخطوطة نفسها فى أربع صفحات حجمها أصغر من حجم صفحات سائر النسخة ، وهى ملصقة بين الصفحتين ٢١٤ ب ، ٢١٥ أ ، وقد رقم المقريزى كلا منها برقم أبجدى فقط ، غير أنه لما كان إثبات هذه الأرقام الأبجدية فى مواضعها مشوها للمتن ، فقد اكتفى بالإشارة إليها فى هذه الحاشية فحسب .

(٣) أضيف ما بين الاقواس بهذه الفقرة والتى تليها بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٦ ب ، وما بعدها) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد تلك الحملة .

(٤) فوق هـذا اللفظ إشارة إلى لَحَق بهامش الصفحة فى س ، ونصه : " حتى اخدوه واحدوا قلعه حمه وحيص " ، وهو مشطوب .

(٥) فوق هذا اللفظ إشارة إلى لَحَق بهامش الصفحة فى س ، ووضع الإشارة هنا خطأ ، وقد نبه إلى موضعها المناسب بالحاشية التالية ، وأثبت اللحق نفسـه فى موضعه ، اعتماداً على ما يلى بالمتن ، (انظر ص ٨٣٩) ، وعلى ما جاء فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٧ أ) .

(٦) هنا الموضع المناسب للإشارة المذكورة بالحاشية السابقة ، والجملة التالية هى اللحق الوارد بهامش الصفحة .

(٧) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ما يلى هنا من المتن . انظر ٨٣٩ ، سطر ٦ .

القلاع] فلم ينازعه[1] . فوافقه بكتاش وقطعوا نهر جهان للغارة ، ونزل صاحب حماة على مدينة سيس ، وسار الأمير بكتاش إلى أذنة ، واجتمعت العساكر جميعها عليها بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن وساقوا الأبقار والجواميس . ثم عادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الغارة ، وأقاموا عليها ثلاثة أيام حتى نصبوا جسراً مرّت عليه العساكر إلى بغراس[2] ، ونزلوا بمرج أنطاكية ثلاثة أيام ، ثم رحلوا إلى جسر الحديد يريدون العود إلى مصر .

وكان الأمير بكتاش لما نازعه الدواداری فى التقدمة على العساكر ، ومَنَعه من الحصار ، [قد] كتب إلى الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بذلك ليطالع به السلطان ، فكتب بالخبر إلى السلطان . فورد الجواب إلى الأمراء بالإنكار على الدواداری فى تقدّمه على الأمير بكتاش ، وكونه اقتصر على الغارة ، وأنه لم يخرج إلا على مضافيه ، و [أن] التقدمة على سائر العساكر للأمير بكتاش ، وأن العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون ، وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم [بالديار المصرية] .

فعادت العساكر من الرُّوْج[3] إلى حلب وأقاموا بها ثمانية أيام ، وتوجّهوا إلى سيس من عقبة بغراس[4] . وسار كجكن وقرا أرسلان إلى أياس وعادا[5] شبه المنهزم ، فإن الأرمن أكنوا فى البساتين ؛ فأنكر عليهما الأمير بكتاش ، [فاعتذرا[6] بضيق المسلك والتفاف الأشجار وعدم التمكن من العدو] . ثم رحل [بكتاش] بجميع العساكر إلى تل حمدون ، فوجدها خالية وقد نزح من كان فيها من الأرمن إلى قلعة نُجَيْمة[7] ، فتسلّمها فى سابع رمضان وأقام بها من يحفظها . وسيَّر الأميرُ بلبان الطباخى نائب حلب عسكرا ، فملكوا قلعة مرعش فى رمضان أيضاً . وجاء الخبر إلى الأمير بكتاش وهو على تل حمدون بأن وادياً

(١) هنا تنتهى العبارة الواردة بهامش الصفحة فى س .
(٢) فى س " بغراس " .
(٣) فى س " المروج " بغير ضبط ، والصيغة الواردة هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٧ أ) . والروج قرية من قرى حلب فى غربيها ، وتقع بين حلب والمعرة ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٨٢٨) ، وهى (Castrum Rugium) الواردة فى المراجع الأوربية . انظر : Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 62. N. 19).
(٤) فى س " بغراس " . (٥) فى س " وعادوا " .
(٦) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٧ أ) .
(٧) مضبوط هكذا فى س ، ما عدا الياء فلا نقط لها .

تحت قلعة نُجيمة وحُمَيْص[١] قد امتلأ بالأرمن ، وأن أهل قلعة نُجيمة تحميهم ؛ فبعث طائفة من العسكر إليهم فلم ينالوا غرضاً ، فسيّر طائفة ثانية فعادت بغير طائل . فسار الأمراء فى عدة وافرة وقاتلوا أهل نُجيمة[٢] [حتى ردّوهم إلى القلعة] ، وزحفوا على الوادى وقتلوا وأسروا من فيه ؛ ونازلوا قلعة نُجيمة ليلة واحدة . وسار العسكر إلى الوطاة ، و [بقى] الأمير بكتاش والملك المظفر فى مقابلة من بالقلعة [خشية أن يخرج أهل نُجيمة فينالوا من أطراف العسكر] ، حتى صار العسكر بالوطاة ، ثم اجتمعوا بها .

فقدم البريد من السلطان بمنازلة قلعة نُجيمة حتى تفتح فعادوا إلى حصارها ، واختلف الأمير بكتاش والأمير سنجر الدوادارى على قتالها ، فقال الدوادارى : "متى نازلها الجيش بأسره لا يُعلم مَنْ قاتل مِمَّنْ عجز وتخاذل ، والرأى أن يقاتل كلّ يوم أميرٌ بألفه" ، وأخذ يُدِلّ بشجاعته ، ويصغر شأن القلعة ، وقال : "أنا آخذها فى حجرى" ؛ فسلّموا له واتفقوا على تقديمه لقتالها قبل كل أحد . فتقدم [الدوادارى] إليها بألفه حتى لاحف[٣] السور ، فأصابه حجر المنجنيق فقطع[٤] مشط رجله ، وسقط عن فرسه إلى الأرض ، وكاد الأرمن يأخذونه[٥] ، إلا أن الجماعة بادرت وحملته على جنوية إلى وطاقه ؛ ولزم الفراش ، فعاد إلى حلب ، وسار منها إلى القاهرة ؛ وقُتل فى هذه النوبة الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصرى . وزحف فى هذا اليوم[٦] الأمير كرتاى ونقب سور القلعة وخلص منه ثلاثة أحجار ، واستشهد معه ثلاثة عشر رجلا . ثم زحف الأمير بكتاش وصاحب حماة ببقية الجيش طائفة بعد طائفة ، وكلٌّ منهم يردف الآخر حتى وصلوا إلى السور وعليهم الجنويات ، وأخذوا فى النقب وأقاموا الستائر ، وتابعوا الحصار أحدا[٧] وأربعين يوماً .

---

(١) مضبوط هكذا فى س ، واسم هذه القلعة حموص (Hamûs) فى (Le Strange :- Palest. Under Moslems. p. 543) ، وموقعها شرق تل حمدون ، وقد كتبها النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٧ ا) "حيمص" .

(٢) فى س "نحميه".

(٣) كذا فى س ، والمعنى أنه زحف حتى صار فى لحف السور أى جانبه . (محيط المحيط) .

(٤) فى س "قطع" .

(٥) فى س "ياخدوه".

(٦) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ٣١٧ ب) أن الأمير كرتاى زحف "فى اليوم الثانى".

(٧) فى س "احد" .

و [كان] قد اجتمع بها من الفلّاحين ونساء القرى وأولادهم خلق كثير ، فلما قلّ الماء عندهم أخرجوا مرّة مائتى رجل وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبيا ، فقتل العسكرُ الرجال واقتسموا النساء والصبيان . ثم أخرجوا مرة أخرى مائة وخمسين رجلا ومائتى امرأة وخمسة وسبعين صبيا ، ففعلوا بهم مثل ما فعلوا بمن تقدّم . ثم أخرجوا مرة ثالثة طائفة أخرى ، فأتوا على جميعهم بالقتل والسبى ، حتى لم يتأخر بالقلعة إلا المقاتلة . وقلّت المياه عندهم حتى اقتتلوا بالسيوف على الماء ، فسألوا الأمان فأُمّنوا ؛ وأُخِذَت القلعة فى ذى القعدة ، وسار من فيها إلى حيث أراد . وأُخذ أيضاً أحد عشر حصنا من حصون الأرمن ، [ومنها[1] النقير وحجر شغلان وسرقندكار وزنجفرة وحميص[2]] ؛ وسلّم ذلك كلّه الأميرُ بكتاش إلى الأميرسيف الدين أسندمر كرجى من أمراء دمشق ، [وعيّنه نائبا بها] ؛ فلم يزل [أسندمر] بها حتى قدم التتار ، فباع ما فيها من الحواصل ونزح عنها ، فأخذها الأرمن .

ولما تمّ [هذا] الفتح عادت العساكر إلى حلب وكان الشتاء شديدا ، فأقاموا بها . و بعث السلطان إليهم الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، والأمير عز الدين طقطاى ، والأمير مبارز الدين أوليا بن قرمان ، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى ، فى ثلاثة آلاف فارس من عساكر مصر ؛ فدخلوا دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة ، وساروا منها إلى حلب فى عشريه ، وأقاموا بها مع العسكر . و بعث متملك سيس إلى السلطان يسأل العفو .

وفى هذه السنة كان الروك[3] الحسامى : وذلك أن أرض مصر كانت قد قُسِّمت على

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٧ ب) . انظر أيضاً ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٣٨) .

(٢) فى الأصل "حميص" . انظر ص ٨٤٠ ، حاشية ١ .

(٣) الروك فى كتب المؤرخين مصدر الفعل الثلاثى راك ، ومعناه فى الأصل مسح أرض الزراعة فى بلد من البلاد ، لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال . وكان الخراج — أى ضريبة الأرض — فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية المنبع الرئيسى لدخل الدولة منذ صدر الإسلام ، ومنه تصرف أعطية الجند ورواتب الولاة وموظفى دواوين الدولة ، فما زاد عن ذلك من مال الخراج أودع فى بيت المال ، ويسمى هذا النظام المالى بنظام الأعطية . انظر (G.-Demombynes : La Syrie. Introd. p. XXXIX et seq) وكانت مصر الإسلامية تدفع خراجاً سنوياً كبقية البلاد الإسلامية الخراجية ، وكان خراجها مقسما إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، توزع أجزاؤها على القرى توزيعاً متناسباً مع طاقتها . وكانت جباية =

أربعة وعشرين قيراطا ، أُفرد منها للسلطان أربعة قراريط ، وجُعل للأمراء وبرسم الإطلاقات والزيادات عشرة قراريط ، وجُعل لأجناد الحلقة عشرة قراريط . فأراد السلطان الملك المنصور تغيير ذلك ، وأن يَجعل للأمراء وأجناد الحلقة أحد عشر قيراطا ، ويَستجدّ عسكرا بتسعة قراريط . فنَدَب لروك أراضى مصر الأمير بدر الدين بيليك الفارسى الحاجب ، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى المعروف بالبريدى ؛ وانتصب لهذا العمل [جماعة[(١)]] من الكُتّاب ، [وكان المشار إليه فيهم] تاج الدين عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة ،

=الخراج ، سواء فى مجموعها الكلى أو فى الأجزاء الموزعة على القرى ، معرضة للتعديل . فإذا زادت عمارة البلاد وتوفر زرعها زيدت الجباية ، وإن قل أهلها وأجدبت أرضها وخربت نقصت . ويظهر أن ذلك هو على الأقل أحد أسباب تكرار مسح أرض مصر ، إذ مسحت فى العصور الإسلامية الأولى ثلاث مرات : المرة الأولى على يد ابن رفاعة عامل الخراج فى مصر فى خلافة الوليد وأخيه سليمان بن عبد الملك الأموى ، حوالى سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) ؛ والمرة الثانية كانت على يد ابن الحبحاب ، فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى ، حوالى سنة ١١٠ هـ (٧٢٩ م) ؛ والمرة الثالثة كانت على يد ابن مدبر ، فى خلافة المعتز بالله العباسى ، حوالى سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) . انظر (الأمير عمر طوسن : كتاب مالية مصر ، ص ١٧٤ ، وما بعدها) .

وإلى جانب ذلك النظام المالى الأول كان الخليفة يقطع من يريد قطيعة — أو إقطاعاً — من الأرض ، فى أى بلد من بلاد الدولة ، ويقرر على مقطعها شيئاً يقوم به لبيت المال فى كل سنة ؛ وقد سمى ذلك النظام مقاطعة ، إلا أنه كان قليلا . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٢٣ ، وما بعدها) . وقد سار الفاطميون فى مصر على نهج العباسيين فى إقطاع الأراضى أحيانا ، وكان يسمى ما يكتب فى الإقطاعات عندهم بالسجلات . (القلقشندى : نفس المرجع والجزء ، ص ١٣١ ، وما بعدها) .

ثم حل نظام الإقطاع فى مصر الأيوبية محل نظام الأعطية ، (G.-Demombynes: Op. Cit. Introd. p. XXXIX et seq) وبقيت النسبة الخراجية القديمة فى تقسيم الأراضى المصرية جارية فى هذا النظام الجديد ، وهى أربعة وعشرون قيراطاً : يكون للسلطان منها أربعة قراريط ، وللأجناد عشرة قراريط ، وللأمراء عشرة قراريط . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٧ ، وما بعدها) . وقد حدث أول روك لأراضى مصر ، فى ذلك العصر المتأخر ، فى عهد السلطان حسام الدين لاجين ، كما ورد بالمتن ، وهو أول روك بعد الروك الثالث المتقدم ، وتلاه الروك الناصرى ، وسيأتى ذكره فيما يلى . ويظهر أن سبب هذا الروك الحسامى ، حسبما جاء فى المقريزى (نفس المرجع والجزء ، ص٨٨) ، أن " الأمراء [كانوا] يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد ، فلا يصل إلى الأجناد منها شىء ، ويصير ذلك الإقطاع فى دواوين الأمراء . ويحتمى بها قطاع الطريق ، وتثور بها الفتن ، ويقوم بها الهوشات (كذا) ، ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية ، وتصير مأكلة لأعوان الأمراء ومستخدميهم ، ومضرة على أهل البلاد التى تجاورها . فأبطل السلطان ذلك ، وردّ تلك الإقطاعات على أربابها ، وأخرجها بأسرها من دواوين الأمراء ... " .

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٨ ا) ، انظر أيضاً بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٨ ا — ١٩٩ ا) .

[وهو من مُسَالمة[١] القبط ، وممن يُشار إليه فى معرفة صناعة الـكتابة ، ويُعتمد على قوله ويُرجع إليــه] . فخرج الأمراء للروك ، ومعهم الـكتّاب وولاة الأقاليم فى سادس عشر جمادى الأولى .

وتقدّم الأمير منكوتمر نائب السلطنة إلى التاج الطويل بأن يُفْرِد للأمراء والأجناد عشرة قراريط ، وأن يجعل القيراط الحادى عشر برسم من يتضوَّر[٢] من قلة عبرةِ خبزه . وأُفرد لخاص السلطان الأعمال الجيزية[٣] والإطفيحية ، والإسكندرية ودمياط ومنفلوط وكفورها ، وهوّ[٤] والـكوم الأحمر[٥] من أعمال القوصية ، وغير ذلك . وأُفرد للنائب

(١) المسالمة — أو المسلمة ومفرده مسلمانى ، والأسالمة أيضا ومفرده أسـلمى — لفظ يطلق على كل من دخل فى الإسلام حديثا ، من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإســلامية . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. 66. N. 27; Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) فى س " يتضور من قله عبره خبره " .

(٣) كان عمل الجيزية أول أعمال الصعيد بالديار المصرية ، وهو أقربها إلى الفسطاط والقاهرة ، وكان مقر ولايته مدينة الجيزة كما هو الحال الآن بمديرية الجيزة . وقد عرف الصعيد فى كتب المؤرخين المتقدمين باسم " أعلى الأرض " ، وسمى صعيداً " لأن أرضه كلما ولجت فى الجنوب أخذت فى الصعود والارتفاع " . وكانت أعمال الصعيد المستقرة فى زمن القلقشندى ، أى أواخر القرن الثامن الهجرى ، كالآتى : عمل الجيزية وقد تقدم التعريف به ؛ وعمل الإطفيحية ، ويمتد شرقى النيل من جنوب الفسطاط ، ومقر ولايته مدينة إطفيح بين المقطم والنيل ، وهى الآن تابعة لمركز الصف بمديرية الجيزة ؛ وعمل البهنساوية ، وهو مما يلى عمل الجيزية من الجهة الجنوبية ، ومقر ولايته مدينة البهنسى ، وهى الآن من قرى مركز بنى مزار بمديرية المنيا على البر الغربى للنيل ؛ وعمل الفيومية ، وهو مصاقب لعمل البهنسى من غربيه ، وبينهما منقطع رمل ، ومقر ولايته مدينة الفيوم ؛ وعمل الأشمونين والطحاوية ، وهو مصاقب لعمل البهنسى من جنوبيه ، ومقر الولاية به مدينة الأشمونيـن ، وموضعها الآن مدينة المنيا ؛ وعمل المنفلوطية وهو مصاقب لعمل الأشمونين من جنوبيه ، وهو من أخص خاص السلطان الجارى فى ديوان وزارته ، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهراء السلطانية بالفسطاط ، ومقر ولايته مدينة منفلوط ؛ وعمل الأسيوطية ، وهو مصاقب لعمل منفلوط من جنوبيه ، وهو عمل كبير ، ومقر ولايته مدينة أسيوط ؛ وعمل الإخميمية وهو مصاقب لعمل أسيوط من جنوبيه ، وهو عمل ليس بالـكبير ، وبلاده أكثرها بالبر الغربى من النيل ، وحاضرته مدينة إخميم ؛ وعمل القوصية ، وهو مصاقب لعمل أسيوط من جنوبيه ، وهو عمل متسع الفضاء ، بعيد ما بين القرى ، ينتهى آخره إلى أسوان ، ومقر ولايته مدينة قوص ؛ وعمل أسوان ، وكان قبل زمن القلقشندى تابعاً لعمل قوص ، ثم صار عملا مستقلا بنفسه ، لا حكم لوالى قوص عليه . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ — ٣٨٤ ، ٣٩٦ — ٤٠٢) . انظر أيضاً المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٩ ، وما بعــدها) ، وكذلك فهرس مواقع الأمكنة ، والخطط التوفيقية .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهى بلدة بالصعيد الأعلى ، من عمل قوص كما بالمتن ، وكانت تعرف أيضاً باسم هم بالميم بدل الواو ، وهى الآن تابعة لمركز نجع حمادى بمديرية قنا . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٧ ، ص ٢٥ ؛ فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٣٧٤) .

(٥) كذا فى س ، وليس فى مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٥ ، ص ١٢ ، وما بعدها) ، تحت =

منكوتمر إقطاع عظيم من جملته مرج[١] بنى هميم وكفورها[٢] ، (١٢١٥ ا) وسَمْهُود[٣] وكفورها ، وحرجة قوص ، ومدينة أدفو ، وما فى هـذه النواحى من الدواليب ، وكان متحصلها ينيف على مائة ألف أردب وعشرة آلاف أردب من الغلة ، خارجا عن المـال العين والقنود والأعسال والتمر والأغنام والأحطاب . وكان فى خاصّه سـبعة وعشرون[٤] معصرة لقصب السكر ، سوى ما له من المشتريات[٥] والمتاجر ، وما له ببـلاد الشام من الضياع والعقار ، وما يرد إليه من التقادم .

فلما انتهى الروك فى ثامن رجب فُرِّقت مِثالات[٦] الأمراء ؛ وفى تاسـعه فُرِّقت مثالات مقدمى الحلقة ؛ وفى عاشره فُرِّقت مثالات أجناد الحلقة . وأُقطعت البلاد للأمراء والأجناد دَرْبَسْتا[٧] ، لم يُسْتَثْنَ منها سوى الجوالى والمواريث الحشرية فإنها من جملة

= اسم الـكوم الأحمر ، بلدة بهذا الاسم فى الوجه القبلى كله ، بل توجد اثنتان تسمى كل منها باسم الـكوم الأحمر بالوجه البحرى ، إحداها بالقليوبية ، والأخرى بالمنوفية .

(١) كذا فى س .

(٢) هنا ينتهى ماسطره المقريزى فى ورق أصغر من ورق بقية المخطوطة ، وقد رقمه بأرقام أبجدية فقط . انظر ص ٨٣٨ ، حاشية ٢ .

(٣) بغير ضبط فى س ، وهى بلدة قريبة من فرشوط بمركز نجع حمادى بمديرية قنا الحالية . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٢ ، ص ٥١ — ٥٢) . انظر أيضاً المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٠٣) .

(٤) فى س " عشرين " .

(٥) فى س " المشتروات " .

(٦) المثالات جمع مثال ، وهو أول ما يكتب من الوثائق اللازمة لتقرير إقطاع لشخص جديد على الإقطاع ، يكتبه ناظر الجيش بقلم خاص وأسلوب معين ، ثم يحيله على أحد كتاب ديوان الجيش ، فيخلده هذا عنده أى يبقيه فى محفوظات ديوانه ، ويكتب به "مربعة" من ديوان الجيش ، ويرسلها إلى ديوان الإنشاء . فإذا وصلت المربعة إلى ديوان الإنشاء أحالها كاتب السر فى ذلك الديوان على من يكتب بها منشوراً ، وكان المنشور يسمى أيضا فى مصطلح الدولة الأيوبية توقيعاً (انظر ص ٤٧٠ ، حاشية ٦) ، وهذه الوثيقة الأخيرة هى التى تجعل الإقطاع — وكان يسمى الخبز أيضاً والجمع أخباز — شرعيا بيد المقطع الجديد . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٣ — ١٥٨) .

(٧) تقدم ورود هـذا اللفظ فى ص ٧٧٠ (سطر ٥) بغير تعليق يشرح معناه ، وهو وارد بهذه الصيغة أيضاً فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٨ ا) ، والصحيح دربسته ، وهو لفظ فارسى معناه هنا "كاملا" ، انظر (Steingass : Pers. - Eng. Dict.) . وقد شرح القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٦) هذا اللفظ شرحا مطابقا للوارد هنا ، غير أنه كتبه "كربستا" ، وهذا نص عبارته : " ثم يكتب فى السطر الأخير [من المثال] فى الوسط ما صورته ' فى السنة كربستا ' ، إن كان جميع البلد أو البلاد المقطعة لا يستثنى منها شىء ، أو يكتب ' خارجا عن الملك والوقف ' ، أو نحو ذلك على ما يقتضيه الحق " .

الخاص السلطانى ، وسوى الرزق الأحباسـية ، وما عدا ذلك فإنه داخل فى الإقطاع . وحُوِّلت سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين على العادة (١) .

وتولّى تفرقة المثالات على الأمراء والمقدّمين السلطانُ ، فبان له فى وجوههم التغيّر لقلة العِبْرة ، وهمّ بزيادتهم . فمنعه منكوتمر من فتح هذا الباب ، وحذّره أنه متى فتح باب الزيادة تَعِب ، ولـكن من تضوّر من إقطاعه يحيله على منكوتمر ؛ ففعل [السلطان]

---

(١) يوجد بهامش الصفحة فى س العبارة التالية بخط مخالف : " انظر تحويل السنه العربيه " . وكان الموكلون بأمور الخراج فى البلاد الإسلامية يقومون بذلك التحويل بعد فترات معينة من السنين القمرية ، لما هنالك من التفاوت بين السنة القمرية المعتمد عليها فى استخراج الخراج ، والسنة الشمسية التى تضبط بها الزروع والثمار ومواعيد استحقاق الجباية ، إذ تنقص السنون القمرية عن السنين الشمسية سنة تقريبا كل ثلاث وثلاثين سنة ، فيقتضى النظام الخراجى تقديم السـنة الهلالية سنة ، كلما انقضت ثلاث وثلاثون سنة منها . وقد أفرد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٥٤ . وما بعدها) فصلا وافياً فى هذا الموضوع ، ونصه : اعلم أن استحقاق الخراج وجبايته منوطان بالزروع والثمار ، من حيث إن الخراج من متحصل ذلك يؤخذ ؛ والزروع والثمار منوطة بالشهور والسنين الشمسية ، من حيث إن كل نوع منها يظهر فى وقت من أوقاتها ، ملازم له لا يتحول عنه ولا ينتقل ، للزوم كل شهر منها وقتاً بعينه ، من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع . واستخراج الخراج فى الملة الإسلامية منوط بتاريخ الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وشهوره وسنوه عربية . والشهور العربية تنتقل من وقت إلى وقت ، فربما كان استخراج الخراج فى أول سنة من السنين العربية ، ثم تراخى الحال فيه إلى أن صار استحقاقه فى أواخرها ، ثم تراخى حتى صار فى السنة الثانية . فيصير الخراج منسوباً للسنة السابقة ، واستحقاقه فى السنة اللاحقة ، فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التى بعدها ... (ص ٥٥) .. . والسبب فى انفراج ما بين السنين الشمسية والهلالية أن أيام السـنة الشمسية هى المدة التى تقطع الشمس الفلك فيها دفعة واحدة ، وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم بالتقريب ، حسب ما توجبه حركتها ؛ وأيام السنة الهلالية هى المدة التى يقطع القمر الفلك فيها اثنتى عشرة دفعة ، وهى ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسدس يوم . فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسدس يوم ، فتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية ، فى كل ثلاث سنين ، شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً ، وفى كل ثلاث وثلاثين سنة بالتقريب ؛ فإذا تمادى الزمان تفاوت ما بين السنين تفاوتاً قبيحاً ، فيرى السلطان عند ذلك أن تنقل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية ، بالاسم دون الحقيقة ، توفيقاً بينهما وإزالة للشبهة فى أمرها ؛ ومتى أوعز بذلك لم يقف على الغرض فيه إلا الخاصة دون العامة ، وأسرع إلى ظن العاملين وأرباب الخراج والأملاك أن ذلك عائد عليهم بظلم وحيف ، وإلى ظن مستحق الإقطاع أنه منتقص لهم ، ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك ، وشـنعوا عليه . فرسم بلغاء الـكتاب فى هذا المعنى رسوماً تعود بتفهيم الغبى وتبصير العمى ، وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصالا يتساوون فى تصـديقه وتيقنه ، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه . . . (ص ٦٠) . . والحاصل أنه إذا مضى ثلاث وثلاثون سنة من آخر السنة ، حولت السنة الثالثة والثلاثون إلى تلو السنة التى بعدها ، وهى الخامسة والثلاثون ، وتلغى (ص ٦١) الرابعة والثلاثون . . . " . انظر أيضاً (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، وما بعدها ؛ بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٩ أ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٨ أ) .

ذلك . وتولّى تفرقة مثالات الأجناد منكوتمر ، فجلس بشباك دار النيابة ووقف الحجاب بين يديه ، وأعطى لكل تقدمة مثالا بها ، فلم يجسر أحد أن يتكلم خوفا منه ، فاستمرّ على ذلك أياماً .

وكانت الإقطاعات قد تناقصت عما كانت عليه فى الدولة المنصورية قلاون : فإن أقلها كان يتحصل منه عشرة آلاف درهم ، وأكثرها ينيف على ثلاثين ألفا ، فصار أكثرها يبلغ عشرين ألفا . فعُمل فى هذا الروك أكثر الإقطاعات يُتحصل منه عشرة آلاف ، فشقّ ذلك على الأجناد ، وتجمعت طائفة [منهم] ورموا مثالاتهم ، وقالوا : " إنا لم نعتد بمثل هذا ، فإما [أن] تعطونا ما يقوم بكفايتنا ، وإلا فخذوا أخبازكم ، وإما نخدم الأمراء ، أو نقيم بطالين " . فحنق منهم منكوتمر وأمر الحجاب فضربوهم ، وأخذ سيوفهم وسجنهم ، وبالغ فى الفحش ؛ وصار ينظر إلى الأمراء ويقول : " أيما قوّاد يجى يشتكى من خبزه ويقول أعرّف السلطان ، فإنى أعرِف إيش يقول السلطان ، فإما أن يرضى يخدم وإلا فإلى لعنة الله " . فعرف الأمراء أنه يعنيهم ، فسكتوا على ضغن . وبلغ السلطان ذلك [عن منكوتمر] فأنكر (٢١٥ ب) عليه ، وأمره الزيادة فى الإقطاعات فلم يفعل ؛ وأقام الأجناد فى السجن مدة أيام ثم أفرج عنهم . فكان هذا الروك أكبر الأسباب فى زوال الدولة[1] .

وفيها أنعم بطبلخاناه الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب[2] الجيش بعد موته على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير آخور ؛ وكان السلطان قبل ذلك [قد] أعطاه إمرة عشرة . واستقر سيف الدين كرت أمير آخور فى نيابة طرابلس ، بعد وفاة عز الدين أيبك الموصلى . وفيها عدم الثلج بدمشق ، وغارت العيون ، وهلك أكثر الزرع وجفّت أشجار البساتين .

(١) لعل تحويل السنة القمرية تلك السنة كان أيضاً من الأسباب المساعدة على زوال الدولة . (انظر ص ٨٤٥ ، حاشية ١ ، سطر ٢٧ ، وما بعده) .

(٢) كان صاحب هذه الوظيفة ، نقلا عن القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٦) ، "هو الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم ... " . انظر أيضاً القلقشندى نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٢١) .

وفيها بلغ الأمير سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن للأمير عز الدين ...[١] الجناحى نائب غزة وديعة[٢] عنـد رجل ، فاستدعى به بعد موت الجناحى وطالبه فقال : "قد أخذ الوديعة[٣] قبـل موته" . فلما أراد عقوبته حضر إليه فخر الدين . . . .[٤] الإعزازى أحد تجار دمشق ، وقال : "إن هذه الوديعة أخذها الجناحى من هـذا الرجل وجعلها تحت يدى" ، وأحضر صندوقا ؛ فوجد [الأمير جاغان] فيه اثنين وثلاثين ألف دينار ومائتى دينار وأربعة وثلاثين ديناراً عينا ، وحوائص وطرزا[٥] قيمتها خمسون ألف دينار .

وفيها خرج [الأمير[٦] سيف الدين] حمدان بن صلغاى إلى بلاد الشام فى صورة أنه يستحث العساكر على أخذ سيس ، و [قد] لقّنه الأمير منكوتمر أموراً مكتومة ، كان فيها زوال الدولة : و [منها] أنه يفرج عن الأمير كرجى من قلعة دمشق ويسفّره إلى سيس ، ويتفق هو وأيدغدى شقير المتوجّه قبله صحبة بكتمر السلاح دار مع جماعة من خشداشيته على ما يأتى ذكره .

وفيها أنعم على صمغار بن سنقر الأشقر بإمرة ، وأنعم على كل من . . . .[٧] بن أيتمش السعدى وسيف الدين طقصبا الظاهرى بإمرة . وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب ، فأكرمه السلطان وألبسه خلعة طَرْد وَحْش ؛ وهو أول من ألبس ذلك لآل مهنا ، وإنما كانت خلعهم مُسَمَّطا[٨] أو كَنْجِيًّا[٩] . واستأذن مهنا السلطانَ فى الحج فأذن له .

---

(١) بياض فى س .

(٢،٣) فى س "وداعه" وهو خطأ ، فالوداعة السكون والاطمئنان . أما الوديعة فهى ترك المال عند شخص لحفظه . هذا والوديعة غير الأمانة ، والفرق بينهما فى الشرع أن الوديعة هى الاستحفاظ بما يودع قصداً ، والأمانة هى الشىء الذى وقع فى يد شخص من غير قصد . (محيط المحيط) .

(٤) بياض فى س . (٥) فى س "طرز" .

(٦) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٨ ب) ؛ وهذا الاسم وارد فى س برسم "جدان بن صلغاى" ، وسيصلح فيما يلى إلى الرسم الوارد هنا بالمتن بغير تعليق . راجع أيضا (Zetterstéen : Beiträge. p. 46) ، حيث ورد هذا الاسم "حمدان بن سلغيه" .

(٧) بياض فى س .

(٨) فى س "مسمط" ، بضم الميم فقط ، ومعناه حسبما ورد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) القماش من الحرير الأصفر والأحمر ، يكون مزينًا بنقش بارز (broché) . والسُّمط فى محيط المحيط الثوب الذى ليست له بطانة طيلسان ، أو الثوب المصنوع من قطن ؛ والسُّمط ثوب من الصوف ؛ وسراويل أسماط أى غير محشوة ، والمراد أن تكون طاقا واحدا .

(٩) فى س "كنجى" بغير ضبط ، وهو قماش منسوج من قطن وحرير ، وكان يصنع أولا فى =

وفيها قوى أمر منكوتمر ، وتحكّم تحكّمة الملوك فى جميع أمور المملكة ، وقصد إخراج طغجي أيضاً من مصر ؛ ففطن [طغجى] لذلك ، فسأل الإذن فى السفر إلى الحج فأذن له ، وعُمل أمير الركب .

وفيها بعث منكوتمر إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد يعلمه أن تاجراً قد مات وترك أخا ولم يخلف غيره ممن يرثه ، وأراد أن يثبت استحقاقه الإرث بمجرد هذا الإخبار عنه . فلم يوافق [قاضى القضاة] على ذلك ، وتردّدت الرسل بينهما ؛ فحَرِج[1] منكوتمر من ذلك ، وبعث إليه الأمير كُرْت[2] الحاجب ؛ فلما دخل [كرت] وقف بعد ما سلّم ، فقام له القاضى نصف قومة وردّ عليه السلام وأجلسه . وأخذ كرت يتلطّف به فى إثبات أُخُوّة التاجر بشهادة منكوتمر ، فقال له [قاضى القضاة] : "وماذا يَنْبَنِي[2] على شهادة منكوتمر ؟" فقال له : "يا سيدى ! ما هو عندكم عدل ؟" ، فقال : "سبحان الله !" ثم أنشد :

يقولون هذا عندنا غير جائزٍ ومَن أنتمُ حتّى يكونَ لكم عِنْدُ

وكرّر ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : "والله متى لم تقم عندى بيّنة شرعية ثبتت عندى ، وإلا فلا حكمتُ له بشىء باسم الله" . فقام كرت وهو يقول : "والله هذا هو الإسلام" ، وعاد إلى منكوتمر واعتذر إليه بأن "هذا الأمر لا بد فيه من اجتماعك بالقاضى إذا جاء إلى دار العدل" .

فلما كان يوم الخدمة ، ومرّ القاضى على دار النيابة بالقلعة ومنكوتمر جالس فى الشباك ، تسارعت الحجاب واحدا بعد آخر إلى القاضى وهم يقولون : "يا سيدى ! الأميرُ ولدك يختار الاجتماع بك لخدمتك" . فلم يلتفت إلى أحد منهم ، فلما ألحّوا عليه قال لهم : "قولوا له ما وجبت طاعتك علَىّ" ؛ والتفت إلى مَنْ معه من القضاة ، وقال : "أُشهدكم أنى عزلتُ

= كنجة بجهات أران ، ثم انتقلت صناعته إلى عدة جهات أخرى . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(١) هنا تنتهى صفحة ٢١٥ ب فى نسخة س ، والوارد بعد هذا اللفظ إلى أول صفحة ٢١٦ ا (انظر ص ٨٥٣) مكتوب على صفحات أصغر من صفحات المتن المعتادة ، وقد رقمها المقريزى بأرقام أبجدية فقط كما فعل سابقا فى حالة مماثلة ، (انظر ص ٨٣٨ ، حاشية ٢) ، وسيكتفى بهذه الإشارة إلى مدى تلك الصفحات بالمتن ، لعدم الحاجة إلى إثبات تلك الأرقام الأبجدية .

(٢) كذا فى س ، بضم الكاف فقط . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 24) .

نفسي باسم الله ، قولوا له يولِّ غيرى " . وعاد إلى داره وأغلق بابه ، و بعث نقباءه إلى النواب فى الحكم وعقّاد الأنكحة يمنعهم من الحكم وعقد الأنكحة .

فلما بلغ السلطان ذلك أنكر على منكوتمر ، و بعث إلى القاضى يعتذر إليه و يستدعيه ، فأبى واعتذر عن طلوعه ؛ فبعث إليه الشيخ نجم الدين حسين بن محمد بن عبود والطواشى مرشداً[1] ، فما زالا به حتى صعدا به إلى القلعة . فقام إليه السلطان وتلقّاه ، وعزم عليه أن يجلس فى مرتبته ، فبسط منديله — وكان خرقة كتان خَلِقة — فوق الحرير قبل أن يجلس ، كراهةَ أن ينظر إليه ، ولم يجلس عليه . وما برح السلطان يتلطّف به حتى قبل الولاية ، ثم قال له : " يا سيدى ! هذا ولدك منكوتمر خاطرك معه ، ادعوا[2] له " ؛ وكان [منكوتمر] ممن حضر ، فنظر إليه [قاضى القضاة] ساعة ، وصار يفتح يده و يقبضها وهو يقول : " منكوتمر لا يجىء منه شىء " ، وكرّرها ثلاث مرات ، وقام . فأخذ السلطان الخرقة التى وضعها على المرتبة تبرُّكا بها ، وتفرّقها الأمراء قطعة قطعة ليدّخروها عندهم رجاء بركتها .

وأما حمدان بن صلغاى ، فإنه قدم إلى دمشق وعرّف الأمير جاغان ما ندب إليه من مسك الأمير بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبَكِى[3] نائب صفد وعز الدين طقطاى والأمير بُزْلار[4] والأمير عَزّار[5] ؛ وكان الأمير قبجق نائب الشام قد خرج بالعساكر إلى مساعدة الأمراء على أخذ سيس . ثم سار [حمدان[6]] إلى حمص ، و [التقى هناك بالأمير] قبجق [وهو] عائد إلى دمشق ، فتلقّاه وأكرمه . ثم توجّه إلى حلب ، وأوقف النائبَ على ما جاء فيه من قبض الأمراء الذين عيّنهم منكوتمر ، فبلغهم ذلك فاحترزوا على أنفسهم ، ولحقوا بحمص يريدون الأمير قبجق والاتفاق معه .

(١) فى س " مرشد " .
(٢) كذا فى س ، ومنه يتضح أن السلطان خاطب قاضى القضاة بواو الجماعة .
(٣) فى س " البكى " بغير ضبط ، انظر (Zettersteen : Beiträge. P. 47) .
(٤) فى س " بزلار " بغير ضبط ، انظر (Zettersteen : Op. Cit. P. 47) .
(٥) بغير ضبط فى س . انظر (Zettersteen : Op. Cit. P. 47) .
(٦) أضيف ما بين الأقواس مما يلى (ص ٨٥٢ ، سطر ١٧ ، وما بعده) ، حيث عاد المقريزى إلى الموضوع وشرحه ووضحه .

وفيها أفرج عن ابن الحلى ، بعد أن بالغ أقوش الرومى فى عقوبته ، فاختفى . وفيها استقرّ الأمير بكتمر الحسامى أمير آخور كبيراً ، واستقرّ علاء الدين طيبرس الخازندارى[1] نقيب الجيش ، عوضاً عن بلبان الفاخرى .

وفيها رسم بعمل استيمار[2] بجمع أرباب الرواتب والرزق ، ليحضروا بتواقيعهم للعرض على منكوتمر ، ويقطع من يختار منهم ؛ فلما شرعوا فى الـكتابة اشتدّ قلق الناس ، و بلغ السلطان ذلك فمنع منكوتمر منه .

ومات فى هـذه السنة ممن له ذكر صدر الدين إبراهيم بن محيي الدين أحمد بن عقبة ابن هبة الله بن عطاء البُصْراوى[3] الدمشقى الفقيه الحنفى ؛ ولد فى سـنة تسع وستمائة ، وبرع فى الفقه والنحو ، وأفتى ودرّس وولى قضاء حلب ؛ وقدم بعـد عزله إلى القاهرة وأقام بها ، ثم ولى حلب ثانياً ، فمات بدمشق فى رمضان . و [مات] شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقرئ الفقيه الحنبلى ، عابر الرؤيا ؛ كانت له عجائب فى عبارة الرؤيا وصنّف [فيها ؛ و] مات آخر ذى القعدة . و [مات] الأمير عز الدين أيبك الموصلى أحد المماليك المنصورية ، [وقد] تنقلت به الخِدم حتى ولى نيابة طرابلس إلى أن مات فى . . .[4] . و [مات] الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب الجيش ، فى رابع عشر ربيع الآخر . و [مات] الأمير علم الدين سنجر طقصبا ، استشهد فى محاصرة قلعة مجيمة فى . . . .[5] . و [مات] الأمير علم الدين سنجر أحد الأمراء الناصرية بدمشق فى سابع عشرى جمادى الأولى ؛ وكان شجاعا مقداما ، سمع الحديث وعُرِف بالخير وحدّث . وتوفى شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين أبو محمد عبـد اللطيف بن أبى الفتوح نصر بن سعيد بن سعد بن محمد بن ناصر المَيْهَـنى[6] ، عن ثمان وثمانين سنة . و [مات] الأمير سعد الدين

---

(١) فى س " الخزندارى " .

(٢) فى س "استيمار" ، والرسم المثبت هنا من (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 81) ، حيث هذا اللفظ مترجم أيضاً إلى (un conseil) ، أى مجلس .

(٣) مضبوط هكذا فى س .

(٤) بياض فى س . (٥) بياض فى س .

(٦) كذا فى س بغير ضبط . ولعل النسبة إلى بلدة ميهنة ، وهى إحدى القرى الواقعة بين أبيورد وسرخس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٢٣) .

كوجبا[1] نائب دار العدل ، فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى . و [مات] موفق الدين محمد بن الحسين بن ثعلب الأدفوى ، خطيب أُدْفُو ، [و] لَهُ نظم ونثر ، وفيه كَرَم وعنده إغضاء[2] وحلم ، مات فى . . . .[3] . و [مات] جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله ابن سالم بن واصل الحموى قاضى حماة ، [وهو] أحد الأئمة الأعلام ، قدم القاهرة ، ومات بحماة فى ثانى عشرى شوال ، عن ثلاث وتسعين سـنة[4] . و [مات] الشيخ شمس الدين أبو المعالى محمد بن أبى بكر بن محمد الأيكى الفارسى الشافعى ، شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء ، مات بدمشق فى رابع رمضان عن ست وستين سنة . و [مات] الأمير شمس الدين سنقر التكريتى ، أستادار الملك السعيد . و [مات] الأمير علم الدين طرطج الصالحى ، [وهو] كاتب له مكارم ، وفيه إقدام وشجاعة ، وله آثار حميدة . و [مات] الأمير طقطاى الأشرفى أحد الأمراء والأكابر . و [مات] الأمير شمس الدين سـنقر التكريتى ، عُرِف بالمسّاح ؛ وكان مشهوراً بالشجاعة ، يخرج كل سنة إلى عكا فتكون له وقائع مع أهلها ؛ وكان يركب بجانب المنصور قلاون فى المواكب ، و [كان قلاون] يستشيره فى المهمات ؛ وكان من دون أمراء مصر يركب بالزُّنَارِى[5] على فرسه بمفرده ، وفيه مكارم . و [مات] الفقيه تقى الدين أبو العباس أحمد بن الفقيه علم الدين أبى عبد الله محمد بن رشيق ، يوم الخميس رابع عشرى جمادى الآخرة . وتوفى الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن ابن الحسن عدى[6] بمصر ، وله تربة جليلة بالقرافة .

* * *

(١) فى س " كوجبا " . انظر (Zetterstéen : Beiträge. p. 27) .

(٢) فى س " اغطا " . (٣) بياض فى س .

(٤) هذا هو مؤلف كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب المتداول فى هذه الحواشى ؛ وله من المؤلفات أيضاً كتاب التاريخ ، وكتاب نخبة الفكر فى المنطق ، المسمى أيضاً باسم الأنبرورية إشارة إلى تأليفه بصقلية ، حيث أقام ابن واصل مدة فى سفارة السلطان الظاهر بيبرس لدى الإمبراطور مانفرد (Manfred) ابن الإمبراطور فردريك الثانى . (Enc. Isl. Art. Ibn Wāṣil) .

(٥) بغير ضبط فى س ، وهو فى مصطلح الفروسية فى مصر نوع من الأجلال — المفرد جل — يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدولا على الكفل بحيث لا يرى الذيل ، وكان الزنارى يعطى بدل الكنبوش لمن عظمت مقدرته ومقامه عند السلطان ، ويصنع من الأطلس الأحمر أو من الجوخ : Dozy (Supp. Dict. Ar.) وما به من المراجع .

(٦) كذا فى س ، وفى ب (٢٦١ ا) ، ويمكن قراءة هذا اللفظ فى س " على " أو " يمنى " .

سنة ثمان وتسعين وستمائة - فى أول المحرم قدم الخبر بأن التتر على عَزْم الحركة إلى الشام ، فخرجت العساكر ؛ ثم خرج الأمير أقش الأفرم . وتوجّه حمدان بن صلغاى وعلاء الدين أيدغدى شقير على البريد لإخراج الأمير قبجق نائب الشام بالعسكر إلى حلب ، فوصلا إلى دمشق فى سابعه ، فشرع قبجق فى الاهتمام للسفر ، وخرج بعسكرها وبالبحرية فى يوم الاربعاء رابع عشره ؛ وتأخر جاغان بدمشق . وعلم قبجق أن الأمر بخلاف ما أُشيع من حركة التتار ، وإنما القصد عمل مكيدة به وبغيره من الأمراء ، فكان ذلك سببا لفراره إلى بلاد التتر .

وملخص ذلك أن الأمير منكوتمر نائب السلطنة ثقلت عليه وطأة الأمراء بديار مصر والشام ، فأراد إزاحتهم[(١)] عنه وإقامة غيرهم من مماليك السلطان ليتمكّن من مراده[(٢)] ، فما زال بالسلطان حتى قبض على أمراء مصر ؛ ثم أخذ فى التدبير على من ببلاد الشام من الأمراء ، فبعث أيدغدى شقير ، ثم أردفه بحمدان بن صُلغاى وعلى يده مُلَطَّفَات[(٣)] إلى بلبان الطباخى نائب حلب بالقبض على الأمير بكتمر السلاح دار [وهو مجرد[(٤)] على حلب] ، و [على] الأمير فارس الدين الألبكى الساقى نائب صفد والأمير عز الدين طقطاى والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين عزاز ، ومَنْ عجز عن القبض عليه سقاه ؛ وأن يبعث الحسام الأستادار بمفرده على البريد إلى مصر .

وقدم حمدان دمشق وأوقف الأمير جاغان شاد الدواوين على ماجاء فيه ، وأمره ألا يمكّن الأمير قبجق نائب دمشق من الدخول إليها إلا بمرسوم . وخرج [حمدان] يريد

---

(١) فى س " اراحتهم " .

(٢) كان أمل الأمير منكوتمر أن يكون ولى عهد السلطان لاجين ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وإلى مبلغ تذمر الأمراء من تنكير السلطان فى هذا الأمر . (انظر ص ٨٣٣ ، ٨٣٦) . ويظهر أن سبب تنكير السلطان فى هذا ، حسبما ورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٩ ب) أن لاجين كان قد " قصد التخلى والراحة والدعة ، وعزم على أنه إذا خلا وجهه من الأمراء وقبض على من يخشى غائلته منهم ، فوض إليه [أى إلى منكوتمر] أمر السلطنة ، واحتجب هو على قاعدة الخلفاء " .

(٣) هذا اللفظ مترجم فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) إلى (depêches) أى رسائل ، على أنه يظهر من عبارة المتن هنا ، وفى مواضع كثيرة بكتب المؤرخين ، أن الملطفات كانت تكتب عادة إلى الأمراء للترضية والمدح أو التغرير والتأمين ، تمهيداً لما يزمعه لهم السلطان من عقوبة أو قتل .

(٤) أضيف مابين القوسين من (Zetterstéen : Beiträge. P. 47) .

حلب ، فصادف الأمير قبجق بالقرب من حمص واجتمع به ؛ فتخيّل قبجق من قدومه ، و بعث إلى بكتمر السلاح دار وغيره من الأمراء يوصيهم بالاحتراز ، و بعث نجّابا إلى أصحابه بمصر يستعلم منهم الخبر . فلما قدم حمدان حلب (١٢١٦ أ) وأوقف الأمير بلبان الطباخى على أمره توقّف فيه ، فأخذ حمدان وأيدغدى شقير يستحثانه على قبض الأمراء . فاتفق موت الأمير طقطاى ، واتهم [حمدان[1]] بسقيه . فبعث حمدان وأيدغدى إلى منكوتمر بتوقّف نائب حلب فى مسك الأمراء ، فغضب من ذلك وأراد عزل بلبان عن حلب وتولية أيدغدى شـقير عوضه ، فخُوِّف من ذلك حتى كَفَّ عنه . وكتب [منكوتمر إلى الأمير بلبان الطباخى نائب حلب] يستحثّه فى مسك الأمراء ، وكتب إلى الأمير بكتمر بنيابة طرابلس ، و [كان ذلك خديعة من منكوتمر قصد بها] أنه إذا حضر [بكتمر] بلبس التشريف يُقبض عليـه وعلى الأمراء . وقدم الأمير الحسام الأستادارى إلى مصر ، فعزم منكوتمر على مسكه ، ثم انتظر ما يرد عن الأمراء بحلب .

و بلغ بلبان الطباخى أن أيدغدى شقير قد عُيِّن لنيابة حلب ، و بلغ قبجق نائب الشام أن خروجه من دمشق إنما كان حيلة عليـه ، وأن جاغان يستقر فى نيابة دمشق عوضه ؛ فكتم كل منهما ذلك . وأخذ الحُسامية فى الإلحاح على نائب حلب فى قبض الأمراء عند حضورهم السماط يوم الموكب ، فبعث سرًّا إلى الأمراء يعلمهم ذلك فاستعدّوا لأنفسهم ، وركبوا فى يوم الموكب على العادة إلاّ الأمير بكتمر السلاح دار فإنه تأخّر واعتذر بعارض . فلم يمكن الحساميةُ القبضَ على من حضر خوفا من فوات الأمر فيمن تأخّروا ، واتفقوا على أن ذلك يكون فى الموكب الآخر ، فبعث الطباخى نائب حلب يعرّفهم ذلك ؛ فكتب بكتمر السلاح دار إلى قبجق نائب دمشق — وقد بلغه خروجه إلى حمص — يعرّفه بما هُمْ فيه . فلمّا كان الموكب الثانى ركب الأمراء ليُقْرأ عليهم كتاب السلطان باستقرار الأمير بكتمر فى نيابة طرابلس ، وقد احترزوا على أنفسهم ، وتأخّر بكتمر أيضا عن الركوب واعتذر بوجع فؤاده ؛ فعزموا على مَسْك من حضر ، ثم أُخْذ بكتمر من خيمته .

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٩ أ) ، وكذلك (Zetterstéen : Beiträge, P. 47) .

وكانت العادة أنهم يقفون (١) تحت القلعة على خيولهم ، فإذا قُرِئ الكتاب نزلوا وقبّلوا الأرض ؛ فبيّت الحسامية أن الأمراء إذا نزلوا لتقبيل الأرض داسوهم وأخذوهم باليد . فعند ما قُرِئ الكتاب ترجّل نائب حلب على العادة ، وتبعه بقية الأمراء وقد أوقفوا مماليكهم على خيولهم ليحموهم ، ونزل كل منهم وعنان فرسه فى يده ومماليكه محيطة به ، وقبّل الأرض ووثب سريعا على فرسه ، ومضوا يداً واحدة .

فانخرم الأمر على الحسامية ، وأخذوا يلومون نائب حلب فى كونه لم يقبض عليهم ، وهو يهوّل الأمر عليهم ، إلى أن اتفقوا على الإرسال إلى الأمراء ليجتمعوا بدار النيابة فى الليل ، وأن يبدأوا بالإرسال إلى بكتمر أمير سلاح . فلما كان بعد عشاء الآخرة توجّه الحاجب إلى أمير سلاح يعلمه بأن قُصّادا قد قدموا من البلاد ، فيحضر للمشورة مع الأمراء ؛ فلم يمكّن الحاجب من الاجتماع به ، (٢١٦ ب) واعتذر بوجع رجله . فمضى [الحاجب] إلى الأمير كرتاى وابن قرمان ، وبلّغهما الرسالة ، فضحكا وقال كل منهما : " ما أبرد ذقن الأبعد ، وذقن من أرسلَه ! متى سمعتَ مشورة تكون ثلث الليل ؟ إلى غد نحضر مع الأمراء " .

ثم إن (٢) [الأمير سيف الدين بكتمر السلاح الدار والأمير فارس الدين البكى والأمير سيف الدين عزاز] اجتمعوا ، وركبوا من ليلتهم يريدون حمص ولقاء الأمير قبجق ، فخرج [قبجق] إلى لقائهم ؛ واتفقوا على العبور إلى بلاد غازان ، فأمهلهم قبجق حتى يرد عليه جواب الأمراء من مصر ، فنزلوا معه . وقدم جواب قبجق من كرجى وطغجى أنهم عن قريب يقضون (٣) الشغل ، فَلْيُقِمْ (٤) بموضعه حتى يرد عليه الخبر ؛ فلم يوافقه الأمراء على الإقامة خوفا من مجئ العساكر إليهم ، وساروا ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الآخر وقصدوا سلمية .

وكان الأمير قبجق لما قدم عليه الأمراء من حلب [قد] بعث على البريد الأميرَ سيف الدين

(١) فى س " يقفوا " .
(٢) فى س " انهم " ، وقد أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٩ أ — ب) .
(٣) فى س " نقضوا " .
(٤) فى س " فيقيم " .

بُلْغَاق[١] بن كونجك الخوارزمى إلى السلطان يعلمه حضور الأمراء إليه ، ويسأل[٢] الأمان لهم وتطييب خواطرهم . ثم سار[٣] [الأمير قبجق] من حمص ليلة السبت خامس ربيع الأول ، وبعث علاء الدين بن الجاكى إلى دمشق يستدعى من الأمير جاغان مالا [وخِلَعا] من الخزانة للنفقة على الأمراء [وتطييب خواطرهم] ، فامتنع [جاغان] من ذلك ، وكتب يلومه على إغفاله القبض عليهم ؛ وكتب إليه أيضا أيدغدى شقير وسيف الدين كجكن بالإنكار ، وأنه إنْ لم يقبض عليهم ركبوا عليه وقبضوه ، فزاده ذلك نفوراً . وتبيّن لعسكر دمشق مخالفة قبجق ، فتسلّلوا عنه طائفة بعد طائفة ، وعادوا من حمص إلى دمشق ، فشكرهم جاغان على مفارقتهم إياه ، فبقى [قبجق] فى قلة من المال والرجال .

وأما أهل حلب ، فإن الأمراء لما ساروا فى الليل ركب من بكرة النهار أيدغدى شقيرُ وحمدانُ بن صلغاى والأمراء الحسامية إلى نائب حلب ، وبَطَقوا إلى الأعمال بالقبض على الأمراء ؛ وتوجّه أيدغدى شقير فى عسكر إلى جهة الفرات ، وسار عسكرٌ إلى جهة حماة ، ونُهبت أثقال الأمراء . فورد الخبر بوصولهم إلى قبجق نائب دمشق ، وأنهم ساروا على طريق سلمية ، فقام العزاء والنواح بحلب . وخرج العسكر فى طَلَبهم نحو الفرات ، وأوقع جاغان الحوطة بدمشق على بيت قبجق فى خامس عشره ، وتكامل مجىء العسكر الذى كان مع قبجق فى سابع عشره .

وانتهى سيف الدين كجكن وأيدغدى شقير إلى الفرات ، فوجدا[٤] الأمراء قد قطعوا الفرات إلى رأس عين . فورد الخبر إلى حلب بقتل السلطان ونائبه منكوتمر ، فركب سيف الدين بلبان البريدى ولحق الأمير قبجق برأس (٢١٧ ا) عين وأعلمه بذلك ، فظنّ أنها حيلة عليه ولم يرجع .

وأما السلطان فإن منكوتمر لم يزل يدبّر بشؤم رأيه حتى قُتل : وذلك أن الأمير طُغْجِى[٥]

(١) فى س " بلعاق " بغير ضبط . انظر (Zetterstéen : Beiträge. p. 48) .

(٢) فى س " يسل " . (٣) فى س " فسار " .

(٤) فى س " فوجدوا " .

(٥) كذا فى س بغير ضبط ، وقد تقدم تصحيح هذا الاسم إلى " طقجى " بالقاف بدل الغين ، فى ص ٨٣٥ (سطر ٢ ، وحاشية ٢) ، اعتمادا على المراجع المذكورة هناك ؛ ويلاحظ أن هذا الاسم وارد بكل من الصيغتين بمواضع شتى فى (Zetterstéen : Op. Cit. PP. 27,50 — 53.) ، غير أن Wiet : Les =

قدم من الحجاز أول صفر ، وقد قرّر منكوتمر خروجه إلى نيابة طرابلس ؛ فلما استراح من تعب السفر استدعاه السلطان ، وتلطّف به فى الخروج إلى طرابلس ، فاعتذر بأنه لا يصلح للنيابة . وقام [الأمير طغجي] فأعلم كُرْجِي[(١)] و بيبرس الجاشنكير بذلك ، فاتفقوا على التحدّث مع السلطان فى صرفه عن تسفيره ، ودخلوا عليه وما زالوا به حتى أعفاه . فشقّ ذلك على منكوتمر ، وأنكر على كرجي وتجهّم له ، وتكلم فيه وفى مَن تحدّث معه فى إعفاء طغجي من السفر ، وبالغ فى إهنتهم ؛ فحرّك [ذلك] من كرجي كوامن كانت فى نفسه من منكوتمر . وانقطع منكوتمر من الخدمة حنقاً من إعفاء طغجي ، فداراه السلطان و بعث إليه قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الرومى ليحضره ، فما زال به حتى حضر بشريطة أن يُخرج طغجي من مصر ويُمسكَ كرجي أو يُخرج أيضاً .

واتفق مع ذلك وصول قاصد الأمير قبجق نائب دمشق فى السر إلى طغجي و كرجي بما تقدّم ذكره ، فأوقفوا بيبرس وسلار وغيره ممن يثقون[(٢)] به على ذلك ، واتفقوا على الفتك بالسلطان . وشرعوا فى السعى بين الأمراء والمماليك المنصورية والأشرفية يستميلونهم ، وأخذ كرجي يستميل المماليك أرباب النوب فإنه كان مقدّما عليهم ، حتى أحكموا أمرهم . [هذا] ومنكوتمر مقيم على إخراج طغجي ، و بعث يأمره أن يتجهّز للسفر ؛ وتمادى الحال إلى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر .

[ففى ذلك اليوم] أصبح السلطان صائماً ، وأفطر ثم جلس يلعب بالشطرنج وعنده إمامه نجم الدين . . . .[(٣)] بن العسال وقاضى القضاة حسام الدين ؛ فدخل الأمير كرجي على عادته وأعلمه بأنه [قد] بيَّتَ البرجية وغيرهم من المماليك فى أماكنهم وغلّق عليهم الأبواب — وكان قد رتّب قبل دخوله جماعة فى أماكن بالدهاليز — ؛ فشكره السلطان وأثنى عليه ، وقال لقاضى القضاة : "لولا الأمير سيف الدين كرجي ما وصلت إلى السلطنة" . فقبّل كرجي

= Biographies Du Manhal Safi. No. 1243. P. 178.) ترجمه إلى (Tugjī) ، أى "طغجى" بالغين أو ما يقرب منها فى النطق ، كما بالمتن هنا .

(١) كذا فى س بغير ضبط ، وهو وارد فيما يلى بالحاء أحياناً وبالخاء أخرى ، وسيصلح إلى الرسم المثبت هنا بغير تعليق . انظر (Zetterstéen : Beiträge. P. 50) . راجع أيضاً (Wiet : Op. Cit. No. 1900. P. 283.) ، حيث ورد أن كرجى هذا أخو طغجى .

(٢) فى س "يثقوا" . (٣) بياض فى س .

الأرض وجلس على عادته ، ثم قام ليصلح الشمعة فأصلحها ، وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نِمْجَاه[١] السلطان ليسترها عنه ، وكان سلاحَ دار النوبة تلك الليلة الأميرُ سيف الدين نغاى[٢] الكرمونى السلاح دار قد وافق كرجي على ما هو فيه . ثم قال كرجي للسلطان : "ما يُصَلّى مولانا (٢١٧ ب) السلطان العشاء ؟" فقال : "نعم" ، وقام يريد الصلاة . فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة ، و [عند[٣] ذلك] جرّد كرجي سيفه وضرب السلطان على كتفه . فالتفت [السلطان] يريد النمجاه فلم يجدها ، فقبض على كرجي وألقاه إلى الأرض ، فضرب نوغاى رجل السلطان بالنمجاه فقطع[٤] رجله . وانقلب [السلطان] على ظهره ، فأخذته السيوف من كل جانب حتى صار كوم لحم ؛ وفرّ ابن العسال [إلى خزانة] ، وصرخ القاضى [حسام الدين] : "لا يحلّ هذا لكم" ، فهمّ به كرجي ثم كفّه الله عنه .

وخرج [كرجي] وأغلق الباب على المقتول والقاضى ، فإذا بالأمير طغجى قد استعدّ وقعد فى عدة من البرجية بَدارْكاه[٥] القلعة ينتظر ما يكون من كرجي . فعند ما رآه [طغجي] قال : "قضيتَ الشغل ؟" قال : "نعم" ، وأعلمه الخبر . فوقع الصوت فى القلعة بقتل السلطان ، وطار من وقته إلى المدينة . فركب الأمير جمال الدين قتّال السبع فى عدة من الأمراء إلى خارج المدينة ، ووقعت الصرخة تحت القامة فركب أكثر العسكر .

وأما طغجى فإنه استدعى بقية الأمراء المقيمين بالقلعة ، وبَسَطَ باب القُلّة . فلم يشعر منكوتمر — وهو بدار النيابة — إلا بالصرخة قد قامت ، وباب القلة قد فُتح ، والأمراء قد اجتمعت ، والشموع توقد[٦] ، والضجيج يزداد . فَفَطن [منكوتمر] بقتل السلطان ،

---

(١) النمجاه — بالهاء — خنجر مقوس شبه السيف القصير ، وهو معرب اللفظ الفارسى نيمچه ، ويقال أيضاً نمجا ونمجه ، ونمشا ونمشاه ونمشه . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . انظر أيضاً ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٤٨) ، وكذلك (Zetterstéen : Beiträge. P. 50) .

(٢) كذا فى س ، وكذلك نوغاى فيما يلى هنا بنفس الصفحة ، سطر ٨ .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٠ أ) .

(٤) فى س "قطع" .

(٥) كذا فى س بغير ضبط ، وهو فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) دركاه — بالهاء . والدركاه لفظ فارسى معناه الساحة — أو الفناء أو الحوش — المؤدى إلى بناء كبير مثل قصر السلطان أو قلعة الجبل ، والجمع دركاوات .

(٦) فى س "سد" .

وأغلق الأبواب ، وألبس مماليكه فصار فى أربعمائة ضارب سيف وأزيد ، ولكن الله خذله . فجاءه الحسام أستادار وعرّفه من تحت الشباك بقتل السلطان ، وتلطّف به حتى خرج إليه وسار معه إلى باب القلة ، فقبّل يد طغجى . فقام إليه [طغجى] وأجلسه ، ثم أمر به أن يَمضى إلى الجب فأُخذ وأُرخى فيه ؛ فقام إليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير عز الدين أيبك الحموى نائب الشام وغيرهما ممن كان بالجب ، ولما عاينوه أنكروا ذلك ، فقال [منكوتمر] : " قد غضب علىّ السلطان وحلف أن يحبسنى " ، وقصد بذلك دفعهم عنه لئلا يقتلوه .

فلم يكن غير بعض ساعة إلا وقد أرخيت القفة من رأس الجب ، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها ، وفى ظنّ أهل الجب أن السلطان قد رضى عنه . فعند ما صار برأس الجب وجد كرجى واقفاً فى طائفة من المماليك ، فضربه [كرجى] بلَتٍّ[1] من حديد صرعه ، وذبحه عند الجب وانصرف . وذلك أنه لما حضر منكوتمر إلى عند طغجى لم يكن [كرجى] حاضراً ، فلما بلغه مجيئه أقبل يريده فأُعلم أنه فى الجب ، فصاح على الأمراء وقال : " إيش عمل بى السلطان حتى قتلته ؟ والله لقد أحسن إلىّ وكبّرنى وأنشأنى ، ولو علمتُ أنى إذا قتلت منكوتمر يبقينى بعده والله[2] ما قتلته . وما أحوجنى أقتله إلا ما كان يقع من منكوتمر " ، ومضى مسرعا إلى الجب حتى قتله ؛ ونهبت داره .

وكان منكوتمر عفيفاً عن الأموال ، ضابطاً لناموس المملكة متيقّظاً ، وهو أول من نزل عن إقطاعات الجند التى كانت فى ديوان النيابة ، ومتحصّلها فى السنة مائة ألف أردب غلة ، فتركها لله تعالى . وكان بعيداً عن اللهو مهيباً[3] مُصَمّماً ، لم يسمع منه قط أنه شتم أحداً ، ولا جرى على لسانه فُحْش ، مع كثرة التحرّى ورفع المظالم . إلا أنه كان صَبِىّ العقل عظيم الكِبْر محتقراً للأمراء ، فمقتوه وعلموا أنهم لا يصلون إلى إزاحته إلا بقتل السلطان ، فاجتمعوا على قتله حتى كان ما كان .

---

(١) هذا اللفظ وارد فى س بضمة على اللام فقط ، وهو فارسى الأصل ، ومعناه القدوم أو الفأس العظيمة ، والجمع لتوت . (Dozy : Supp. Dict. Ar. ؛ محيط محيط) .

(٢) تنتهى هنا صفحة ٢١٧ ب من نسخة س ، وتليها صفحات مكتوبة فى ورق أصغر من الورق المعتاد ، وقد رقمها المقريزى بحروف أبجدية كما فعل سابقاً ، (انظر ص ٨٣٨ ، حاشية ٢) ، وآخرها هنا عند الإشارة إلى أول ص ٢١٨ ا . فيما يلى .

(٣) فى س " مهابا " .

وكان الذين اتفقوا على قتل السلطان من الأمراء سيف الدين كرجي ، وسيف الدين نوغاى ، وقرا طرنطاى ، وحبجك[١] ، وأرسلان ، وأقوش ، و بيليك الرسولى .

وكانت مدة سلطنة لاجين — منذ فارق الملك العادل كتبغا الدهليز بمنزلة العَوْجاء ، وحلف الأمراء فى يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين ، و إلى أن قُتِل — سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ؛ ومنـذ خَلَع كتبغا نفسه بدمشق ، واجتمعت الكلمة بمصر والشام على لاجين فى يوم السبت رابع عشرى صفرى منها ، و إلى أن قُتل ، سنتين وشهرين غير ثلاثة عشر يوما . وقُتِـل [السلطان لاجين] وله من العمر نحو الخمسين سنة ؛ وكان أشقر أزرق العين معرّق الوجه ، طُوَالا مهيباً[٢] شجاعا مقداما ، عاقلا متديّناً يحب العدل ، و يميل إلى الخير ويحب أهله ، جميـل العشرة مع تقشف وقلة أذى . وأبطل عدة مكوس ، وقال : "إن عشت لا تركت مكسا البتة" . وكان يحب مجالسة الفقهاء والعامة ويأكل طعامهم ، وكان أكولا . ولم يُعَب بشيء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه الأمير منكوتمر ، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدّة حبه له ، حتى أدّى ذلك إلى قتلهما ، ثم إلى خراب البلاد بمجيء غازان . فإن قبجق ومن معه من الأمراء حملهم بغضُهم فى منكوتمر وخوفهم منه على اللحاق بغازان وتحريضه على المسير إلى الشام ، حتى كان منه ما يأتى ذكره إن شاء الله .

وكان لاجين منـذ قَتَل الملكَ الأشرف يستشعر أنه لا بد أن يُقتل ، حتى أنه فى يوم الخميس الذى قتل فى مسائه أحضر إليه بعـد العصر بنَدْب[٣] نشاب ميدانى من السلاح خاناه ، فجعل يفتل فردة بعد فردة وهو يقول : "من قَتَل قُتِل" ، ويكرّر هذا مراراً ؛ فكان الفأل موكلا بالمنطق ، [إذ] قتل[٤] بعد أربع ساعات من كلامه .

ونظير هذا أن الملك الأشرفَ وقف فى حلقة صيد ، والنوبة يومئذ فى حمل السلاح خلفه للاجين هذا ، فجاء لاجين إلى بدر الدين بكتوت العلائى — وله أيضاً النوبة فى حمل

(١) كذا فى س .
(٢) فى س "مهابا" .
(٣) الندب هنا الحزمة من النشاب ، (un faisceau, un paquet de flèches) . انظر : Dozy : Supp. Dict. Ar.)
(٤) فى س "وقتل" .

السلاح ، وقد تقدّم إلى مكانه من الحلقة — وأعطاه سلاح السلطان ، وأمره بالتوجه إلى السلطان فإنه أمر بذلك . فأخذ [بكتوت] السلاح وتوجّه به إلى الخدمة ، ووقف لاجين حيث كان بكتوت واقفاً . فلما جاء بكتوت وجد الأشرف على فرسه ، وقد جعل طرف عصاةِ مقرعته تحت جبهته ، واتكأ برأسه عليها وهى ثابتة بحذاء سرجه ، وكأنه فى غيبة من شدّة الفكر . ثم التفت [الأشرف] وقال : " يا بكتوت ! والله لقد التفتُّ فرأيت لاجين خلفى وهو يحمل السلاح والسيف فى يده ، فتخيّلت أنه يضربنى به ، فنظرت إليه وقلت يا شقير أعط السلاح لبكتوت يحمله ، وقِفْ أنت مكانه " . فقال [بكتوت] : " أعيذ مولانا السلطان بالله أن يخطر هذا بباله ، ولاجين أقلّ من هذا وأضعف نفساً أن يقع هذا بباله ، فضلا عن أن يُقْدم عليه . وهو مملوك السلطان ، ومملوك مولانا السلطان الشهيد وتربية بيته الشريف " . فقال [الأشرف] : " والله ما عرّفتك إلا ما خطر لى وتصوّرته " . قال بكتوت : " فخشيت على لاجين كون الساطان تخيّل هذا فيه وأردت نصحه ، فقلت له فى تلك الليلة : " بالله تجنّب السلطان ولا تكثر حمل السلاح ولا تنفرد معه " ، وأخبرته الخبر ، فضحك ضحكا كثيراً وتعجّب . فقلت : " والله هذا يُبْكَى منه " ، فقال : " ما ضحكى إلا من إحساسه . والله لما نظر إلىّ وقال لى يا شقير كنت على عزم من تجريد سيفه وقتله به " . قال بكتوت : " فعجبتُ من ذلك غاية[1] العجب " . ومن العجب أيضاً أن الضرب الذى كان فى الملك الأشرف عند قتله وُجد مثله سواء فى لاجين لما قتل .

وكان [لاجين] فى سلطنته كثيراً ما يقف إذا أراد أن يصلى ، ويكشف رأسه و يسأل

(١) هذه القصة كلها واردة فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٠ ب) ، وعبارة المقريزى هنا متفقة اتفاقاً يكاد يكون تاما مع ما هناك ، ماعدا العبارة الافتتاحية فإنها فى النويرى كالآتى : " وحكى لى بعض من أثق به عن الأمير بدر الدين بكتوت العلائى حكاية عجيبة تتعلق به وبالسلطان الملك الأشرف ، أحببت ذكرها فى هذا الموضع ، والشىء بالشىء يذكر . قال بكتوت العلائى : كنت فى خدمة السلطان الملك الأشرف فى الصيد ، وأنا والأمير حسام الدين لاجين سلاح دارية ، نحمل السلاح بخلف السلطان ، فاجتمعنا بحلقة صيد ، وكانت النوبة فى حمل السلاح (فى الأصل السلطان) خلف السلطان للأمير حسام الدين . . " ومن هذه الجمل الافتتاحية يصح اعتبار النويرى أصلا للقصة ، وأن المقريزى نقلها منه ، أو من مرجع آخر أصله النويرى .

أن يُمَدّ فى عمره حتى يلقى غازان ، ثم يقول : " لكن أنا خائف أن يدركنى الأجل قبل لقائه " ، فكان كذلك .

وكان فى شبابه منهمكا على الخمر ، حتى صار وهو بدمشق يعاقر أعيان أهلها ويُنعم فى مجالس اللهو عليهم ، بحيث لما أفرط فى اللهو قال الشجاعى للملك المنصور قلاون إنه قد أبخس حرمة السلطان بمعاشرته عامة دمشق وانهماكه فى الشرب . فبعث إليه [قلاون] على لسان الأمير طرنطاى نائب السلطنة ينهاه ويهدّده ، وكتب إليه أيضاً بذلك . وكان [لاجين] كثير الحركة ، بحيث يغيب فى الصيد الشهر والشهرين ومعه أرباب الملاهى ؛ فلما تسلطن أعرض عن اللهو ، وسار أحسن سيرة من العدل والإنصاف والعطاء والإنعام ، وأحبّه الأمراء والأجناد والعامة ؛ فأفسد ذلك كله مملوكه منكوتمر بسوء تدبيره .

واتفق أن لاجين لما اختفى هو وقرا سنقر بعد قتل الملك الأشرف ، رأى قرا سنقر رؤيا فبعث إلى لاجين ليحضر إليه بسببها ، وكان كلّ منهما يعرف موضع الآخر . فجاءه لاجين فى صندوق حُمل إلى دار قرا سنقر بحارة بهاء الدين من القاهرة حيث كان مختفياً ، فتحادثا ؛ ثم قال له قرا سنقر : " يا شقير ! رأيتُ رؤيا ، أنا خائف أن أقصّها فتطمع نفسك وتغيّر نيتك وتغدر بى " ، فحلف له أنه لا يخونه . فقال [قرا سنقر] : " رأيتُ كأنك قد ركبتَ و بين يديك خيول معقودة الأذناب مضفورة[1] المعارف مجللة بالرقاب الذهب على عادة ركوب الملوك ، ثم نزلتَ وجلستَ على منبر وأنت لابس خلعة الخلافة ، واستدعيتَنى وأجلستنى على ثالث درجة من المنبر وتحدّثتَ معى قليلا . ثم دفعتنى برجلك فسقطتُ من المنبر ، وانتبهتُ عند سقوطى . وهذا يدلّ على قربى منك ورميك لى ، وأنا والله يا شقير نحس قد خَلَقْتُك ، وما أدرى هل تصدق أو لا ؟ " ، فضحك لاجين . وكان كذلك : فإنه استناب قرا سنقر لما تسلطن قليلا ، ثم كان من أمره ما تقدّم ذكره من سجنه له . فكان قرا سنقر كل قليل يبعث إليه [برسول وهو سجين] ، ويقول : " يا أخى ! اجعل فى نظير بشارتى بما آتاك الله أن تفرج عنى وتنفينى حيث أردت " ، فيبتسم [لاجين] ، ويقول [للرسول[2]] : " سلّم عليه وقل له إن شاء الله يبقى القليل " .

(١) فى س " مظفوره " ، وخطأ المقريزى واضح ، والمعنى أن معارف الخيول كانت منسوجة كل خصلة على حدتها . (محيط المحيط) . (٢) فى س " له " .

واتفق أن لاجين رأى [فى المنام] كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس فى موضع النائب ، والنائب قدّامه قد وقف وشُدّ وسطه ؛ فلما قام من مكانه صعد درجا ، وإذا برجل وهو كرجى وقد طعنه برمح فصار كوم رماد . فاستدعى [لاجين] علاء الدين[1] ... بن الأنصارى عابر الرؤيا ، وقصّ رؤياه عليه ، فقال : " تدلّ هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجى " . فقال [لاجين] : " الله المستعان ! " ، وأوصاه بكتمان ذلك ، وأعطاه خمسين ديناراً . وانصرف [ابن الأنصارى] فإذا قاصد الأمير منكوتمر ينتظره ، فلما دخل عليه سأله عن رؤيا السلطان فكتمها عنه ، وقال : " شىء يتعلق بالحريم " . فقال [منكوتمر] : " قد رأيت أنا أيضاً كأنى خرجت من الخدمة إلى دار النيابة ، فإذا بالدهليز (١٢١٨) عمود رخام فوقه قاعدة ، فجذبت سيفى وضربتُ رأس العمود فألقيته[2] ، ففار من العمود دم عظيم ملأ الدهليز " . فعمّى [ابن الأنصارى] عليه ، وقال : " قد انقطع الكلام برؤية الدم " ، خوفاً من شره ؛ وانصرف متعجباً من اتفاق تأويل المنامين . فلما كان بعد أحد عشر يوماً من رؤياها ، حضر إليه خادم بورقة فيها " إن امرأة السلطان — وهى ابنة الملك الظاهر — رأت السلطان جالساً ، وإذا بطائر كالعُقاب انقضّ عليه واختطف فخذه الأيسر وطار إلى أعلى الدار ، فإذا غراب قد أشرف على الدار وصاح " كرجى " ثلاث مرات . فقال [ابن الأنصارى] : " هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع " ، وأراد بذلك الدفع عن نفسه ؛ فقُتل لاجين فى الجمعة الثانية من هذا المنام على يد كرجى .

وبعث الأمير علم الدين سنجر الدوادارى وراء ابن الأنصارى ، واستحكاه عن تأويل رؤيا لاجين ، فإنه كان حاضراً عنـد ما قصّها عليه ، ثم قام حتى لا يسمع تأويلها . فأخبره [ابن الأنصارى] بما قاله له ، وبمنامَىْ منكوتمر وامرأة لاجين . فقال له [الأمير علم الدين] : " لما قمتَ من عند السلطان لاجين استدعانى وأخبرنى بما قال لك ، وقال عرفتَ من الذى طعننى بالرمح ؟ قلت لا ! ، فأشار إلى كرجى . ثم استدعانى بعد أيام وذكر لى أنه أعلم منكوتمر بأن خاطره ينفر من كرجى ، فقال له [منكوتمر] بحنق والله لا تبرح تتهاون فى

(١) بياض فى س . (٢) فى س " القته " .

أمرك حتى يقتلوك ويقتلونى وتموت مماليكك فى الحبس ، وما لهذا القوّاد إلا قتله — يعنى كرجى — ، وحلف أنه كلما رأى كرجى يودّ لو ضربه بسيفه ، ونهض وهو مصمّم على قتله . فحال الله بينهما و بين كرجى ، حتى أمضى فيهما على يده ما قدره من قتلهما ".

وذلك أن الاتفاق [كان قد] وقع بين السلطان و بين منكوتمر على مسك كرجى وطغجى وشاورشى فى جماعة من الأمراء وقت الخدمة يوم الاثنين ، فعرّف منكوتمر ثقاته بذلك . واشتدّ فكر السلطان واضطراب رأيه فيما قرّره مع منكوتمر ، فتارة يعزم على إمضائه ، وتارة يرجع عنه حتى يرد عليه خبر الأمراء المجرّدين وهل قبض عليهم أو لا . فلما أصبح استدعى الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس ، و بعثه إلى منكوتمر يأمره ألا يفعل شيئاً مما قرّره مع السلطان حتى يعرّفه ، فإنه خطر فى نفسه شىء أوجب تأخيره . فلما ذكر سلار هـذا لمنكوتمر ظنّ أن السلطان أعلمه بالأمر على وجهه ، وأخذ ينكر على السلطان تأخيره ما اتفقا عليه ، وشرح له الحال كله ولم يكتمه شيئاً . فسكّن [سلار] من حنقه ، وأعاد الجواب على السلطان (٢١٨ ب) بالسمع والطاعة ، وكتم ما أطلعه منكوتمر عليه ؛ ومضى إلى كرجى وطغجى ومن معهما ، وأعلمهم بالأمر كله ، فشمّروا للحرب ، وكان ما كان .

واتفق أيضاً أنْ فى الليلة التى قُتل فيها لاجين ظهر فى السماء نجم له ذنب ، يخيّل لمن رآه أنه قد وصل إلى الأرض . فلما رآه [لاجين] تعجّب منه ، وتَمَعَّرَ(١) وجهُه ، وقال لقاضى القضاة حسام الدين ، وهو معه : " ترى ما يدلّ عليه هذا النجم ؟ " ، فقال : " ما يكون إلا خير " . فسكت [لاجين] ، ثم قال له : " يا قاضى ! حديث كل قاتل مقتول صحيح " ، وتغيّر تغيّرا زائدا . فشرع الحسام يبسطه و يطيّب خاطره ، وهو يقول : " إنا لله و إنا إليه راجعون " ، وجلس وكرّرها ، فقتل فى مجلسه ذلك .

واتفق أيضا أنه أُحضر إليه فى تلك الليلة بعض السلاح دارية سيفا من الخزانة ، فقلّبه وأعجب به ؛ فأخذ كرجى يشكر منه ، فقال له [لاجين] : " كأنك تريده " ، قال : " نعم والله يا خوند ! " ، فقال [لاجين] : " هذا ما يصلح لك " ، والتفت إلى طغاى

(١) هذا الفعل مطاوع فعل مَعَّرَ ، يقال معّر وجهه فتمعر ، أى غيّره غيظاً فتغير . (محيط المحيط) .

وناوله إياه وقال : " خذ هذا اقتل به عدوّك " ؛ فكان أول ما ضَرب به لاجين بعد ساعة فأطار[1] يده .

واتفق أيضا أن لاجين دُفن فى تربة بجانب تربة العادل كتبغا من القرافة ، فكان أولاد كتبغا يأتون قبره ويضربونه بالنعال ويسبّونه[2] ، [و] أقاموا على هذا مدة يشفون أنفسهم بذلك .

وكان لاجين معظِّما للشرع وأهله منفِّذا لأوامره : و[من ذلك أنه] طَلَب أموال الأيتام من الأمراء وكانت تحت أيديهم ، ونقلها إلى مَوْدَع[3] جديد لمال الأيتام استجدّه ؛ وكتب توقيعا بأن من مات وله ورثة صغار ينقل ميراثهم إلى مَوْدَع الحكم ويتحدّث فيه قاضى القضاة الشافعى ، فإن كان للميت وصىّ فيقيم القاضى الشافعى معه عدولا[4] من جهته . وردّ [لاجين] عدة أملاك كانت قد أُخذت بغير حق إلى مُلاّكها ، منها قرية ضُمَيْر[5] من عمل دمشق ، و[كانت] وقف الملك الظاهر على أولاده . وردّ على عز الدين بن القلانسى ما أُخذ منه فى الأيام المنصورية قلاون من المال بغير طريق شرعى . ووضع عن أهل بلقس[6]

---

(١) فى س " اطار " .

(٢) فى س " فكان اولاد كبنا ياتوا قبره وصربوه بالنعال ويسبوه " .

(٣) المودع هنا — والجمع مودعات — صندوق لحفظ مال مخصص لغرض معين (Une caisse où l'on déposait les fonds assignés à telle ou telle destination) ؛ ومودع الحكم صندوق يوضع فى عهدة قاضى القضاة لحفظ أموال اليتامى القصّر وأموال الغائبين أيضاً (une caisse placée sous la surveillance du cadi, et dans laquelle on tenait en réserve les biens appartenants aux orphelins et aux personnes absentes) انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . هذا ويوجد فى (Quatremére : Op. Cit. II. 2. P. 107. N. 45) استشهادات كثيرة على هذا التعبير منها الآتى : "كان العمرى أول من اتخذ لأموال الأيتام تابوتا توضع فيه ، ويوضع فيه مال من لا وارث له ، فكان هو مودع قضاة مصر " ، ولقد كان مودع الحكم فى زمن المقريزى ، (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٢) فندق مسرور الكبير ، الواقع على يسرة السالك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين بالقاهرة .

(٤) فى س "عدول" .

(٥) مضبوط هكذا فى س ، ما عدا الحرف الأول ، وضمير قرية — وحصن أيضاً — فى آخر حدود دمشق ، مما يلى السماوة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٨١) .

(٦) بغير ضبط فى س ، أو فى مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٧٩ ، وما بعدها) ، وبلقس حسبما جاء فى المرجع المذكور ، وفى فهرس مواقع الأمكنة أيضا (ص ٤٦) ، قرية من قرى مديرية القليوبية شمالى بهتيم ، وهى تابعة لمركز قليوب ، وكانت قبلا من قرى مركز شبرا الخيمة . أما تسميتها باسم بلقس الأشراف فيرجع إلى زمن الفاطميين ، إذ وقفها طلائع بن رزيك على جماعات من الأشراف ، فجعل ثلثيها =

الأشراف ما كان عليهم من المظالم ، وهو يبلغ ثلاثين[1] ألف درهم فى كل سنة ، وعوّض مقطعيه بدل ذلك . وردّ وقف قراقوش على الفقراء ، وكان قد أُقطع منذ ستين ، فتسلّمه القاضى الشافعى و بلّغه فى السنة عشرة آلاف درهم ، وعوّض مقطعيه عنه . وردّ الدار القطبية إلى مَنْ وُقفت عليه من جهة الملك الكامل ، وكانت بيد أحد مقدمى الحلقة وورثته من نحو ستين سنة . وكانت عدة من الإقطاعات بيد الأمراء فردّها إلى أربابها ، وكانت العساكر من ذلك فى مضرّة ، لأنهم لا يحصل لهم من دواوين الأمراء كبير شىء ، ويبقى الإقطاع[2] فى حِمَى الأمير يأوى إليه كل مفسد وقاطع طريق .

وكان [لاجين] شجاعا مقدّما على أقرانه فى الفروسية وأعمالها ، كثير الوفاء لمعارفه وخدّامه . ومنع من لبس الكلفتاه الزركش والطرز الزركش وملابس الذهب ، وشدّد فى المنع من المحرّمات كلها ، وحدّ فى الخمر بعض أولاد الأمراء . وكان يصوم رجب وشعبان ، ويقوم الليل ، ويكثر من الصدقات ، مع لين الجانب وخفض الجناح .

تدبير الأمراء بعد قتل الملك المنصور لاجين الأمرْ[3]

ولما قُتل الملكُ المنصور لاجين ونائبُه الأميرُ منكوتمر اتفق من كان بالقلعة من الأمراء — وهم عز الدين أيبك الخازندار المنصورى ، وركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وسيف الدين سلار الأستادار ، وحسام الدين لاجين الرومى الأستادار الواصل من حلب ، وجمال الدين أقش الأفرم ، وبدر الدين عبد الله السلاح دار ، والأمير كرت الحاجب — مع الأميرين طغجى وكرجى على مكاتبة الملك الناصر محمد بن قلاون وإحضاره من

= لمن كان منهم من بنى الحسن والحسين ولدى الإمام على بن أبى طالب ، وجعل سبعة قراريط من الباقى لأشراف المدينة النبوية ، وقيراطا لبنى معصوم .

(١) فى س "ثلاثون" .

(٢) فى س "وسعا دلك الاقطاع"، وقد عدلت الجملة بحذف اسم الإشارة .

(٣) دأب المقريزى فى تقسيم السلوك على نظام الحوليات ، فجعل كل سنة قائمة بذات أخبارها ، ولم يشر إلى حادث أو ظاهرة بعنوان ، ما خلا قيام سلطان جديد أو دولة جديدة ؛ غير أنه خرج هنا على عادته ، فعنون فترة الشغور (Interregnum) التى أعقبت قتل السلطان لاجين بالعنوان المثبت بالمتن ، وهو مكتوب بقلم عريض ومداد أحمر فى س ، ولعل السبب فى هذا أنه لم يستطع إدماج حوادث تلك الفترة ضمن حكم سلطان معين .

الكرك و إقامته فى السلطنة ؛ وأن يكون طغجى نائبَ السلطنة ، وألا يقع أمر من الأمور إلا بموافقة الأمراء عليه ، وتحالفوا على ذلك فى ليلة الجمعة . فلما طلع النهار فُتح باب القلعة ، وركب الأمير جمال الدين أقوش قتّال السبع و بقيةُ الأمراء إلى القلعة ، وكتبوا إلى الأمير قبجق نائب الشام والأمير بلبان الطباخى نائب حلب بما وقع ، و [طلبوا منهما] القبض على أيدغدى شقير وجاغان وحمدان بن صلغاى والأمراء الحسامية . وسار البريد بذلك على يد الأمير بلغاق[١] من أمراء دمشق ، وكان قد حضر بكتاب الأمير قبجق فى يوم السبت ثانى عشره بعد قتل لاجين ، فأخذ طغجى منه الكتاب .

وجلس طغجى مكان النيابة و بقيةُ الأمراء يمنة و يسرة ، ومُدّ السماط السلطانى على العادة . ودار الكلام فى الإرسال إلى الملك الناصر ، فقام كرجى وقال : "يا أمراء ! أنا الذى قتلتُ السلطان لاجين[٢] وأخذت ثأر أستاذى ، والملك الناصر صغير ما يصلح ، ولا يكون السلطان إلا هذا" — وأشار لطغجى — ، "وأنا أكون نائبه ، ومن خالف فدونه" . فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب فإنه قال : "يا خوند ! الذى فعلتَه أنت قد علمه الأمراء ، ومهما رسمتَ ما ثَمّ من يخالف" ، وانفضّوا ، [وتأخّر[٣] الإرسال إلى الملك الناصر] .

فبعث طغجى إلى التاج عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وسأله عن إقطاع النيابة فذكره له ، فقال [طغجى] : "هذا كثير ، أنا لا أعطيه لنائب" ، ورسم أن تُوفّر منه جملة تستقرّ للخاص . فلما خرج [التاج عبد الرحمن الطويل] من عنده استدعاه كرجى وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما ذكره له استقلّه وقال : "هذا ما يكفينى ولا أرضى به" ، وعيّن بلادا يطلبها زيادةً على إقطاع منكوتمر ؛ فأخذ التاجُ يتعجّب منهما فى استعجالهما بذلك قبل انعقاد الأمر لهما[٤] .

(١) فى س "بلعاق" .

(٢) تنتهى هنا ص ٢١٨ ب فى نسخة س ، وتليها صفحات غير مرقومة ، وهى أصغر من صفحات المتن المعتادة ، وتنتهى محتوياتها هنا فيما يلى عند الإشارة إلى ص ٢١٩ أ . انظر ص ٨٧١ (سطر ١٠) .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٠ ب) .

(٤) قصّ تاج الدين عبد الرحمن الطويل هذه القصة على النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢١ أ) ، وعبارة المقريزى هنا مشابهة تماما لما هنالك . على أنه مما يوجب الالتفات أن ليس بالنويرى =

وفى ليلة الأحد وقع الطائر بنزول الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ببلبيس بالعسكر المجرد إلى سيس ، فسُرّ الأمراء بذلك ، وكتبوا إليه وإلى من معه بجميع ما وقع واتفاق طغجى وكرجى مفصّلا . وصار أهل الدولة قسمين : الأمراء ورأيهم مَعْدُوق(١) بما يشير به الأمير بكتاش إذا حضر ، وأما طغجى وكرجى وشاورشى والمماليك الأشرفية فإنهم يد واحدة على سلطنة طغجى ونيابة كرجى ، وأنهم لا ينزلون(٢) إلى لقاء الأمير بكتاش ، بل يقيمون مع طغجى بالقلعة حتى يحضر [بكتاش] بمن معه ؛ و [كان] رأى الأمراء النزولَ إلى لقائهم .

فلما كان يوم الأحد ثالث عشره نزل الأمير بكتاش بركة الحاج ، وشرع الأمراء بالقلعة فى التجهيز إلى لقائه . فامتنع كرجى من أن ينزل إليه أحد ، بل [أشار أن] ينزلَ كل أحد إلى بيته ، ويطلعَ الجميع من الغد القلعة ، فيلبس طغجى(٣) خلعة السلطنة ؛ واتفقّوا على ذلك . فعلم الأمراء أنهم مالم ينزلوا إلى لقاء الأمير بكتاش فاتَهُم ما دبّروه ؛ فلما اجتمعوا بعد العصر أخذوا مع طغجى وكرجى فى تحسين النزول للقاء ، فإن الأمير بكتاش قديمُ هجرة وأتابك العساكر ، وقد أثّر فى سبيل الله آثاراً جميلة وملَكَ إحدى عشرة قلعة ، وله غائب بالعسكر نحو سنة ونصف ؛ فإن لم يَتَلَقّهم(٤) الأمراء صعب عليهم ، ولو كان السلطان حيّا لخرج إلى لقائهم . [هذا] وطغجى وكرجى يقولان : "لا ننزل ، وأمّا أنتم فانزلوا إن اخترتم" . فلما طال تحاورهم استحيا طغجى من الأمراء وقال لكرجى : "الصواب فيما قاله الأمراء ، والرأى أن أركب معهم ومعى مماليك السلطان ونلقى الأمير بكتاش ، وتقيمَ أنت بالقلعة فى طائفة من المماليك" ؛ فاتفقوا على ذلك . وعرض طغجى المماليك ومعه كرجى ، وعيّنا أربعمائة تركب مع طغجى ، وأُخرجت لهم الخيول من الإسطبل ، وأن يقيم مع كرجى بقيتهم بالقلعة ؛ وباتوا على ذلك .

= شيء من الحديث الذى دار على السماط السلطانى بصدد السلطنة ، وهو وارد هنا (ص ٨٦٦ ، سطر ٩) ، أى أن المقريزى مع فرض اعتماده على النويرى يحوى زيادات لا بد أنه نقلها من مرجع آخر .

(١) كذا فى س . انظر ص ٣٦٢ ، حاشية ٣ .

(٢) فى س "ينزلوا" .

(٣) فى س "طغى" . (٤) فى س "سلماهم" .

وأصبحوا يوم الاثنين رابع عشره تحت القلعــة حتى ركب طغجى فى موكب كبير ، وسار ومعه الأمراء ومقدّمو الحلقة والأجناد ؛ وخرج الناس من كل موضع للتفرّج على العسكر . فلم يزل الأمير طغجى ومن معه سائرين حتى لقوا الأمير بكتاش ، فتعانق [بكتاش] مع طغجى فوق خيولهما ، وقبّـل طغجى يد بكتاش ، وتواكبا سائرين إلى قبة النصر . فساق كرت الحاجب فى وسط الموكب وقال لبكتاش : " يا خوند ! الأمير يطلع القلعة أو يروح بيته ؟ " ، فقال : " المرسوم مرسوم السلطان " ، وأظهر أنه لم يعرف بقتلة [لاجين] . فقال له كرت : " يا خوند ! وأين السلطان ؟ السلطان — يعيش الأمير ! — قتلوه " . قال [بكتاش] : " من قتله ؟ " ، قال [كرت] : " هذا " ، وأشار إلى طغجى . فقام عند ذلك بكتاش فى الركب وقال لطغجى : " أنت قتلتَ السلطان ؟ " ، فقال : " نعم ! " ، فقال له بكتاش : " تكذب " ؛ فلم يتمّ قولةَ تــكذب ، حتى جرّد قراقوش الظاهرى سيفه وضرب على كتف طغجى فلم يؤثر فيــه . ووقعت الصرخة ، وضربت النقارات حربيا ، ونشرت صناجق الأمير بكتاش . وخرج طغجى هاربا وكرت الحاجب فى طلبه ، وقد تفرّقت المماليك عنــه حتى لم يبق معه غير مملوك واحد ، فأدركه قراقوش وضربه بالسيف ثانياً فقطع[(١)] وجهه نصفين . فســقط [طغجى] عن الفرس ، وأحاط به القوم حتى جاء الأمير بكتاش وقد هلك ، فحُمل فى مزبلة من مزابل الحمام على حمــار إلى تربته بجوار إسطبله خارج باب زويلة .

وأما كرجى فإنه بلغه كسرة طغجى ، ففتح الزردخاناه وألبس المماليك آلة الحرب ، ونزل فى خمسمائة فارس تحت الطبلخاناه . فجاءه الخبر بقتل طغجى فتفرّق عنه من كان معه ، وأقبل العسكر يريده فولّى يريد باب القرافة ، فصاحت به العامة ، وصَدَفَه الأمير ناصر الدين محمد بن الشيخى والى القاهرة وقد طلع من الصليبية ، فأراد القبض عليه فضربه [كرجى] بالسيف فجرح[(٢)] فرسه . ونجا [كرجى] بنفســه إلى بساتين الوزير على بركة الحبش ، والخيل فى طلبه وهو يقاتلهم إلى أن انتدب له صمغــار بن سنقر الأشقر ، فتطاعنا ساعة .

---

(١) فى س " قطع " .
(٢) فى س " جرح " .

وأدركه محمــد شاه الأعرج الخوارزمى وحَطَم عليه وضبطه ، وألقاه عن فرسه إلى الأرض وهو فوقه ، فتكاثر الناس وذبحوه وأتوا برأسه إلى الأمير بكتاش ؛ فأَذِن [بكتاش] للعسكر بالمضى إلى منازلهم ، فتفرّقوا . وفى يوم الثلاثاء خامس عشره قبض على كرمون ونغاى من زاوية الشيخ تقى الدين رجب العجمى .

واجتمع الأمراء بالقلعــة إلا الأمير بكتاش ، فإنه أقام فى داره بالقاهرة وهم يتردّدون إليه إلى يوم الخميس سابع عشره ، [فأشار بإعادة السلطان [1] الملك الناصر محمد ، ووافق رأيُه رأيَهم] ؛ وقد التفّت البرجية جميعها على الأمير بيبرس الجاشنكير ، والتفّت الصالحية والمنصورية على سلار . واتفق الجميع على إحضار الملك الناصر ، فخرج إليــه سيف الدين آل ملك الجوكندار وعلم الدين سنجر الجاولى على الهُجن من البرّية .

واتفق الأمراء على تدبير الأمور [2] ، وصاروا يجلسون جميعاً ويكتب كل منهم علامته على الـكتب والمراسيم : فأول من يكتب الأميرُ حسام الدين لاجين الأستادار ، ثم الأميرُ عز الدين أيبك الخازندار ، ثم الأمير سلار ، ثم الأمير كرت الحاجب ، ثم الأمير جمال الدين أقش الأفرم ، ثم الأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار ، ثم الأمير بيبرس الجاشنكير ، فلا يصدر مكتوب إلا وعليــه خط هؤلاء . وفى كل يوم اثنين وخميس ينزل الجميع إلى بيت الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، ويأكلون [3] على سماطه .

و[كان] الأمير عز الدين أيبك الأفرم يجلس فى مرتبة النيابة والأمراء عن يمينه ويساره ، وقد وقع العزم على إقامته نائب السلطنة عند حضور الملك الناصر من الـكرك . فاتفق أنه كان يهوى مملوكا من مماليك طغجى يقال له تستاى ، فلما قُتل طغجى تغيّب مدة وهو يتطلّبه حتى أحضر إليه وهو جالس بشباك النيابة مع الأمراء ؛ فعند ما عاينه لم يتمالك نفسه أن قام ، وأخذ شعره بيده وجَبَدَه إلى خلوة ، والأمراء تنظر إليه . فاشتدّ الإنـكار عليه وأعرضوا عنه إلى سلار ، ورتّبوه يجلس فى رتبة النيابة . فأقام التخت بقلعة الجبل خالياً من سلطانٍ مدة خمسة وعشرين يوما .

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢١ أ) .

(٢) عبارة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢١ أ) فى هذا الصدد أكثر وضوحا مما أورده المقريزى هنا بالمتن ، ونصها : " وبقى الأمر بالديار المصرية مشتركا بعد مقتل طقجى بين الأمراء إلى أن وصل السلطان الملك الناصر من الـكرك . . . " .

(٣) فى ص " ناكلوا " .

وأما دمشق فإن بلغاق قَدِم إليها يوم السبت تاسع عشره ، وقد بلغه تسحّب الأمير قبجق بمن معه إلى جهة الفرات ، (١٢١٩ ا) فأخفى أمره وتوجه إلى حلب ، وأوقف الأمير بلبان الطباخى على الخبر . فقبض [الأمير بلبان] من وقته على حمدان بن صلغاى وسجنه بالقلعة ؛ وبعث البريدَ فى طلب قبجق ومن معه ، وكتب يعرّفه بقتل لاجين ومنكوتمر . فصدف [البريدىُّ] أيدغدىَّ شقير وكجكن وبالوج فى الطائفة الحسامية ، وقد خرجوا فى طلب قبجق ومن معه ؛ فأنكروا أمره وفتّشوه ، فإذا فى الكتب التى معه شرحُ ما وقع بمصر ، فخاف أيدغدى شقير من نائب حلب لسوء ما عامله به ، ودفع الكتب إلى البريدى وخلّاه لسبيله ، فمضى إلى قبجق . وتحيّر أيدغدى فى أمره ، ثم قوى عليه كجكن حتى سار به إلى حلب ؛ فلم يتعرّض إليه الأمير بلبان النائب بل عزّاه وتوجّع له .

وقام بدمشق الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى ، وقبَض على الأمير سيف الدين جاغان الحسامى الشاد ، وعلى الأمير حسام الدين لاجين الحسامى والى البر ؛ وقدم الأمير كجكن من حلب فقبض عليه أيضاً ، وسلّمهم [جميعاً] لأرجواشَ نائب القلعة . [وتحدّث الأمير[1] بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى حديث نواب السلطنة] ، وصار يركب بالعصائب والجاويش[2] ، ويجلس بدار السعادة وتُرفع له القصص على هيئة النواب ؛ وأوقع الحوطة على أبواب الأمراء المقتولين وحواصلهم ، وحلّف العسكر للملك الناصر . فلم تطل مدته ، ومات فى ثانى جمادى الأولى بقُولَنْج[3] ، وصارت دمشق بغير نائب ولا مشدّ ولا محتسب .

وكان خبر قيام قرا أرسلان قد ورد إلى الأمراء بمصر ، فخرج البريد فى سادس عشرى ربيع الآخر باستقرار سيف الدين قطلوبك المنصورى فى الشدّ عوضاً عن جاغان ، فباشر ذلك يوم الأحد خامس جمادى [الأولى][4] ، عند قدوم البريد إلى دمشق .

---

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢١ ب) .

(٢) الجاويش — أو الشاويش أو الجاووش — لفظ تركى ، وجمعه جاويشية ؛ وكان الجاويشية فى نظام دولة المماليك بمصر أربعة جنود من الحلقة (des soldats de la milice) وظيفتهم السير أمام السلطان — أو النائب — فى مواكبه ، للنداء وتنبيه المارة . والجاويش أيضاً جندى من رتبة بسيطة ، يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وما به من المراجع .

(٣) القولنج مرض معوى مؤلم ، يكون فى المعى الغليظة ، ويعسر معه خروج الثفل والريح ، وهو معرب اللفظ اليونانى كوليكوسن . (محيط المحيط) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢١ ب) .

وأما قبجق نائب دمشق ، فإنه توجّه ومعه الأمير بكتمر السلاح دار وفارس الدين ألبكى و [سيف[١] الدين] عزاز و [سيف الدين] بزلار يريدون غازان ، فمات بزلار قريباً من سنجار . وتسامع بهم المغل ، فركب جنكلى بن البابا أمير ديار بكر من قِبل غازان وتلقّاهم وبالغ فى إكرامهم ؛ وتلقاهم صاحبُ ماردين وقام بأمرهم . فلحقه[٢] بريد نائب حلب بها[٣] ، وأوقفه على الكتب المتضمّنة لقتل لاجين ومنكوتمر ، فبكى قبجق والأمراء ندماً على سرعة مفارقتهم بلاد الشام ؛ ولم يعجبهم العود ، فكتبوا الجواب بالاعتذار .

وكان غازان قد بلغه مجيئهم إليه ، فبعث إليهم أميراً يتلقّاهم ، وسار بهم إلى الأُردُوا . فركب غازان فى موكبه وتلقّاهم وأكرمهم ، وضرب لهم الخركاوات وأمر لهم بما يصلح لهم . ثم استدعاهم وباسطهم ، فلما انصرفوا حَمَل إلى قبجق عشرة آلاف دينار ولبكتمر مثلها ، ولعزاز والألبكى ستة آلاف (٢١٩ ب) دينار لكل منهما . وأنعم [غازان] عليهم وعلى من معهم بالخيول وغيرها[٤] ، وتقدّم إلى أمرائه بأن يعمل كل منهم لهم ضيافة ، فأقامت الأفراح فى الأردوا بسبب ضيافتهم عدة أيام ، وصار قبجق فى غاية المسرّة ، فإنه أتاه طائفة من أهله وأقاربه ، وأما بكتمر فإنه لم تطب نفسه بالإقامة .

ومن غريب الاتفاق أن السلطان الملك المنصور قلاون جرى مرة عنده أمرُ تجريد عسكر إلى حلب ، فذُكر له قبجق هذا أن يُجرّد ، فقال : "أعوذ بالله أن أجرّد قبجق إلى نحو الشام ، فإننى ما آمنه أن يدخل البلاد ، ويَظهر لى من وجهه الميلُ إلى المغل" . ثم التفت [قلاون] إلى سنقر المساح ، وقال : "إن عشتَ يا أمير ، وخرج قبجق إلى الشام ،

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٣١٩ أ — ب) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد هذه الحوادث .

(٢) الضمير عائد على قبجق .

(٣) الضمير عائد على ماردين ، وفى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٩ ب) أن البريدى المشار إليه لحق الأمير قبجق عند رأس عين .

(٤) جاء فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٤٥) بصدد وصول الأمير قبجق ومن معه من الأمراء إلى غازان ، أنه "زوّج كلا منهم بامرأة من التتار ، وأما سيف الدين قبجاق فكان أكثرهم تقربا إليه وأجلهم منزلة لديه ، فزوّجه أخت زوجته ، وهى أخت بلغان ، وهذا عند التتار لا يعمل إلا مع الأكابر والخانات ، وهو أنهم يصيّرون للملوك أصهارا وأختانا . . ." .

فستذكر قولى لك " ، فكان كذلك . ويقال إنه كان مدة نيابته لدمشق يكاتب غازان ، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طَمْغَا[1] البريد التى يركب بها الأمراء عندهم ؛ فبعثها [غازان] إليه ، وصارت عنده حتى ركب من ماردين فحملها[2] [إليه] ، وكان هو أكبر أسباب قدوم غازان إلى دمشق ، كما يأتى ذكره إن شاء الله .

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون ثانياً

وكان من خبر ذلك أن الأمير [سيف الدين[3]] الحاج آل ملك [الجوكندار] والأمير [علم الدين] سنجر الجاولى قدما إلى الكرك ، فوجدا الملك الناصر يتصيّد بالغور ، فتوجَّها إليه . ودخل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الكرك إلى أم السلطان ليبشّرها ، فخافت أن تكون مكيدة من لاجين ، وتوقّفت فى المسير وابنها إلى مصر ، فمازال بها حتى أجابت . ووصل الأميران إلى الملك الناصر ، فقبّلا الأرض بين يديه وأعلماه الخبر ؛ فأتى إلى المدينة وأخذ فى تجهيز أحواله ، والبريد يتواتر من مصر باستحثاثه على القدوم إليها ، إلى أن هيأ له نائب الكرك مايليق به ، وسار به إلى القاهرة . فخرج الأمراء والعساكر إلى لقائه ، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخّر بهما أحد من الناس فرحا بقدومه ، وخرجوا إليه عامة فى يوم السبت رابع جمادى الأولى .

وجلس [السلطان الملك الناصر] على سرير الملك فى يوم الاثنين سادسه ، وجُدّدت له البيعة ، وكتب شرف الدين محمد بن فتح الدين القيسرانى عهده عن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد .

---

(١) الطمغا لفظ تركى الأصل — ويقال تمغا أيضاً — ومعناه هنا أمر ملكى (royal edict, diploma) . انظر (Steingass : Pers. - Eng. Dict.) . وكان أمراء المغول يحملون الطمغا فى أسفارهم الخاصة بشؤون المملكة ، وقد ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١٩ ب) ما وقع للأمير قبجاق ومن معه فى سفرهم عند وصولهم إلى ماردين ، ومنه يتضح بعض معنى الطمغا ، ونصه : "وقصد بولاى مقدم التتار بتلك الناحية أن الأمراء يتوجهون (فى الأصل يتوجهوا) إلى جهة قازان (كذا) على خيل البريد ، ويتأخر من معهم من أتباعهم وألزامهم عن الوصول إلى البلاد حتى يرد المرسوم ؛ فامتنع قبجاق من ذلك ، وأبى إلا الدخول بالطلب والجماعة الذين معه . فامتنع التتار عليه ، فيقال إنه أخرج إليهم كتاب الملك قازان إليه ، وهو فى بالشت (كذا) ذهب ، فعند ذلك خضعوا له ومكنوه مما أراد . . . " . انظر أيضاً ص ٣٧٩ ، حاشية ٤ .

(٢) فى س "حملها" .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ أ) .

وفيه استقرّ الأمير سيف الدين سلار فى نيابة السلطنة بديار مصر ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادارا[1] ، والأمير جمال الدين أقوش الأفرم الدوادارى المنصورى نائب دمشق — عوضاً عن الأمير قبجق المنصورى ، والأمير سيف الدين كرت الحاجب فى نيابة (٢٢٠ أ) طرابلس ؛ واستقرّ عوضه حاجباً سيفُ الدين قطلو بك . وأُفرج عن الأمير قراسنقر ، والأمير عز الدين أيبك الحموى ، والوزير شمس الدين سنقر الأعسر ؛ واستقرّ قراسنقر فى نيابة قلعة الصبيبة ، وخُلع على سائر أهل الدولة ، وكُتب إلى الأعمال بذلك ، ودُقّت البشائر وزُيّنت الممالك على العادة .

وفى ثامنه ركب السلطان بخلعة الخلافة والتقليد بين يديه ، وعمره أربع عشرة سنة ؛ وأقرّ الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى[2] فى الوزارة . وسار الأمير أقش الأفرم على البريد إلى دمشق ، فقدمها فى ثانى عشريه ، ولبس من الغد التشريف ، وقبّل عتبة باب القلعة على العادة ، ومدّ السماط بدار السعادة ؛ وأُخرج الأمير سيف الدين قطلوبك إلى مصر .

وفى تاسع عشريه أفرج [الأمير[3] أقش الأفرم] عن جاغان الحسامى و بعثه على البريد إلى مصر ، فردّه السلطان من طريقه ، وجعله أحدَ أمراء دمشق . وقدم البريد من حلب بدخول قبجق ومن معه إلى بلاد المغل . ووقع بالقاهرة مطر ، وسال المقطم إلى القرافة فأفسد عدة تُرَب ؛ ووصل الماء إلى باب النصر من القاهرة ، وأفسد السيل هناك عدة ترب أيضا .

وصار الأمراء يجتمعون بقلعة الجبل فى يوم الموكب عند السلطان ، ويقرّرون الأمور مع بيبرس وسلار ، فتَصْدُر الأحوال عنهما ، وشرعا فى تقديم حواشيهما وألزامهما . واستقرّ الأمير سيف الدين بكتمر أميرَ جاندار ، وأُنعم على أمير موسى بن الصالح على بن قلاون بإمرة ، وعلى كلٍّ من عز الدين أيدمر[4] الخطيرى وبدر الدين بكتوت الفتاح[5] وعلم الدين

(١) فى س " استادار " .
(٢) فى س " الحليلى " . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ أ) .
(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ أ) .
(٤) على هذا فى س اسم " ابيك " ، وقد شطبه المقريزى وأبدله باسم " أيدمر " بالهامش .
(٥) فى س " الفباح " . انظر (Zetterstéen : Beiträge. P. 107) .

سنجر الجاولى وسيف الدين تمر وعز الدين أيدمر النقيب بإمرة . وأنعم على ناصر الدين محمد بن الشيخى والى القاهرة بإمرة ، واستقر واليًا بالجيزة وأعمالها مع ولاية (٢٢٠ ب) القاهرة ؛ وأنعم على كل من لاجين أخى سلار وأقطاى الجمدار و بكتوت القرمانى بإمرة . وقُبض على الأمير . . .[١] العمرى والأقوش وقراقوش الظاهرى ومحمد شاه الأعرج ، وعُدَّ على قراقوش ومحمد شاه من الذنوب قتلهُما طغجى وكرجى .

وفى يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة ألبس الأميرُ أقش الأفرم نائبُ دمشق الأمراء والأعيان الخلع ؛ وفيه قدم طُلْبه وأثقاله من مصر ، [فتلقّاها والأمراء[٢] فى خدمته وعليه التشاريف ، ودخل دخولا حسـناً] . و [فيه ؟] كُتب عن السلطان تقليد للملك المظفر تقى الدين محمود بنيابة حماة .

وفى شهر رجب توجه الأمير كرت الحاجب إلى نيابة طرابلس . وفى ثانى عشره قُبض بدمشق على الأمير سيف الدين كجكن[٣] واعتُقل بالقلعة . وورد البريد من حلب بمحاربة نغاى وطقطاى[٤] ، وأنه قُتل بينهما من المغـل خلق كثير ، وأن غازان بن أرغون [بن] أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان قتـل وزيره نوروز[٥] ، وأنه تأهّب لعبور الشام و بعث فى جَمْع المغل ، وأنه بعث سلامش[٦] بن أفال بن بيجو[٧] التترى إلى بلاد الروم ،

(١) بياض فى س .

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ ا) .

(٣) فى س "كجكن" ، انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ ا) .

(٤) يشير المقريزى هنا إلى ما حدث بين طقطاى خان ملك القبجاق وبين قريبه نغاى ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى ص ٨٣٧ (سطر ١٣ ، وحاشية ٣ ، ٤ هناك) . انظر بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٩ ا — ٢٠٠ ب ، ٢٠٤ ا — ٢٠٥ ا ، ٢١٩ ا — ٢٢١ ا ، وما بعدها) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد أدوار ذلك الخلف ونتائجه التى انتهت بهزيمة نوغاى وموته .

(٥) تقدمت الإشارة إلى هذا الحادث فى ص ٨٣٧ (سطر ١٤) ، وقد ذكر بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ا) ، أن سبب قتل الوزير نوروز أنه اتهم بمكاتبة السلطان المنصور لاجين ابتغاء الانحياز إليه . انظر أيضاً (Browne: A Lit. Hist. Of Persia. III. P. 41.) .

(٦) فى س "سلامس" ، واسمه فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ب) "سلامش بن اقاك بن بحو التترى" .

(٧) فى س "بنجو" . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٤٠٨ ، حاشية ١ من الترجمة الفرنسية) .

على عسكر يبلغ نحو الخمسة وعشرين ألف فارس . فاهتمّ الأمراء بتجريد العسكر ، واتفقوا على تجهيز الأمير سيف الدين بلبان الحُبيشى ، والأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار ، والأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار ، ومقدّمهم الأمير جمال الدين أقش قتّال السبع ، وصُحبتهم من أمراء الطبلخاناه عشرون أميراً . وكُتب إلى دمشق بتجريد أربعة أمراء مقدّمين ، فساروا إلى دمشق وقدِموها فى سابع رجب .

وقدم البريد من دمشق بورود نحو ثلاثين بطسة فى البحر إلى ساحل بيروت ، [فى كل بطسة [1] منها نحو سبعمائة ، وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر ، وتحصُل إغارتهم على الساحل] . فاجتمع الناس لقتالهم ، فبعث الله ريحاً كسرت المراكب وألقتها بالشاطئ ، فأخذ أهل بيروت منها ما بقى من الغرق ، وأسروا ثمانين إفرنجيا ، وذلك فى أخريات شعبان .

وقويت شوكة البرجية بديار مصر (٢٢١ ا) [2] ، وصارت لهم الحمايات [3] الكبيرة ، وتردّد الناس إليهم فى الأشغال . وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمّر منهم عدة ، وصار فى قبالته الأمير سيف الدين سلار ومعه الصالحية والمنصورية ، إلا أن البرجية

---

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٣ ا) ، ويلاحظ أن الإشارة إلى اتساع البطسة لهذا العدد الكبير من الجند مما يساعد على تصور حجم ذلك النوع من السفن الحربية .

(٢) تبدأ الصفحة المرقومة بهذا الرقم فى س كالآتى : "وكان ما حمل لخزانة غازان وحده على يد وجيه الدين بن المنيلى مبلغ . . . . . . " ، ومنه يتضح أن هناك سقطة فى الكتابة ، أو خطأ فى وضع الصفحات وترقيمها ، والأمر الثانى هو الذى حدث فى أكثر من صفحة ، مثل ذلك أن س ٢٢٢ ا هى فى الحقيقة ٢٢١ ا كما هنا ، وسيصحح كل منها فى موضعه ، والفضل فى ذلك كله لنسخة ب (ص ٢٧٠ أ ، ومابعدها) .

(٣) الحمايات جمع حماية ، وهى مكس يفرضه الأمير — أو السلطان أحياناً — على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق ؛ وقد أطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذى يدفع ذلك المكس المقرر (un droit qu' on levait sur des terres ou sur des marchandises; on l'appelait ainsi à cause de la protection que l'on était censé, à ce prix, accorder aux possesseurs de ces objets.) انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . هذا ويوجد فى (Quatremére Op. Cit. II. 2. P. 129. N. 2.) أمثلة من مراجع متنوعة للدلالة على استعمالات هذا اللفظ ، ومنها : "صار يأخذ الحماية من المقطعين قبل وفاء النيل" ، وأيضاً "أبطل جباية المراكب [و] كانت تجبى من ساير المراكب التى فى بحر النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له تقرير الحماية" ، وكذلك "جميع مال الحماية السلطانية التى جمعها [السلطان الملك] المؤيد" .

أكثر وأقوى ؛ وشرهوا [جميعاً] إلى أخذ الإقطاعات ، ووَقَع الحسد بين الطائفتين ، وصار بيبرس إذا أمَّرَ أحداً من البرجية وقفت أصحاب سلار وطلبت منه أن يؤمِّر منهم واحداً . وأخذ الأمير سيف الدين برلغي يشارك بيبرس وسلار فى الأمر والنهى ، وقويت شوكته والتفّ عليه المماليك الأشرفية .

وفى يوم الخميس ثانى عشر شعبان وصل سلامش بن افال[1] نائب الروم إلى دمشق ، مع الأمير عز الدين . . .[2] الزردكاش نائب بهسنا ، فى عشرين من أصحابه . فتلقّاه عسكر دمشق وأهلها مع النائب ، وقد اهتمّ للقائه وبالغ فى التجمّل الزائد ، فكان يوما بهجاً . وأنزله على الميدان وقام بما يليق به ، وأُحْضِر فى ليلة النصف ليرى الوَقِيد[3] بجامع بنى أمية . وفى ليلة الاثنين سادس عشره أركبه البريد هو و [أخوه[4]] قطقطوا ، فقدما إلى قلعة الجبل ومعهما مخلص الدين . . .[5] الرومى ، فأكرمهم الأمراء وقاموا بواجبهم .

وكان من خبر سلامش أن غازان لما بعثه لأَخْذ بلاد الروم خَرَج عن طاعته ، وحَسُن فى رأيه الاستبداد بملك الروم فاستخدم عشرة آلاف ، وكاتَب ابن قرمان أمير التركمان ، وكتب إلى [الملك المنصور[6] لاجين سلطان] مصر يطلب نجدة على قتال غازان على يد مخلص الدين الرومى . فأجيب فى شهر رجب بالشكر والثناء ، وكتب إلى دمشق بخروج العسكر لنصرته .

وكان غازان قد وصل إلى بغداد ، فبلغه خروج سلامش عن طاعته ، فأعرض عن

(١) فى س "افال" .

(٢) بياض فى س .

(٣) الوقيد هنا إضاءة المساجد والشوارع فى أوقات معينة ، كعيد مولد النبي ، وعيد مولد الحسين بن على بن أبى طالب ، وليلة النصف من شهر شعبان كما بالمتن . (Quatremére : Op. Cit. II. 2. P. 131. N. 3.) . وكانت تلك الأوقات وغيرها من الأعياد والليالى من مستحدثات الدولة الفاطمية بمصر ، وقد سموا بعضها باسم "ليالى الوقود الأربع" ، وهى ليلة أول رجب وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان وليلة نصفه . انظر (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٠١ وما بعدها ؛ المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٩١) . راجع أيضاً (Dozy : Supp. Dict. Ar.) لكشف المعانى الأخرى للفظ وقيد .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ ب) .

(٥) بياض فى س ، ويوجد فى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ب ، وما بعدها) تفصيلات كثيرة فى هذا الصدد .

(٦) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ب) .

المسير إلى (٢٢١ب[1]) الشام ، وجهّز العساكر إلى بلاد الروم ، وأخرجهم أول جمادى الآخرة وعدّتهم نحو الخمسة وثلاثين ألفاً وعليهم بولاى . وعاد [غازان] إلى تبريز ، ومعـه الأمير قبجق و بكتمر السلاح دار والألبـكى و بزلار ؛ وسار بولاى إلى سنجار ونزل على رأس عين ، ثم توجه إلى آمد .

وجمع سلامش نحو الستين ألفاً ، وامتنع عليه أهل سيواس وهو يحاصرهم . فلما قرب[2] منه بولاى بعساكر غازان فرّ عنه من كان معه من التتار إلى بولاى فى أول ليلة من رجب ؛ ثم التحق[3] به أيضاً عسكر الروم ، وفرّ التركمان إلى الجبال . ولم يبق مع[4] [سلامش] إلا نحو الخمسمائة ، فانهزم عن سيواس إلى جهة سيس ، ووصل بهسنا آخر رجب . فورد خبره إلى دمشق فى خامس شعبان والأمراء بها على عزم الخروج لنجدته ، [فتوقّفت[5] الحركة عن تسيير العساكر . فما كان بعض أيام إلا وسلامش قد وصل إلى دمشق ، فخرج إليه عساكر دمشق والتقوه فى موكب عظيم ، ووصل صحبته من بهسنا الأمير بدر الدين الزردكاش نائبُ السلطنة بها] .

[ثم توجه سلامش وأخوه قطقطوا إلى الأبواب السلطانية ، فى يوم الأحد خامس عشر شعبان على خيل البريد] ، فلما قدم إلى قلعة الجبل أُنعم على [أخيه] قطقطوا بإقطاع ، ورُتّب لمخلص الدين [الرومى] جار ؛ [وخُيّر سلامش بين المقام بالديار المصرية أو الشام أو أن يعود إلى بلاده] ، فسأل[6] أن يُجرّد معه جيش ليعود إلى بلاده و يَحْضُر بعياله ، [و يرجع إلى خدمة السلطان . فوافقه السلطان على ذلك] ، فركب البريدَ إلى حلب ، ورُسِم أن يخرج معه

(١) هذه الصفحة مرقومة فى س برقم ٢٢٢ ب . انظر ص ٨٧٥ ، حاشية ٢ .

(٢) هذا اللفظ مكرر فى س .

(٣) الضمير هنا عائد على بولاى . انظر (Zetterstéen : Beiträge. P. 55, et seq.) ، وكذلك بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٨ ب ، وما بعدها) .

(٤) فى س "معه" ، وقد حذف الضمير وأثبت عائده لتوضيح العبارة . انظر المراجع المذكورة فى الحاشية السابقة .

(٥) أضيف مابين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٢٢ ب ؛ وبيبرس المنصورى ، ج ٩ ، ص ١٩٧ب ، وما بعدها ؛ و (Zetterstéen : Beiträge. P. 55, et seq.)

(٦) فى س "فـال سلامش ان يجرد معه جيش ... " .

الأمير بكتمر الجلمى[١] . فقدم [سلامش] دمشق فى حادى عشر رمضان ، وخرج من الغد ومعه الأمير [بدر الدين الزردكاش ؛ ولما وصل إلى حلب جُرّد معه] الأمير بكتمر [حسبَ المرسوم] إلى جهة سيس ، بعد ما مَرّ بحلب وخرج منها بعسكر . ففطن به التتار فقاتلوه ، فقُتل الأمير بكتمر ، وفرّ سلامش إلى بعض القلاع فقُبض عليه وحُمل إلى غازان فقتله .

وكان سلامش هذا من أكبر الأسباب فى حركة غازان إلى بلاد الشام : وذلك أنه نَهَب بعسكر حلب ماردينَ فى شهر رمضان حتى أخذ ما كان بجامعها ، وفعل أفعالا قبيحة ، فحرّك فِعْلُه ما عند غازان وجعله حجة لمسيره .

وفى شعبان أنم على الأمير قرا سنقر بنيابة الصبيبة وبانياس ، فسار إليهما وتسلّمهما فيه . وفى رمضان قدم الأمير علاء الدين كجكن[٢] إلى القاهرة مقيّداً ، (٢٢٢[٣] ا) هو وحمدان بن صلغاى ، وقد وكل بهما مائة فارس من عسكر الشام . فأُرسل بحمدان إلى صفد ، فكان آخر العهد به . وقدمت رسل صاحب سيس وصاحب القسطنطينية بهدايا فى سادسه .

واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى الوزارة ، عوضاً عن الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى[٤] ؛ فضَرب التاجَ بن سعيد الدولة بالمقارع فأسلم ، وكان مستوفياً . واستقرّ شمس الدين أحمد السروجى فى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر ، عوضاً عن حسام الدين حسن بن أحمد بن الحسن الرومى ، فى أول ذى الحجة . ونُقل الحسام إلى قضاء الحنفية بدمشق ، عوضاً عن ولده جلال الدين أحمد بن الحسن .

وفى آخر ذى القعدة نُقل الأمير قراسنقر من نيابة الصبيبة إلى نيابة حماة ، بعد وفاة الملك المظفر تقى الدين[٥] . واستناب الأميرُ بيبرسُ الجاشنكير فى الأستادارية الأميرَ

---

(١) كذا فى س ، وفى بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٩٨ أ) ، وهو وارد برسم "الحلبي" فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٢ ب) . انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 133.) حيث هذا اللفظ مترجم إلى (Djekmi) .

(٢) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٣ ا فى س .

(٣) فى س "ككن" .

(٤) فى س "الحليلى" .

(٥) انظر ما يلى ، ص ٨٨١ ، سطر ١١ — ١٥ .

علم الدين سنجر الجاولى ، وحكّمه فى سائر أمورها ؛ فترك الملك الناصر الاستدعاء لما يريده من مأكل أو مشرب لشدة الحجر عليه ، وصار ليس له من المملكة سوى الاسم . وذلك أنهم يُجْلسونه(١) فى يومى الخميس والاثنين ، وتحضر الأمراء الأكابر ويقف الأمير سلار النائب والأمير بيبرس الأستادار ، ويعرض سلارُ عليه مايريده ، ثم يشاور فيه الأمراء ويقول : " السلطان قد رسم بكذا " ، فيمضى ذلك . ثم يخرج الجميع ، فيجلس سلار وبيبرس ويتصرّفان(٢) فى سائر أمور المملكة ، ويتفقان على قلة مصروف السلطان .

وقدم البريد بتحرّك غازان وجمعه على المسير إلى الشام ، فكُتِب إلى الأمير كرناى(٣) والأمير قطلوبك الحاجب بالخروج واللحاق بالأمراء المجرّدين ، فقدموا دمشق فى رابع عشرى ذى الحجة . ووقع العزم على سفر السلطان والأمراء ، واستُدعِيَت الجند من بلاد مصر ، وأُلزِم الوزير سنقر الأعسر بتجهيز الأموال ، فتحسَّن سعر الخيل والجمال والسلاح وآلات السفر . وانتظر العسكر النفقة (٢٢٢(٤) ب) فيهم ، فاجتمع الأمراء لذلك ، فلم يوافق بيبرس وسلار على النفقة خوفا من تلاف المال ، وقصدا تأخيرها إلى غزة . فلم تَرضَ بقيةُ الأمراء بذلك ، وانفضّوا على غير رضى . وخرج السلطان فى رابع عشرى ذى الحجة بالعساكر ، ونزل خارج القاهرة ، واستناب فى غيبته الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار . ووقع فى هذه السنة بأرض مصر آفة عظيمة من الفار .

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر الأمير عز الدين أيبك الموصلى نائب طرابلس ، فى صفر . و [مات] نجم الدين أيوب بن الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فى رابع عشر ذى الحجة بدمشق . و [مات] الأمير جمال الدين أقش المغيثى نائب البيرة بها ، وقد أقام فى نيابتها أربعين سنة . و [مات] الأمير سيف الدين بكتمر الجلمى(٥) ، قُتل على سيس . و [مات] الأمير بدر الدين بدر الصوانى(٦) أحد أمراء

(١) فى س " محلسوه " . (٢) فى س " ويتصرفا " .

(٣) كذا فى س ، ويمكن قراءته أيضاً " كرتاى " ، وهذه القراءة الثانية هى الواردة فى ترجمة (Quatremére : Op. Cit. II. 2. P. 134.) .

(٤) رقم هذه الصفحة ٢٢٣ ب فى نسخة س . (٥) كذا فى س .

(٦) فى س " الصبواى " ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٧١ ب) ، والنويرى أيضا (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، س ٣٢٣ أ) . انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٤١) ، حيث ورد هذا اللفظ برسم " الصوابى " .

الألوف بدمشق ، فى ليلة الخميس تاسع جمادى الأولى — وكان خيّراً زاهداً كثير البرّ ، سمع الحديث وحدّث ، وأقام أربعين سنة أميراً . و[مات] الأمير شمس الدين بيسرى الشمسى الصالحى النجمى بالاعتقال فى قلعة الجبل ، فى تاسع عشر شوال — وإليه ينسب قصر بيسرى[(١)] بالقاهرة ؛ وكان كريماً عالِيَ الهمة ، راتِبُ لحمه فى كل يوم ثلاثة آلاف رطل ، وينعم بالألف دينار جملة واحدة ، وبالألف أردب غلة ، وبألف قنطار عسلا ، ويتصدّق على الفقير بألف درهم وخمسمائة درهم ، والمملوك من مماليكه فى اليوم من سبعين رطل لحم إلى خمسة أرطال ، والعليق من سبعين عليقة للمملوك إلى خمس علائق وذلك لأدناهم ، سوى التوابل والخضر والحطب ، ولا يزال من كرمه عليه [لأرباب الدُّيُون] [(٢)] الأربعمائة ألف درهم ديناً فما فوقها ؛ وأصله مملوك الأمير سرا سنقر (٢٢٣ ا)[(٣)] الكاملى ، ثم صار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، [وتنقّل فى الخِدَم[(٤)] حتى صار من أجلّ الأمراء

(١) سمّى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، وما بعدها) هذا القصر باسم الدار البيسرية ، وعرّف بموضعه وسعته وصورته فى العبارة التالية ، مما يلقى كثيرا من الضوء على اهتمام بعض الأمراء بالعمائر الفخمة ، ونصها : "هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة ، كانت فى أواخر الدولة الفاطمية ، لما قويت شوكة الفرنج ، قد أعدت لمن يجلس فيها من قصاد الفرنج ، عند ما تقرر الأمر معهم على أن يكون نصف ما يحصل من مال البلد للفرنج ، فصار يجلس فى هذه الدار قاصد معتبر عنــد الفرنج يقبض المـال . فلما زالت الدولة [الفاطمية] بالغز [الأكراد من بنى أيوب] ، ثم زالت دولة بنى أيوب ، وولى سلطنة مصر الملوك من الترك ، إلى أن كانت أيام [السلطان] الملك الظاهر ركن الدين بيــبرس البندقدارى ، شرع الأمير ركن الدين بيبرس (كذا فى الأصل ، والراجح أن المقصود هو شمس الدين بيسرى) الشمسى الصالحى النجمى فى عمارتها ، فى سنة تسع وخمسين وستمائة . وتأنق [بيسرى] فى عمارتها ، وبالغ فى كثرة المصروف عليها ، فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله ، وقال له يا أمير شمس [فى الأصل بدر] الدين ، أى شىء خلّيت للغزاة والترك ؟ فقال صدقات السلطان ، والله يا خوند ما بنيت هذه الدار إلا حتى (كذا) يصل خبرها إلى بلاد العدو ، ويقال بعض مماليك السلطان عمّر داروا غرم عليها مالا عظيما . فأعجب من قوله ذلك السلطان [بيــبرس] ، وأنعم عليه بألف دينار عينا ، وعدّ هذا من أعظم إنعام السلطان . فجاء [ت] سعة تلك الدار بإسطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين ، ورخامها من أبهج رخام عمل فى القاهرة وأحسنه صنعة . فكثر تعجب الناس إذذاك من عظمها ، لما كان فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد ، حتى أن الواحد منهم إذا صار أميرا لا يتغير عن داره التى كان يسكنها وهو من الأجناد . . . وما زالت [هذه الدار] بيد ورثة بيسرى إلى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . . . " .

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٣ ا) .

(٣) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٤ ا فى س .

(٤) أضيف مابين القوسين من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٦٩) ، حيث توجد ترجمة وافية لهذا الأمير . انظر أيضا النويرى (نهايه الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٣ ا) .

فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى] . و [مات] الوزير تقى الدين أبو البقاء توبة بن على بن مهاجر بن شجاع بن توبة الربعى التكريتى ، فى ليلة الخميس ثامن جمادى الآخرة بدمشق ، عن نحو ثمانين سنة ، — ولى وزارة دمشق سبع مرات . و [مات] الأمير قرا أرسلان فى ثانى جمادى الأولى ، وهو من المماليك المنصورية قلاون . و [مات] بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى نصر بن النحاس الحلبى النحوى ، يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى بالقاهرة ، ومولده بحلب فى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة . و [مات] الفقيه شمس الدين محمد بن صالح بن حسن بن البناء القفطى الشافعى ، قاضى سمهود والبلينا ، كان أديبا شاعراً . و [مات] الشيخ جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن ابن الحسين بن النقيب البلخى الأصل المقدسى الفقيه الحنفى ؛ ولد بالقدس فى نصف شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة ، وصار أحد الأعلام ، وله كتاب تفسير القرآن فى سبعين[١] مجلدة ؛ [وقد] قدم القاهرة وأقام بها ودرّس بالعاشورية[٢] ، ومات فى المحرم . و [مات] الملك المظفّر تقى الدين محمود بن المنصور ناصر الدين محمد بن المظفّر تقى الدين محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى صاحب حماة ، يوم الخميس حادى عشرى ذى القعدة ؛ ومولده بحماة فى ليلة الأحد خامس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة ، ومدة ملكه خمس عشرة سنة وشهرا ويوما . و [مات] الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب ، فى ليلة الثلاثاء رابع عشرى ذى الحجة بالقدس[٣] . و [مات] الأمير شمس الدين آقسنقر كرتيه بغزّة ، وكان شجاعا مقداما . و [مات] الأمير بدر الدين ...[٤] المغربى

(١) قبالة هذا اللفظ بهامش الصفحة فى س عبارة بخط مخالف ، نصها : " مات الشيخ جمال الدين محمد الحنفى صاحب التفسير فى سبعين مجلدة " .

(٢) العاشورية إحدى المدارس التى أنشئت بالقاهرة فى أوائل العصر الأيوبى ، وقد ذكرها المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦٨) فى باب المدارس ، فقال : " هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة ، بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة . . . وكانت [فى الأصل] دار اليهودى ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش ، فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح (كذا) الأسدى ، زوجة الأمير أياز كوج الأسدى ، ووقفتها على الحنفية ، وكانت من الدور الحسنة . وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الأيام مغلوقة (كذا) لا تفتح إلا قليلا ، فإنها فى زقاق لايسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب " .

(٣) يسبق هذا فى س لفظ " بدمشق " ، وهو مشطوب . (٤) بياض فى س .

الدوادار ؛ أصله من الغرب ، فولاّه المنصور لاجين دوادارا ، وأقامه على تجديد عمارة جامع ابن طولون . واتّفق أن شرف الدين عبد الوهاب (٢٢٣[1] ب) بن فضل الله كاتبَ السرّ مرض ، فبعث إليه السلطان بدر الدين هذا يعوده ، فعاد إلى السلطان وقال : "ما بقي يجيء منه شيء" ؛ فبعد أسبوع مات بدر الدين ، وطلع كاتب السرّ إلى الخدمة وقد عوفى ، وعَزّى السلطانَ فى الدوادار ؛ فقال [السلطان] : "لا إله إلا الله ! كان فى ظنّ الدوادار أنه يعزّينا فى كاتب السرّ عزّانا كاتب السرّ فيه" . و [مات] الأمير سيف الدين تمر بغا ؛ وله مسجد بالقرب من الميدان التحتانى بين القاهرة ومصر ، وكان كريما ، [وكان قد] توَجّه مع الملك الناصر إلى الكرك ، ثم نقل إلى طرابلس فمات بها . ومات بحلب من المجرّدين الأميرُ سيف الدين البسطى ، وأحمدُ شاه ، ومحمدُ بن سنقر الأقرع ، وعينُ الغزال ، وكيكلدى ابن السرية . ومات بناحية سمنود — و[كان] قد توجّه إليها — الأميرُ سيف الدين طقطاى . و [مات] شهابُ الدين يوسف بن الصاحب محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله بن سالم[2] بن طارق بن النحاس بن الأسدى الحلبي[3] ، فى ثالث عشر ذى الحجة بدمشق ، و [قد] قدم القاهرة مراراً . و [مات] أمين الدين سالم بن محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى التغلبي ، ناظرُ الدواوين بدمشق ، فى ثامن عشرى ذى الحجة ، وهو مصروف . ومات الأمير علم الدين سنجر المسرورى والى القاهرة ، [وهو] المعروف بالخياط .

***

سنة تسع وتسعين وستمائة . أهلّت والسلطان متوجّه بعساكر مصر إلى الشام ، والإرجاف يقوى بمسير غازان إلى الشام . فرحل السلطان بالعساكر من الريدانية أول يوم من المحرم ، والأمراء قد كثر تحاسدهم وتنافسوا بكثرة سعادتهم ؛ فلما وصلوا غزة أقبلوا على الصيد والاجتماع والنزه .

(١) هذه الصفحة واردة فى س كأنها ٢٢٤ ب .

(٢) فوق هذا الاسم ، وكذلك فوق اسم "طارق" الذى يليه ، علامة تشبه الشولة ، وربما أراد المقريزى بذلك أن ينبه إلى خطئه فى ترتيبهما بالمتن ، وقد أوردهما كاتب نسخة ب (٢٧٢ أ) كالآتى : "الطارق بن سالم" .

(٣) هذا اللفظ مكرر فى س .

فاشتدّ حنق الطائفة الأويراتية الذين قَدِموا فى أيام العادل كتبغا، من أجل قَتْل من قُتِـل [من] أمرائهم فى أيام المنصور لاجين ، ومن خَلْع كتبغا وإخراجه إلى صرخد ، ومن استبداد البرجية بالأمور . وعزموا على إثارة الفتنة ، وصاروا (٢٢٤ ا)(١) إلى الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلى وأقاموه كبيراً لهم ، [واتّفقوا] على أن برنطاى(٢) أحد المماليك السلطانية وألوص(٣) [أحد كبراء الأويراتية] يهجم كلٌّ منهما على الأميرين بيبرس وسلار ويقتله ، ويعيدون(٤) دولة كتبغا .

فلما رحل السلطان بالعسكر من غزة ونزل تلّ العجول ، ركب الأمراء للخدمة على العادة ؛ وكان بيبرس يتأدّب مع سلار ويركب بين يديه ، فعند ما ترَجّل الأمراء ولم يبق على فرسه سوى بيبرس وسـلار ، شَهَر برنطاى سيفه — وكان ماشياً فى ركاب بيبرس — وضربه ، فوقعت(٥) الضربة على كفل الفرس فخلّت(٦) ظهره ؛ وضرب [برنطاى] ثانياً ، فوقعت(٧) [الضربة] على الكلفة(٨) فقطعتهـا(٩) وجرحت الوجه ، فتبادرته(١٠) السيوف حتى قُتل .

ووقعت الصرخة فى العسكر فركب الجميع ، وقصد الأويراتيةُ الدهليزَ السـلطانى يريدون الهجمة على السلطان حتى صاروا فى داخله ؛ وقد ركب الأمراء فى طلبهم ، فركب الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار والمماليك السلطانية وفى ظنّهم أن القَصْدَ قتلُ السلطان ، ونشروا العصائب ووقفوا . وعاد بيبرس وسلار إلى مخيّمهما(١١) ، وأمَرَا(١٢) الحجابَ والنقباءَ

(١) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٥ ا فى س .
(٢) كذا فى س ، وهو وارد برسم "برلطاى" فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٤ ا) ، وبيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٥ ب) .
(٣) فى س "اللصوص" ، وقد صحح الاسم وأضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٥ ب) .
(٤) فى س "يعيدوا" . (٥) فى س "وقعت" .
(٦) فى س "حلت" . (٧) فى س "وقعت" .
(٨) كذا فى س ، وهى الكلفتة التى سبق التعريف بها فى ص ٨٣٠ ، حاشية ١ .
(٩) فى س "قطعتها" .
(١٠) الضمير عائد على برنطاى .
(١١) فى س "مخيمهم" . انظر ما يلى ، سطر ١٦ .
(١٢) فى س "امروا" .

بجمع العسكر إلى مخيّم الأمير سلار النائب ، فكان[١] [العسكر] إذا أتوا ورأوا سنجق السلطان وعصائبَه منشورةً مضوا إليه وتركوا سلار ، فيردّهم الحُجّاب فلا يلتفت منهم أحد ، ولا يعود حتى يقف تحت السنجق السلطانى .

فبعث [سلار] إلى أمير جاندار[٢] يقول : "ما هذه الفتنة التى تريدون إثارتها فى هذا الوقت ونحن على لقاء العدو ؟ وقد بلغنا أن الأويراتية قد وافقت المماليك السلطانية على قتلنا ، وكان هذا برأيك ورأى السلطان ، وقد دفع الله عنا . فإن كان الأمر (٢٢٤[٣] ب) كذلك فنحن مماليك السلطان ومماليك [أبيه] الشهيد ، ونحن نكون فداء المسلمين ، و إن لم يكن الأمر كذلك فابعثوا إلينا غُرَماءنا" . فلما سمع السلطان هذا بكى ، وحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر ؛ وحلف أمير جاندار أيضاً وقال : "ولكن لما وقع ما وقع ظنّوا أنهم يريدون قتل السلطان و إقامة غيره" . ثم قال أمير جاندار : "إنما يريد الأمراء بهذا القول أن تَقْبِض [على] مماليك السلطان طائفة بعد أخرى حتى تتمكن من مرادها ، و إن كان السلطان ومماليكه قد شوّشوا على الأمراء فأنا آخذ السلطان ومماليكه وأسير إلى الكرك" .

فلما بلغ الأمراء ذلك عزموا أن يركبوا على أمير جاندار ، ثم توقّفوا حتى بعثوا إلى الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الأتابك — وكان على الجاليش و بينهما مرحلة — ، فلم يدخل فى شىء من ذلك ، وأوصى ألا يُتعرّض للسلطان بسوء . فرجع سلار إلى المداراة ، وركب حتى أصلح بين أمير جندار والأمراء البرجية ، وقبّلوا جميعهم الأرض للسلطان . وقبضوا على الأويراتية وعاقبوهم ، فأقرّوا بما عزموا عليه من قتل بيبرس وسلار و إعادة دولة العادل كتبغا ، فزال ما كان فى أنفس البرجية من موافقة السلطان وأمير جاندار للأويراتية .

وشُنق من الغد نحو الخمسين من الأويراتية بثيابهم وكلفاتهم[٤] ، ونودى عليهم : "هذا جزاء من يقصد إقامة الفتن بين المسلمين و يتجاسر على الملوك" . وطُلب الأمير قطلوبرس

---

(١) فى س "فكانوا" .

(٢) كان المتولى وظيفة أمير جاندار فى ذلك الوقت ، حسبما ورد فى (Zettersteén : Beiträge. P. 57.) ، ثلاثة أمراء ، وهم عز الدين الأفرم وسيف الدين بن المحفدار وبدر الدين كيكلدى المشرفى ، وليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يدل على أيهم قصد الأمير سلار برسالته الواردة بالمتن .

(٣) هذه الصفحة مرقومة فى س برقم ٢٢٥ ب .

(٤) كذا فى س ، وهى جمع كلفة . انظر ص ٨٨٣ ، سطر ١١ .

فلم يوجد ، وكان قد فرّ إلى غزة واختفى بها ، فنُهبت أثقاله كلها ؛ وأُنزل بالمصاوبين فى اليوم الرابع . فأُخذت البرجية تُغْرِى بيبرسَ ، وتُوحِشُ بينه وبين (٢٢٥ ا)[1] سلار بأنه متّفق عليه مع مماليك السلطان . فلما بلغ ذلك سلار تلطّف مع بيبرس ، واتّفقا على إرسال طائفة من المماليك السلطانية إلى الكرك ، فلم يخالفهما[2] السلطان ، فأخذا[3] منهم عدّة ممن اتّهماهم[4] بموافقة الأويراتية وحبساهم[5] بالكرك .

ثم رحل السلطان بعد عدة أيام إلى قَرَتِيَّـة[6] ، ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو ، و بعثوا القصّاد للكشف عن ذلك . وفى هذه المنزلة سالت الأودية ، وأتْلَفَ السيل كثيراً من أثقال العسكر ، وافتقر عدة منهم لذهاب جمالهم وأثقالهم ، وتشاءموا به وتطيّروا منه ، فكان الأمر كذلك . وعَقِبَ هذا السيل خَرَج جراد سدَّ الأفق بحيث حجز الأبصار عن السماء ، فزاد تطيّر العسكر ، وخشوا أن يكون منذراً بقدوم العدوّ وكسرة العسكر ، وتحدّث بذلك كل أحد حتى السوقة .

ثم وقع الرحيل فى أول ربيع الأول إلى جهة دمشق ، فدخلها السلطان يوم الجمعة ثامنه . ففى يوم السبت تاسعه قدم الجفل من حلب وغيرها إلى دمشق ، وقدم البريد من حلب وغيرها بنزول غازان على الفرات ، وأنه فى عسكر عظيم إلى الغاية ؛ فأُنفق فى العساكر لكل فارس ما بين ثلاثين ديناراً وأربعين دينارا . وقد كثر الإرجاف وتتابع وصول الناس فى الجفلة ، وشحّت أنفس الجند بإخراج النفقة فى شراء ما يحتاجون إليه ، لغلاء كل ما يباع من ذلك ، ولكثرة ما أجرى الله على الألسنة بكسرة العسكر ، ولتمكّنِ بغض الجند فى الأمراء البرجية .

وقدم البريد من حلب بمسير جاليش غازان من الفرات وعبوره ، وأن أهل الضياع

(١) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٦ ا فى س .
(٢) فى س "يخالفهم" .
(٣) فى س "فاخذوا" .
(٤) فى س "اتهموهم" .
(٥) فى س "حبسوهم" .
(٦) بغير ضبط فى س ، وهى واردة "قرتيا" فى ياقوت (معجم البلدان : ج ٤ ، ص ٥٣) ، وموقعها قرب بيت جبرين بفلسطين .

قد جفلوا عن آخرهم ؛ وقدم الأمير أسندمر كرجي متولى فتوحات سيس بعد ما أَخَذَ (٢٢٥ ب) [١] حاصل تل حمدون ، وأحضر معه صاحب سيس . فخرج عسكر دمشق ، وخرج السلطان بعده بعساكر مصر وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشره ، وسار إلى حمص فنزل عليها ، وبعث العربان لكشف الأخبار . وقد نزل التتر بالقرب من سلمية ، ولهج كلّ أحد بأن العسكر مكسور ، وأقام العسكر لابسَ السلاح ثلاثة أيام ؛ وقد غلت الأسعار .

فلما كان سحرُ يوم الأربعاء ثامن عشريه ركب السلطان بالعساكر ، وجدّ فى السير إلى الرابعة من النهار ، فظهرت طوالع التتر ؛ فنُودى عند ذلك فى العساكر أن " ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدَبُّوس [٢] " ، فألقوا رماحهم كلُّهم على الأرض . ومشوا ساعة ، ورتّبوا العساكر بمجمع المروج [٣] — ويُعرف اليوم بوادى الخزندار — ، وعدّتهم بضعة وعشرون ألف فارس ، والتتار فى نحو مائة ألف . فوقف الأمير عيسى بن مهنا وسائر العربان رأس الميمنة ، ويليهم الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بعساكر حلب وحماة ؛ ووقف فى الميسرة الأمير بدرُ الدين بكتاش أمير سلاح والأمير أقش قتّال السبع وعلم الدين سنجر وطغريل الإيغانى والحاج كرت نائب طرابلس ، فى عدة من الأمراء ؛ و [كان] فى القلب بيبرس وسلار و برلغى وقطلوبك الحاجب وأيبك الخازندار ، فى عدة من الأمراء ، و [قد] جعلوا جناحَهم المماليك السلطانية ؛ ووقف حسام الدين لاجين الأستادار [٤] مع السلطان على بُعد من اللقاء حتى لا يُعرف فيُقصد ، وقدّموا خمسمائة مملوك من الزرّاقين فى مقدّمة العساكر . وفى وقت الترتيب عَرَض للأمير بيبرس الجاشنكير حدّة و إسهال مفرط لم يتمكّن منه أن يثبت على الفرس ، فركب المحفّة واعتزل القتال ؛ وأخذ الأمير سلار

(١) هذه الصفحة مرقومة فى س برقم ٢٢٦ ب .

(٢) الدبوس آلة حربية ، وقد عرفها محيط المحيط بالآتى : " الدبوس هراوة مدملكة الرأس ، وكالإبرة من النحاس فى طرفها كتلة صغيرة " ، وقد وصفها (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . بما لا يخرج فى جوهره عن هذا التعريف ونصه :

(massue, casse-téte, longue d'environ deux pieds et terminée par une tête revêtue de fer, qui a environ trois pouces de diamétre).

(٣) يقع هذا الموضع فى وادى الخازندار ، وهو بين حماة وحمص . (ابن أبى الفضائل : كتاب النهج السديد ، ص ٤٧٠) . (٤) فى س " استادار " .

النائب (٢٢٦ ا) [١] معه الحجاب والأمراء والفقهاء ، ودار على العساكر كلّها والفقهاء تعظ الناس وتقوّى عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء .

[هذا] وغازان ثابت لم يتحرّك ، وقد تقدّم إلى أصحابه [٢] كلّهم ألاّ يتحرّك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه ، فيتحركون عند ذلك يداً واحدة . فبادر عساكرُ المسلمين للحركة ، وأشعل الزرّاقون النفط ، وحملوا على غازان فلم يتحرّك ؛ وكان فى الظّن أن غازان أيضاً يتحرّك إلى لقائهم . فمرّت خيول العساكر بقوّةِ شوطها فى العَدْو ، ثم لما طال المدى قصرت فى عَدْوها ، وخمد نار النفط . فحمل عند ذلك غازانُ بمن معه حملةً واحدة حتى اختلط بالعساكر ، بعد ما قدّم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنُّشّاب حتى أصابت سهامُهم خيولاً كثيرة ، وأُلقى الفرسان عنها . وكثرت نكاية العرب بالسّهام ، فولّى العرب أوّلاً وتبعهم جيش حلب وحماة ، فتمّت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان . وصدمت الميسرةُ ميمنةَ غازان [صدمة] فرّقت جمعها وهزمتها عن آخرها ، وقتلت منها نحو الخمسة آلاف ؛ وكُتب بذلك للسلطان — وهو معتزل فى طائفة مع الحسام الأستادار — ، فسُرَّ بذلك .

وكاد غازان أن يولّى الإدبار ، واستدعى قبجقَ نائبَ دمشق ، فشجّعه [قبجق] وثبّته [٣] حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره ؛ فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له ، وولّى سلار و بكتمر الجوكندار و برلغى وسائر الأمراء البرجية ، وركب غازان أقفيتهم حتى كانت سهامُه تصيب خوذة الفارس فتقدح ناراً .

[هذا] والسلطان معتزل ومعه الحسام ، وهو يبكى و يبتهل ويقول : " يا رب ! لا تجعلنى كعباً نحساً على المسلمين " ، ويهمّ أن يفرّ مع القوم ، فيمنعه الحسام و يقول : " ما هى كسرة ، لكنّ المسلمين قد تأخّروا " ، ولم يبق معه (٢٢٦ب) [٤] من المماليك غير اثنى عشر مملوكا .

(١) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٧ ا فى س .

(٢) فى س " اصحابهم " .

(٣) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٤ ا) أن الأمير قبجق قصد بتشجيعه لغازان أن يعرضه للهزيمة والنكال ، وهذا نص عبارته : " وكان قصده بذلك فيما قال . . . القبض على غازان عند استمرار الهزيمة بجيوشه . . . " .

(٤) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٧ ب فى س .

وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم ، فإذا الأمراء البرجية أهلُ القلب قد انكسروا والمغل فى أعقابهم فبُهِتوا . وخشى غازان من الكمناء فكفّ عن اتّباع العساكر ، وكان ذلك من لطف الله بهم ، فلو قد مرّ فى طلبهم لهلكوا من عند[1] آخرهم .

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب ، وقد غَنِم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر ، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلباً للنجاة ؛ فاشتدّ صراخ أهل حمص ، وصاحوا بالعسكر : " اللهَ اللهَ فى المسلمين ! " . وقد كلّت الخيول ، فمرّوا إلى بعلبك ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غُلّقت أبوابها ، فامتاروا منها ومرّوا فى سيرهم إلى دمشق فدخلوها يومَ السبت أوّلِ ربيع الآخر ، وقد توجّه أكثرهم على الساحل إلى مصر . فما هو إلا أن دخلوا دمشق [حتى] وَقَع الصارخ بمجىء غازان ، فخرجوا بعد نحو ساعة من قدومهم وتركوا سائر ما لهم ، وجفل أهل دمشق فَتَشَتَّتُوا فى سائر الجهات ؛ ومرّ بالعسكر من العشير والعربان أهوال ، وأخذوا[2] أكثر ما معهم نهباً وسرقة .

وقُتل فى هذه الواقعةِ الأميرُ كرت نائب طرابلس ، والأميرُ ناصر الدين محمد بن الأمير أيدمر الحلبى ، و بلبان التقوى من أمراء طرابلس ، و بيبرس الغتمى نائبُ قلعة المرقب ، وأزبك نائب بلاطنس ، و بيليك الطيار من أمراء دمشق ، ونوكاى التترى ، وأقش كرجى الحاجب ، وأقش المطروحى حاجب دمشق ، ونحو الألف من الأجناد والمماليك . وعدم قاضى القضاة حسام الدين حسن بن أحمد الرومى الحنفى قاضى الحنفية بدمشق ، وعماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الموقِّع[3] . وقُتل من (٢٢٧ ا)[4] التتار نحو أربعة عشر ألفاً .

وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص — وقت عشاء الآخرة ، وبها

(١) كذا فى س .

(٢) واو الجماعة هنا عائدة على العشير والعربان .

(٣) الموقِّع هو الذى يكتب المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى ، وكان يعرف قبلا باسم كاتب الدرج ، (انظر ص ٤٨٩ ، حاشية ٣) ، وقد غلب اسم الموقع على القائم بتلك الوظيفة زمن القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٥) .

(٤) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٨ ا فى س .

الخزائن السلطانية وأثقال العسكر ، فأخذها من الأمير ناصر الدين محمد بن الصارم ، وسار إلى دمشق بعد ما امتلأت أيدى أصحابه بأموال جليلة القدر[١] .

هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم فى وقت الظهر من يوم السبت أول و بيع الآخر ضجة عظيمة : فخرجت[٢] النساء باديات الوجوه ، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم ، وخرجوا من المدينة . فمات من الزحام فى الأبواب خلق كثير ، وانتشر الناس برؤوس الجبال وفى القرى ، وتوجّه كثير منهم إلى جهة مصر . وفى ليلة الأحد خرج أرباب السجون ، وامتدّت الأيدى لعدم من يحمى البلد .

وأصبح من بقى بالمدينة وقد اجتمعوا بمشهد علىّ من الجامع [الأموى][٣] ، و بعثوا إلى غازان [يسألون الأمان لأهل البـلد] ؛ فتوجّه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيميـة والشريف زين الدين ....[٤] بن عدنان والصاحب فخر الدين ....[٥] بن الشـيرَجى[٦] وعز الدين حمزة بن القلانسى فى جَمْع[٧] كبير من الأعيان والفقهاء والقرّاء إلى غازان فى يوم الاثنين ثالثه بعد الظهر ، فلقوه بالنَّبْك[٨] وهو سائر ، فنزلوا عن دوابّهم ومنهم من قبّل له الأرض . فوقف [غازان بفرسه] لهم ، ونزل [جماعة من] التتار عن خيولهم ، ووقف الترجمان [وتكلّم بينهم و بين غازان] ؛ فسألوا الأمان لأهل دمشـق ، وقدّموا له ما كل كانت معهم فلم يلتفت إليها ، وقال : "قد بعثتُ إليكم الأمان" ، وصرفهم ؛ فعادوا إلى المدينة بعد العصر من يوم الجمعة [سابع الشهر] ، ولم يُخْطب بها [فى هذه الجمعة] لأحد من الملوك .

---

(١) كان الذهبي مؤلف كتاب "تاريخ الإسلام" بدمشق لما دخلها غازان ، انظر (Journal Of Royal Asiatic Society. Oct. 1936. P. 596.) ، على أنه لا يوجد بالنسخة الخطية الموجودة بدار الـكتب المصرية من هذا الـكتاب (رقم ٤٢ تاريخ) أية إشارة لهذا الحادث تحت تلك السنة .

(٢) فى س "فخرج" .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٥ ب) .

(٤) بياض فى س . (٥) بياض فى س .

(٦) فى س "السيرجى" بغير ضبط . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 60) ، حيث توجد عدة أسماء زيادة على الوارد هنا بالمتن .

(٧) أورد النويرى أيضاً (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٥ ب) عدا هؤلاء أسماء كثيرين من كبراء دمشق .

(٨) بغير ضبط فى س ، وهى قرية بين حمص ودمشق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٧٣٩) .

[وكان[١] قد وصل إلى دمشق فى يوم الخميس سادس الشهر أربعة من التتار من جهة غازان ، ومعهم الشريف القمى ، وكان قد تَوَجَّه قبل توجُّه الجماعة هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غازان ، فعاد و بيده أمان لأهل دمشق] . ثم قدم فى يوم الجمعة سابعه [بعد صلاة الجمعة الأمير] إسماعيل التترى بجماعة من التتر ، ودخل المدينة يوم السبت ليقرأ الفِرْمان[٢] بالجامع . فاجتمع الناس ، وقرأ[٣] بعض العجم الواصلين مع الأمير إسماعيل الفِرمان بتأمين (٢٢٧ ب)[٤] الكافة[٥] ، وعاد إسماعيل إلى منزله بعد ما صلّى العصر .

وفى يوم الأحد أخذ أهل دمشق فى جَمْع الخيل والبغال والأموال ، فنزل غازان على دمشق يوم الاثنين عاشره ، وعاثت عساكره فى الغوطة وظاهر المدينة تنهب وتفسد ، ونزل قبجق و بكتمر السلاح دار بمن معهما فى الميدان الأخضر ؛ وامتدّت التتر إلى القدس والكرك تنهب وتأسر . وامتنع الأمير علم الدين سنجر [المنصورى[٦] المعروف باسم] أرجواش بقلعة دمشق ، وسبّ قبجق و بكتمر سبًّا قبيحاً ، و[كانا] قد تقدّما إليه وأشارا عليه بالتسليم .

وفى بكرة يوم الثلاثاء حادى عشره تقدّم الأمير إسماعيل [التترى] إلى القضاة والأعيان بالحديث مع أرجواش فى تسليم القلعة ، وأنه إن امتنع نَهَب المدينةَ ووَضع السيفَ فى الكافة . فاجتمع عالَم كبير و بعثوا إلى أرجواش فى ذلك فلم يُجب ، وتكرّرت الرسل بينهم و بينه إلى أن سبَّهم وجَبَهَهم ، وقال : " قد وَقَعَتْ إلىّ بطاقة بأن السلطان قد جمع [الجيوش[٧] بغزّة] ، وهو واصل عن قريب " ، فانصرَفوا عنه .

---

(١) عبارة المقريزى هنا مقتضبة إلى حد كبير ، ونصها : " فادا ءامان غازان ىد حضر من قبل فى ىوم الخميس سادسه ، ىم ىدم فى ىوم الجمعه سابعه اسماعيل التىرى .... " ، وقد عدّلت بالإضافات بين الأقواس من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٥ ب) .

(٢) الفرمان لفظ فارسى قديم ، ومعناه الأصلى " الأمر " ، ثم اتسع استعماله فصار مرادفا للمرسوم السلطانى (letters patent) ، أو للتقليد (diploma) . انظر (Enc. Isl. Art. Fermān) .

(٣) فى س " وقراه " .   (٤) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٨ ب فى س .

(٥) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٠ ب ، وما بعدها) نص هذا الفرمان ، وقد نقله (Quatremére : Op Cit. II. 2. PP. 151 - 155) من ذلك المرجع ، وهو وارد أيضاً فى (Zetterstéen : Op. Cit. PP. 62, et seq.) . انظر ملحق رقم ١٢ ، فى آخر هذا الجزء .

(٦) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ ب) .

(٧) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٦ ب) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد هذه الحوادث .

وفى ثانى عشره دخل الأمير قبجق إلى المدينة ، وبعث إلى أرجواش فى التسليم فلم يُجِب . وفيه كتبت (١) عدّة فرمانات إلى أرجواش من قبجق ، [ومن مقدّم من مقدّمى التتار ذكر أنه رضيع الملك غازان] ، ومِن شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن على الشيبانى وغيره ، فلم يُجِب . وأخذ الناس فى تحصين الدروب وقد اشتدّ خوفهم .

وفى يوم الجمعة رابع عشره خُطب لغازان على منبر دمشق بألقابه ، وهى : " السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان " ، وصلّى جماعةٌ من المغل الجمعة . فلما انقضت الجمعة صعد الأمير قبجق والأمير إسماعيل سـدّة المؤذنين ، وقُرِئَ على الناس تقليد (٢) قبجق بلاد الشام كلها : وهى مدينة دمشق وحلب وحماة وحمص وسائر الأعمال ، وجُعل إليه ولاية القضاة والخطباء وغيرهم . فنُثرت على (٢٢٨ ا) (٣) الناس الدنانير والدراهم ، وفرحوا بذلك فرحا كثيراً . وجلس شيخُ الشيوخ نظامُ الدين بالمدرسة العادلية ، وعتب الناس لعدم تردّدهم إليه ، ووعد بالدخول فى صلح أمورهم مع غازان ؛ وطلب الأموال وتعاظم إلى الغاية ، واستخفّ بقبجق وقال : " خمسمائة من قبجق ما يكونون (٤) فى خاتمى " . وصار [نظام الدين] يضع من قلعة دمشق ويستهين بها ، ويقول : " لو أردنا أخذها أخذناها من أول يوم " ؛ وكان لا يزال الدبّوس على كتفه ، ولم يكن فيه من أخلاق المشايخ ما يمدح به ، بل أخذ نحو الثلاثين ألف دينار برطيلا ، حتى قال فيه علاء الدين بن مظفر ابن الكندى الوداعى :

شيخُ غازان ما خلا أحد من تَجَرُّدِهْ
وغدا الكل لابسى خرقة الفقر من يدهْ (٥)

وفى خامس عشره بدأ التتر فى نهب الصالحية (٦) ، حتى أخذوا ما بالجامع والمدارس

(١) فى س " كتب " .
(٢) أورد (Quatremére : Op. Cit. II, 2, PP. 156 — 159) نص هذا التقليد ، وقد ترجمه أيضاً وشرح بعض غامضه بالفرنسية . انظر ملحق رقم ١٣ ، فى آخر هذا الجزء .
(٣) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٩ ا فى س .
(٤) فى س " ما يكونوا " .
(٥) أورد المقريزى هذين البيتين كأنهما بيت واحد فى س هكذا :
" سخ غازان ما خلا أحد من تجرده وغدا الكل لابسى حرقه الفقر من بده " .
(٦) الصالحية المقصودة هنا قرية كبيرة فى لحف جبل قاسيون ، وهى مطلة على دمشق . (ياقوت : معجم البلدان : ج ٣ ، ص ٣٦٣) .

والتُرَب من البُسط والقناديل ؛ ونبشوا على الخبايا ، فظهر لهم منها شيء كثير حتى كأنّهم كانوا يعلمون أماكنها . فمضى ابن تيمية فى جمع كبير إلى شيخ الشيوخ وشكوا ذلك ، فخرج معهم [إلى الصالحية[١]] فى ثامن عشره [ليتبيّن حقيقة الأمر] ، ففرّ التتر لمّا رأوه ؛ والتجأ أهل الصالحية إلى دمشق[٢] فى أسوأ حال . و[كان] سَبَبُ نهب الصالحيّة أن مُتَمَلّك سيس بذل فيها مالاً عظيما ، وكان قد قَصد خراب دمشق عوضاً عن بلاده ، فتعصّب الأمير قبجق ولم يمكّنه من المدينة ورسم له بالصالحية ، فتسلّمها [مُتَمَلك سيس] وأحرق المساجدَ والمدارس ، وسبي وقتل وأخرب الصالحية ؛ فبلغت عدّة من قُتل وأُسر منها تسعة آلاف وتسعمائة نفس .

ولما فرغوا من الصالحية صار التتر إلى المِزّة[٣] ودَارَيّا[٤] ، ونهبوهما وقتلوا جماعة من أهلهما . فخرج ابن تيمية فى يوم الخميس عشريه إلى غازان بتلّ راهط[٥] [ليشكوَ له ماجرى[٦] من التتار بعد أمانه] ، فلم يُمْكنه الاجتماعُ به لشغله بالسُّكْر ؛ فاجتمع بالوزير [ين] سعد الدين ورشيد الدين ، فقالا : " لا بدّ من المال " ، فانصرف .

واشتدّ الطلب للمال [على أهل دمشق ، واستمرّ الحصار] ، وتعيّن نصب المنجنيق على القلعة[٧] بالجامع ، وهيّأوا أخشابه ولم يبق إلا نَصْبه . فبلغ ذلك أرجواش ، فبعث طائفةً هجمت [على] الجامع على حمية وأفسدت[٨] ما تهيّأ فيه[٩] ؛ فأقام التتر منجنيقاً آخر

(١) أضيف مابين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص٣٢٦ب) .

(٢) فى س " المدينة " . والمقصود بذلك دمشق . انظر النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٣) بغير ضبط فى س ، وهى قرية كبيرة وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نفسها نصف فرسخ ، ويقال لها أيضاً مزة كلب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٢٢) .

(٤) تقدم التعريف بهذه القرية فى س ١١٧ (حاشية ١) .

(٥) الراجح أن المقريزى يقصد هنا مرج راهط ، وهو من نواحى دمشق . انظر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٨) .

(٦) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٦ ب) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة فى هذا الصدد .

(٧) المعنى المقصود بهذه العبارة أنه تقرر نصب المجانيق التى أحضرت لأخذ القلعة على سطح الجامع الأموى ، انظر النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٨) فى س " افسدوا " .

(٩) فى س " ميه " .

بالجامع واحترزوا عليه . واتّخذوا الجامعَ حانة (٢٢٨ ب)[1] يزنون و يلوطون و يشربون الخمر فيه ، ولم تُقَم به صلاة العشاء فى بعض الليالى ؛ ونهب التتر ما حول[2] الجامع من السُّوق . فانتُدب رجل من أهل القلعة لقتل المنجنيق ، ودخل الجامعَ والمنجنيقىُّ فى ترتيب المنجنيق والمغلُ حوله ، فهجم عليه وضَربه بسكين فقتله[3] . وكان معه جماعة تفرّقوا فى المغل يريدون قتلهم ففرّوا ، وخلص الرجل بمن معه إلى القلعة سالماً .

وأخذ أرجواش فى هدم ماحول القلعة [من العمائر[4] والبيوت ، وصيّروها دكّا لئلا يستتر العدو فى المنازلة بجدرانها] ، فأَحرق[5] ذلك كلّه وهدمه من باب النصر إلى باب الفرج ، وشمل الحرق دار الحديث الأشرفية وعدّة مدارس إلى العادلية ؛ وأُحْرِق أيضا بظاهر البلد شىء كثير ، وأُحْرِق جامع التوبة بالعقيبة وعدّة قصور وجواسق و بساتين .

واشتدَّ الأمر فى طلب المال ، وغلت الأسعار حتى أُبيعَ القمح بثلاثمائة وستين درهما الغرارة ، والشعير بمائة وثمانين درهما ، والرطل الخبز بدرهمين ، والرطل اللحم باثنى عشر درهما ، والرطل الجبن باثنى عشر درهما ، والرطل الزيت بستة دراهم ، وكل أربع بيضات بدرهم . ووُزِّعت الأموال : فقُرّر على سوق الخوّاصين[6] مائة وثلاثون ألف درهم ، وعلى سوق الرمّاحين مائة ألف درهم ، وعلى سوق [علىّ[7] مائة ألف درهم ، وعلى سوق النحاسين] ستون ألف درهم ، [وعلى قيسارية الشرب مائةُ ألف درهم ، وعلى سوق الذهبيين ألف وخمسمائة دينار] . وقُرّر على أعيان البلد [تكملة] ثلاثمائة[8] ألف دينار ، جُبيت من

(١) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢٩ ب فى س .
(٢) فى س "حوال" . (٣) فى س "قتله" .
(٤) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ أ) .
(٥) فى س "خرق" .
(٦) فى س "الحواصين" ، وقد صحح هذا اللفظ وأضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من (Zettersteen : Beiträge. p. 71) . هذا ولفظ الخواصين جمع خواص ، وهو الصانع الذى "يخوص" أى يزين الأشياء بصفائح الذهب ، (محيط المحيط) ؛ ويوجد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) معنى ثان للفظ خواص ، وهو (propriétaire) أى المالك لأرض أو عقار .
(٧) موضع هذا بياض ، يسع لفظا واحدا تقريباً فى س ، وقد أضيف ما بين الأقواس من (Zettersteen : Op. Cit. P. 71) .
(٨) فى س "اربعمايه" . وخطأ المقريزى هنا واضح من بقية العبارة ، وقد صحح إلى "ثلاثمائة" بعد مراجعة (Zettersteen : Op. Cit. p. 71) .

حساب أربعمائة ألف ؛ ورُسم على كل طائفة جماعة من المغل ، فضربوا الناس وعَصَرُوهم ، وأذاقوهم الخزى والذل . وكثر مع ذلك القتل والنهب فى ضواحى دمشق ، حتى يقال إنه قتل من الجند والفلاحين والعامة نحو المائة ألف إنسان ، فقال فى ذلك كمال الدين[1] ... ابن قاضى شهبة :

رَمَتنا صُرُوفُ الدهْرِ منها بسبعة فما أحَدٌ مِنَّا من السبع سالِمُ
غلاءٌ ، وغازان ، وغزو ، وغارة وغدر ، وإغبان ، وغمٌّ ملازِمِ

وقال الشيخ كمال الدين محمد بن على الزملكانى أيضاً :

لهفى على جِلَّقٍ يا سوء ما لَقِيَتْ من كل عِلْجٍ له فى كفره فنٌّ
بالطمِّ والرمِّ جاءوا لا عديدَ لهم فالجنّ بعضهم والحنُّ والبنُّ

(١٢٢٩)[2] وكان ما حُمل لخزانة غازان وحده على يد وجيه الدين بن المنجا مبلغ ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى السلاح والثياب والدواب والغلال ، وسوى ما نهبته التتار ؛ فإنه كان يخرج إليهم من باب شرقى[3] كل يوم أربعمائة غرارة . ورَسم غازان بأخذ الخيول والجمال ، فأخرج من المدينة زيادة على عشرين ألف حيوان . وأخَذ الأصيل بن النصير الطوسى ، مُنَجِّمُ غازان وناظرُ أوقاف التتار ، عن أجرة النظر بدمشق مائتى ألف درهم ؛ وأخذ الصفى السنجارى ، الذى تولى الاستخراج لنفسه ، مائة ألف درهم ؛ [و] هذا سوى ما استخرج للأمير قبجق والأمراء المغل ، وسوى المرتّب لغازان فى كل يوم .

فلما انتهت الجباية أقرّ غازانُ فى نيابة دمشق الأميرَ قبجق ، وفى نيابة حلب وحماة وحمص الأميرَ بكتمر السلاح دار ، وفى نيابة صفد وطرابلس والساحل الأميرَ الألبكى . وجعل مع كل واحد عدة من المغل ، وأقام مقدّما عليهم لحماية الشام قطلوشاه[4] ، وجرّد عشرين ألفا من عسكره مع أربعة من المغل بالأغوار .

(١) بياض فى س ، وقد سمى (Zetterstéen: Op. Cit. p. 73) صاحب هذه القصيدة باسم ابن قاضى صلخت .

(٢) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢١ أ فى س . انظر ص ٨٧٥ ، حاشية ٢ .

(٣) كان ذلك الباب أحد الأبواب الكبرى بدمشق . راجع (Le Strange : Pales. Under Moslems. p. 254) .

(٤) فى س " خطلوشاه " ، وبالقاف بدل الخاء فيما يلى بمتن المخطوط ، وسيدأب الناشر على إيراد هذا الاسم بالرسم المثبت بالمتن هنا بغير تنبيه . انظر (Zetterstéen; Op. Cit. p. 75) .

ورحل [غازان] فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى ، وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلا بالقصر ، وأخذ وزيرُه من أعيان دمشق بدر الدين محمد بن فضــل الله ، وعلاء الدين على بن شرف الدين محمد بن القلانسى ، وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير .

فلما كان يوم السبت ثالث عشره بعد رحيل غازان ، أمَرَ التتر الذين بدمشق أن يخرج مَن كان فى المدرسة العادلية ، فكان إذا خرج أحد أخذوا منه ما يقع اختيارُهم عليه بعد التفتيش . ثم دخلوا فكسروا أبواب البيوت ونهبوا ما فيها ، ووَقع النّهب فى المدينة فأخذوا نَحْواً مما استُخرج من الأموال أولا ؛ وأحرقوا كثيرا من الدُّور والمدارس : فاحترقت دار الحديث الأشرفية وما حولهـا ، ودار الحديث النورية ، والعادلية الصغرى وما جاورها ، والقيمرية وما جاورها إلى دار السعادة وإلى المارستان (٢٢٩[١] ب) النورى ، ومن [المدرسة] الدمّاغية إلى باب الفرج . وأخلوا ما حول القلعة ، ورِكبوا الأسطحة ليرموا بالنشاب على القلعة ، فأحرق عنــد ذلك أرجواش ما حول القلعة وخرَّبه [كما تقدّم[٢]] ، واستمر قطلوشاه مقدّمُ التتار يحاصر القلعة .

وفى تاسـع عشره قرئ بالجامع كتابُ تولية قبجق نيابة الشام ، وكتابٌ[٣] بتولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الخُتَنِى[٤] الوزارة . وفى حادى عشريه احترقت المدرسة العادلية .

فلما عدّى غازان الفرات أشار قبجق و بكتمر السـلاح دار على قطلوشاه أن يتحوّل عن دمشق إلى حلب بمن معه من التتار ، وجمع [قبجق] له مالا من الناس ؛ وسار [قطلوشاه]

(١) هذه الصفحة مرقومة برقم ٢٢١ أ فى س .

(٢) أضيف ما بين القوسين من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 74) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد تلك الحوادث .

(٣) توجد فى ذلك الكتاب الثانى ، وهو وارد فى (Zetterstéen ; Beitrāge, p. 75) ، إشارة إلى عزم غازان على العود قريباً لغزو الديار المصرية ، ونصها : إننا توجهنا إلى البلاد ، وتركنا بالشام ستين ألفا من جيشنا لحفظه ، وإننا فى فصل الخريف نرجع إلى البلاد قاصدين الديار المصرية " . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٧ أ) .

(٤) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى بلدة ختن القريبة من كاشغر بالتركستان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٣) .

فى يوم الاثنين ثانى عشرى جمادى الأولى ، وترك طائفة من التتر بدمشق ؛ وخرج قبجق لوداعه ، وعاد فى خامس عشريه ونزل بالقصر الأبلق . ونودى فى سادس عشريه ألا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة ولا يغرّر[(١)] بنفسه ، ثم نُودى بخروج أهل الضِّياع إلى ضياعهم .

وفى تاسع عشريه تحوّل الأمير قبجق إلى المدينة وأقام بهـا . وفى يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة نودى بخروج الناس إلى الصالحية وغيرها ، فخرجوا إلى أماكنهم وفُتحت الأسواق وأبواب المدينة . وفى يوم الجمعة رابعه دُقّت البشائر بالقلعة . وفى سابعه أمَّرَ قبجق جماعةً من أصحابه ، وأمَرَ بإدارة الخمّارة[(٢)] [بدار ابن جرادة] ، فظهرت الخمور والفواحش ، وضُمِنت فى كل يوم بألف درهم .

هــذا وقد نهبت التتار الأغوار حتى بلغوا إلى القدس ، وعبروا غزّة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا ، وعادوا إلى دمشق وقد أسروا خلقاً كثيراً ؛ فخرج إليهم ابن تيمية ، وما زال يحدّثهم حتى أفرجوا عن الأسرى ، ورحلوا عن دمشق يريدون بلادهم فى ثانى رجب .

وأما السلطانُ [الملك الناصر] ، فإن العساكر (٢٣٠ ا) تفرّقت عنه وقت الهزيمة ، ولم يبق معه إلا بعض خواصه والأميرين زين الدين قراجا وسيف الدين بكتمر الحسامى أمير آخور فى نفر يسير . وبالغ بكتمر مدة السفر إلى مصر فى خدمة السلطان بنفسه وماله ، [فكان يُرْكِبه[(٣)] وينزله ، ويَشدّ خيله ويشـترى لها العليق ويسقيها ، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة] ، حتى قَدم إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانى عشر ربيع الآخر .

ثم[(٤)] ترادفت العساكر [إلى الديار المصرية] شيئاً بعد شىء فى أسوأ حال ، و[كان ممن] قدم معهم الملك العادل كتبغا ، وصار يمشى فى خدمة الأمير سلار نائب السلطنة ، ويجلس بين يديه ويرمّل عليه إذا علّم على المناشير وغيرها . واتفق مع ذلك أنه لما كان

---

(١) فى س " يغر " .

(٢) فى س " الحماره " ، والمقصود حانة الخمر والفسوق ، وجمعها خمامير وخمارات ، (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وقد صحح هذا اللفظ وأضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٧ ب) .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣٧ ب) .

(٤) فى س " واب العساكر ... " ، وقد عدلت العبارة على النحو المثبت بالمتن من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٧ ب) .

[كتبغا] سلطانا نُودى على جَوْسَن[١] [للبيع] ، فبلغ [ثمنه] على بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم ، ثم عُرض على كتبغا وقيل له إنه على بيبرس بكذا ، فقال : " وهذا يصلح لذاك الخرياطى[٢] ؟ " ، وأخذ الجوسن بثمنه . فلما زالت أيامه صار الجوسن لبيبرس بعد لاجين ، فأراد نكاية كَتْبغا وأحضر الجوسن[٣] وكتبغا عنده ، ولبسه وقال له : " يا أمير ! إيش تقول ؟ يصلح هذا لى ؟ " ، فلم يفطن كتبغا لما أراد ، وقال له : " والله يا أمير ! هذا كأنه فُصِّل لك " ؛ فنظر بيبرس إلى الأمراء يشير إليهم ، فاشتدّ عجبهم من تغيّر الأحوال ، فلم يشاهَد أعجب من ذلك . وأقيم العزاء فى الناس لمن فُقد وكانوا خلقاً كثيراً .

[ثم أخذ السلطان[٤] الناصر فى التجهّز للسير إلى الشام ثانياً] ، وشرع الأمراء فى الاهتمام بأمر السفر ، وجمعوا صناع السلاح للعمل . وأخذ الوزير فى جمع الأموال للنفقة ، وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلى والبحرى ، فبلغ الفرس الذى كان يساوى ثلاثمائة[٥] درهم إلى ألف درهم ؛ وأُخذت خيول الطواحين و بغالها بالأثمان الغالية ، وطُلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك ، فأبيع ما كان بمائة بسبعمائة و بألف . ونودى بحضور الأجناد البطّالين ، فحضر خلق كثير من الصنائعية ، ونزّلوا أسماءهم فى البطالين . وفرّقت أخباز المفقودين ، ورُسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم ، ولكل من الطبلخاناه بخمسة ، ولكل من العشراوات برجلين . واستخدم جماعةٌ من الأمراء الغُزاةَ المطوعة احتسابا .

واستُدْعى مجد الدين عيسى بن الخشاب[٦] نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخْذ المال من الرعيّة للنفقة على العساكر ، فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن

(١) الجوسن لفظ فارسى ، وجمعه جواسن ، وهو درع من الجلد يلبس حول الجزء الأوسط من الجسم . (Steingass : Pers.-Eng. Dict.) .

(٢) هذه الجملة مترجمة إلى الفرنسية فى (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 165) كالآتى : "Ceci convient à ce faiseur de bourses" ، بغير علامة استفهام .

(٣) فى س " الجوشن " .

(٤) فى س " تلمام " .

(٥) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Zetterstéen : Op. Cit. P. 80) .

(٦) فى س " الحساب " . انظر ما يلى ص ٨٩٨ ، سطر ٥ .

عبد السلام للملك المظفر قطز ، بأن يؤخذ من كل إنسان دينار . فرَسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، فأبى أن يكتب بذلك ؛ فشقّ [هذا] على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء ، وشكا إليه قلّة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو ، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع ، فاحتجّ عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام[1] ، فقال : " لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائرُ الأمراء ما فى ملكهم من ذهب وفضة وحلى نسائهم وأولادهم ورآه ، وحلّف كلاًّ منهم أنه (٢٣٠ ب) لا يملك سوى هذا ، وكان ذلك غير كاف ؛ فعند ذلك كُتب بأخذ الدينار من كل واحد . وأما الآن فيبلغنى أن كلاًّ من الأمراء له مال جزيل ، وفيهم من يُجهّز بناته بالجواهر واللآلى ، و يعمل الإناء الذى يستنجى منه فى الخلاء من فضة ، و يرصّع مداس زوجته بأصناف الجواهر " ، وقام عنهم . فطُلب ناصر الدين محمد ابن الشيخى متولى القاهرة ، ورُسم له بالنظر فى أموال التجار ومياسير[2] الناس ، وأخْذِ ما يُقْدر عليه [من] كلٌّ منهم بحسب حاله .

فما أهَلَّ جمادى الأولى حتى استجدّ عسكر كبير ، وغُصّت القاهرة ومصر وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن ، ونزلوا بالقرافة وحول جامع ابن طولون وطرف الحسينية . وكان مع ذلك الرخاء فى الحبوب وسائر المأكولات ، حتى أن القمح كان يباع فى غيبة[3] العسكر كل أردب من ستة عشر درهما إلى ثمانية عشر ، والشعير بعشرة دراهم الأردب ، والفول بثمانية دراهم . فانحطّ [ذلك كله] حتى أبيع القمح من عشرة دراهم إلى ثلاثة عشر درهما الأردب ، والشعير من ثمانية دراهم إلى عشرة ، والفول مابين ستة دراهم وسبعة دراهم الأردب .

وأراد ابن الشيخى أن يَجبى من الناس كلّهم بالقاهرة وظواهرها ، ويبعثَ إلى ولاة الأقاليم بالجباية من كل أحد ، ويسمّى ما يجبى من المال مقرّر الخيالة . فاستشنع الأمراء

(١) فى س " السلم " .

(٢) الجزء الأول من هذا اللفظ غير واضح فى س ، ولكنه كامل فى ب (٢٧٨ أ) .

(٣) فى س " عيبه " .

ذلك ، فقرّر على كل أردب يباع من الغلال خروبة[١] تؤخذ من المشترى ، وأحدث نصف السمسرة : وهى عبارة [عن] أن المنادى إذا باع شيئاً من القماش أو غيره ، وأخذ دلالته عن كل مائة درهم درهمين ، فإنه يحمل الدرهم الواحد للديوان ؛ فجبى ذلك واستخدم منه نحو مائتى فارس . واعتبر حال التجار وأرباب الأموال ، وفرض على كلّ واحد من مائة دينار إلى عشرة دنانير ، فلم يدع تاجراً ولا متسبّباً ولا من يُعرف بغنى إلا وأخذ منه . وطلب من [تجار] الكارم[٢] وأعيان التجار مالاً على سبيل القرض ، فاجتمع من ذلك مال عظيم ؛ وصُرّ لكل فارس أربعون ديناراً .

وبعثوا إلى كل مقدّم ألفٍ نفقةَ مضافيه ، وإلى كلّ من نواب الشام نفقة عسكره . فانحطّ سعر الذهب ، حتى صُرف الدينار بسبعة عشر درهماً ، بعد خمسة وعشرين درهماً ونصف .

وبينا هم فى ذلك إذ ورد الخبر برحيل غازان عن دمشق ، وإقامة قبجق نائباً عنه بها ، فسُرّ الناس بذلك . وكان السلطان عند قدومه إلى مصر [قد] بعث إلى نواب القلاع الملطفات[٣] يأمرهم بحفظها ، [ويعلمهم بما هو[٤] فيه من الاهتمام وسرعة الحركة للسفر] ، فلم يتمكّن أصحاب غازان من شىء منها (١٢٣١) ؛ وكتب [السلطان] أيضاً إلى قبجق وبكتمر السلاح دار وغيرهما يدعوهم إلى الطاعة ، فعادت أجوبة قبجق وأصحابه بالامتثال .

---

(١) الخروبة — والجمع خراريب — قطعة صغيرة من النقود النحاسية ، وكانت قيمتها عشر درهم : (nom d'une trés petite monnaie de cuivre, pièce de trois centimes ..... $\frac{1}{10}$ dirhem) انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . والخروبة أيضاً مكيال ، وهو من المكاييل المستعملة فى مصر فى العصر الحاضر ، ولعل المعنى الأول هو المقصود هنا .

(٢) المقصود بهذا اللفظ — ويقال أيضاً الكارمية والأكارم ، ومفرده كارمى — فئة التجار الذين كانت بيدهم تجارة البهار الوارد إلى مصر من الهند عن طريق ثغور اليمن ؛ وكان معظمهم فى الأصل من أهل بلاد الكانم الإسلامية ، التى تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد بالسودان الغربى ، فنسبوا إلى أصلهم الجغرافى بعد تحريفه إلى "الكارم" ، ثم أطلق ذلك اللفظ على جميع من مارس تلك التجارة بمصر . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وكذلك القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦١ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ؛ ج ٤ ، ص ٣٢ حاشية ١ ؛ ج ٥ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١) . راجع أيضاً : (G.-Demombynes : Op. Cit. Introd. P. LXXIV. N. 3) ، وكذلك (Heyd : Hist. Du Commerce. II. p. 59.) .

(٣) كذا فى س ، وفى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى عدا القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٧ ، ٢١٨ ، وما بعدها) حيث سمى هذا النوع من الرسائل باسم الملطفات .

(٤) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٧ ب — ٣٢٨ أ) .

وبلغ من تأخّر فى بلاد الشام من التتار حركةُ السلطان ، فاشتدّ خوفهم ؛ وخرج قبجق بمن معه يريد مصر فى نصف رجب ، فسار التتار من دمشق . واستولى الأمير أرجواش على المدينة مع القلعة ، وأعاد الخطبة باسم السلطان فى يوم الجمعة سابع عشره بعد انقطاعها مائة يوم ؛ وأبطل فيه ما تجدّد من المنكرات ، وأغلق الخمارات وأراق الخمور وشقّ ظروفها[1] على يد ابن تيمية .

وعندما تكمّلت النفقة على العساكر نودى بالقاهرة ومصر بالسفر ، ومن تأخّر شُنق ؛ ورُسم أن يكون سعر الدينار عشرين درهما . وخرج السلطان فى تاسع رجب فسار إلى الصالحية ، وقدمت [إليه] كتب الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى بقدومهم صحبة عز الدين حمزة [بن[2]] القلانسى والشريف ابن عدنان ؛ فأقام السلطان بالصالحية .

وسار الأميران[3] سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير الأستادار بالعساكر إلى دمشق فى ثانى عشرى رجب ، فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة[4] وعسقلان ، فترجّل كلّ منهم لصاحبه وتباكوا . وأُنزِلوا ورُتّب لهم ما يليق بهم ، وأمروا بالتوجه إلى السلطان ؛ وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق . فقدم قبجق بمن معه إلى الصالحية فى عاشر شعبان ، فركب السلطان إلى لقائهم ، وبالغ فى إكرامهم والإحسان إليهم ، وأنزلهم ؛ ثم سار بهم إلى قلعة الجبل فقدمها فى رابع عشره .

ودخل الأمير جمال الدين أقش الأفرم إلى دمشق فى يوم السبت عاشر شعبان . وفى حادى عشره قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصورى نائب حلب بعساكرها[5] ، وقد استقرّ عوضا عن بلبان الطباخى ، واستقرّ (٢٣١ ب) الطباخى من أمراء مصر بالخدمة السلطانية على إقطاع آقسنقر كرتاى بعد موته . ودخل الأمير اسندمر كرجى نائب الفتوحات الطرابلسية بعساكرها ، وقد استقر عوضا عن الأمير قطلوبك . وفى ثانى عشره قدمت ميسرة العساكر

(١) الظروف جمع ظرف ، وهو الوعاء وكل ما يستقر فيه غيره . (محيط المحيط) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٥ ب) .

(٣) فى س " الامرن " .

(٤) عين النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٨ أ) ، وبيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢١٨ ب) مكان هذه المقابلة ، وهى منزلة سكرير . (انظر ص ٨٢٢ ، سطر ١٢) .

(٥) فوق هذا اللفظ إشارة إلى لَحَق بهامش الصفحة فى س ، ونصه " الى دمشق " ، وقد أهمل لعدم حاجة المتن إليه .

المصرية ، ومقدّمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح . وفى ثالث عشره قدمت ميمنة العساكر المصرية ، مع الأمير حسام الدين لاجين أستادار . وفى رابع عشره قدم الأمير سلار النائب والمماليك السلطانية ، والملك العادل كتبغا — وقد استقرّ فى نيابة حماة عوضا عن قرا سنقر المنتقل لنيابة حلب — ، والأمير كراى المنصورى المستقرّ فى نيابة صفد .

ونزل الأمير سلار بالميدان ، [وجلس [1] فى دار العدل بحضور الأمراء والقضاة] ، وخلع على الصاحب عز الدين حمزة [بن] القلانسى . وفى خامس عشره وَلّى [سلار] قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة قضاء دمشق ، عوضا عن إمام الدين عمر بن سعد الدين [الكرجى [2]] القزوينى [القونوى] بعد وفاته . وفى حادى عشريه ولى [قاضى القضاة] شمس الدين محمد بن صفى الدين الحريرى [3] [قضاء الحنفية] ؛ وولى [الأمير سيف الدين] أقجبا [4] المنصورى شدّ الدواوين ؛ وولى عز الدين أيبك النجيبى برّ دمشق ؛ وولى أمين الدين يوسف الرومى ، إمام المنصور لاجين ، حسبة دمشق ؛ وولى تاج الدين ... [5] ابن الشيرازى نظر الدواوين .

وسيّر [سلار] عسكراً إلى حلب ، فطرقها على غفلة ، وأوقع بمن فيها من أصحاب غازان وقتلهم ؛ فلم يفلت منهم إلا القليل ، ولحقوا بغازان وعرّفوه غدر قبجق بهم .

وتوجّه الملك العادل كتبغا إلى حماة ، بعدما كان يركب فى دمشق بخدمة الأمير سلار ، ويجلس بين يديه كما كان يفعل بالقاهرة ، فشاهد الناس من ذلك مافيه أعظم عبرة . وقدم [كتبغا] حماة فى رابع عشرى شعبان ، واستقرّ كل نائب فى مملكته .

وكان السعر بدمشق غاليا ، فانحطّت الغرارة القمح من ثلاثمائة درهم إلى مائة (٢٣٢ ا) وخمسين ، وأبيع اللحم الضأن بدرهمين الرطل الدمشقى . وتتبّع [الأميرُ جمال الدين أقش [6]

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٨ ا) ، وكذلك (Zettersteen : Op. Cit. p. 80) .

(٢) موضع هـذا اللفظ بياض فى س ، انظر الحاشية السابقة .

(٣) فى س " الجريرى " .

(٤) فى س " اجبا " . انظر (Zetterestéen : Op. Cit. p. 143) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٨ ب) .

(٥) بياض فى س .

(٦) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٨ ب) .

الأفرم نائبُ السلطنة بالشام] من كان بدمشق من المفسدين ، الذين تولّوا استخراج المال فى أيام غازان من الناس ، والذين دَلّوا على عورات الناس . فسَمّر بعضهم ، وشَنق بعضهم ، وقطّع أيدى جماعة وأرجلهم ، ومن المفسدين من قُطع لسانه وكُحل فمات من يومه .

وخلع [سلار] على الأمير أرجواش نائب القلعة ، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم . وطُلبت مشايخ قيس ويمن من العشير والعربان ، وأُلزموا بإحضار ما أُخذ من العسكر وأهل البلاد فى توجّههم إلى مصر وقت الجفلة . وكان غازان لما أخذ البلاد وعاد إلى الشرق طمع الأرمن فى البلاد التى افتتحها المسلمون ، وأخذوا تل حمدون وغيرها .

فلما استقرّت الأحوال ببلاد الشام خرج الأميران[1] بيبرس وسلار بعسكر مصر من دمشق يوم السبت ثامن شهر رمضان يريدان[2] مصر ، فوصلا قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد ما ركب السلطان إلى لقائهم ، وكان يوما مشهوداً .

وعندما استقرّ الأمراء ، سأل الأميرُ قبجق أن يُنعم عليه بنيابة الشوبك ، فأجيب إلى ذلك وخُلع عليه . وأُنعم على الأمير بكتمر السلاح دار بإمرة مائة بديار مصر ، وعلى الأمير فارس الدين ألبكى الساقى بإمرة مائة بدمشق .

وفى عشرى شوال تَوَجّه الأمير أقش الأفرم من دمشق لغزو الدُّرْزِيّة[3] أهل جبال

(١) فى س "الاميرن" .

(٢) فى ص "يريدون" .

(٣) الدرزية — أو الدروز — إحدى فئات أهل لبنان ، وهم منتشرون أيضا فى جبل كسروان المتصل بسلسلة جبال لبنان ؛ ويوجد الدروز أيضاً حول دمشق ، وفى جبال حوران ، واسمهم مشتق من درزى ، أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بألوهية الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى . وكان درزى من أصل فارسى ، واسمه محمد بن إسماعيل ، وقد جاء إلى مصر سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، ودخل خدمة الحاكم بأمر الله ، وهو أول من أعلن ألوهية ذلك الخليفة ، على أن أول من قال بهذه الفكرة حمزة بن على الزوزنى اللبّاد ، وقد نسج درزى حول ذلك مذهباً جديداً ، جعل سداه ولحمته المبادئ الباطنية ، وألّف فى ذلك كتابا قرأه بالجامع الأزهر بالقاهرة ، فأحدث ضجة بين الناس . وقد اضطر درزى إلى الخروج من مصر بسبب ذلك ، فلجأ إلى جبال لبنان حيث أخذ ينشر مذهبه ، فبقى هناك حتى مات سنة ٤١٠ هـ (١٠٢٠ م) . والدروز يعدون أنفسهم فرقة إسلامية ، وليس لهم أمكنة معينة للعبادة ، بل لهم خلوات يجتمعون فيها من يوم الخميس إلى الجمعة من كل أسبوع ، وهم يعتقدون فى تقمص الأرواح (metempsychosis) ، ويقولون إن الخيّرين من الناس يرجعون إلى هذه الدنيا أطفالا والشرّيرين كلابا ، ومن معتقداتهم أيضا أن الله قد حلّ بصفاته فى الإنسان من القدم ، فحلّ فى آدم وفى جميع الأنبياء إلى محمد ، ثم فى سلالة محمد حتى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله . (Enc. Isl. Arts. Druzes, Darazi, Hamza.) .

كسروان ، فإن ضررهم اشتدّ ، ونال العسكرَ عند انهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد . ولَقِيَهُ نائب صفد بعسكره ، ونائب حماة ونائب حمص ونائب طرابلس بعساكرهم . فاستعدّوا لقتالهم ، وامتنعوا بجبلهم وهو صعب المرتقى ، وصاروا فى نحو اثنى عشر ألف رام . فزحفت العساكر [السلطانية] عليهم ، فلم تُطِقْهم وجرح كثير (٢٣٢ ب) منهم ؛ فافترقت العساكر عليهم من عدة جهات ، وقاتلوهم ستة أيام قتالا شديداً إلى الغاية ، فلم يثبت أهل الجبال وانهزموا . وصعد العسكر الجبل بعدما قَتَل منهم وأَسَر[(١)] خلقا كثيراً ، ووَضع السيفَ فيهم ؛ فألقوا السلاح ونادوا " الأمان ! " ، فكفّوا عن قتالهم . واستدعوا مشايخهم وألزموهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة ، فأحضروا من السلاح والقماش شيئا كثيراً ، وحلفوا أنهم لم يخفوا شيئا . فقرّر عليهم الأمير أقش الأفرم مبلغ مائة ألف درهم جَبَوْها ، وأخذ عِدّةً من مشايخهم وأكابرهم ، وعاد إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذى القعدة ، و بعث البريد بالخبر إلى السلطان .

وألزم [الأميرُ أقش الأفرم[(٢)]] أهـلَ دمشق بتعليق السلاح فى الحوانيت وملازمة الرمى بالنشاب ، ونودى بذلك . وألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فقهاء دمشق بذلك ، وجلس لعرض الناس فى حادى عشريه ، وعرض الـكافة طائفةً بعد طائفة من الأشراف والفقهاء وأهل الأسواق ؛ وقدّم على أهل الأسواق رجالا يلى كلّ رجل سوقا . وتَتَبَّع الناسُ بديار بكر التترَ ، فقتلوا منهم خلقا كثيراً .

ولم تخرج هذه السنة إلا وأهل دمشق فى فقر مدقع ، وفى ذلك يقول علاء الدين على ابن مظفر الوداعى :

أمّا دمشق فأهلها قد أصبحوا   بَكْرِية[(٣)] جعلوا التسنّن[(٤)] مذهبا
سرًّا وجهراً أنفقوا أموالهم   حتى تجلّل كل شخص بالغبا

(١) فى س " اسروا " .
(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٨ ب) .
(٣) مضبوط هكذا فى س .
(٤) كذا فى س .

وقال :

ما لبست الصوف من عبث ولا الخُلقان مجانا
إنه زى لمن هو من فقراء الشيخ غازانا

وذهب لأهل مصر مال كثير فى حركة غازان ، إلا أنهم لسَعة أحوالهم لم يبالوا بذلك .

(٢٣٣ أ) ومات فى هــذه السنة ممن له ذكر علاء الدين الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز الشافعى ؛ درّس بالكهارية[1] والقطبية[2] من القاهرة ، وولى الحسبة ، وكان أديباً فصيحاً جميلا فيه مكارم ومروءة ، لطيفَ المزاح بسّاما شهماً جزلا ، حَجّ ودخل اليمن مرارا ؛ ومن شعره فى مليح سبح فى النيل وتلطّخ بالتراب :

ومترّبٍ لولا الترابُ بجسمه لم تبصرِ الأبصارُ منه منظرا
فكأنّه بدرٌ عليــه سحابةٌ والتربَ ليل من سناه أقمرا

وقال دو بيت[3] :

فى السمر معانٍ لا ترى فى البيضِ تالله لقــــد نصحت فى تعريض
ما الشهد إذا أُطعمته كاللبنِ يكفى فطنا محاسن التعريض

و[مات] شهاب الدين أحمد بن الفرج بن أحمد اللّخمى الإشبيلى ، ولد سـنة خمس

(١) موضع هذه المدرسة بدرب الكهارى بالقاهرة ، وهو بجوار حارة الجودرية ، ويسلك إليه من القماحين . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ٣٧٣ ، وما بعدها) .

(٢) جاء بالمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦٨) عن هذه المدرسة ما نصه : "هــذه المدرسة فى أول حارة زويلة برحبة كوكاى ، عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار إقبال العلائى ، [وهى] ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد وإليه نسبت . وكانت ولادتها فى سنة ثلاث وستمائة ، ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة . وكانت قد سمعت الحديث ، وخرّج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانيات حدّثت بها ؛ وكانت عاقلة دينة فصيحة ، لها أدب وصدقات كثيرة ، وتركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ، ويشترى لها وقف يُغلّ . فبنيت هــذه المدرسة ، وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء ، وهى إلى اليوم عامرة". هذا وقد كرّر المقريزى (نفس المرجع والجزء ، ص ٣٩١) ذكر هذه المدرســة فى عبارة أقصر من السالفة ، على أنه زاد فيها أن وقفها عمل سنة خمس وستمائة .

(٣) كذا فى س ، وبقرب الدال نقطة .

وعشرين وستمائة ، وتفقّه على ابن عبد السلام بدمشق ؛ وكان شافعيا ، وله قصيد فى علم الحديث . و[مات] الأمير صارم الدين أزبك نائب قلعة بلاطنس ، استشهد فى نوبة غازان على حمص ، فى ثامن عشرى ربيع الأول . و[مات] الأمير أقش كرجى المطروحى الحاجب . و[مات] الأمير آقسنقر كرتاى أحد أمراء الألوف . و[مات] الأمير بلبان التقوى ، أحد أمراء طرابلس . وتوفى كاتب السر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبى ، بعد ما صُرف . و[مات] الفقير المعتقد بدر الدين أبو على الحسن بن عضد الدولة أبى الحسن علىّ أخى المتوكّل على الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن هُوْد فى شعبان ، ومولده بمُرْسِيَة[1] سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ؛ كان أبوه نائبَ السلطنة بها عن المتوكّل ، فتزَهّد هو وحجّ وسكن دمشق ، وكانت له أحوال عجيبة . و[مات] بيبرس الغتمى ، نائبُ حصن المرقب . و[مات] بكتاش المنصورى الطيار ، أحد أمراء دمشق . و[مات] ناصر الدين محمد بن أيدمر الحلبى ، أحدُ أمراء مصر . و[مات] نوكاى بن بيان[2] التترى أبو خوند منكبك امرأة الصالح علىّ بن قلاون ، وأبو خوند أردكين امرأة الأشرف خليل . و[مات] علاء الدين على بن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبرى . و[مات] الأمير ناصر الدين محمد بن الحلى[3] . [وهؤلاء] استشهدوا بوقعة حمص ، ما بين قتيل فى المعركة ومجروحٍ مات من جراحته بعد ذلك . ومات الطواشى حسام الدين بلال[4] المغيثى الجلالى ، بمنزلة السوادة فى تاسع ربيع الآخر ؛ فدفن بقطيا ، ثم نقل إلى تربته بالقرافة ؛ وكان خيّراً ديّنا . و[مات] الأمير سيف الدين جاغان الحسامى ، بأرض البلقاء . و[مات] الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بحصن الأكراد ، فى ثالث رجب . و[توفى] قاضى القضاة إمام الدين عمر بن سعد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى ، قاضى قضاة دمشق ، بالقاهرة

(١) بغير ضبط فى س ، وهى مدينة بالأندلس (Murcia) . انظر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٧) .

(٢) فى س " بيان " .

(٣) كذا فى س ، ويلاحظ أن من وفيات هذه السنة ناصر الدين آخر اسمه الحلبى ، انظر سطر ١١ .

(٤) فى س " ملال " ، انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٩ ب) .

فى يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الآخر . و [مات] تاج الدين [أبو محمد[١]] عبد الوهاب ابن [أبى عبد الله] محمد بن عبد الدائم [ابن منجا بن على] البكرى [التيمى القرشى] النويرى ، فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة ، وهو والد الشهاب أحمد النويرى المؤرخ الكاتب . ومات شمس الدين (٢٣٣ ب) محمد بن صدر الدين سليمان بن أبى العز وهيب الدمشقى الحنفى ، بدمشق فى . . .[٢] . و [مات] حسام الدين أبو الفضائل حسن بن تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن حسن بن أنوشروان الرومى ، قاضى القضاة الحنفيّة بالقاهرة ومصر ودمشق ، فُقِدَ من الصفّ على حمص يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول ، فلم يُعرف له خبر ، وعمره نحو السبعين سنة . و [مات] الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلى مشنوقا بدمشق ، ظُفر به بعد هروبه . و [مات] شرف الدين أبو محمد الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمى ، عُرف بابن الصيرفى ، فى خامس عشرى ذى الحجة ، وهو فى عَشْر التسعين .

***

سنة سبعمائة . أهلّت هذه السنة وقد ورد الخبر بحركة غازان إلى بلاد الشام ، فوقع الاهتمام بالسفر . واستدعى [السلطان] الوزيرَ شمس الدين سنقر الأعسر والأميرَ ناصر الدين محمد بن الشيخى والى القاهرة ، وأُمرا باستخراج الأموال من الناس ؛ وكُتب إلى الشام بذلك . فشرعا فى الاستخراج ، وأُلزم أربابُ العقارات والأغنياء بمال تقرّر على كلّ منهم ؛ وجلسا بدار العدل تحت القلعة حيث الطبلخاناه الآن ، والناس تَحمل المال أولا بأول ، حتى أخذا مائة ألف دينار جُبيت من القاهرة ومصر والوجهين القبلى والبحرى ،

(١) أضيف ما بين الأقواس من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٨ ب ، وما بعدها) ، حيث ورد زيادة عما هنا أيضا مانصه : "وكانت وفاته رحمه الله قبل أذان المغرب بالمدرسة الصالحية النجمية بقاعة التدريس المالكية ، وكان ابتداء مرضه (٣٢٩ ا) فى يوم الأربعاء الرابع عشر من الشهر ، ومولده بمصر بالمدرسة المعروفة بمنازل العز فى سنة ثمان (فى الأصل ثمانيه) عشرة وستمائة . ومات رحمه الله ولم تفته صلاة ، ولقد توضأ لصلاة العصر من يوم وفاته أربع مرات ، وكان به ذرب ، ثم صلى صلاة العصر جالسا ومات قبل صلاة المغرب من يومه ؛ وكان آخر كلامه ، بعد أن دعا الله تعالى لى بخير ، التلفظ بالشهادتين ؛ ثم قبض رحمه الله تعالى ، ودفن من الغد فى يوم الجمعة الثالثة من النهار ، بتربة قاضى القضاة زين الدين المالكى بالقرافة ، رحمه الله تعالى وإيانا" .

(٢) بياض فى س .

فنزل بالناس ضرر عظيم . وطُلب من شهود القاهرة ومصر الجالسين بالحوانيت [مبلغ] أربعين ديناراً من كل عاقد ، وعشرين ديناراً من كل شاهد ؛ فقام فى أمرهم قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى حتى أُعفوا منه . وانطلقت الألسن بالشام ومصر فى حقّ أهل الدولة ، واستخفّ العامة بالأجناد ، وأكثروا من قولهم للجند : " بالأمس كنتم هاربين ، واليوم تريدون[1] أخْذ أموالنا " ؛ فإنْ أجابهم الجندى قالوا له : " لِمَ لا كانت هذه الحُرْمة فى المغل الذين فعلوا بكم كيت وكيت ، وهربتم منهم ؟ " . فلما فَحُش أمر العامة فى تجرّيهم على الأجناد ، نودى فى القاهرة ومصر : " أىّ عامىّ تكلم مع جندى كانت روحه وماله للسلطان " .

واستُخرِج من دمشق أجرة الأملاك والأوقاف لأربعة أشهر ، فأُخذ ذلك من سائر ما فى المدينة وضواحيها ؛ وأُخذ من الضياع عن كل مَدْى[2] ستةُ دراهم وثلثا درهم ، والمَدْىُ [أربعون ذراعاً فى مثلها ، و] تكسيره[3] ألف وستمائة ذراع [بذراع[4] العمل] ؛ وطُلب من الفلاحين نظير مَغَلّ سنة ثمان وتسعين ، وأُخذ من الأغنياء ثلث أموالهم . فنزلت بالناس شدائد ، وقطّعوا الأشجار المثمرة وباعوها حطبا ، حتى أُبيع القنطار الحطب الدمشقى بثلاثة دراهم ، يخرج منها فى أجرة قطعه درهم ونصف . فخربت الغوطة من ذلك ، وفرّ كثير من الناس إلى مصر .

فلما جُبيت الأموال (١٢٣٤) بدمشق استخدم [السلطان] عدة ثمانمائة من التركمان والأكراد ، ودفع لكل واحد ستمائة درهم ؛ فهرب أكثرهم [لما علموا بعبور[5] التتار الفراتَ ، وذهب المال] ولم يُجْد نفعا .

---

(١) فى س " يريدوا " .

(٢) المدى هنا مقياس ، كما يتضح مما يلى بنفس السطر ، وقد أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج٢٩ ، ص٣٢٩ ا) . انظر أيضاً (محيط المحيط ؛ Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) التكسير هنا عملية الضرب فى الحساب ، وقد ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٤٦) ، فى باب مقاييس الأرض الزراعية وغيرها ، أن " كل أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفدان ، وهو أربعة وعشرون قيراطا ، كل قيراط ست عشرة قصبة فى التكسير " .

(٤) المقصود بذراع العمل مقياس معين ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السواد بالعراق ، وطوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٤٤٦) .

(٥) أضيف ما بين القوسين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 83) .

واستخدَم [السلطان] بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم . ونزل الأمراء فى الخيم بميدان القبق لعرض العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تُعتبر أحوالهم ، وعرضوا فى كل يوم عشرة متقدّمين من الحلقة بمضافيهم فقطعوا يسيرا منهم ، ثم أبقوا (١) الجميع لمّا داَجَى (٢) عليهم المقدّمون فى أمر الجند حتى أقرّوا من هو دخيل فيهم . وأنْهَوا العرض فى عشرين يوما ، ورُميت الإقامات . [هـذا] وقد امتلأت أرض مصر بالجفلى من البلاد الشامية ، ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع القمح بعد عشرين درهما الأردب بخمسة عشر .

وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة ، وتلاحقت به الأمراء والعساكر ؛ فسار إلى غزة وأقام بها يومين . فورد الخبر بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية ، وقد جفل الناس بين يديه . وخلت بلاد حلب وفرّ قراسنقر نائبها إلى حماة ، و برز كتبغا نائب حماة ظاهرها فى ثانى عشرى ربيع الأول ، ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة .

[وأمر السلطانُ (٣) الجيوش بالمسير من غزة] ، فوقع الرحيل إلى العوجاء . وأصاب العسكر فيها شدائد من الأمطار التى توالت أحدا (٤) وأربعين يوما حتى عدم فيها الواصل واشتدّ الغلاء . وأضعف البرد الدواب والغلمان ، و بلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما ، والعليقة الشعير ثلاثة دراهم ، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم ، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم . وعقب المطر سيلٌ عظيم أتلف معظم الأثقال ، ومات جماعة من الغلمان وأربعة من الجند لشدة البرد . ثم وقع الرحيل فى الأوحال العظيمة .

فقدم البريد من حلب بأن غازان توجّه من جبال أنطاكية إلى جبال السُّماق (٥) ،

(١) فى س " وابقوا " .

(٢) فى س " داجا " ، ومعنى فعل داجى هنا " دارى " ، فيقال " داجاه مداجاة داراه . . . ، كأنه ساتره بالعداوة ونافقه . وداجى فلانا منعه متعا ليس بالجافى ولا اللين " . (محيط المحيط) .

(٣) أضيف مابين القوسين بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٩ أ ، ومابعدها) .

(٤) فى س " احد " .

(٥) بغير ضبط فى س ، وهى حسبما ورد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١) سلسلة مرتفعات عظيمة بجهات حلب ، تشـتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع للإسماعيلية ؛ وقيل إنها سميت بذلك الاسم لـكثرة ما ينبت بها من السماق ، وهو شجر يشبه الرمان طولا ، يحمل عناقيد حمراء ذات حب صغير شديد الحموضة . (محيط المحيط) .

و [أنه] عاد على قرون حماة وشيزر (٢٣٤ب) ، فنهَب وسبى عالمـا عظيما ، وأخذ مالاً كبيراً من المواشى وغيرها ؛ و [أنه] قصد التوجّه إلى دمشق ، فأرسل الله عليه ثلوجا وأمطاراً لم يعهد مثلها ، ووقع فى خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جُشّار[1] غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفى فرس ، و بقى معظم عساكره بغير خيول ، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضا ؛ وأن غازان خاض الفرات فى حادى عشر جمادى الأولى ، فسُرّ الناس سروراً عظيما .

وسار الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار بمضافيه ، والأمير بهاء الدين يعقوبا بمضافيه ، إلى حلب فى ألفى فارس ، لتكون[2] السمعة وتطمئن أهل البلاد ؛ وعاد السلطان ببقية العساكر إلى مصر فى سلخ ربيع الآخر . واستقرّ الأمير سيف الدين بدخاص فى نيابة صفد ، عوضا عن كراى لاستعفائه منها ؛ وأُنعم على كراى بإقطاع الأمير بلبان الطباخى بعد موته ؛ واستقرّ بلبان الجوكندار حاجبُ دمشق شادَّ الدواوين بهـا . فقدم العسكر إلى دمشق فى سابع جمادى الأولى ، وقدم السلطان قلعة الجبل فى يوم الاثنين حادى عشره .

وكان الناس لما بلغهم بدمشق عودُ السلطان إلى مصر اشتدّ خوفهم ، وخرج معظمهم يريدون القاهرة ؛ ونودى بدمشق فى تاسع جمادى الأولى : " من أقام بدمشق بعد هذا النداء فدمُه فى عنقه ، ومن عجز عن السَّفر فليتحصّن بقلعة دمشق " ، فخرج بقية الناس على وجوههم . وغلت الأسعار بدمشق حتى أبيعت الغرارة القمح بثلاثمائة درهم ، والرطل اللحم بتسعة دراهم ؛ فلما خرج الجفل نزلت الغرارة إلى مائتى درهم . وفى جمادى الآخرة كثُر الإرجاف بعود التتر ، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها ونزحوا إلى مصر .

وفى رجب كانت وقعةُ (٢٣٥ ا) أهل الذمة : وهى أنهم كانوا قد تزايد ترَفُهم بالقاهرة ومصر ، وتفنّنوا فى ركوب الخيل المسوّمة والبغلات الرائعة بالحلى الفاخرة ، ولبسوا الثياب السَرِية ، وولوا الأعمـال الجليلة . فاتّفق قدوم وزير ملك المغرب[3] يريد الحج ، واجتمع

---

(١) الجشار هنا — وجمعه جشارات وجشير ، ويقال الدشار أيضا — الخيل والأبقار التى تساق مع الجيش . " des cheveux et de boeufs qui sont habitullement au pacage, sans retourner à l'ècurie pendant la nuit. " انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) فى س " لتكون السمعه وتطمين اهل البلاد " .

(٣) المقصود بملك المغرب هنا ، حسبما ذكر (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 301) =

بالسلطان والأمراء ؛ وبينا هو تحت القلعة إذا برجل راكب فرسا وحوله عدّة من الناس مشاة فى ركابه ، يتضرّعون له ويسألونه ويقبّلون رجليه ، وهو مُعْرِض عنهم لايعبأ بهم ، بل ينهرهم ويصيح فى غلمانه بطردهم . فقيل للمغربى إن هذا الراكب نصرانى فشقّ عليه ، واجتمع بالأميرين بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه ، وأنكر ذلك وبكى بكاء كثيراً ، وشنع فى أمر النصارى وقال : " كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض ، وتُذلّ المسلمين وتمشيهم فى خدمتهم ؟ " ، وأطال القولَ فى الإنكار ومايلزم ولاةَ الأمور من إهنة الذمة وتغيير زيهم . فأثّر كلامه فى نفوس الأمراء ، [فرُسِم أن[1] يُعقد مجلس بحضور الحكام] ، واستُدعيت القضاة والفقهاء ، وطُلب بطرك[2] النصارى ، وبرز مرسوم السلطان بحَمل أهل الذمة على ما يقتضيه الشرع المحمّدى . فاجتمع القضاة بالمدرسة الصالحية بين القصرين ، ونُدب لذلك من بينهم قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى ؛ وطُلب بطرك النصارى ، و[جماعة من] أساقفتهم [وأكابر قسيسيهم وأعيان ملّتهم] ، وديّان[3] اليهود [وأكابر ملتهم ؛ وسئلوا عما أُقِرّوا عليه فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عقد الذمة ، فلم يأتوا عن ذلك بجواب] . وطال الكلام معهم إلى أن استقرّ الحال على أن النصارى تتميّز بلبس العمائم الزرق ، واليهود بلبس العمائم الصفر ؛ ومُنعوا من ركوب الخيل والبغال ، ومن كلّ ما منعهم منه الشارع صلى الله عليه وسلم ، وأُلزموا بما شَرَطَهُ عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢٣٥ ب) رضى الله عنه . فالتزموا ذلك ، وأشْهَدَ عليه البترك أنه حرّم على جميع النصرانية مخالفة ذلك والعدول عنه ، وقال رئيس اليهود وديانهم : " أوْقَعْتُ الكلمة على سائر اليهود فى

= ملك مراكش ، وهو فى تلك السنة أبوفارس المتوكل . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. p. 58) .

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٩ ب ، وما بعدها) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 84, et seq) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة فى هذا الصدد .

(٢) المقصود بالنصارى هنا طائفة القبط من المصريين ، وكان بطركهم تلك السنة حنا الثامن (John VIII) . انظر (Butcher : Op. Cit. II. P. 184.) .

(٣) الديان الرئيس الدينى ، وهو معرب اللفظ الإسبانى (dean) ، المشتق من الكلمة اللاتينية (decanus) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

مخالفة ذلك والخروج[1] عنه ". وانفضّ المجلس ، وطولع السلطان والأمراء بمـا وقع ، فكُتب إلى أعمال مصر والشام به .

ولمـا كان يوم خميس[2] العهد ، وهو العشرون من شهر رجب : جُمِـع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرهما ، ورُسم ألا يُستخدم أحد منهم بديوان السلطان ولا بدواوين الأمراء ، وألا[3] يركبوا خيلا ولا بغالا ، وأن يلتزموا سائر ماشُرط عليهم . ونودى بذلك فى القاهرة ومصر ، وهُـدّد من خالفه بسفك دمه . فانحصر النصارى من ذلك ، وسعوا بالأموال فى إبطال ماتقرّر ؛ فقام الأمير بيبرس الجاشنـكير فى إمضاء ما ذُكِر قياما محموداً ، وصمّم تصميما زائداً . فاضطر الحال النصارى إلى الإذعان ، وأسلم أمين الملك عبد الله بن العنام[4] مستوفى الصحبة وخلقٌ كثير ، حرصا منهم على بقاء رياستهم ، وأنفةً من لبس العمائم الزرق وركوب الحمير . وخرج البريد بحمل النصارى واليهود فيما بين دمقلة من النوبة والفرات على ما تقدّم ذكره .

(١) عبارة النويرى بهذا الصدد (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣٠ أ) أطول وأكثر وضوحا ، وقد رؤى إثباتها هنا كاملة لمعرفة جميع الشروط التى فرضت على أهل الذمة حين ذاك ، ونصها : "وبحث الفقهاء فى ذلك ، فاقتضت المباحث الشريفة بين العلماء أن يميز النصارى بلبس العمائم الزرق غير الشعرى (كذا) ، واليهود بلبس العمائم الصفر ، وتميز نساء أهل كل ملة كذلك بعلامة تظهر ، ولا يركبوا (كذا) الخيول ، ولا يحملوا سلاحا ، ويركبون الحيول الحمر بالألف عرضا من غير تمييز لها ولا قيمة ، ويتجنبوا (كذا) أوساط الطرق للمسلمين فى مجالسهم عن مراتبهم ، ولا يرفعوا أصواتهم على أصوات المسلمين ، ولا يعلوا بناءهم على بناء المسلمين ، ولا يظهروا شعانينهم ، ولا يضربوا بالنواقيس ، ولا ينصّرون مسلما ولا يهوّدونه ، ولا يشترون من الرقيق مسلما ، ولا من سباه مسلم ، ولا ما جرت عليه سهام المسلمين ، ومن دخل منهم الحمام يميز نفسه بعلامة عن المسلمين بجرس فى حلقه ، ولا ينقشوا فصوص خواتيمهم بالعربى ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يستخدموا فى أعمالهم الشاقة مسلما ، ولا يرفعوا النيران ، ومن زنا منهم بمسلمة قتل . وقال بطرك النصارى بحضرة جماعة العدول : ' حرمت على أهل ملتى وأصحابى مخالفة ذلك والعدول عنه ' ؛ وقال رئيس اليهود وديانهم : ' أوقعت الكلمة على أهل ملتى وطائفتى فى مخالفة ذلك والخروج عنه ' " . هذا ويوجد فى نفس المرجع والجزء (ص ٣٣٠ أ ، وما بعدها) اقتباس طويل من كتاب الدر الثمين فى مناقب المسلمين ومثالب المشركين ، تصنيف محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكاتب ، وهو شرح لما حاوله السلطان صلاح الدين الأيوبى نحو أهل الذمة ، يتلوه نص كتاب من نصارى أهل الشام ومصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب يذكرون فيه ماعاهدوا المسلمين به من التزام الحدود ، ويعقبه كتاب تفسيرى من الخليفة عمر .

(٢) هذا اليوم من الأعياد المسيحية بمصر ، وموعده قبل الفصح بثلاثة أيام ، ويسميه العامة باسم خميس العدس ، وكان من الأعياد الرسمية العامة فى أيام الفاطميين . راجع المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٥٠ ، ٤٩٥) .

(٣) فى س "لا" .

(٤) كذا فى س ، وهو فى ب (ص ٢٨٢ ب) بغين بدل العين .

وامتدّت أيدى العامة إلى كنائس اليهود والنصارى ، فهدموها بفتوى الشيخ الفقيه نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة . فطلب الأمراء القضاة والفقهاء للنظر فى أمر الكنائس ، فصرّح ابن الرفعة بوجوب هدمها ، وامتنع من ذلك قاضى القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، واحتجّ بأنه إذا قامت البيّنة بأنها أُحدثت فى الإسلام تُهدم ، و إلا فلا يتعرّض لها ، ووافقه البقية على هذا وانفضّوا . وكان أهل الإسكندرية لما ورد عليهم مرسوم (٢٣٦ ا) السلطان فى أمر الذمة ثاروا بالنصارى وهدموا لهم كنيستين ، وهدموا دور اليهود والنصارى التى تعلو على دور جيرانهم المسلمين ، وحطّوا مساطب حوانيتهم حتى صارت أسفل من حوانيت المسلمين . وهُدم بالفيوم أيضا كنيستان .

وقدم البريد فى أمر الذمة إلى دمشق يوم الاثنين سابع شعبان ، فاجتمع القضاة والأعيان عند الأمير أقش الأفرم وقرئ عليهم مرسوم السلطان بذلك ؛ فنودى فى خامس عشريه أن يلبس النصارى العمائم الزرق واليهودُ العمائم الصفر والسامرةُ[1] العمائم الحمر ، وهُدّدوا على المخالفة . فالتزم النصارى واليهود بسائر مملكة مصر والشام ما أُمروا به ، وصَبَغوا عمائمهم إلا أهل الكرك ، فإن الأمير [جمال[2] الدين] أقش [الأفرم] الأشرفى [النائب بها رأى إبقاءهم على حالتهم ، و] اعتذر بأن أكثر أهل الكرك نصارى ؛ فلم يغيّر أهل الكرك والشوبك من النصارى العمائم البيض .

و بقيت الكنائس بأرض مصر مدة سنة مغلقة حتى قَدِمت رسل الأشكرى ملكِ الفرنج يشفع فى فتحها ، ففتحت كنيسة المعلّقة[3] بمدينة مصر ، وكنيسة ميكائيل[4] للملكية[5] .

(١) فى س " السمره " . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣٠ ا) ، وكذلك ص ٧٢٨ ، حاشية ٣ .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣٠ ا) .

(٣) عرف المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١١) هذه الكنيسة فى عبارة مختصرة ، ونصها : " كنيسة المعلقة بمدينة مصر ، فى خط قصر الشمع ، على اسم السيدة [مريم العذراء] ، وهى جليلة القدر عندهم ... " .

(٤) يوجد فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٧ ، ٥١٩) ثلاث كنائس بهذا الاسم فى مصر ، والمقصود منها هنا كنيسة الملاك ميخائيل التى تقع " بجوار بربارة بمصر " ، وهى إحدى الكنائس الخمس التى كانت للمسيحيين الملكيين . (انظر الحاشية التالية) .

(٥) الملكية — أو الملكانية ، وهو المتواتر فى الكتب — إحدى الفرقتين الدينيتين اللتين نشأتا فى مصر المسيحية قبل الإسلام ، وكان قيامهما نتيجة الخلاف المذهبي الذى قام بها وبسائر بلاد الدولة=

ثم قدمت رسل ملوك أخر ، ففتحت كنيسة حارة [١] زويلة ، وكنيسة [٢] نقولا .

وفيها فنيت أبقار [٣] أرض مصر : وذلك أنه وقع فيها وباء من أخريات السنة الماضية ، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدواليب ووقفت أحوال السواقى ، وتضرر الناس من ذلك . وكان لرجل من أهل أشموم طناح ألف [وأحد] وعشرون [٤] رأسا من البقر ، مات منها

=الرومانية الشرقية حول طبيعة المسيح وجوهره ومشيئته وأقنومه ، وتسمى الفرقة الثانية باسم اليعقوبية نسبة إلى أحد زعمائها ، وهو يعقوب البراذعى (Jacob Baradeus) الراهب . ولقد كانت أدوار ذلك الخلاف سبب دعوة الأباطرة للسنادس أو المجامع الدينية (Synods) واحدا بعد آخر ، منذ أوائل القرن الرابع الميلادى : وأولها مجمع نيقية (Nicaea) الذى جمعه الإمبراطور قنسطنطين سنة ٣٢٥ م ، والذى كان قرار أغلبيته الساحقة بصدد المسيح أنه " الابن مولود من الأب قبل كل الدهور ، غير مخلوق ، وهو جوهر من جوهره ونور من نوره ، وأن الابن اتحد بالإنسان المأخوذ من مريم فصار واحدا ، وهو المسيح " . وقد انعقد المجمع الرابع من تلك المجامع الدينية بمدينة خلقدونية (Chalcedon) ، بدعوة الإمبراطور مرقيانوس — أو مركان — (Marcian) سنة ٤٥١ م ، بسبب قول ديسقورس (Dioscorus) بطرك الإسكندرية ، " إن المسيح جوهر من جوهرين ، وقنوم من قنومين ، وطبيعة من طبيعتين ، ومشيئة من مشيئتين " ، وكان لذلك المذهب أتباع كثيرون بمصر . وقد انتهى المجتمعون من الأساقفة إلى قرار بعزل ديسقورس ونفيه ، وتخريج مذهب عام شامل لما أقرته المجامع الدينية السابقة ، وهو المعروف بالمذهب الملكى — أو الملكانى أو المركانى — نسبة إلى الإمبراطور مركان . وقد أحدث إعلان هذا المذهب الملكى الخلقدونى فى مصر ثورة دينية ، كان زعيمها بعد وفاة ديسقورس فى منفاه رجلا جرمانى الأصل اسمه طيماثاوس (Timothy The Cat) ، وامتزجت المسألة الدينية فى تلك الثورة بنزعة قومية بين أقباط مصر ، ونتج عنها الكنيسة المصرية اليعقوبية ، أو المنوفيسية (Monophysite) ، أى ذات الطبيعة الواحدة . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٨١ ، وما بعدها ؛ Camb. Med. Hist. I. pp. 13 — 15, 487 — 590) . انظر أيضا القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٧٥ ، وما بعدها) ، حيث ورد أن الملكانيين كانو يسمون أولا المركانية نسبة إلى الإمبراطور مركان ، ثم حرف ذلك إلى ملكانية فيما بعد .

(١) وصف المقريزى (المواعظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٥١١) هذه الكنيسة بالآتى : " كنيسة حارة زويلة بالقاهرة كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة ، وهى على اسم السيدة [مريم العذراء] ، وزعموا أنها قديمة ، تعرف بالحكيم زايلون ، وكان قبل الملة الإسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة ، وأنه صاحب علوم شتى ، وأن له كنزا عظيما يتوصل إليه من هناك " .

(٢) هذه الكنيسة إحدى الكنائس الخمس التى كانت للمسيحيين الملكانيين ، واسمها حسبما جاء بالمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٩) كنيسة مارى نقولا ، وموضعها بالبندقانيين . هذا ويظهر من المتن هنا أنه كلما فتحت لليعاقبة كنيسة كانت تفتح للملكيين أخرى .

(٣) قبالة هذه الجملة بهامش الصفحة فى س العبارة الآتية بخط مخالف ، ونصها : " انظر موت الابقار " .

(٤) فى س " الفا وعسرن " ، وقد أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٢٩ ب) .

ألف وثلاثة أرؤس ، وبقى له ثمانية عشر رأسا لا غير . واضطرّ الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير ، وبلغ الثور ألف درهم .

وفيها استقرّ الأمير أسندمر كرجى فى نيابة طرابلس ، لاستعفاء الأمير قطلوبك المنصورى . وفيها اختلف عربان البحيرة ، واقتتلت طائفتا (١) جابر ومرديس (٢) حتى فنى بينهما بَشَر كثير ، واستظهرت بردیس . فخرج الأمير بيبرس الدوادار فى عشرين أميراً من الطبلخاناه إلى ترّوجة ، فانهزم العرب منهم ، فتبعوهم إلى الليونة (٣) وأخذوا جمالهم وأغنامهم ، واستدعوا أكابرهم ووفّقوا بينهم وعادوا .

وفيها خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر فى عدة مائة من المماليك السلطانية إلى الوجه القبلى [لحسم (٤) العربان] ، وقد كان كثر عيثهم وفسادهم ، ومَنَع كثير منهم الخراج لما كان من الاشتغال بحركات غازان . فأوقع [الوزير شمس الدين] بكثير من بلاد الصعيد الكبسات ، وقتل جماعات من المفسدين ؛ وأخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد ، فلم يدع بها فرسا لفلاح (٢٣٦ ب) ولا بدوى ولا قاض ولا فقيه ولا كاتب ، وتتبّع السلاح الذى مع الفلاحين والعربان فأخذه عن آخره ، وأَخَذَ الجمال . وعاد من قوص إلى القاهرة ، ومعه ألف وستون فرسا ، وثمانمائة وسبعون جملا ، وألف وستمائة رمح ، وألف ومائتا سيف ، وسبعمائة درقة ، وستة آلاف رأس من الغنم ؛ فسكن ما كان بالبلاد من الشر ، وذلّت الفلاحون ، وأعطوا (٥) الخراج .

واتّفق أن بعض النصارى فتح كنيسة ، فاجتمع العامة ووقفوا إلى الأمير سلار النائب ، وشكوا النصارى أنهم فتحوا كنيسة بغير إذن ، وأن فيهم من امتنع من لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالأمراء . فنودى بالقاهرة ومصر أن من امتنع من النصارى من لبس العمامة الزرقاء

---

(١) فى س "طائفى" .

(٢) كذا فى س ، وهو فى نفس السطر هناك "برديس" . هذا وكل ما بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٧ — ٧٢) فى باب أمراء العربان بنواحى الديار المصرية ، عن عربان البحيرة "أن الإمرة [فيهم] فى الدولة الناصرية بن قلاون كانت لخالد بن أبى سليمان وفائد بن مقدم ..." .

(٣) كذا فى س ، وهى من قرى مريوط . انظر ابن دقماق (كتاب الانتصار ، ج ٥ ، ص ١٢٦) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٢٣ أ) .

(٥) فى س "واطعوا" ، ويوجد فوق العين إشارة تشبه الهمزة ، ولعل المؤلف أراد بها التنبيه إلى هذه السقطة القلمية .

نُهب وحلّ ماله وحريمه ، وألا يستخدم نصرانى عند أمير ولا فى شىء من الأشغال السلطانية ولا فيما فيه نفع . فامتدت أيدى العامة إلى اليهود والنصارى ، وكادوا يقتلونهم من كثرة الصفع فى رقابهم بالأكفّ والنعال ، فامتنع الكثير منهم من المشى فى الأسواق خوفا على نفسه .

وقدمت رسل غازان إلى الفرات ، فورد البريد بذلك ؛ فخرج إليهم الأمير سيف الدين كراى على البريد [لإحضارهم[1]] ، فقدموا دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى القعدة ، وهم نحو العشرين رجلا ، فأُنزلوا بقلعتها . وحُمل ثلاثة منهم إلى مصر فى ثامن عشريه ، وهم كمال الدين موسى بن يونس قاضى الموصل وناصر الدين على خواجا ورفيقه ؛ فوصلوا إلى القاهرة ليلة الاثنين خامس عشر ذى الحجة ، وأُكرموا غاية الإكرام . فلما كان وقت العصر من يوم الثلاثاء سادس عشره ، واجتمع الأمراء والعسكر بقلعة الجبل ، وأُلبست المماليك السلطانية الكلفتات الزركش والطرز الزركش على أفخر الملابس ، وجلس السلطان بعد عشاء الآخرة وبين يديه ألف شمعة تُمَد ، وقد وقفت المماليك من باب القلعة من باب الإيوان صفين . وأحضرت الرسل فسلّموا ، وقام قاضى الموصل وعلى رأسه طرحة ، فخطب خطبة بليغة وجيزة فى معنى الصلح ، ودعا للسلطان ولغازان وللأمراء ، وأخرج كتابا من غازان مختوما فلم يُفتح . وأخرجّ بالرسل إلى مكانهم إلى ليلة الخميس ، فقُتح[2] الكتاب [الذى من عند غازان] وهو فى قطع نصف البغدادى ، فإذا هو بالخط المغلى ، فعرّب وقرئ من الغد بحضرة أهل الدولة : فإذا هو يتضمّن أن عساكر مصر دخلت فى العام الماضى أطراف بلاده وأفسدت ، فأنِف من ذلك وقدم إلى الشام وهزم العساكر ، ثم عاد فلم يخرج (٢٣٧ ا) إليه أحد ، فرجع إبقاء على البلاد لئلا تخرب ، وأنه مستعدّ للحرب ، ودعا إلى الصلح . فكُتب جوابه[3] ، وجُهّز الأمير شمس الدين محمد بن التيتى وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن السكرى خطيب جامع الحاكم والأمير حسام

---

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣١ ا) .

(٢) فى س "فتح" .

(٣) أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣١ ا ، وما بعدها) نص كتاب غازان وجواب السلطان الناصر محمد ، وقد أثبتنا فى ملحق رقم ١٤ فى آخر هذا الجزء .

الدين أزدمر المجيرى ، [للسفر (١) بالجواب مع الرسل الواصلين من عند غازان] .

وكان فى هذا العام سائر أقطار الأرض مشتغلة بالحرب : فكان الملك المسعود علاء الدين سنجر — عتيق شمس الدين أيتامش ، عتيق السلطان غياث الدين — ، وهو ملك دَلَّه (٢) بالهند ، قد حارب قوما فى السنة الماضية ، فأتوا فى هذه السنة إلى دله (٢) ونهبوا وأسروا ؛ وخرج عليه طائفة التتر فحاربهم حروبا عظيمة وهزمهم . وقام بأرض الحبشة [فى السنة] الماضية رجل يقال له أبو عبد الله محمد يدعو إلى الإسلام ، فاجتمع عليه نحو المائتى ألف رجل وحارب الأمْحَرَى (٣) فى هذه السنة حروبا كثيرة . وكان ببلاد اليمن بين ملكها الملك المؤيد هزبر الدين و بين الزيدية عدة حروب .

وفيها ثقلت وطأة الأمير الوزير سنقر الأعسر على الأمراء ، لشدّة تعاظمه وكثرة شممه وتزايد كبره ووفور حرمته وقوة مهابته ، ولما كان من ضَرْبه للتاج بن سعيد الدولة مستوفى

---

(١) أضيف ما بين القوسين من (Zetterstéen : Beiträge. p. 98) .

(٢) كذا فى س بغير ضبط ، والمقصود سلطنة دَهْلى (Delhi) الإسلامية بالهند ، وتسمى أيضا دَلّى (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٦٨ — ٦٩) ، وهى المعروفة فى كتب التاريخ باسم هندستان (Hindustān) ، وعاصمتها مدينة دلى نفسها . وقد شملت تلك السلطنة الإسلامية شمالى الهند كله حتى مصبات نهر الكنج ، وأصلها جزء من المملكة الغورية التى عاشت من سنة ٥٤٣ هـ إلى ٦١٣ هـ (١١٤٨ — ١٢١٦ م) ، وكانت تضم أفغانستان وهندستان معاً . وكان والى هندستان فى أواخر الدولة الغورية قطب الدين أيبك ، وهو مملوك السلطان محمد الغورى ، فلما مات هذا السلطان سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٦م) ، أعلن أيبك نفسه سلطانا مستقلا على هندستان ، واستمرت سلالته عليها حتى سنة ٦٨٦هـ (١٢٧٨م) ، وخلفتهم فى حكمها أسرة إسلامية تركية تعرف بالأسرة الخلجية (Khalgis) ، ومنها الملك المسعود علاء الدين المذكور هنا ، وهو ثالث ملوك تلك الأسرة ، وقد جلس على العرش سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 291 — 299) .

(٣) بغير ضبط فى س ، والمقصود بهذا اللقب هنا ملك الحبشة المسيحية فى القرون الوسطى ، وهو المعروف أيضا فى كتب المؤرخين المسلمين بلقب الحطى ، وكان قبلا يعرف باسم النجاشى . وآخر من عرف بذلك اللقب الثالث من ملوك الحبشة أصحمة (Ella Saham) ، وقد حكم إبان ظهور الإسلام فى بلاد العرب . أما أصل تلقيب سلطان الحبشة بالأمحرى ، فالمفهوم ضمناً من المراجع المذكورة بذيل هذه الحاشية ، أنه يرجع إلى سيادة إقليم أمحرا زمنا على سائر بلاد الحبشة ؛ وأمحرا هو الإقليم المتوسط من تلك البلاد ، ولغة أهله الأمحرية (Amharic, or Amharenna) ، وقد انتشرت هذه اللغة فى أنحاء الحبشة منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، وهى الآن اللغة الرسمية للبلاد جميعا . هذا واسم ملك الحبشة فى تلك السنة ودم أرعد ، (Wedem Arad) ، وقد امتد حكمه من ١٢٩٩ إلى ١٣١٤م) . انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٠٢ — ٣٣٧ ؛ وكذلك ,Budge; A Hist. Of Ethiopia I. pp. 4, 123 — 124) 270 — 274, 287 — 288)

الدولة بالمقارع حتى أسلم ، وتغرمه مالا كبيراً ، وكان من ألزام الأمير بيبرس الجاشنكير ، وفيه حمق ورقاعة زائدة . فلما فعل به الوزير ما فعل تخلّى عن المباشرة وانقطع بزاوية (١) الشيخ نصر المنبجي خارج باب النصر ، حتى تحدّث الشيخ نصر مع الأمير بيبرس فى إعفائه من المباشرة فأجابه ، وكان له فيه اعتقاد ولكلامه عنده قبول . فأحبَّ الأمراء إخراج الوزير من الوزارة ، وكانت فى الناس بقايا من حشمة ، فأحبّوا مراعاته والتجمّل معه ، وعيّنوه لكشف القلاع الشامية وإصلاح أمرها وترتيب سائر أحوالها وتَفَقُّد حواصلها ، وكانت حينئذ عامرة بالرجال والأموال والسلاح ، فسار لذلك .

وفيها تزوّج السلطان بخوند أردكين بنت نوكاى امرأة أخيه الملك الأشرف ، وعُمل له مهمّ عظيم أنعم فيه على سائر أهل الدولة بالخلع وغيرها .

وبلغ النيل فى هذه السنة سبعة عشر ذراعا وخمسة عشر أصبعا ، وكانت سَنَةً مقبلة رخيّة الأسعار . وحجّ فيها الأمير بكتمر الجوكندار ، وأنفق فى حجّته خمسة وثمانين ألف دينار ، وصنع معروفا كثيراً : من جملته أنه جهّز سبعة مراكب فى بحر القلزم قد شحنها بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك ، فوجد بالينبع [أنه] قد وصل منها ثلاثة مراكب ، فحمل مافيها أكواما ونادى فى الحاجّ من كان محتاجا إلى مؤونة أو حلوى فليحضر ، فأتاه المحتاجون فلم يردّ منهم أحداً ؛ وفرّق مابقى على الناس ممن لم يحضر لغناه ، وأعطى أهل الينبع ؛ ووصلت بقية المراكب إلى جدّة ، ففعل بمكة كذلك ، وفرّق على سائر أهلها والفقراء بها وعلى حاجّ الشام . و[فى هذه السنة أيضا] كانت ملوك الأقطار كلها شبابا لم يبلغوا الثلاثين سنة .

(٢٣٧ ب) ومات فى هذه السنة ممن له ذكر الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى ، [وهو] أحد من ولى نيابة دمشق فى الأيام الظاهرية ، وقد استقرّ بها أميراً حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الأول . و[مات] الأمير عز الدين أيبك كرجى الظاهرى ، أحد أمراء الألوف بدمشق ، فى عاشر ذى القعدة . و[مات] الأمير سيف الدين بلبان الطباخى ، نائبُ حلب فى غرة صفر بغزّة ، وهو عائد من التجريدة . و[مات] الأمير جمال الدين أقوش الشريفى

(١) تقدم التعريف بهذه الزاوية وشيخها فى ص ٧٧٣ ، حاشية ٢ .

نائب قلعة الصلت وبَرّ الكرك والشوبك ، وكان مهيبا[١] . و [مات] الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهذباني الأربلي ، متولّى نظر دمشق ، بطريق مصر وهو عائد منها ، عن ثمانين سنة ؛ وكان عالما بالأدب والتاريخ مشكورَ السيرة . و [مات] الشيخ شمس الدين محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء الكَلاَباذي[٢] البخاري الفرضي[٣] الحنفي ، في أوّل ربيع الأول بدمشق ؛ و [قد] قدم القاهرة ، وكان فاضلا . و [مات] تاج الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن قدس الأرمنتي ، إمامُ المدرسة الظاهرية بين القصرين ، وله شعر منه :

احفظ لسانك لا أقول فإن أقل ... فنصيحةٌ تخفى على الجلاَّسِ
وأعيذُ نفسي من هجائك فالذى ... يُهْجَى يكون معظَّما في الناسِ

وقال :

قد قلتُ إذ لَجَّ في معاتبتي ... وظنّ أن اللال من قِبَلي
خدُّك ذا الأشعريُّ حنَّفني ... وكان من أحمدِ المذاهب لي
حُسنك ما زال شافعِي أبداً ... يامالكي كيف صرتَ معتزلي

وكان مترّبا فاضلا .

* * *

سنة إحدى وسبعمائة : في المحرّم عادت رُسُل غازان مع رُسُل السلطان بجوابه[٤] .

وفي عاشره استقرّ في الوزارة الأميرُ عز الدين أيبك البغدادي المنصوري ، عوضا عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام . واستقرّ الأمير بيبرس التاجي أحد الأمراء البرجية في ولاية القاهرة ، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الشيخي ؛ ونُقِل ابن الشيخي إلى ولاية الجيزة في عشريه .

وفيه توجّه السلطان إلى الصيد في هذا اليوم[٥] . و [فيه] توجّه الأمير أسندمر كرجي

(١) في س " مهابا " .

(٢) بغير ضبط في س ، والنسبة إلى كلاباذ ، وهي إحدى محلّتين ، أولاها في بخارى والثانية في نيسابور . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٣) .

(٣) كذا في س ، وفي ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٥٨) .

(٤) انظر ص ٩١٥ ، سطر ٥ ، وما بعده ، وكذلك حاشية ٣ هناك .

(٥) إلى هذا يصلب الصفحة في س عبارة بشأن وصول شخصين لجأ إلى دمشق ، في شهر جمادى =

إلى نيابة طرابلس ، عوضا عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه . فقَدِم دمشق فى حادى عشر المحرم .

و [فى شهر [1] المحرم أيضا] استقرّ الأميرُ سيفُ الدين بلبان الجوكندار شادَّ الدواوين بدمشق ، عوضا عن الأمير سيف الدين أنجبا ؛ ونقل أنجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق ، عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقى . وظهر بالقاهرة رجل ادّعى أنه المهدى ، فعُزِّر ثم خلّى عنه .

وفيها مات [الخليفة] الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد فى ثامن [2] عشر جمادى الأولى ، بمناظر الكبش ؛ فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأُبُلِّى [3] شيخ الشيوخ [بخانقاه سعيد [4] السعداء] ، وحضر الأمراءُ والناسُ جنازتَه ، وصُلّى عليه بجامع ابن طولون ، ودُفن بجوار المشهد النفيسى . وكانت خلافته بمصر أربعين سنة . وترك من الأولاد أبا (٢٣٨ ا) الربيع سليمان ولِيَّ عهده ، وإبراهيم بن أبى عبد الله محمد المستمسك ابن الحاكم أحمد . فأُقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة ، ولقب المستكفى بالله ، وكتب تقليده وقرئ بحضرة السلطان فى يوم الأحد عشرى جمادى [5] الأولى ، وكان يوما شهوداً . وخُطب له على عادة أبيه ، واستمرّ يركب مع السلطان فى اللعب بالكرة ويخرج معه للصيد ، وصارا كأخوين . وكان الحاكم قد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمير أبى عبد الله

= الأولى من هذه السنة ، هاربين من عند التتر . وورود هذه العبارة هنا قبل الانتهاء من أخبار شهر المحرم ، كما يظهر من قراءة ما يلى بالمتن ، خطأ فى الترتيب التاريخى ، وليس من سبب واضح لتعليله . وقد أرجىء إيراد هذه العبارة فى مكانها المناسب ، وذلك مجاراة لترتيب النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٢٣ ب) .

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٢) فى س "ثانى" ولكنها فى ب (٢٦٥ ا) كما هنا . انظر أيضا النويرى (نفس المرجع والجزء ، ص ٣٢٤ ب) ، وكذلك (Zettersteen : Op. Cit. p. 105)

(٣) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى الأبلة ، وهى بلدة على شاطىء دجلة فى زاوية الخليج الذى تطل عليه مدينة البصرة ، وهى أقدم من البصرة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٦ ، وما بعدها) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من (Zettersteen : Op. Cit. p. 109) ، حيث توجد تفصيلات أكثر مما هنا بصدد وفاة هذا الخليفة وتولية من بعده .

(٥) فى س "ذى الحجه" ، وخطأ المقريزى واضح من التفصيلات الواردة فى : (Zettersteen : Op. Cit. p. 109, et seq) ، على أن تاريخ هذه المبايعة ، نقلا عن ذلك المرجع ، هو "الخميس رابع عشرى جمادى الأولى" .

محمد ولقّبه المستمسك بالله ، وجعل أبا الربيع من بعده . فمات المستمسك ، واشتدّ حزن أبيه الحاكم عليه ، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستمسك من بعده . فلما مات الحاكم لم يُقدّم بعده إلا أبا الربيع ، وتُرك إبراهيم .

وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلى ، وتعدّى شرّهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بسيوط ومنفلوط فرائضَ جبوها شبه الجالية[١] . واستخفّوا بالولاة ومنعوا الخراج ، وتسمّوا بأسماء الأمراء ، وجعلوا لهم كبيرين أحدهما سمّوه بيبرس والآخر سلار ، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم . فاستَدعى الأمراء القضاةَ والفقهاء ، واستفتوهم فى قتالهم ، فأفتوا بجواز ذلك . فاتّفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخْذِ الطرق عليهم ، لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز فيفوت الغرض فيهم ؛ فاستدعوا الأميرَ ناصر الدين محمد بن الشيخى متولّى الجيزية — وغيرَه من ولاة العمل — ، وتقدّموا إليه بمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد فى البرّ والبحر ، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك ، فاشتدّ حرصهم .

وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام ، وكُتبت أوراق الأمراء المسافرين وهم عشرون مقدّما بمضافيهم[٢] ، وعيّنوا أربعة أقسام : قسم يتوجّه فى البرّ الغربى [من النيل[٣]] ، وقسم فى البرّ الشرقى ، وقسم يركب النيل ، وقسم يمضى فى الطريق السالكة ؛ وتوجّه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر — وقد قدم من الشام [بعد عزله من الوزارة ، واستقراره فى جملة الأمراء المقدّمين] — إلى جهة الواح[٤] فى خمسة أمراء . وقُرّر أن يتأخر

(١) الجالية هنا مايفرضه العدو على بلد منهزم من المال والمحاصيل . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . والجالية فى اللغة الغرباء الذين جلوا عن أوطانهم ، كالجالة والواحد جال ؛ والجالية أيضاً أهل الذمة ، قيل لهم ذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب أجلاهم عن شبه جزيرة العرب ، ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة والمجوس وإن لم يجلوا عن أوطانهم . ويقال استعمل فلان على الجالية إذا ولى أخذ الجزية منهم ، وقد استعمل على لفظ المفرد بتأويل الجماعة كالمعتزلة ونحوها ، والعامة تطلق الجالية على نفس الجزية ، وجمعها جوالى . (محيط المحيط) .

(٢) فى س " بمضافيها " .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ج ٣٠ ، ص ٣٢٣ ب) .

(٤) الواح مفرد واحات ، وهى إقليم الواحات الحالى ، الواقع غربى بلاد الصعيد داخل حدود الديار المصرية . وعدد هذه الواحات ثلاث ، وكانت أسماؤها مختلفة عن أسمائها الحالية ، فعرفت أولا بواح الأولى وواح الوسطى وواح القصوى ؛ ثم عرفت واح الأولى فى زمن القلقشندى بالواح الخاص وبواح البهنسى أيضا ، لوقوعها مقابل الأعمال البهنساوية ؛ وعرفت الوسطى بالواح الداخلة ، والقصوى بالواح الخارجة . وكانت هذه الواحات =

مع السلطان أربعة أمراء من المقدّمين ، وتُقُدِّم إلى كلٍّ من تعيّن لجهة أن يضعوا السيف فى الكبير (٢٣٨ب) والصغير [و] الجليل والحقير ، ولا يبقوا شيخا ولا صبيّا ، ويحتاطوا على سائر الأموال .

وسار الأمير سلار فى رابع جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء فى البرّ الغربى ؛ وسار الأمير بيبرس بمن معه فى الحاجر[1] فى البرّ الغربى على طريق الواحات ؛ وسار الأمير بكتاش أمير سلاح بمن معه إلى الفيوم ؛ وسار الأمير بكتمر الجوكندار بمن معه فى البرّ الشرقى ؛ وسار قتّال السبع و بيبرس الدوادار وبابان الغلشى وعرب الشرقية إلى السويس والطور ؛ وسار الأمير قبجق ومن معه إلى عقبة السيل[2] ؛ وسار طقصبا[3] والى[4] قوص بعرب الطاعة وأخذ عليهم[5] المفازات .

[وضَرب الأمراء[6] على الوجه القبلى حلقة كحلقة الصيد] ، وقد عَميت أخبارهم على أهل الصعيد ، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها ؛ ووضعوا السيف من الجيزية بالبرّ الغربى والإطفيحية من الشرق ، فلم يتركوا أحداً حتى قتلوه ، ووسّطوا نحو عشرة آلاف رجل ، وما منهم إلا من أخـذوا ماله وسبوا حريمه ؛ فإذا ادّعى أحـد أنه حَضَرى قيل له قل : " دقيق " ، فإن قال بقاف العرب قتل .

ووقع الرعبُ فى قلوب العربان حتى طبّق عليهم الأمراء ، وأخذوهم من كل جهة فرّوا

= جارية فى إقطاع أمراء مصر ، وهم يولون عليها من قبلهم ، فلم تعد فى الولايات والأعمال ، ولم يعين عليها من قبل السلطان . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ — ٣٩٤) .

(١) الحاجر فى اللغة الأرض المرتفعة فى وسطها منخفض ، وما يمسك الماء من شفة الوادى ، وجمعه حجران . (محيط المحيط) . والمقصود بالحاجر هنا الطريق الواقعة على الجانب الغربى لوادى النيل بالوجه القبلى والفيوم والبحيرة (Quatremère: Op. Cit. II. 2. P. 188. N. 28) ، والراجح أنها سميت بذلك الاسم لوقوعها على شفة الوادى بمحاذاة أحجار التلال والجبال المطلة عليها .

(٢) فى س "عقبه السل" والرسم المثبت هنا من (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 189) . وربما كان المقصود هنا بلدة العقبة الصغيرة ، وهى من أعمال برقة الداخلة فى حقوقها ، وموقعها غربى مريوط . ابن دقاق (كتاب الانتصار ، ج ٥ ، ص ١٢٦) .

(٣) فى س " صمطبا " . انظر (Zettersteen : Op. Cit. Index.) .

(٤) فى س "وال" ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٨٥ ب) .

(٥) أضيف مابين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٤ أ) .

(٦) الضمير هنا عائد على العربان المتمردين .

إليها ، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا مَنْ بجانبى النيل إلى قوص ؛ وجافت الأرض بالقتلى . واختفى كثير منهم بمغائر الجبال ، فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا عن آخرهم ؛ وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فِلاحات وزروع ، وحُصّل من أموالهم شىء عظيم جداً تفرّقته الأيدى . وأُحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم ، من جملة ثمانين ألف رأس مابين ضأن وماعز ؛ ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل ، وثمانية آلاف رأس من البقر ، غير ما أرصد فى المعاصر ؛ ومن السلاح نحو مائتين وستين حملاً ما بين سيوف ورماح ، ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلا . وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين ، والمعز بدرهم الرأس ، والجزّة الصوف بنصف درهم ، والكساء بخمسة دراهم ، والرطل السمن بربع درهم ، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها ، فإن البلاد طُرِقت وأهلها آمنون ، وقد كسروا الخراج .

ثم عاد العسكر فى سادس عشر رجب ، وقد خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه أحداً ، وينزل بالقرية فلا يرى إلا النساء والصبيان الصغار ؛ فأفرجوا عن المأسورين وأعادوهم لحفظ البلاد . وكان (٢٣٩ ا) الزرع فى هذه السنة بالوجه القبلى عظيماً إلى الغاية ، تحصّل منه مالم يُقدّر قدره كثرة .

و[فيها] (١) قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد [بن] القلانسى إلى دمشق ، وصحبته شرف الدين . . . (٢) بن الأثير ، فى تاسع عشرى جمادى الأولى من بلاد الططر ، وكانا قد أُخذا لما دخل الططر إلى بلاد الشام ، ففرّا ولقيا مشقّة زائدة فى طريقهما .

وفيها ورد البريد من حلب بأن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى لغازان ، فرُسِم بخروج العسكر لمحاربته ؛ وخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخازندار (٣) بمضافيهما من الأمراء والمفاردة . . . (٤) فى رمضان .

(١) هذه الفقرة واردة فى س بصفحة ٢٣٨ ب فى س ، وقد تقدمت الإشارة إلى سبب وضعها هنا . انظر ص ٩١٨ ، حاشية ٥ .

(٢) بياض فى س .

(٣) فى س الخزندار .

(٤) بياض فى س .

وساروا إلى حماة ، فتوجّه معهم العادل كتبغا فى خامس عشرى شوال ، وقدموا حلب فى أول ذى القعدة ورحلوا منها فى ثالثه ، ودخلوا در بند بغراس فى سابعه . وانتشروا فى بلاد سيس ، فحرقوا المزروع وانتهبوا ماقدروا عليه ، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جُفّال الأرمن ، وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية . فقدموا حلب فى تاسع عشره ، ونزلوا حماة فى سابع عشريه ، وقد ابتدأ بالعادل كتبغا مرض .

وفيها قدم البريد من طرابلس بأن الفرنج أنشؤوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة أَرْوَاد [١] ، وعمّروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم ، وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب ؛ فرُسم للوزير بعمارة أربعة شوانى حربية ، فشُرع فى ذلك .

وفيها ضُرب عنق فتح الدين أحمد البَقَقِى [٢] الحموى على الزندقة ، فى يوم الاثنين رابع عشرى ربيع الأول ؛ [وكانت [٣] البيّنة قد قامت عليــه قبل ذلك بما يوجب قتله ، من النقض بالقرآن و بالرسول ، وتحليل المحرّمات والاستهانة بالعلماء والقدح فيهم ، وغير ذلك] .

وفيها أُخرج الأمير بكتمر الحسامى من الأمير آخورية من حنق الأمراء عليه ، فإنه أكثر الـكلام مع السلطان ، وكان غرضهم أن السلطان لايتعرّف به أحد . فأقام [الأمير بكتمر] معطلا مدة حتى وردت وفاة مُغُلْطاى [٤] التقوى أحد أمراء دمشق بها ، فأُخرج على إقطاعه ؛ واستقرّ عوضه (٢٣٩ ب) أمير آخور علم الدين سنجر الصالحى .

و [فيها] قدم البريد من حمـاة بوقوع مطر فيما بينها و بين حصن الأكراد ، عَقِبه [قِطَعُ] بَرَد كبار فى صورة الآدميين من ذكر وأنثى ، وفيه شبه صورة القرود ، وعُمل بذلك مَشْرُوح [٥] . وكثر بدمشق الجراد ، وأكل أوراق الأشجار وفواكهها .

(١) بغير ضبط فى س ، وهى جزيرة رودس (Rhodes) المعروفة . وأما الفرنج المقصودون هنا فهم هيئة الفرسان الإسبتارية (Knights Hospitallers) وكانوا بعد خروجهم من عكا مع بقية الصليبيين سنة ١٢٩١ م ، قد أقاموا بضع سنوات بجزيرة قبرص ، ثم استولوا على جزيرة رودس وانتقلوا إليها نهائيا سنة ١٣٩٩ م (٧٠٩ هـ) انظر
(De Belabre : Rhodes of the Knights. P. 15; Gra. Enc. Art. Hôpital).

(٢) كذا فى س بغير ضبط . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 104) .

(٣) أضيف مابين القوسين من (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 106—107) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد هذا الحادث .

(٤) فى س "معلطاى" . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 170) .

(٥) هذا اللفظ مترجم إلى (rapport détaillée) أى التقرير المفصل ، فى (Quatremère : Op. =

وفيها أضيف إلى بدر الدين محمد بن جماعة قاضى القضاة بدمشق مشيخةُ الشيوخ بها ، بعد موت الفخر يوسف بن حمويه .

وفيها حجّ الأمير بيبرس الجاشنكير ومعه ثلاثون أميراً ساروا ركبا بمفردهم ، ومن ورائهم بقية الحاجّ فى ركبين ، وأميرُ الحاجّ الأمير بيبرس المنصورى الدوادار . وخرج بيبرس الجاشنكير من القاهرة أول ذى القعدة ، فحضر إليه بمكة الشريفان عطيفة وأبو الغيث [من] أولاد أبى نمى ، وشكيا من أخيهما أسد الدين رميثة وأخيه عز الدين حميضة أنهما وثبا بعد وفاة أبيهم عليهما ، واعتقلاهما ففرّا من الاعتقال . فقُبض على رُميثة وحُميضة ، وحُملا إلى مصر ، واستقرّ عوضهما فى إمارة مكة عطيفة وأبو الغيث [(١)] .

ومات فى هذه السنة من الأعيان مسند العصر شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق ابن محمد بن المؤيد الأبَرْقُوهى [(٢)] ، بمكة فى العشرين من ذى الحجة ، عن سبع وثمانين سنة ؛ ومولده سنة خمس عشرة وستمائة بأَبَرْقُوه [(٣)] من شيراز . ومات الحافظ شرف الدين أبو الحسين على بن الإمام أبى عبد الله محمد بن أبى الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليونينى ، فى يوم الخميس حادى عشرى رمضان ببعلبك ؛ ومولده فى حادى عشر رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة ببعلبك . ومات الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصورى نائبُ قلعة دمشق ، فى ثانى عشرى ذى الحجة [(٤)] . و[مات] ضياء الدين أحمد ابن الحسين بن شيخ السلامية بدمشق ، فى يوم الثلاثاء عشرى ذى القعدة ، وهو أبو قطب

= (Cit. II. 2. p. 191 ، وهذا المعنى ظاهر من منطوق اللفظ ، ويحتمل أنه كان مستعملا فى مصطلح دولة المماليك للدلالة على نوع من المكاتبات السلطانية .

(١) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٤ أ) ، أنه عُين فى هذه السنة لمباشرة الأملاك السلطانية بالشام ، وهذا نص ما جاء به : "وفى هذه السنة رُسم بتوجهى إلى دمشق المحروسة لمباشرة الأملاك السلطانية بالشام ، وكتب توضيحى (كذا) بذلك فى ثانى عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ، وهو من إنشاء المولى الفاضل العابد الصالح بهاء الدين بن سلامة كاتب الدرج الشريف وخطه ، وشمله الخط السلطانى الملكى الناصرى ، وتوجهتُ إلى دمشق فى جمادى الآخرة ، وفيه وصلت إلى دمشق وباشرت ما رسم لى بها ، وهو أول دخولى إليها" .

(٢) بغير ضبط فى س . انظر الحاشية التالية .

(٣) بغير ضبط فى س ، وهى بلدة من كورة اصطخر قرب يزد ببلاد فارس ، ويكتبها بعضهم أبرقويه ، وأهل فارس يسمونها وركوه . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٥ ، وما بعدها) .

(٤) هذه الوفاة مكررة فى س ، فى آخر وفيات هذه السنة . انظر ص ٩٢٧ ، حاشية ١ .

الدين موسى ونخر الدين ... (١) . ومات فتح الدين أحمد بن محمد ... (٢) البقى الحموى مقتولا بسيف الشرع ، فى رابع عشرى ربيع الأول ؛ ورُفع رأسه على رمح ، وسُحب بدنه إلى باب زويلة فصُلب هناك ؛ وسبب ذلك أنه كان ذكيا حادّ الخاطر له معرفة بالأدب والعلوم القديمة ، فحُفظت عنه سقطات : منها أنه قال (١٢٤٠) "لو كان لصاحب مقامات الحريرى حظّ تُليت المقامات فى المحاريب" ، وأنه كان ينكر على من يصوم شهر رمضان ولا يصوم هو ، وأنه كان إذا تناول حاجة من الرّف صعد بقدميه على الربعة ؛ وكان مع ذلك جريئا بلسانه ، مستخفا بالقضاة ينطز بهم (٣) بهم ويستجهلهم ، حتى أنه بحث مع قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد مرة وكأنه لم يجبه ، فقام وهو يقول : "وقف الهوى" ، يريد قول [أبى الشيص الخزاعى (٤)] :

وقف (٥) الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخَّرٌ عنه ولا متقـــدَّمُ

يعنى إن القاضى انقطع . فقال ابن دقيق العيد للفتح بن سيد الناس : "يافتح الدين ! عُقبى هـذا الرجل إلى التلف" ؛ فلم يتأخّر ذلك سوى عشرين يوما ، وقُتل فى الحادى والعشرين (٦) منه . وذلك أنه أكثر من الوَقيعة فى حق زين الدين على بن مخلوف قاضى القضاة المالكية وتنقّصه وسبّه ، فلما بلغه ذلك عنه اشتدّ حنقه وقام فى أمره ، فتقرّب الناس إليه بالشهادة على ابن البقى ، فاستدعاه وأحضر الشهود فشهدوا وحُكم بقتله ، وأراد من ابن دقيق العيد تنفيذ ما حكم به فتوقّف (٧) . وقام فى مساعدة ابن البقى ناصرُ الدين

(١ و٢) بياض فى س .
(٣) كذا فى س .
(٤) أضيف ما بين القوسين من أبى الفرج الأصبهانى (كتاب الأغانى ، ج ١٥ ، ص ١٠٨ ، وما بعدها ، طبعة بولاق) .
(٥) هذا البيت فى س كالآتى :
"وقف الهوى لى حيث اب فلم احد ماحرا عنه ولا معدم" ، وقد صحح من الأغانى ، حيث توجد بقية القصيدة . انظر الحاشية السابقة .
(٦) فى س "وعشرين" .
(٧) كان سبب توقف القاضى تقى الدين بن دقيق العيد ، حسبما ورد فى (Zettersteen : Op. Cit. p. 105) ، أن ابن البقى كان قد كتب فتاوى وهو فى السجن برأ نفسه فيها من الزندقة وتاب ، وبعث بها إلى ابن دقيق العيد ، فكتب عليها : "فإن يتوبوا يُغفر لهم ما قد سلف" ، فقال المالكية إن هذه الآية نزلت فى حق الكفار إذا رجعوا ثم أسلموا ثم رجعوا .

محمد بن الشيخى وجماعةٌ من الكتّاب ، وأرادوا إثبات جنّه ليُعْفَى من القتل ؛ فصمّم ابن مخلوف على قتله ، واجتمع بالسلطان ومعه قاضى القضاة شمسُ الدين السروجى الحنفى ، وما زالا به حتى أذن فى قتله . فنزلا إلى المدرسة الصالحية بين القصرين ومعهما ابن الشيخى والحاجب ، وأُحضر ابن البقق من السجن فى الحديد ليُقتل ، فصار يصيح ويقول : "أتقتلون رجلا أنْ يقول ربى الله ويتشهّد ؟ " ، فلم يلتفتوا إلى ذلك ، وضُرب عنقه . وطيف برأسه على رمح ، وعُلِّق جسده على باب زويلة . وفيه يقول شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الأعزازى يحرّض على قتله ، وكتب بهما إلى ابن دقيق العيد :

قل للإمام المرتضى وكاشف المشكل والمبهم
لاتمهل الكافر واعمل بما قدجاء فى الكافر عن مسلم (١)

ومن شعر ابن البقق ما كَتب به إلى القاضى المالكى من السجن ، وهو من جملة حماقاته :

يالابساً لى حلةً من مكره بسلاسة نعمت كلس الأرقم
اعتدّ لى زرداً تضَايق نسجه وعلىّ خرق عيونها بالأسهم (٢)

فلما وقف عليهما القاضى المالكى قال : "نرجو أن الله لايمهله لذلك" . ومن شعره [أيضا] :

جُبِلتُ على حبّى لها وألِفْتــــه ولابد أن ألقى به الله معلنا
(٢٤٠ب) ولم يخل قلبى من هواها بقدرما أقول وقلبى خاليـــا فتمكّنا

ومات جمال الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أبي الحوافر رئيس الأطباء فى مستهلّ صفر ، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة . و [مات] الأمير علاء الدين على التقوى ، أحدُ أمراء دمشق بها . و[مات] الشريف أبو نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن

---

(١) لهذين البيتين بقية عددها ثلاثة أبيات ، وهى واردة فى (Zettersteen : Op. Cit. P. 105) .

(٢) قبالة هذين البيتين فى س ، بخط مشابه تماما لخط المتن ، العبارة الآتية : انشد الساح ن عد الكافى السعدى هذين البيتين لمحمد ن عد الله الحكيم ، وهما :

يا من يناضلنى باسهم مكره بسلاسه نعمت كلس الارقم
اعتد لى زردا مضاىق نسجها وعلى خرق عمونها بالاسهم .

على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أميرُ مكة ، فى يوم الأحد رابع صفر ؛ وقد أقام فى الإمارة أربعين سنة ، وقدم القاهرة مراراً ؛ وكان يقال لولا أنه زَيدى لصَلُح للخلافة لحسن صفاته . و[مات] مجد الدين يوسف بن محمد بن على بن القباقيبى الأنصارى موقّع طرابلس ، وله شعر وترسّل [(١)] . و[مات] الأمير عز الدين النجيبى والى البر بدمشق ، فى سادس عشر ربيع الأول بدمشق . و[مات] شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير ، فى سابع عشر ذى القعـدة بدمشق ، وكان يكتب الإنشاء بها . ومات بدمشق شيخ الخانكاه السميساطية ، [وهو] شيخ الشيوخ شرف الدين أبى بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد... [(٢)] ابن حمويه ، فى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول ؛ واستقرّ عوضه قاضى القضاة بدرُ الدين محمد بن جماعة باتفاق الصوفية . ومات الأمير علاء الدين مغلطاى التقوى المنصورى ، أحدُ أمراء دمشق بها ، فى رابع عشرى رجب ؛ فأنعم بخبزه على الأمير سيف [الدين] بكتمر الحسامى أمير آخور .

***

سنة اثنتين وسبعمائة : فى أول المحرّم قَدِم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ، ومعه الشريفان حميضة ورميثة فى الحديد ، فسُجنا . وفى ثامنه قَدِمت رسل غازان بكتابه ، فأعيدوا بالجواب . وجُهّز الأمير حسام الدين أزدمر المجيرى ، وشمسُ الدين محمد بن التيتى [(٣)] ، وعمادُ الدين على بن عبـد العزيز بن السكرى ، إلى غازان فى عاشر ربيع الأول . فمضوا واجتمعوا به ، فمنعهم من العود بسبب الوقعة الآتى ذكرها ، ولا زالوا مقيمين حتى هلك غازان ، فعادوا فى أيام خُدَابَنْدا [(٤)] .

(١) يلى هذا فى متن الصفحة فى س ذكر وفاة الأمير علم الدين سـنجر أرجواش ، وقد تقدمت فى ص ٩٢٤ (سطر ١٤) ، وليس من معنى لإيرادها ثانيا بالمتن ، ونصها كما وردت هذه المرة الثانية كالآتى : و[مات] الامير علم الدين سـنجر المعروف بارجواش متولى قلعه دمشق ، فى ليله السبت ثانى عشرى ذى الحجه " .

(٢) بياض فى س .

(٣) فى س "التى" . انظر ص ٩١٥ ، سطر ٢٠ .

(٤) فى س "حدبندا" بغير ضبط . وهو أخو غازان وخليفته فى مملكة إيلخانات فارس من ٧٠٥ إلى ٧١٦ هـ ، (١٣٠٥ — ١٣١٦ م) ، وقد تسمى عند سلطنته باسم أولجايتو محمد خدا بندا =

وفى محرّم تنجّزت عمارة الشوانى ، وجُهّزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش القارى[1] العلائى والى البهنسا . واجتمع الناس لمشاهدة[2] لعبهم [فى البحر] ، فركب أقوش فى الشينى الكبير وانحدر تجاه المقياس ، فانقلب بمن فيه فى يوم السبت ثانى عشره .

وكان قد نزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك ، واجتمع من العالَم مالا يحصيهم إلا الله تعالى ؛ وبلغ كراء المركب الذى يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم ، وامتلأ البرّان من بولاق إلى الصناعة بالناس ، حتى لم يوجد موضع قَدَم خالٍ . ووقف العسكر على برّ بستان الخشاب[3] ، وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة . وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب : فلعب الأول والثانى والثالث ، وأُعجب الناس بذلك إعجابا زائداً ، لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب . ثم تقدّم الرابع وفيه أقوش ، فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة بمصر وتوسّط النيل ، إذا بالريح حرّكه ، فمال به ميلة واحدة انقلب وصار أعلاه أسفله . فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال ، وتكدّر ما كانوا فيه من الصفو ، وتلاحق الناس (١٢٤١) بالشينى وأخرجوا ما سقط منه فى الماء ، فلم يعدم منه سوى أقوش ، وسلم الجميع ؛ وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة ، وانفضّ الجمع . وبعد ثلاثة أيام أخرج الشينى ، فإذا امرأة الرئيس وابنها وهى ترضعه فى قيد الحياة ، فاشتدّ العجب من سلامتهما طول هذه الأيام . ووقع العمل فى إعادته حتى تنجّز ، ونُدب الأمير سيف الدين كهرداش الزرّاق المنصورى للسفر عوضا عن أقوش القارى ؛ فسار إلى طرابلس بالشوانى ، واستجد منها ستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية والمطوّعة .

وتوجّه [كهرداش] إلى جزيرة أرواد ، وهى بقرب أنطرسوس ؛ وصبحهم[4] فى غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة ، فنصره الله عليهم وقَتَل منهم كثيراً ، وسألوا الأمان فأُخذوا

= (Uljàitu Muhammad Khudà. Banda) ، وكان قد نشأ مسيحيا ، إذ عمّد بأمر أمه أروك خاتون (Urûk Khàtūn) . وسمى نيقولا (Nicolas) ، ثم اعتنق الإسلام بناء على رغبة زوجته (Browne: Lit. Hist. Of Persia. III. PP. 46, et esq)

(١) كذا فى س .

(٢) فى س " الى مشاهده " .

(٣) فى س "الحساب" ، وموضع بستان الخشاب حكر الست حدق ، ويتوصل إليه من قنطرة السد . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢، ص ١١٦ ، ١١٩) .

(٤) الضمير عائد على الفرنجة أصحاب جزيرة رودس . انظر ص ٩٢٣ ، سطر ٦ — ٨ .

أسرى فى يوم الجمعة ثامن عشرى صفر . واستولى [كهرداش] على [1] سائر ماعندهم ، وعاد إلى طرابلس وأخرج الخمس من الغنائم لتُحْمَل إلى السلطان ، وقَسّم مابقى فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين . فلما قدم البريد من طرابلس بذلك دُقّت البشائر بالقلعة ؛ وفى يوم دق البشائر قدم الأمير بدر الدين بكتاش من غزاة سيس .

[وفى هذه السنة توفى قاضى القضاة تقى الدين أبوالفتح محمد بن على بن وهب [2] بن مطيع ابن أبى الطاعة القشيرى المنفلوطى الشافعى المالكى المصرى بن دقيق العيد ، وكان مولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة] .

ولما مات تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، خرج البريد إلى دمشق بطلب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، فقدمها فى سابع عشر صفر ، وخُرِج به منها فى تاسع عشره . فوصل [ابن جماعة] إلى القاهرة وخُلع عليه فى يوم السبت رابع ربيع الأول ، واستقرّ فى قضاء القضاة . وَوَلى قضاء دمشق نجم الدين [أبو العباس] أحمد بن . . . [3] بن صَصْرَى ؛ واستقرّ بلبان الجوكندار نائبَ قلعة دمشق ، عوضا عن أرجواش ؛ واستقرّ عوضه فى شدّ الدواوين بدمشق الأميرُ بيبرسُ التلاوى .

وفى رابع جمادى الآخرة ظهر فى النيل دابة ، [لونها] كلون الجاموس بغير شعر ، وأذناها كأذن [4] الجمل ، (٢٤١ ب) وعيناها وفرجها مثل الناقة ، ويغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ، ورقبتها مثل ثخن التِلّيس [5] المحشوّ تبنا ، وفمها وشفتاها مثل الكِرْبَال [6] ؛ ولها أربعة أنياب ، اثنان فوق اثنين ، فى طول نحو شبر وعرض

(١) فى س "على ما سايرما" .

(٢) أضيف مابين القوسين لانسجام مايلى (سطر ٨) بالمتن ، والإضافة نفسها من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥) .

(٣) بياض فى س ، والإضافة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٥ ب) .

(٤) فى س " واذانها كاذان الحمل " .

(٥) فى س "التيس" ، وخطأ المقريزى واضح من بقية الجملة . ومعنى التليس هنا الكيس الذى يستعمل لتعبئة الغلال والأتبان ، ويقال له تليسة أيضا ، ويقابله فى اللاتينية (trilicium) ، وفى الإيطالية (tralicio) ، وفى الإسبانية (treliz) ، وفى الفرنسية (treillis) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . هذا وفى محيط المحيط أن التليسة هى الخصية ، والهنة تسوى من الخوص فتوضع فيها الزجاجة ، وكيس الحساب أيضا .

(٦) الكربال مندف القطن ، وما تكربل به الحنطة أيضا . (محيط المحيط) .

أصبعين ، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنّا مثل بيادق الشطرنج ؛ وطول يديها من باطنها شبران ونصف ، ومن ركبتيها إلى حافرها مثل أظافير[١] الجمل ؛ وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف ، ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما ، وفى بطنها ثلاثة كروش ؛ ولحمها أحمر له زفرة السمك ، وطعمه مثل لحم الجمل ؛ وثخانة جلدها أربع أصابع لاتعمل فيه السيوف ، وحُمِل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله ، فكان يُنقل من جمل إلى جمل وقد حُشِى تبنا حتى وصل إلى قلعة الجبل .

وقدم البريد من حلب بأن غازان على عَزْم الحركة إلى الشام ، فوقع الاتفاق على خروج العسكر : وعُيِّن من الأمراء بيبرس الجاشنكير وطغريل الإيغانى وكراى المنصورى وبيبرس الدوادار وسنقر شاه المنصورى وحسام الدين لاجين الرومى أستادار ، بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد ؛ فساروا فى ثامن عشر رجب .

وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات ، ووصل عسكره الرحبة وأراد منازلتها [بنفسه[٢]] . و[كان النائب] بها [الأمير] علم الدين سنجر الغتمى ، فلاطفه [وخرج إليه بالإقامات ، وقال له : "هذا المكان قريب المأخذ ، والملكُ يقصد المدن الكبار ؛ فإذا ملكتَ البلاد التى هى أمامك فنحن لانمتنع عليك" ، حتى كفّ عنه ورجع عابراً الفرات ، [بعد أن أخذ ولده ومملوكه رهنا على الوفاء] . وبَعث [غازانُ] قطلوشاهَ من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفا ، وكَتب إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق يرغّبه فى طاعته[٣] .

و[أما العسكر السلطانى فقد] دخل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى دمشق بمن معه فى نصف شعبان ، وكَتب يستحث السلطانَ على الخروج . وأقبل الناس من حلب وحماة إلى (٢٤٢ا) دمشق خائفين من التتر ، فاستعدّ أهل دمشق للفرار ولم يبق إلا خروجهم ، فنودى

---

(١) فى س " اظافير الجمل " .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٦ ا) .

(٣) أصدر غازان قبل عوده إلى الشرق من الرحبة فرمانا إلى أهل الشام ، وقد أورد نصه بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ ا ، وما بعدها) ، وهو منقول من ذلك المرجع فى ملحق رقم ١٥ ، فى آخر هذا الجزء .

بها من خرج حَلّ ماله ودمه . وخرج الأمير بهادر آص[1] والأمير قطو بك المنصورى وأنص[2] الجمدار على عسكر إلى حماة ؛ ولحق بهم عسكر طرابلس وحمص ، فاجتمعوا على حماة عند العادل كتبغا .

وبلغ التترَ ذلك ، فبعثوا طائفة كبيرة إلى القريتين فأوقعوا بالتركمان ؛ فتوجّه إليهم أسندمر كرجي نائب طرابلس وبهادر آص وكجكن وغُرْلُوا[3] العادلى وتمر الساقى وأنص الجمدار ومحمد بن قراسنقر ، فى ألف وخمسمائة فارس . فطرقوهم بمنزلة عُرْض[4] فى حادى عشر شعبان على غفلة ، وافترقوا عليهم أربع فرق ، وقاتلوهم قتالا شديداً من نصف النهار إلى العصر حتى أفنوهم ، وكانوا فيما يقال نحو أربعة آلاف . وأنقذوا التراكين[5] بحريمهم وأولادهم ، وهم نحو ستة آلاف أسير ؛ ولم يُفقد من العسكر إلا الأمير أنص الجمدار المنصورى ، ومحمد بن باشقرد الناصرى ، وستة وخمسين من الأجناد . وعاد من انهزم إلى قطلوشاه ، وقد أسر العسكرُ مائة وثمانين من التتر . وكُتب إلى السلطان بذلك ، ودُقّت البشائر بدمشق ؛ وكان قد خرج السلطان من قلعة الجبل فى ثالث شعبان ، ومعه الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى عسكر كثير ، واستناب بديار مصر عز الدين أيبك البغدادى .

[وكان التتر الذين عادوا منهزمين إلى قطلوشاه قد أخبروا أن السلطان لم يخرج من الديار المصرية ، وأنْ ليس بالشام غير العسكر الشامى] ، فجدّ[6] قطلوشاه فى السير بجموع التتر حتى نزل على قرون حماة فى ثالث عشريه ، فاندفعت العساكر بين يديه إلى دمشق ، وركب العادل كتبغا فى محفّة لضعفه ، فاجتمع الكل بدمشق . واختلف رأيهم فى الخروج إلى لقاء العدو أو انتظار قدوم السلطان ، ثم خشوا من مفاجأة العدو ، فنادوا بالرّحيل وركبوا

(١) ضبط هذا الاسم بعدة على الألف من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 110) .

(٢) كذا فى س ، وهو وارد فى (Ibid : Op. Cit. P. 110) برسم أنس .

(٣) كذا فى س بغير ضبط. انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 110) .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهى بلدة فى برية الشام ، بين تدمر والرصافة الهاشمية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٤٤ — ٦٤٥) .

(٥) فى س "التراكين" ، والغالب أنها صيغة أخرى للفظ "تركمان" ، وقد ترجمها : Quatremère) Op. Cit. II. 2. P. 198) على أنها كذلك .

(٦) فى س "وجد" . وقد غيرت الواو فاء لتستقيم العبارة مع الإضافة السابقة ، وهى من النويرى (نهاية الأرب ، ج . ٣ ، ص ٣٣٦ ا) .

أول رمضان . فاضطربت دمشق بأهلها ، وأخذوا فى الرحيل منها على (٢٤٢ ب) وجوههم ، واشتروا الحمارَ بستمائة درهم والجملَ بألف درهم ؛ وترك كثير منهم حرمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة ، فلم يأت الليل إلا والنوادب فى سائر نواحى المدينة . وسار العسكر مُخِفًّا إلى لقاء العدو ، وبات الناس بدمشق فى الجامع يضجّون بالدعاء إلى الله ، فلما أصبحوا رحل التتر عن دمشق بعد أن نزلوا بالغوطة .

وبلغ الأمراءَ قدومُ السلطان فتوجّهوا إليه من مرج راهط ، فلقوه على عقبة شُجْورا[(١)] فى يوم السبت ثانى رمضان ، وقبّلوا له الأرض . فورد عند لقائهم به الخبرُ بوصول التتر فى خمسين ألفا مع قطلوشاه[(٢)] نائب غازان . فلبس العسكر بأجمعه السلاح ، واتفقوا على المحاربة بشَقْحب[(٣)] تحت جبل غَباغِب[(٤)] ، وكان قطلوشاه[(٥)] قد وقف على أعلى النهر . فوقف فى القلب السلطانُ وبجانبه الخليفة والأمير سلار النائب والأمير بيبرس الجاشنكير ، وعز الدين أيبك الخازندار وسيف الدين بكتمر أمير جاندار وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام وبرلغى وأيبك الحموى ، وبكتمر البوبكرى وقطو بك[(٦)] ونوغاى السلاحدار وأغرلوا الزينى ، وفى الميمنة الحسام لاجين أستادار ومبارز الدين سوار[(٧)]... أمير شكار ، ويعقوبا الشهرزورى ومبارز الدين أوليا بن قرمان ؛ وفى الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان ؛ وفى الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح والأمير قرا سنقر بعساكر حلب والأمير بدخاص نائب صفد ، وطغريل الإيغانى وبكتمر السلاح دار وبيبرس[(٨)] الدوادار ، بمضافيهم[(٩)] .

(١) بغير ضبط فى س ، وهى ممر فى الطريق بين دمشق والكسوة .
(Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 488.)

(٢) فى س "خطلغ شاه" .

(٣) فى س "سقحب" بغير ضبط . انظر (Zetter-téen:Op. Cit. P. 113) .

(٤) بغير ضبط فى س ، وهى قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق ، بينهما ستة فراسخ ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٧١) .

(٥) فى س "قطوشاه" .

(٦) كذا فى س ، راجع أيضا ص ٩٣١ (سطر ١) ، وهو وارد "قطلوبك" فى ب (٢٨٩ ب) .

(٧) بياض فى س .

(٨) أفاض بيبرس المنصورى فى كتابه المتداول فى هذه الحواشى (زبدة الفكرة : ج ٩ ، ص ٢٣٧ ب ، وما بعدها) بصدد هذه الحوادث التى اشترك فيها .

(٩) يلى هذا فى س عبارة مشطوبة ، ونصها : "فلما تكمل التعبيه حى" .

ومشى السلطان والخليفة بجانبه ، ومعهما القرّاء يتلون القرآن ويحثّون على الجهاد ويُشَوّقون إلى الجنة ، وصار السلطان يقف ، ويقول الخليفة : "يا مجاهدون ! لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم صلى الله عليه وسلم" ؛ والناسُ فى بكاء شديد ، ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض ؛ وتواصى بيبرس وسلار على الثبات فى الجهاد . وعاد السلطان إلى موقفه ، ووقف الغلمان والجمّال وراء العسكر صفّا واحدا ، وقيل لهم : "من خرج من الأجناد عن المصافّ فاقتلوه ، ولكم سلاحه وفرسه".

فلما تمّ الترتيب زحفت كراديس التتار كقِطَع الليل ، بعد الظهر من يوم السبت المذكور ؛ وأقبل قطلوشاه بمن معه من (١٢٤٣) التوامين[(١)] وحملوا على الميمنة وقاتلوها ، فثبتت لهم [وقاتلتهم قتالا[(٢)] شديدا] ؛ وقُتل الحسام لاجين أستادار وأوليا بن قرمان وسنقر الكافرى ، وأيدمر الشمسى القشاش وأقوش الشمسى الحاجب والحسام على بن باخل ، ونحو الألف فارس . فأدركهم الأمراء من القلب ومن الميسرة ، وصاح سلار : "هلك والله أهل الإسلام" ، وصرخ فى بيبرس والبرجية فأتوه وصدم بهم قطلوشاه[(٣)] ، وأبلى ذلك اليومَ هو وبيبرس بلاءً عظيما ، إلى أن كَشفا[(٤)] التتار عن المسلمين .

وكان جوبان[(٥)] [بن تداون] وقرمجى [بن التاق ، وهما] من توامين التتار ، قد ساقا تقوية لبولاى[(٦)] وهو خلف المسلمين ، فلما عاينا[(٧)] الكسرة على قطلوشاه أتياه[(٨)] ووقفا[(٩)] فى وجه سلار وبيبرس . فخرج من أمراء السلطان أسندمر وقطلوبك وقبجق

---

(١) التوامين — أو الطوامين — جمع تومان أو طومان ، وهو الفرقة التى يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل - (Quatremère: Op. Cit. II. 2. P. 152) .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتى تليها من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٢٧ ب) .

(٣) فى س "قطوشاه" .

(٤) فى س "كسفوا" .

(٥) فى س "حوبان" ، انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٢٧ أ) .

(٦) كذا فى س ، وهو وارد "مولاى" فى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٢٧ أ ، ب) ، ومترجم أيضا إلى (Moulai) فى (D'Ohsson: Op. Cit. IV. P. 327) .

(٧) فى س "عاتنوا" .

(٨) فى س "آتوه" .

(٩) فى س "ودهوا" .

والمماليك السلطانيـة إعانة لبيبرس وسلار ، فتمكّنوا[١] من العدو وهزموه[٢] ، فمال[٣] [التتر] على برلغى [حتى] مزّقوه . واستمرّ الحرب بين سلار ومن معه و بين قطلوشاه ، وكلٌ منهما ثابت لقرنه[٤] .

وكانت الأمراء لما قُتلت بالميمنة انهزم من كان معهم ، ومرّت التتر خلفهم ، فجفل الناس وظنّوا أنها كسرة . وأقبل السواد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها[٥] ، ونهبوا ما بها من الأموال ؛ وجفل النساء والأطفال ، وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأمراء منها ، وكَشَف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور . وضجّ ذلك الجمع العظيم بالدعاء ، وقد كادت العقول أن تطيش وتذهبَ عند مشاهدة الهزيمة ، فلم يُرَ شيء أعظم منظراً من ذلك الوقت إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال .

ومال قطلوشاه بمن معه إلى جبل قريب منه ، وصعد عليه وفى نفسه أنه انتصر ، وأنّ بولاى فى أثر المنهزمين يطلبهم . فلما صعد الجبل نظر السهل والوعر كله عساكر ،

(١) فى س "فمكن" .

(٢) فى س "وهزمهم" .

(٣) فى س "فالوا" ، وقد عدل اللفظ ، وأضيف ما بين القوسين بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٧ ب) .

(٤) اشترك النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ٣٣٦ ب ، وما بعدها) فى هذه الحرب من أولها ، وكان فى ميسرة الجيش السلطانى ، وقد وصف ما شهده فى العبارة الآتية :

"وكنت يوم ذاك بدمشق ، فخرجت منها بعد أن أعددت لامة الحرب . والتحقتُ بالعسكر ، ووجدت الجفال قد ازدحموا بالأبواب زحاما شديداً ، و[قد] ذهلوا عن أموالهم وأولادهم . ووصلت بعد المغرب إلى منزلة العسكر بميدان الحصى ، فوجدتهم قد توجهوا إلى مرج الصفر ، فلحقت بالجيوش فى يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وهو سلخه . وأقمنا بالمرج يوم الخميس والجمعة ، فلما كان فى ليلة السبت المسفرة عن ثانى شهر رمضان ، دارت النقباء على العساكر ، وأخبروهم أن العدو قد قرب منهم ، وأن يكونوا على أهبة واستعداد فى تلك الليلة ، وأنه متى دهمهم العدو يركبوا خيولهم ، ويكون الاجتماع عند قرية الهبجة قرب خربة اللصوص . (٣٣٧ أ) فبتنا فى تلك الليلة وليس منا إلا من لبس لامة حربه ، وأمسك عنان فرسه فى يده ، وتساوى فى ذلك الأمير والمأمور . وكنت قد وافقتُ الأمير علاء الدين مغلطاى البيسرى أحد أمراء الطبلخانات (كذا) بدمشق ، لصحبة كانت بينى وبينه ؛ فلم نزل على ذلك ، وأعنة خيلنا بأيدينا حتى طلع الفجر ، فصلينا وركبنا . واصطفت العساكر إلى أن طلعت الشمس وارتفع النهار فى يوم السبت المذكور ، ثم أرسل الله مطرا شديداً نحو ساعتين ، ثم ظهرت الشمس . ولم نزل [على] خيولنا إلى وقت الزوال ، وأقبل التتار كقطع الليل المظلم ، وكان وصولهم ووصول السلطان بالعساكر المصرية فى ساعة واحدة" .

(٥) فى س "كسروها" .

والميسرة السلطانية ثابتة وأعلامها تخفق ؛ فبهت وتحيّر واستمرّ بموضعه حتى كمل معه جمعه، وأتاه من كان خلف المنهزمين من [الميمنة] السلطانية، ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم، منهم الأمير عز الدين أيدمر نقيب المماليك السلطانية. فأحضره قطلوشاه وسأله : "من أين أنت؟"، فقال : "من أمراء مصر"، وأخبره بقدوم السلطان؛ ولم يعلم قطلوشاه بقدوم السلطان بعساكر مصر إلا منه. فجمع [قطلوشاه] أصحابه وشاورهم فيما يفعل، وإذا بكوسات السلطان والأمراء والبوقات قد رجفت بحسّها الأرض وأزعجت القلوب؛ فلم يثبت بولاى أحد مقدّمى التتر، وخرج من تجاه قطلوشاه فى نحو العشرين ألفا، ونزل من الجبل بعد المغرب ومرّ هاربا.

وبات السلطان وسائر العساكر على ظهور خيولها والطبول تضرب، وتلاحق به من انهزم شيئاً بعد شىء، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات الحربية. وأحاط عسكر السلطان بالجبل الذى بات عليه التتار، وصار (٢٤٣ ب) بيبرس وسلار وقبجق والأمراء الأكابر فى طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يوصّونهم ويرتّبونهم، ويكثرون[1] من التأكيد عليهم فى التيقّظ وأخذ الأهبة. فما طلع الفجر يوم الأحد إلا وقد اجتمع شمل عساكر السلطان، ووقف كل أحد فى مصافّه مع أصحابه، والجفل[2] والأثقال قد وقفوا على بُعْد، وكانت رؤيتهم تُذْهِل، وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس.

وشرع قطلوشاه فى ترتيب من معه، ونزلوا مشاة وفرسانا وقاتلوا العساكر. فبرزت المماليك السلطانية بمقدّميها إلى قطلوشاه وجوبان، وعملوا فيهم عملا عظيما : تارة يرمونهم بالسّهام، وتارة يهاجمونهم[3]. واشتغل الأمراء أيضاً بقتال مَنْ فى جهتهم، [وصاروا][4] يتناوبون القتال أميرا بعد أمير. وألحّت المماليك السلطانية فى القتال واستقتلوا، حتى أن فيهم من قُتِل تحته الثلاثة أرءوس من الخيل. وما زال الأمر على ذلك حتى انتصف نهار [يوم] الأحد، [و] صعد قطلوشاه الجبل، وقد قتل منه نحو ثمانين رجلا، وجُرح الكثير واشتدّ عطشهم.

(١) فى س "يكثروا".
(٢) فى س "والجمل".
(٣) فى س "يهاجوهم".
(٤) هذا اللفظ موجود فى ب فقط (ص ٢٠٠ ب).

واتفق أن بعض من أسروه نزل إلى السلطان وعرّفه أن التتار قد أجمعوا على النزول في السّحر ومصادمة الجيش ، وأنهم فى شدّة من العطش . فاقتضى الرأى أن يُفْرَج لهم عند نزولهم ، ثم يركب الجيش أقفيتهم .

فلما باتوا على ذلك وأصبح نهار يوم الاثنين ، ركب التتار فى الرابعة ونزلوا من الجبل ، فلم يتعرّض لهم أحد . وساروا إلى النهر فاقتحموه ، وعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين ، وأيّدهم بنصره حتى حصدوا رؤوس التتار عن أبدانهم ، ومرّوا فى أثرهم إلى وقت العصر وعادوا إلى السلطان . فسُرِّحت الطيور بالنصر إلى غزة وَمَنْعِ المنهزمين من التوجّه إلى مصر ، وتَتَبُّعِ من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ به . وعُيِّن الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح[1] للسير بالبشارة إلى مصر ، وسار من وقته ؛ وكُتب إلى دمشق وسائر القلاع بالبشارة .

[ثم ركب السلطان[2] فى يوم الاثنين من مكان الواقعة] ، وبات ليلته[3] [بالكسوة] ، وأصبح يوم الثلاثاء [خامس الشهر] وقد خرج إليه أهل دمشق ، فسار إليها — [ومعه الخليفة] — فى عالَم من الفرسان والعامّة والأعيان والنساء والصبيان ، لا يحصيهم إلا من خلقهم سبحانه ، وهم يضجّون بالدعاء والهناء . وتساقطت عبرات الناس ، ودُقّت البشائر ، وكان يوما لم يشاهد مثله ، إلى أن نزل السلطان بالقَصر الأبلق ، [ونزل الخليفة بالتربة الناصرية] ، وقد زُيّنت المدينة .

واستمرّ الأمراء فى أثر التتار إلى القريتين ، وقد كَلَّت خيول التتر وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم ، واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة ، (٢٤٤ ا) حتى إن أراذِل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقا كثيرا ، وغنموا عدة غنائم ، وقَتَل الواحدُ من العسكر العشرين من التتر فما فوقها . وأدركت عربانُ البلاد التتارَ وأخذوا فى كيدهم : فيجىء منهم الاثنان والثلاثة إلى العدة الكثيرة من التتار كأنهم يسيرون بهم فى البرّ من طريق قريبة إلى الليل ، ثم يَدَعونهم و ينصرفون ، فتتحيّر التتر فى البرّية وتصبح فتموت عطشا . وفيهم

(١) فى س "الفتاح" . انظر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٧ ب) .
(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نفس المرجع والجزء والصفحة) .
(٣) فى س "وبات السلطان ليلته" ، وقد حذف الفاعل لانسجام الجملة مع سابقتها .

من فرّ إلى غوطة دمشق ، فتتبعهم الناس وقتلوا منهم خلقا كثيرا .

وخرج والى البرّ حتى جمع من استشهد من المسلمين ، ودفنهم فى موضع واحد بغير غسل ولا كفن ، و بنى عليهم قبة . وتتبّع نائب غزة من انهزم من العسكر وأخذهم وفتشهم ، فظفر منهم بجماعة معهم الأكياس المال بختمها . ووقف الأمير علم الدين سنجر الجاولى بطريق دمشق ومعه الخزّان(١) وشهود الخزانة ، وأخذ الغلمانَ فظفر منهم بشىء كثير مما نهبوه ، وعوقب جماعة بسبب ذلك . وما زال الأمر يشتدّ فى الطلب ، حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن ، ولم يفقد منه إلا القليل .

وشمل السلطان الأمراء بالخلع والإنعام ، وحضر الأمير سيف الدين برلغى — وقد انهزم فيمن انهزم — فلم يأذن له السلطانُ فى الدخول عليه ، وقال : " بأىّ وجه يدخل علىّ أو ينظر فى وجهى ؟ " ، فما زال به الأمراء حتى رضى عنه وأذِن فى دخوله ، فقبّل الأرض . وقُبِض على رجل من أمراء حلب كان قد انتمى إلى التتار وصار يدلّهم على الطرقات ، فسُمِّر على جمل وشُهِّر بدمشق وضواحيها . واستمرّ الناس طول شهر رمضان فى مسرّات تتجدّد ، وصلّى السلطان صلاة عيد الفطر ، وخرج من دمشق فى ثالث شوال يريد مصر .

وأما التتار فإنه(٢) قُتل أكثرهم ، (٢٤٤ ب) حتى لم يعبر قطلوشاه الفرات إلا فى قليل من أصحابه . ووصل خبر كسرته إلى همذان(٣) فوقعت الصرخات فى بلادهم ، وخرج أهل توريز وغيرها إلى لقائهم ، واستعلام خبر مَنْ فُقِدَ منهم ، فأقامت النياحة فى توريز شهرين على القتلى . وبلغ الخبر غازان فاغتمّ غمّاً عظيما — وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت ، واحتجب حتى عن الخواتين(٤) — ، فإنه لم يصل إليه من كل عشرة واحد ،

(١) لا يوجد فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٥ — ٤٦٦) فى باب أرباب الوظائف من كتاب الأموال وظيفة بهذا الاسم ، على أن لفظ " خزان " وارد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) بمعنى الموكل بحفظ شىء من الأشياء فى عهدته ، ولعل المقصود به فى مصطلح دولة المماليك الشخص الذى يوكل إليه مراقبة خزانة السلطان فى الأسفار والحروب .

(٢) فى س "فانه لما قتل اكثرهم" ، وقد حذفت "لما" لتستقيم العبارة .

(٣) فى س "همدان" .

(٤) فى س "الحواتين" .

فارتجّ الأردوا بمن فيه . ثم جلس غازان وأوقف قطلوشاه وجوبان وسوتاى ومن كان معهم من الأمراء ، وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله ، فما زالوا به حتى عَفَى عنه من القتل ، وأبعده من قدّامه حتى صار على مسافة كبيرة بحيث يراه ؛ وقام إليه — وقد مسكه الحجاب — سائرُ من حَضَر وَهُم خلق كثير جدا ، وصار كل منهم يبصق فى وجهه حتى بصق الجميع ؛ ثم أبعده عنه إلى كِيْلان[1] . وضَرب [غازانُ] بولاى عدّة عصى ، وأهانه . وقد ذكر الشعراء وقعة التتر هذه فأكثروا[2] .

وسار السلطان من دمشق [فى يوم الثلاثاء الثالث من شوال[3] ، ووصل إلى القاهرة ودخلها فى الثالث والعشرين منه] . و[كان قد] قدم بكتوت الفتاح إلى القاهرة يوم الاثنين ثامن شهر رمضان ، فرسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسلة من القلعة ، وكتب بإحضار سائر مغانى العرب من أعمال مصر كلها . [واستمرّت الزينة من بعد وصول الأمير بكتوت الفتاح بكتاب البشارة إلى أن قدم السلطان ، و بعد ذلك بأيام] . وكان قبل قدوم بكتوت الفتاح قد وَقعت بطاقة من قطيا بخبر البشارة ، وتأخّر الفتاح لوجع يده ؛ فقلق الناس وغلقت الأسواق ، وأُبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم ، والراوية الماء بأربعة دراهم . فلما قدم خرج الناس إلى لقائه ، وكان يوما عظيما . وتفاخر الناس فى الزينة ونصبوا القلاع ، واقتسمت أستادارية الأمراء شارعَ القاهرة إلى القلعة ، ورَتّبُوا ما يخصّ كلّ واحد منهم وعملوا به قلعة ، بحيث تودى من استعمل صانعا فى (١٢٤٥) غير عمل القلاع كانت عليه جناية[4] للسلطان ؛ وتحسّن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة . وتفاخروا فى تزيين القلاع ، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة على قدوم السلطان وعلى الزينة ، فإن

(١) كذا فى س بغير ضبط ، والصحيح جيلان ، والرسم الوارد بالمتن هو ماتقول به العجم ؛ وجيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، والنسبة إليها جيلانى وجيلى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٧٩).

(٢) يوجد كثير من هذا الشعر فى (Zetterstéen : Beiträge. P. 115, et seq.) ، هذا وقد أورد النويرى (نهاية الأرب ، ج . ٣ ، ص ٣٣٧ ب ، وما بعدها) نص مؤلف صغير فى هذه الوقعة ، صنفه القاضى علاء الدين على بن عبد الظاهر ، وسماه الروض الزاهر فى غزوة الملك الناصر ، وهو فى ملحق رقم ١٦ ، فى آخر هذا الجزء .

(٣) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويرى (نهاية الأرب ، ج . ٣ ، ص ٣٣٧ ب) .

(٤) المقصود بالجناية هنا الغرامة . (انظر الفهرس) .

الناس أخرجوا الحلى والجواهر واللآلئ وأنواع الحرير فزيّنوا بذلك . ولم ينسلخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع : وعمل ناصر الدين محمد بن الشيخى الوالى قلعةً بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل ، ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون ، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر .

فقـدم السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال ، وقد خرج الناس إلى لقائه ؛ وبلغ كراء البيت الذى يمرّ عليه من خمسين درهما إلى مائة درهم . فلما وصل [السلطان] باب النصر ترجّل سائر الأمراء ، وأول من ترجّل منهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، وأخذ سلاح السلطان . فأمره السلطان أن يركب لـكبر سنّه ويحمل السلاح خلفه ، فامتنع ومشى . وحمل الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار القُبّة(١) والطّير ، وحمل الأمير بكتمر أمير جاندار العصى(٢) ، والأمير سنجر الجقدار(٣) الدبّوس . ومشى كل أمير فى منزلته ، وفرش كلٌّ منهم الشقق من قلعته إلى قلعة غيره ، فكان السلطان إذا تجاوز قلعة فَرَشَت القلعة المجاورة لها الشقق حتى يمشى عليها بفَرَسه مشيا هينا ، لأجل مَشْيِ الأمراء بين يديه ؛ وكلما رأى قلعةَ أميرٍ أمسك عن المشى حتى يعاينها ويعرف ما اشتملت عليه هو والأمراء . هذا والأسرى من التتار بين يديه مقيدون(٤) ، ورؤوس من قُتل منهم معلّقة فى رقابهم ، وألف رأس على ألف رمح ، وعدة الأسرى ألف وستمائة فى أعناقها ألف وستمائة رأس ، وطبولهم قدّامهم مخرّقة .

(٢٤٥ ب) وكانت القلاع التى نصبت قلعـةُ الأمير ناصر الدين [محمد بن] الشيخى بجوار باب النصر ، وتليها قلعة الأمير علاء [الدين] مغلطاى بن أمير مجلس ، وبعده(٥) ...

---

(١) يظهر أن القبة والطير هما المظلة التى كانت من رسوم الفاطميين فى مصر ، ويتضح هذا من تعريف القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٧ ، وما بعدها) للمظلة ، ونصه : " المظلة ويعبر عنها بالجتر ، وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، (ص ٨) مطلية بالذهب ... ، وهى من بقايا الدولة الفاطمية " ؛ ولعل الفرق بينهما أن التسمية تغيرت إلى القبة والطير فى عصر المماليك .

(٢) المقصود بالعصى هنا الصولجان (Le sceptre) . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 210) .

(٣) فى س "الجقدار" .

(٤) فى س "معدن" .

(٥) بياض فى س .

ابن أيتمش السعدى ، ثم الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، و بعده الأمير طغريل الإيغانى ، ثم بهادر اليوسفى ، ثم سودى ، ثم بيليك الخطيرى ، ثم برلغى ، ثم مبارز الدين أمير شكار ، ثم أيبك الخازندار ، ثم سنقر الأعسر ، ثم بيبرس الدوادار ، ثم سنقر الكمالى ، ثم موسى بن الملك الصالح ، ثم سيف الدين آل(١) ملك ، ثم علم الدين الصوابى ، ثم جمال الدين الطشلاقى ، ثم سيف الدين آدم ، ثم الأمير سلار النائب ، ثم بيبرس الجاشنكير ، ثم بكتاش أمير سلاح ، ثم الطواشى مرشد الخازندار — وقلعته على باب المدرسة المنصورية — ، و بعده بكتمر أمير جندار ، ثم أيبك البغدادى نائب الغيبة ، ثم ابن أمير سلاح ، ثم بكتوت الفتاحى(٢) ، ثم تباكر التغريلى ، ثم قلى السلحدار(٣) ، ثم بكتمر السلاح دار ، ثم لاجين زيرباج الجاشنكير ، ثم طيبرس الخازندارى نقيب الجيش ، ثم بلبان طرنا ، و بعده سنقر العلائى ، ثم بهاء الدين يعقوبا ، ثم الأبو بكرى ، ثم بهادر العزى ، و كوكاى بعده ، ثم قرا لاجين ، ثم كراى المنصورى ، ثم جمال الدين أقوش قتال السبع — وقلعته على باب زويلة . واتصلت القلاع من باب زويلة إلى باب السلسلة ، و إلى باب القلعة و باب القلة ، فكانت عدتها سبعين قلعة .

وعند ما وصل السلطان إلى باب المارستان نزل وصعد إلى قبر أبيه ، وقرأ القرّاء قدّامه . ثم ركب إلى باب زويلة ، ووقف حتى أركب الأميرَ بدر الدين بكتاش أمير سلاح خلفه و بيده السلاح . وسار على الشقق الحرير إلى داخل القلعة ، والتهانى فى دور السلطان والأمراء وغيرهم ؛ وكان يوماً عظيماً (٢٤٦ ا) إلى الغاية .

فلما استقرّ السلطان بالقلعة أنعم على الأمير برلغى بثلاثين ألف درهم واستقرّ أميرَ الركب ، وقدّم له الأمراء شيئاً كثيراً . وكُتب على يده إلى أبى الغيث وأخيه أميرى(٤) مكة ألا يمكّنوا من الأذان بحىّ على خير العمل ، ولا يتقدّم فى الحرم إمام زيدى ، وألا يُرْبط الحاج حتى يقبضوا على ما كان فى الكعبة مما سموه العروة الوثقى ، ولا يمكّن أحد من مسّ المسمار الذى كان فى الكعبة . وكان يحصل من التعلّق بالعروة الوثقى ومن التسلّق إلى المسمار عدة

(١) ضبط هذا اللفظ بمدة على الألف من (Zetterstéen : Beiträge. P. 139) .
(٢) كذا فى س .
(٣) كذا فى س .
(٤) فى س "امرا" .

مفاسد قبيحة ، فَتُرِك ذلك كله بسفارة الأمير بيبرس ، وتُرِك الأذان بحى على خير العمل من مكة ، ولم يتقدّم من حينئذ إمام زيدى للصلاة بالحرم .

وفى هذه السنة بنابلس صام الحنابلة شهر رمضان على عادتهم بالاحتياط ، واستكمل الشافعية وغيرهم شعبان وصاموا . فلما أتمّ الحنابلة ثلاثين يوماً أفطروا ، وعيّدوا وصلّوا صلاة العيد ولم يُرَ الهلال . فصام الشافعية والجمهور ذلك النهار ، وأصبحوا فأفطروا وعيّدوا وصلّوا صلاة العيـد . فأنكر نائبُ الشام على متولّى نابلس كيف لم يجتمع الناس على يوم واحد ، ولم يُسمع بمثل هذه الواقعة .

واتّفق أيضاً أن أهل مدينة أغَرْناطة[1] بالأندلس صاموا شهر رمضان ستة وعشرين يوماً ، وذلك أن الغيوم تراكمت عندهم عدّة أشهر قبل رمضان ، فلما كانت[2] ليلة السابع والعشرين طلعوا المأذنة ليَقِدُوها على العادة ، فإذا الغيوم قد أقلعت وظهر الهلال ، فأفطروا .

وفيها سخط الأمير بيبرس الجاشنكير على كاتبه المعلم المناوى من أجل فراره إلى غزة فى وقت الوقعة ، وطلب أبا الفضائل أكرم النصرانى كاتبَ الحوائجخاناه وألزمه حتى أسلم ، وخلع عليــه وأقرّه فى ديوانه ؛ فزادت رتبته حتى صار إلى ما يأتى ذكره إن شاء الله ، وعرف بكريم الدين الكبير .

وفيها قام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إبطال عيد الشهيد[3] بمصر : وذلك أن النصارى كان عندهم تابوت فيــه أصبع يزعمون أنه أصبعُ بعض شهدائهم ، وأنّ النيل لا يزيد ما لم يُرْمَ فيه هذا التابوت ؛ فتجتمع نصارى أرض مصر من سائر الجهات إلى ناحية شبرا ، ويخرج أهل القاهرة ومصر ، وتركب النصارى الخيول للعب ؛ ويمتلئ البرّ بالخيم ، والبحر بالمراكب المشحونة بالناس ، ولا يبقى صاحب غناء ولا لهو حتى يحضر ، وتتبرّج زوانى سائر البلاد . ويباع فى ذلك اليوم من الخمر بنحو مائة ألف درهم ، حتى إنه فى سنة باع رجل

(١) كذا فى س بغير ضبط ، والمقصود مدينة غرناطة المعروفة بالأندلس ، وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٧٨) ، أن الرسم المثبت بالمتن هنا هو الصحيح ، وإنما أسقط العامة حرف الألف .

(٢) فى س "كان" .

(٣) أورد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٦٨ ، وما بعدها) تاريخا طويلا لهذا العيد ، على أنه لا يخرج فى جوهره عما هنا فيما يلى .

نصرانى بمائتين[1] وعشرين ألف درهم خمراً ، فكان أهل شبرا يوفون الخراج من ثمن الخمر ؛ (٢٤٦ ب) وتثور فى هذا اليوم الفتن ويُقتل عدة قتلى ، فأمر الأمير بيبرس بإبطال ذلك ، وألا يُرمى التابوت فى النيل ، وأخرج الحجابَ والوالى حتى منعوا الناس من الاجتماع ، بعد أن كَتب إلى جميع الولاة بالنداء ألا يخرج أحد إلى عمل عيد الشهيد . فشقّ ذلك على النصارى ، واجتمعوا مع الأقباط الذين أظهروا الإسلام ، وصاروا إلى التاج بن سعيد الدولة لتمكّنه من الأمير بيبرس ؛ فسار إليه وخيّله من انكسار الخراج بإبطال العيد ومن عدم طلوع النيل ، فلم يلتفت إليه وصمّم على إبطاله ، فبطل .

وفيها جهّز صاحب سيس مراكبَ إلى نحو قبرص فيها بضائع قيمتها قريب من مائة ألف دينار ، فألقاها الريح على مينة دمياط ، فأُخذَت برمّتها .

و[فيها] قدم الخبر بقحط بلاد تقطاى[2] مدة ثلاث سنين ، ثم أعقبه موتان فى الخيل والغنم حتى فنيت ولم يبق عندهم ما يؤكل ؛ فباعوا أولادهم وأقاربهم للتجار ، فقدموا بهم إلى مصر وغيرها .

وفيها كانت الزلزلة العظيمة : وذلك أنه حصل بالقاهرة ومصر فى مدة نصب القلاع والزينة من الفساد فى الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه ، من خامس شهر رمضان إلى أن قُلعت فى [أواخر[3] شوال] . فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة عند صلاة الصبح اهتزّت الأرض كلّها ، وسُمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة ؛ وصار الماشى يميل والراكب يسقط حتى تخيّل الناس أن السماء انطبقت على الأرض ، فخرجوا فى الطرقات رجالا ونساء ، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن . واشتدّ الصُراخ وعظم الضجيج والعويل ، وتساقطت الدور وتشقّقت الجدران ، وانهدمت (٢٤٧ ا) مآذن الجوامع والمدارس ، ووَضع كثير من النساء الحوامل ما فى بطونهن ؛ وخرجت

(١) فى س "عامى" .

(٢) فى س "تقطاى" ، والمقصود هنا مملكة القفجاق التترية ، وكان على عرشها تقطاى بن تلابغا (Toktū) منذ ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) ، وقد استمر حكمه حتى سنة ٧١١ هـ (١٣١٢ م) . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 230) . هذا ويلاحظ مما يلى بالمتن أن مجاعات البلاد المجاورة لمصر كانت عاملا من عوامل ازدياد المماليك بها .

(٣) موضع ما بين القوسين بياض فى س . انظر ما سبق ، ص ٩٣٨ ، سطر ٧ — ١١ .

رياح عاصفة ، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكبَ التى كانت بالشاطىء قدر رمية سهم ، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطّعت مراسيها ؛ واقتلع الريح المراكب السائرة فى وسط الماء ، وحذفها[1] إلى الشاطىء .

وفُقد للناس من الأموال شىء كثير : فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعُوا على شىء مما فيها ، فدخلها أهل الدعارة[2] وأخذوا ما أحبّوا . وصار الناس إلى خارج القاهرة ، وبات أكثرهم خارج باب البحر ، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة . ولم تكد دار بالقاهرة ومصر تَسْلَمُ[3] من الهدم أو تشعُّثِ بعضها ، وسقطت الزُرُوْب[4] التى بأعلى الدور ، ولم تبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه . وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد ، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة[5] .

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا ، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كوما ؛ وأن ضيعتين بالشرقية خربتا حتى صارتا كوما . وقدم الخبر من الإسكندرية بأن المنار انشقّ وسقط من أعلاه نحو الأربعين شرفة[6] ، وأن البحر هاج وألقى الريحُ العاصفُ موجَه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفرنجية على البرّ ؛ وسقط جانب كبير من السور ، وهلك خلق كثير .

وقدم الخبر من الوجه القبلى بأن فى اليوم المذكور هبّت ريح سوداء مظلمة حتى لم يرَ أحدٌ أحدا قدر ساعة ، ثم ماجت الأرض وتشقّقت[7] وظهر من تحتها رمل أبيض ، وفى بعض المواضع رمل أحمر ؛ وكَشَط (٢٤٧ ب) الريح مواضع من الأرض فظهرت عمائرُ قد رَكِبَها السّافِى[8] ، وخربت مدينة قوص ، وأن رجلا كان يحلب بقرة فارتفع فى وقت الزلزلة

---

(١) فى س "وحدفها" ، وفى محيط المحيط أن فعل "حذف" يأتى بمعنى "أسقط" ، ويقال أيضا حذفه من شعره أخذه ، وبالعصاة رماه بها ، وأكثر العامة يقولون "حدفه" بالدال المهملة .

(٢) كذا فى س ، ويقال للواحد من أهل الدعارة ذاعر ، وهو الخبيث ، والخائف أيضا ؛ والذعرية من السنين الشديدة ، فيقال سنة ذعرية ؛ والدعارة — بالدال — الخبث والفسق والشر أيضا ، والداعر الخبيث . (محيط محيط) . (٣) فى س "سلمت" .

(٤) الزروب جمع زرب ، ومعناه هنا ميازيب الماء . (محيط المحيط) .

(٥) يوجد فى (Zetterstéen : Op. Cit. PP. 126 et seq) وصف شاهد عيان لحوادث هذا الزلزال .

(٦) فوق هذا اللفظ فى س إشارة إلى لَحَق غير موجود بالهامش ، ولعل المقريزى أنسى إثباته أو أهمله .

(٧) فى س "وتشققت الارض" . (٨) السافى التراب الذى حملته الريح . (محيط المحيط) .

و بيده المحلب ، وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة ، ثم انحطّ إلى مكانه من غير أن يتبدّد شيء من اللبن الذى فى المحلب . وقدم الخبر من البحيرة أن دمنهور الوحش لم يبق بها بيت عامر .

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر ، فالتزم الأمير سلار النائب بعمارته . وخربت أكثر سوارى[١] الجامع الحاكمى بالقاهرة وسقطت مأذنتاه[٢] ، فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته . وخرب الجامع الأزهر ، فالتزم الأمير سلار بعمارته أيضاً ، وشاركه فيه الأمير سنقر الأعسر[٣] . وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة ، فعمر من الخاص السلطانى ، وتولّى عمارتَه الأمير علم الدين سنجر . وخربت مأذنة المنصورية ، فعمرت من الوقف على يد الأمير سيف الدين كهرداش الزرّاق . وسقطت مأذنة جامع الفكاهين . وكُتب بعمارة ما تهدّم بالإسكندرية ، فوجد قد انهدم من السور ست وأربعون بدنة ، وسبعة عشر برجا[٤] ، فعمرت .

وقدم البريد من صفد أنه فى يوم الزلزلة سقط جانب كبير من قلعة صفد ؛ وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه إلى البر ، فظهر فى موضع الماء أشياء كثيرة فى قعر البحر من أصناف التجارة ؛ وتشقّقت جدر جامع بنى أمية[٥] بدمشق .

واستمرّت الزلزلة خمس درج ، إلا أن الأرض أقامت عشرين يوما ترجف ؛ وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى . وكان الزمان صيفا ، فتوالى بعد ذلك سَمُوم شديدة الحرّ عدة أيام . واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة فى رمّ ما تشعّث و بنى ما هدم[٦] ، وغلت أصناف العمارة لكثرة طلبها ، فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها (١٢٤٨) الإنسان

---

(١) كذا فى س .
(٢) فى س " ماذنتيه " .
(٣) فى س " الازهر " ، وخطأ المقريزى واضح .
(٤) يلى هذا فى س لفظ "بدنه" وقد حذفت ، وسبب ورودها أن المقريزى كتب العبارة أولا كالآتى ، " وكتب بعماره ما تهدم بالاسكندريه فوجد قد انهدم من السور ست بدنه ... " ، ثم أضاف بالهامش عبارة " واربعون بدنه وسبعة عشر برجا " ، فلم تعد ثمت حاجة إلى لفظ "بدنه" المشار إليه .
(٥) قبالة هذا اللفظ فى س آثار كتابة ممحوة محوا تاما ، ومكانها إشارات أربع رسمها كالآتى تقريبا صه صه .
(٦) فى س "وهدم مابنى" .

يتخيّل أن العدو أغار[1] عليها وخربها. فكان فى ذلك لطف من الله بعباده، فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينـة، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار بمـا كان من هذه الزلزلة.

واتّفق فيها من الأمر العجيب أن الأمير بيبرس الجاشنكير لمـا رمّ ما تشعّث من الزلزلة بالجامع الحاكمى، وجد فى ركن من المأذنة كفّاً إنسان بزنده قد لفّ فى قطن وعليه أسطر مكتوبة لم يُدرَ ما هى، والكف طرىّ. ونُبِشت دكان لبّان مما سقط فى الزلزلة، فإذا أخشابها قد تصلّبت على اللبان وهو حىّ، وعنده جرّة لبن يتقوّت منها مدة أيام، فأخرج حيا لم يمسسه[2] سوء.

وفى هذه السنة استقرّ فى نيابة صفد الأمير سنقرشاه المنصورى، عوضاً عن بدخاص؛ وأنعم على بدخاص بإمرة بديار مصر. ونُقل قبجق من نيابة الشوبك إلى نيابة حماة، عوضا عن العادل كتبغا بعد[3] موته. واستقرّ بلبان الجوكندار فى نيابة حمص، بعد موت سيف الدين البكى. ثم استعفى [بلبان]، فولى عزّ الدين أيبك الحموى [نائب قلعة[4] دمشق] عوضه، واستقرّ عوضه فى نيابة قلعة دمشق بيبرس التلاوى. وبلغ النيل ثمانية عشر ذراعاً.

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر برهان الدين إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم السكندرى الشافعى، فى رابع عشرى شوال بدمشق؛ ومولده بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وستمائة؛ وكان مشهوراً بالعلم والديانة، ناب فى خطابة جامع بنى أمية، وباشر الحكم مدة بدمشق ودرّس بها، وأفاد زماناً. و [مات] كمال الدين أحمد بن أبى الفتح ابن محمود بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان، (٢٤٨ ب) المعروف بابن

---

(١) فى س "غار".

(٢) فى س "عسه"

(٣) كان أبو الفداء، مؤلف كتاب المختصر فى أخبار البشر المتداول فى هذه الحواشى، يريد تلك النيابة لنفسه باعتباره سليل الأيوبيين أصحابها منذ أيام صلاح الدين الأيوبى، فأرسل إلى الناصر يطلب إقامته عليها، غير أن قاصده وصل إلى القاهرة بعد تعيين قبجق. انظر أبا الفداء (نفس المرجع، ج ٤، ص ٥١).

(٤) أضيف ما بين القوسين مما يلى هنا، سطر ١٢.

العطار ، أحد كتاب الدرج بدمشق ، فى رابع عشرى ذى القعدة ؛ ومولده سنة ست وعشرين وستمائة ؛ وكان كثير التلاوة للقرآن ، محباً لسماع الحديث وحدّث ، وكان صدراً كبيراً فاضلا له نظم ونثر ، وأقام يكتب الدرج أربعين سنة . و[مات] الشيخ شهاب الدين أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى ، بالقاهرة فى . . . (١) . و[مات] الأمير فارس الدين البكى الساقى ، أحد مماليك الظاهر بيبرس ؛ تنقّل فى الخدَم حتى صار من أمراء مصر ، ثم اعتُقل إلى أن أفرج عنه المنصور قلاون وأنعم عليه بإمرة ، ثم ولاّه نيابة صفد فأقام بها عشر سنين ؛ وفرّ مع قبجق إلى غازان وتزوّج بأخته ، ثم قدم مع غازان ولحق بالسلطان ، فولاّه نيابة حمص حتى مات بها يوم الثلاثاء ثامن ذى القعدة ؛ وكان مليح الشكل ، ما جلس قط بغير خُفّ ، وإذا ركب ونزل حلّ جمداره شاشه ، فإذا أراد الركوب لفّه مرة واحدة كيف جاءت ، ويركب ولا يعيد لفة الشاش مرتين أبداً . واستشهد بوقعة شقحب عز الدين أيدمر العزّى نقيب المماليك السلطانية ، وهو من مماليك عز الدين أيدمر نائب دمشق ؛ وكان كثير الهزل ، وإليه تنسب سويقة العزى خارج القاهرة . و[مات] الأمير أيدمر الشمسى القشاش ، وكان قد ولى الغربية والشرقية جميعاً ، واشتدّت مهابته ؛ وكان يعذّب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب : منها أنه كان يغرس خازوقاً ويجعل مُحَدَّده قائماً ، وبجانبه صارٍ كبير يعلّق فيه الرجل ، ثم يرسله فيسقط على الخازوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه ؛ ولم يجرأ أحد من الفلاحين بالغربية والشرقية فى أيامه أن يلبس مئزراً أسود ، (١٢٤٩ ا) ولا يركب فرساً ولا يتقلّد سيفاً ، ولا يحمل عصا مُجلَّبة بحديد ؛ وعَمِل بها الجسور والترع وأتقنها ، وأنشأ جسراً بين مَلَقَة (٢) صَنْدَفا وأرض سمنود يعرف بالشقفى ، فرآه بعد أن استشهد بمدة قاضى المحلة فى النوم ، فقال له : "سامحنى الله وغفر لى بعمارة جسر الشقفى" ؛ وكان قد فُلِج واستعفى من الولاية ولزم بيته ، وخرج لغزوة شقحب فى محفة إلى وقت القتال ، فلبس (٣) سلاحه وركب وهو فى غاية الألم ، فقيل له :

---

(١) بياض فى س .

(٢) الملقة مؤنث الملق ، وهو ما استوى من الأرض . (محيط المحيط) . وصندفا — واسمها سندفا فى مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٢ ، ص ٥٨) — قرية بلصق المحلة الكبرى من الجهة الجنوبية ، بل هى الآن جزء منها .

(٣) فى س "لبس" .

" إنك لا تقدر " ، فقال : " والله لمثل هذا اليوم أنتظر ، و إلا إيش يتخلص[1] القشاش من ربّه بغير هذا ؟ " ، وحَمل على العدوّ وقاتل فقتل ، ورُئى فيه ست جراحات . و [مات] الأمير حسام الدين أو ليا بن قرمان ، أحد الأمراء الظاهرية ، وهو ابن أخت قرمان — وعرف بابن قرمان — ، وكان شجاعاً . و [مات] الأمير عز الدين أيبك أستادار . و [مات] الأمير عز الدين أيدمر الرفا المنصورى . و [مات] الأمير جمال الدين أقوش الشمسى الحاجب . و [مات] الأمير سيف الدين بهادر الدكاجكى ، أحد الأمراء بحماة . و [مات] صلاح الدين بن الكامل . و [مات] علاء الدين بن الجاكى . و [مات] الشيخ نجم الدين أيوب الكردى ، و [كان قد] قدم إلى دمشق سنة سبع وثمانين وستمائة فى طائفة من الأكراد ، واعتقده الأمراء وحملوا إليه المال فكان يتصدّق به ؛ ثم قدم إلى القاهرة ، وخرج مع السلطان وقاتل بشقحب حتى قُتل . و [مات] الأمير شمس الدين سنقر الشمسى الحاجب . و [مات] سنقر الكافرى ، أحد الأمراء . و [مات] سنقر شاه أستادار الجالق . و [مات] حسام الدين على بن باخل ، أحد أمراء العشراوات . و [مات] لاجين الرومى المنصورى أستادار المنصور قلاون ، و يعرف بالحسام أستادار ؛ وكان ديّنا خيراً حَشِما ، سمع الحديث . ومات الأمير شمس الدين سنقر العنتابى بدمشق ، ليلة الجمعة ثانى عشر ذى القعدة . ومات العادل[2] كتبغا بحماة ليلةَ الجمعة يوم عيد (٢٤٩ ب) الأضحى وهو فى سن الكهولة ؛ وكان ديّنا خيّراً ، أسمر اللون قصيراً دقيق الصوت قصير العنق ، شجاعا سليم الباطن متواضعاً ؛ وهو من جنس المغل ؛ و [كان قد] طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه ؛ وترك أولاداً ؛ فولى نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى ، [وقد] نقل إليها من نيابة الشوبك . و [مات] الشيخ تقى الدين محمد بن مجد

---

(١) فى س " يتخلص ".

(٢) تقدّمت أخبار هذا الأمير فى مواضع شتى بالمتن ، (انظر الفهرس) ، وهو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى ، وقد خلع من السلطنة سنة ٦٩٦ هـ ، وقنع بنيابة حماة وعاش بها حتى وفاته ، وفى هذا دليل على أن وظيفة السلطنة فى دولة المماليك كانت كوظيفة النيابة شخصية بحتة ، يتالها من بينهم الأقوى أو الأرشد أو الأكثر نفرا ، ثم يتنزل عنها بالوفاة أو قبلها إذا ما استطاع أمراء المماليك إلى ذلك سبيلا ، وأن مبدأ الوراثة والتعاقب الذى دأب السلاطين على تطبيقه بتولية أبنائهم أولياء للعهد من بعدهم كان فى الواقع مبدأ غريبا عن عقول السلاطين أنفسهم ، وأن النجاح المؤقت الذى صادفه ذلك المبدأ كان على الرغم من الأمراء والمماليك .

الدين على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى المنفلوطى المعروف بابن دقيق[(١)] العيد فى يوم الجمعة حادى عشر صفر ، عن سبع وسبعين سنة ، وهو على قضاء القضاة ؛ ومولده فى خامس عشرى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة .

* * *

سنة ثلاث وسبعمائة . فيها انتُدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة ، وأنفقوا فيها مالا جزيلا . وقدم الأمير برلغى الأشرفى من الحجاز ، وشكى من قلة مهابة الشريفين أبى الغيث وعطيفة وكثرة طمع العبيد فى المجاورين بمكة . فأُفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن ، وأُحضرا إلى المجلس السلطانى وخُلع عليهما بكلفتات زركش ، فلم يلبسها حميضة إلا بعد التمنع والتهديد بالعود إلى الحبس . وأجلسا فوق جميع الأمراء ،

(١) أشاد النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣١١ ا ، وما بعدها) بهذا القاضى الشهير عند ذكر توليته منصب قاضى قضاة الشافعية سنة ٦٩٥ هـ ، ومما قاله فيه إنه كان كثير التطلع إلى أخبار نوابه بالأعمال والبلاد ، وإنه كان يذكرهم بكتبه المشتملة على المواعظ والتحذيرات من عواقب الغفلة والإهمال ، فكان مما كتبه إلى المخلص البهنسى قاضى أخميم ، سنة سبع وتسعين وستمائة ، وقيل إنه كتب إلى جميع نوابه من القضاة بمثل ذلك ، ما نصه بعد مقابلته على النص الوارد فى الأدفوى (الطالع السعيد ، ص ٣٣٦ — ٣٣٧) .

"بسم الله الرحمن الرحيم . الفقير إلى الله محمد بن على . يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . هذه المكاتبة إلى فلان ، وفقه الله لقبول النصيحة ، وآتاه لما يقربه قصدا صالحا ونية صحيحة . أصدرنا إليه بعد حمد الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويمهل حتى يلتبس الأمر بالإمهال على المغرور ، تذكرة بأمر ربك ، فإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ، ويحذره صفقة من باع الآخرة بالدنيا ، فما أحد سواه مغبون ، عسى الله أن يرشده بهذا التذكار وينفعه ، وتأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار ، فإنى أخاف أن يتردى فيجر من ولاه والعياذ بالله معه . والمقتضى لإصداره ما لحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب ، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يجب للرب على المربوب ، ومن أنسهم بهذه الدار وهم يزعجون عنها ، ومن علمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود وهم لا يتحققون منها ، ولا سيما القضاة الذين يحملون عبء الأمانة على كواهل ضعيفة ، وظهروا بصور كبار وهمم نحيفة . والله إن الأمر لعظيم ، وإن الخطب لجسيم ، ولا أرى مع ذلك أمنا ولا قرارا ولا راحة ، اللهم إلا رجلا نبذ الآخرة وراءه ، واتخذ إلهه هواه ، وقصر همه وهمته على حظ نفسه من دنياه ، فغايته مطلب الحياة والمنزلة فى قلوب الناس وتحسين الزى والملبس والركبة والمجلس ، غير مستشعر خسة حاله ولا ركاكة مقصده . فهذا لا كلام معه ، فإنك لا تسمع الموتى ، وما أنت بمسمع من فى القبور . فاتق الله الذى يراك حين تقوم ، واقصر أملك عليه فالمحروم من أمله غير مرحوم ، وما أنا وأنتم أيها النفر إلا كما قال حبيب العجمى ، وقد قال له قائل ليتنا لم نخلق ، فقال قد وقعتم فاحتالوا . وإن خفى عليك بعض هذا الخطر ، وشغلتك الدنيا أن تقضى من معرفته الوطر ، فتأمل كلام النبوة : القضاة ثلاثة ، وقوله صلى الله عليه وسلم لمن خاطبه مشفقا عليه : لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" .

ونزلا إلى منازلهما وحُمل إليهما سائر ما يحتاجان إليـه ؛ وهاداهما[1] الأمراء ، وأُجريت لهما[2] الرواتب والجرايات والـكسوات ، وركبا مع السلطان فى الميدان ، ولعب حميضة مع السلطان بالـكرة .

وفيها سارت العساكر من القاهرة للغارة على بلاد سيس ، وعليهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، ومعه الأمير علم الدين سنجر الصوابى والأمير شمس الدين سـنقر شاه المنصورى ومضافيهم ؛ وكُـتب إلى طرابلس وحماة وصفد وحلب بخروج العساكر إليها . فوصل الأمير بدر الدين بكتاش إلى دمشق فى (١٢٥٠) ثانى عشر رمضان ، وخرج منها بعسكر دمشق ، فسار إلى حلب وأتته عساكر البلاد ، فمرض وأقام بحلب . وسار ابنه بالعساكر ، وحرّقوا مزارع سيس وخرّبوا الضياع وأسروا أهلها ، ونازلوا تل حمدون وقد امتنع بقلعتها جماعةٌ كثيرةٌ من الأرمن ، فقاتلوهم حتى فُتحت بالأمان ، وأخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن . فشقّ ذلك على تـكفور ملك سيس ، وقصد نـكايةَ الملوك على تسليمهم قلعة تل حمدون بالأمان ، وكَتب إلى نائب حلب بأنّ ملوك القلاع هم الذين كانوا يمنعون من حمل الخراج ، "فلا تفرجوا عن أحد منهم ، فليس عندى مَن يَزِنُ المـال سواهم" . فأمر النائب بقتلهم ، فضُربت رقاب الملوك الخمسة ؛ وأسلم منهم صاحب قلعة نجيمة والتزم بأخذ سيس ، فحُمل إلى مصر وكُـتب صحبته[3] بعود العساكر بالغنائم ؛ فسرّ الأمراء والسلطان بذلك ، وأُكرم صاحب قلعة نجيمة ، وكَتب بعود العساكر .

وقدم البريد بموت الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب حمص : فـكُتب لبلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق باستقراره فى نيابة حمص ، وتوجّه إليها فى ثامن عشرى جمادى الأولى ؛ وولى عوضه نيابة قلعة دمشق بهادر السنجرى .

وفيها وقع موتان فى الخيول ببلاد الشام ، فمات من حلب ودمشق نحو الثمانين ألف فرس ؛ وفشا [الموتان] فى خيول مصر [أيضاً] ، فهلك كثير منها . ووَقع ببلاد الساحل جراد كثير . وفيها ارتفعت أسعار الغلال بمصر ، و بلغ الأردب القمح أربعين درهما لتقاصُرِ

(١) فى س "هاداهم" .
(٢) فى س "لهم" .
(٣) فى س "صحبه" .

زيادة النيل ، ثم انحطّ [السعر] عن قليل وأبيع بخمسة وعشرين درهما .

وفيها سار الأمير بدر الدين جنغلى بن شمس الدين البابا [1] أحد مقدّمى التتار وافدا إلى الأبواب السلطانية بأهله وأتباعه ، فلما قدم البريد بمسيره كُتِب إلى نائب حلب ، فتلقّاه وبالغ فى اكرامه ، وتلقّاه نائب دمشق ودخل به فى حادى عشر ذى القعدة . وما زالت الإقامات تتلقاه حتى قَدِم إلى القاهرة ، فخرج الأمير بيبرس الجاشنكير إلى لقائه ومعه (٢٥٠ ب) الأمراء إلى قبّة النصر ، وصعد به إلى أن قبّل الأرض بين يدى السلطان فى ثالث ذى الحجة ، وأُنزل فى دارٍ بقلعة الجبل .

و [فيها] أُخرج الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى على إمرة بصفد ، وأُنعم على جنغلى بإمرته — وهى طبلخاناه ، وكُتب له بزيادة مائة ألف درهم . ثم نُقل إلى إمرة مائة ، وأنعم على أمير عَلِيّ من ألزامه بإمرة عشرة ، وعلى نيروز من ألزامه بتقدمة ألف ، و بعث الأمراء إليه بالهدايا .

وفيها قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون [2] البرشلونى بهديّة جليلة القدر للسلطان وللأمراء ، وسأل فتحَ كنائس النصارى فأجيب إلى ذلك ، وفتحت كنيسة اليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة الملكيين بالبندقانيين . وجُهِّز جوابه مع فخر الدين عثمان أستادار الأمير عز الدين الأفرم ، فاقترض نحو الستين ألف درهم ، وبالغ فى التجمّل . فلما كان وقت السفر دفع الرسل مُلَطّفًا من ملكهم إلى السلطان يسأل فى فكّ رجل ممن أسر بجزيرة أرواد ، فأفرج عنه وسار معهم إلى الإسكندرية ؛ فبعث بعض الأسرى يعرّف السلطان بأن : " هذا الذى أفرج [عنه] ابن ملك كبير ، ولو أردتم فيه مركبا ملآن [3] بالذهب لحمله إليكم فى فكّه " ؛ فكُتب بردّه فعاد من الإسكندرية وقُيِّد على ما كان . وركب

(١) البابا حسبما جاء فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠) "لقب عام لجميع رجال الطست خاناه ، ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء ... وكأنه لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته أشبهَ الأبَ الشفيق ، فلقب بذلك" . أما بابا رومة فكان يطلق عليه زمن القلقشندى (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٧٢) اسم الباپ ، بياءين موحدتين مفخمتين ، وربما قيل الپاپا ، أو الپاپه أيضا .

(٢) يقصد المقريزى هنا ملك أرجونة ، واسمه (Jayme II) . وكانت قاعدة مملكته برشلونة . (Heyd : Op. Cit. II. p. 30.)

(٣) فى س "ملانا" .

الوسل البحر ، حتى [إذا] أُبعدوا [عن] الإسكندرية أنزلوا الأمير فخر الدين عثمان فى قارب وأمروه بالعود ، وأخذوا كل مامعه . فألقاه الريح على ساحل الإسكندرية ، وحُمل إلى مصر ، فشكا إلى الأمراء أن الذى أَخِذَ له دَيْن عليه ، فلم يلتفت أحد إليـه ؛ وكُتب إلى الإسكندرية بإيقاع الحوطة على من يَرِدُ من فرنج برشلونة .

وفيها كملت عمارة المدرسة الناصريّة بين القصرين . [وفيها] نَقل السلطان أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسى إلى التربة الناصريّة بين القصرين ؛ وموضع هـذه المدرسة الناصرية كان داراً عُرفت أخيراً بالأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، فاشتراها الملك (٢٥١ ا) العادل كتبغا وشرع فى بنائها مدرسـة ، وعمل بوّابتها من أنقاض مدينة عكا ، وهى[1] بوابة كنيسة بها . فلما حضرت [هذه البوابة] إلى القاهرة — مع الأمير علم الدين الدوادارى ، متولى تخريب عكا وصور وعثليث وغيرها من القلاع التى فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاون — أخذها الأمير بيدرا ، وقُتل وهى على حالها ، فعملها كتبغا على هـذه المدرسة . وخُلع كتبغا قبل أن تـكمل ، فاشتراها السلطان على يد قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وأتمها ، وعمل لهـا الأوقاف الجليلة : ومن جملتها قيسارية أمير علىّ[2] بخط الشرابشيين[3] ، والرَّبْع المعروف بالدهشة[4] قريبا من باب زويلة ، وحوانيت بباب الزهومة[5] ،

(١) فى س "وهو" .

(٢) عرفت هذه القيسارية بذلك الاسم نسبة إلى الأمير على بن السلطان المنصور قلاون ، وكان قد عهد له بالملك ولقب بالملك الصالح ، ثم توفى فى حياة أبيه . وموضع هـذه القيسارية ، حسبما ورد فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص٨٧) ، بشارع القاهرة تجاه الجلون الـكبير ، بجوار قيسارية جهاركس .

(٣) عرف ذلك الموضع بهذا الاسم نسبة إلى بائعى الشرابيش فى السوق الذى عرف بسوق الشرابشيين ؛ والشرابيش جمع شربوش ، وهو حسبما جاء فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٩) "شىء يشبه التاج كأنه شكل مثلث ، يجعل على الرأس بغير عمامة" ؛ وكان السلطان إذا أمّر أحدا من الأتراك ألبسه الشربوش ، ثم بطل استعماله فى دولة المماليك الثانية .

(٤) كذا فى س ، وهو لابد غير الموضع المعروف باسم الدهيشـة ، الذى عمره السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاون ، سـنة خمس وأربعين وسبعمائة . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٢) .

(٥) يطلق هذا الوصف على كثير من المواضع بالقاهرة ، مثل خط باب الزهومة وسوق باب الزهومة ؛ وكان باب الزهومة نفسـه أحد أبواب القصر الـكبير الشرقى فى عهد الفاطميين ، وقد عرف بذلك الاسم لأن اللحوم وحوائج الطعام كانت تدخل إلى مطبخ القصر من هذا الباب ، فقيل له باب الزهومة ، يعنى باب الزفر . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٣٥ ؛ ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٩٧ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٥٠) .

والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة السيفية (١) ، ودار أم السلطان (٢) ، وحمّامَىْ الشيخ خضر [بظاهر القاهرة (٣) ، بخط بستان ابن صيرم والجامع الظاهرى] ، ودار الطعم خارج مدينة دمشق . ورتّب بهما قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف مدرس المالكية ، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد السّروجي مدرس الحنفية ، وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرّانى مدرس الحنابلة ، وصدر الدين محمد بن المرحل مدرس الشافعية .

وفيها وُلد للسلطان من زوجته أردكين الأشرفية ابن سمّاه عليا ، ولقّبه بالملك المنصور ؛ وعَمل له مُهمّاً (٤) أراد أن يستمرّ سبعة أيام ، فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعَمِل يوما واحداً .

وفيها شرع الأمير سلار النائب فى التجهيز إلى الحجاز .

وفيها تشاجر الوزير عز الدين أيبك البغدادى وناصر الدين محمد بن الشيخى متولى الجيزة : [و] سببها تعاظم ابن الشيخى على الوزير ، وانحصار الأقباط منه لوفور حرمته وشدّة ضبطه ؛ فاتّفقوا مع الوزير على أن يحقّقوا فى جهته وجهات مماليكه من الأموال الديوانيـة مبلغا كثيراً ، فتحدّث الوزير فى ذلك مع الأمير سلار النائب ، لعلمه بكراهته فى ابن الشيخى .

فطُلِب ابن الشيخى والدواوينُ وحَضر الأمراء ، وانتُدب لمحاققته التاج الطويل مستوفى الدولة . وأفحشَ [التاج الطويل] فى مخاطبته ، وهو يخرج مما يُلزَم به بحجج يظهرها ، ثم اشتدّ (٢٥١ ب) حَنَقه وقام على قدميه وقال : " وحق نعمة مولانا السلطان ! هؤلاء الأقباط أكلوا الأموال ، وإن تسلمتُهم لآخذنّ منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينار أكتب بها خطى " .

---

(١) نسبت هذه المدرسة ، حسبما جاء فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦٨) ، إلى سيف الإسلام طغتكين أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وهو الذى فتح اليمن فى عهد أخيه ، سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

(٢) لا يوجد فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١ — ٧٩) دار بهذا الاسم بالضبط ، ولا يمكن أن يكون الموضع المعروف باسم " عمارة أم السلطان " هو المقصود هنا ، فإن السيدة صاحبة هذه العمارة هى أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاون ، إلا إذا كان المقريزى قد سمى هذا الموضع باسمه المشهور فى عصره .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٤١ ب ، وما بعدها) ، وقد أفاض فى وصف هذه القبة وأوقافها وطريقة إدارتها ، فجاء ما كتبه وثيقة مهمة فى معرفة ناحية غامضة من تاريخ المماليك . انظر ملحق رقم ١٧ فى آخر هذا الجزء .

(٤) فى س " مهم " .

فقال له التاج : " صرتَ أنتَ تأمر وتنهى ياناصر الدين ، [و] لوطَلَعَتْ رأسك إلى السماء كنت عندى ضامنا(١) بتقارير مُكتتبة عليك كسائر الضُمّان " . فغضب الأمير بيبرس الجاشنكير ، وقال للتاج : " وَالَك ! ما كفى كذبكم حتى تجعل أميراً مثلَ ضامن ؟ والله ما يأكل مال السلطان غيركم " ، وأمر بإقامته من المجلس . وقال [الأمير بيبرس] لابن الشيخى : " إيش قلت ؟ تحمل من جهة هؤلاء ما قلت ؟ " ، قال : " نعم ! " ، فرسم للوزير والحجاب بجمع الدواوين وتسليمهم له وانفضّوا . فلم يَبِت أحد من الكتاب عنده(٢) ، ماخلا ناظرى الدولة [وهما] تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى ، وشهاب الدين غازى بن الواسطى ، وألزمهم(٣) بعمل حساب الدولة لثلاث سنين وضيّق عليهم ، وأهان التاجَ الطويل ونكل به . وأخذ التاج بن سعيد الدولة فى مساعدة ابن الشيخى ، وصار يأتيه فى الليل ويرتّبه(٤) ؛ فظهر فى جهة الكتّاب شىء كثير ، فشكره بيبرس وعرّف الأمراء بذلك ، فرسموا له بعقوبة الكتّاب واستخراج المال منهم . فقام الشهاب بن الواسطى فى الحطّ على ابن الشيخى قياما زائداً ، وقال : " يا أمراء ! هذا مايحلّ ، وما بلغ قدر هذا الرجل بالأمس وهو فى دكان يخيط الأقباع(٥) ، ثم فقير دائر يستعطى ، ثم ضامن فى ساحل الغلة ، قد صار فى حفدة ومماليك ، وعَمِل ولاية القاهرة بأقبح سيرة " . فبلغ ذلك ابن الشيخى فأوقع الحوطة عليه ، وسأل الأمير بيبرس فيه فسلّمه له ، فلما دخل عليه مع الرسل أخرق به وأمر أن يُعرّى من ثيابه ، فما زال به الحاضرون (٢٥٢ ا) حتى عفا عنه من خلع ثيابه ، وضربه تحت رجليه ثلاث ضربات . ثم خاف العاقبة فأكرم ابن الواسطى وتلطّف به وبالكتّاب ، وحمل منهم

(١) الضامن — وجمعه ضُمّن وضمناء وضمّان — الملتزم (fermier) الذى يتولى لحسابه جمع ضريبة من الضرائب أو مكس من المكوس التى يفرضها السلطان أو الأمير ، و " يضمن " فى مقابل توليه ذلك مبلغا معينا من المال يدفعه إلى الجهة المختصة فى أوقات منتظمة كل سنة . راجع المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٧٩) ؛ وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) الضمير عائد على الوزير .

(٣) الضمير هنا عائد على الدواوين .

(٤) فى س "برتبه" .

(٥) الأقباع جمع قبع ، ومن معانيه ما يغطى الرأس من الثوب ، كقبع البرنس مثلا .
(Cette partie d'un vêtement qui couvre la tête, comme le capuchon de bournous) .
انظر محيط المحيط ؛ و (Dozy : Supp.. Dict. Ar.) .

ثلاثمائة ألف درهم ، وأفرج عنهم بعد مشاورة الأمير بيبرس . فشقّ ذلك على الوزير ، وسعى فى السفر إلى الحجاز مع الأمير سلار ، فأجيب إلى ذلك .

وسعى ابن الشيخى بالأمير بكتمر أمير جندار والأمير برلغى و ينجار ، ووعدهم أنه يؤجّرهم البلاد والدواليب ويقوم عنهم بكلفها ، وأهدى إليهم حتى ملأ أعين أعـدائه وأصدقائه ؛ وعَمل للأمير سلار من آلات السفر شيئا كثيراً ، وما زال يسعى بحاشية سلار ، وهو يمتنع من إجابتهم ، و يردّهم أقبح ردّ لبغضه فيه حتى خدعوه وأجاب . فاستقرّ [ابن الشيخى[1]] فى الوزارة يوم الاثنين تاسع عشر شوال ، بغير رضاء سلار ، إلا أنه لم يجد بُدًّا من ولايته . ونزل فى موكب عظيم إلى داره بجوار المشهد الحسينى من القاهرة ، وتعاظم على الناس تعاظما زائداً .

وفيها سار الأمير سلار النائبُ إلى الحجاز ، ومعه نحو الثلاثين أميراً : منهم سنقر الكمالى الحاجب ، وعلم الدين سنجر الجاولى ، وسنقر الأعسر ، وكورى ، وسودى ، و بكتوت القرمانى ، و بكتوت الشجاعى ، والطواشى شهاب الدين مرشد . وتأخّر [الأمير[2] سلار] ، بعد خروج الركب مع الأمير سيف الدين أناق الحسامى أمير الركب ، وبَعث[3] إلى الحجاز فى البحر عشرة آلاف أردب غلّة . وبَعث سنقر الأعسر ألف أردب ، و بعث سائر الأمراء القمح للتفرقة فى أهل الحرمين ، فعمّ النفع بهم .

وفيها ورد الخبر بموت غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك المغل ، فى ثالث عشر شوال بنواحى الرىّ ، من مرض حادّ ؛ وكانت مدته ثمان[4] سنين وعشرة أشهر . وقام بعده أخوه خدابندا[5] بن أرغون ، وجلس على تخت الملك فى ثالث عشرى ذى الحجة ، وتلقّب بغياث الدين محمد . وكُتب إلى السلطان بجلوسه ، وطَلَبه الصلح و إخماد الفتنة ، وسَيَّر إليه رسله .

---

(١) أضيف ما بين القوسين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٤١ ب) .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. 233) .

(٣) فى س " وبعث الامير سلار الى الحجاز فى البحر ..... " ، وقد حذف " الامير سلار " لانسجام العبارة مع سابقتها .

(٤) فى س " ثمانى " .

(٥) انظر ص ٩٢٧ ، سطر ١٧ ، وحاشية ٤ بنفس الصفحة .

وفيها (٢٥٢ ب) توجّه الوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى إلى الإسكندرية ، وألزم المباشرين بعمل الحساب . وكان متحصّل الإسكندرية لاينال ديوان السلطان منه إلا القليل ، فإن الأمراء بيبرس وسلار و برلغى والجوكندار ما منهم إلاّ مَنْ له بها نائب يتحدّث فى المتجر . فقام نائب الإسكندرية ، ومنع الوزير من التحدّث حتى يحضر الأمير سلار من الحجاز ، فاتّفق وصول مركب بمتجر للفرنج بلغ مُوجِبُه[١] أربعين ألف دينار .

و[فيها] خرج السلطان إلى البحيرة للصيد ، وقد عبأ له الوزير الإقامات . ونزل [السلطان] بتروجة ، واستدعى شهاب الدين أحمد بن عبادة ، الذى أقامه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وصيُّ السلطان وكيلا على جباية أموال أملاك السلطان ونائبا عنه لاشتغاله بوظيفة القضاء . وطلب [السلطان] منه دراهم يشترى بها هديّة من الإسكندرية ، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه ، فبعثه ليقترض من تجار الإسكندرية مبلغا . فاجتمع [ابن عبادة] بالوزير ، وشكا له ما فيه السلطان من الضّيق والحاجة ، وأنه حضر ليقترض له من التجار ما يشترى به هدية لجواريه ونسائه . فقال له [ابن الشيخى] : "ارجع ، وأنا غدا عند السلطان بألفى دينار" . فعاد ابن عبادة ، وأعلم السلطانَ بذلك ، فسرّ سروراً كبيراً . وقدِم الوزير بالمبلغ وقدّمه للسلطان ، فاستروح السلطان معه بالكلام ، وشكا إليه ما هو فيه من الضّيق مع الأمراء ، فوعده بأن مصير الأمر إليه ، وقوّى قلبه وشجّعه على الفتك بالأمراء ، وهوّن عليه أمرهم ، وقام وقد حفظ عليه الجمداريةُ ما قاله فى حق الأمراء . وعاد السلطان إلى القلعة ، وقدم الوزير من الإسكندرية بمال كثير وكساو[٢] جايلة ، وشكا إلى الأمير بيبرس من نائب الإسكندرية .

وقدم الخبر من الأردو بأنّه قد جُرِّد مقدّم اسمه قبرتو ليقيم بديار بكر ، عوض جنكلى[٣] بن البابا المهاجر إلى الإسلام . فكتب نائب الشام مطالعة بذلك ، وفيها :

---

(١) الموجب هنا — كما يدل عليه المتن — ما يدفعه التجار على متاجرهم وأموالهم بنسبة مقررة . راجع (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ؛ محيط المحيط) .

(٢) فى ب "كساوى" .

(٣) تقدمْ ذكر اسم جنكلى هذا بغين بدل الكاف . انظر ص ٩٥٠ ، سطر ٢ .

أتى من بلاد المشركين مُقَدَّم   تَعَالَنَ لنا أنْ دعوه قبرتَوَا
وأنى لأرجو أن يجىء عقيبها   بَشِيرٌ لنا أنّ اللعين قبرتَوَا[1]

وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا ، بعد ما توقّف ؛ وتحسّنت الغلال .

ومات فى هذه السنة عز الدين أيبك الحموى ؛ [و] كان من مماليك المنصور نائب حماة ، فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو خرص فسيّرهما إليه فأمّرهما ، ثم وَلّى الأشرفُ خليلُ أيبكَ هذا نيابة دمشق بعد سنجر الشجاعى ، وعزله العادل كتبغا بغرلوا ، وَلِى صرخد ثم حمص ، وبها (٢٥٣ ا) مات فى تاسع عشر شهر ربيع الآخر . و[مات] الأمير بيبرس التلاوى فى تاسع شهر رجب ؛ وكان يلى شدّ دمشق — وفيه ظلم وعسف — مدةَ سنة وسبعة وأربعين يوما ، منها أيام مرضه حتى هلك سبعة أشهر ؛ واستقرّ عوضه فى وظيفة الشدّ قيران الدواداری . ومات القان إيل خان معز الدين غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ، ببلاد قزوين فى ثانى عشر شوّال ، وحمل إلى تربته خارج توريز ، وكان جلوسه على تخت الملك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وأسلم فى سنة أربع وتسعين [وستمائة] ، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس ، ففشا الإسلام بذلك فى التتار ؛ وأظهر [غازان] العدل ، وتسمّى بمحمود ، ومَلَكَ العراقين وخراسان وفارس والجزيرة والروم ؛ وتسمّى بالقان ، وأفرد نفسه بالذكر فى الخطبة ، وضرب السكة باسمه دون القان الأكبر ، وطرد نائبه من بلاده ، ولم يسبقه أحد من آبائه إلى هذا ، فاقتدى به من جاء بعده ؛ وكان أجلّ ملوك بيت هولاكو ، إلا أنه كان يبخل بالنسبة إليهم . ومات شمس الدين سلمان بن إبراهيم بن إسماعيل اللطى الدمشقى الحنفى أحد نواب الحكم بدمشق والقاهرة ، وكان ديّناً مباركا . و[مات] علاء الدين على بن عبد الرحيم بن مراجل الدمشقى ، والد الصاحب تقى الدين سليمان بن مراجل ، فى سادس عشر ذى القعدة بدمشق ؛ وقدم إلى القاهرة سنة

(١) هذان البيتان واردان فى س كالآتى :

اتى من بلاد المشركين مقدم   تعالت لنا ان دعوه قبرتوا
وانى لارجو ان يجى عقيبها   بشيرى بان اللعين قبرتوا

وقد صحّحا إلى الصيغة الواردة بالمتن ليستقيم الوزن الشعرى ، ويلاحظ أن لفظ "تَوَا" الوارد فى آخر البيت الثانى معناه هلك . راجع أيضا (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. 234, N. 45) .

إحدى وسبعمائة ، وكان ماهراً فى الحساب ، أديباً فاضلا . و [مات] زين الدين عبدالله بن مروان بن عبد الله بن فير بن الحسن الفارقى الشافعى ، فى حادى عشرى صفر بدمشق ، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ؛ [وقد] درس الفقه ، وخطب بجامع بنى أمية قبل موته بتسعة أشهر ؛ فولى الخطابة بعده صدرُ الدين محمد بن الوكيل المعروف بابن المرحل ، فلم ترض الناس به ، فولى شرف الدين[1] . . . القزارى . ومات فتح الدين أبو محمد عبد الله بن الصاحب عز الدين محمد بن أحمد بن خالد بن محمد القيسرانى ، بالقاهرة يوم الجمعة خامس عشرى شهر ربيع الآخر ، ومولده فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ؛ وقد وَزَر جدُّه الموفق خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ؛ ووِلىَ الفتحُ هذا وزارة دمشق ، ثم صُرِف عنها ، وقدم إلى القاهرة ، وباشر توقيع الدست بقلعة الجبل ، وعنى بالعلم ، وله تصانيف ونظم حسن . ومات نصير بن أحمد بن على المناوى المعروف بالنصير الحمامى ، الأديب البارع ، فى[2] . . . . و [مات] الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغنى بن سرور بن سلامة المنوفى ، أحد أصحاب الشيخ أبى الحجاج الأقصرى — ويقال إنه شريف حسنى — فى ليلة الاثنين خامس عشر ذى الحجة بمصر ، عن مائة وعشرين سنة ، وهو صحيح الأعضاء سليم الحواس رصين العقل ، وله ديوان شعر . ومات الأمير بكتمر السلاح دار الظاهرى فى[3] . . . . . .

وتمّ الجزء الأول من كتاب السلوك لدول الملوك ، على يد جامعه وكاتبه أحمد بن على المقريزى . ولله الحمد[4] .

(١،٢،٣) بياض فى س .
(٤) انظر الصفحة التالية .

صورة شمسية للصفحة الأخيرة من الجزء الأول من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ، بخطه .

انظر الصفحة التالية ، حيث يوجد توقيع للمقريزى ، بتاريخ سنة ٨٠٣ هـ .

٢٥٢

وتم الجزء الاول من كتاب السلوك لدول الملوك على يد جامعه وكاتبه

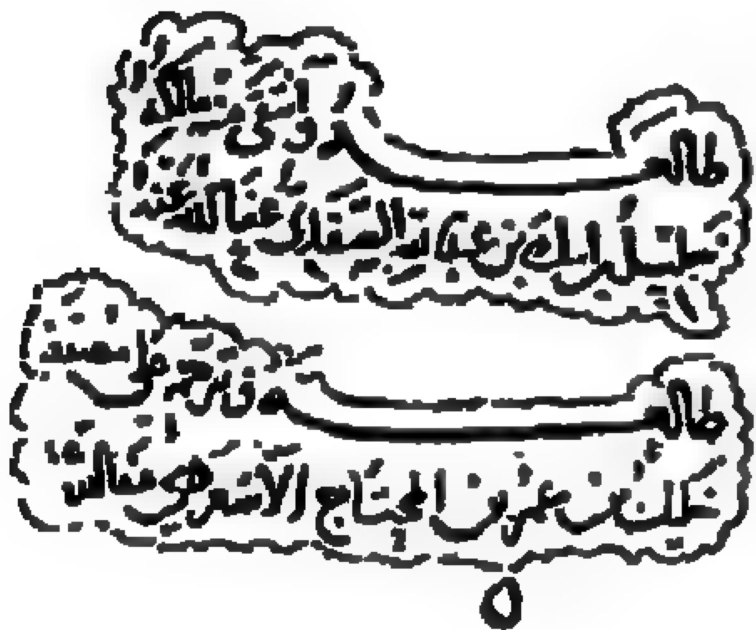
احمد بن علي المقريزي ولله الحمد

صورة شمسية من صفحة العنوان للجزء الرابع من كتاب المُغْرِب فى حُلَى المَغْرِب لابن سعيد، وفى أعلى اليسار منها توقيع المقريزى، بما يفيد قراءته لذلك الجزء من الكتاب، وبالصفحة عدة توقيعات لشخصيات معروفة فى التاريخ المصرى الإسلامى.

طالعه واستفاد منه داعيا احمد بن علي المقريزي سنة ٨٠٣

الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب

الذي صنفه بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة ستة وهم
ابن عمار الحجاري عبد الملك بن سعيد
احمد بن عبد الملك محمد بن عبد الملك
موسى بن محمد علي بن موسى



كتبه بخطه للخزانه العليه الجليلة الصاحبيه الكماليه عمرها الله ببقاء صدر الصدور الشاميه ورئيس الائمة الحنفيه سيد الوزراء والاصحاب الصاحب الكبير كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جراده العقيلي احيا الله بطول حياته دولة الفضائل وابقى ... نجح الوسائل

متمم تصنيفه بالطائفة علي بن موسى بن محمد ابن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله ابن سعد بن عمار بن ياسر ...

المقريزى

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

ملاحق للجزء الأول

ملحق(١) رقم ١

مضمونُ كتبٍ وردت إلى السلطان الظاهر بيبرس من عند مُقَدَّم الاسبتارية (Hospitallers)، سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣م)، وجواب السلطان عليها. (ابن واصل: كتاب مفرِّج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ص ٤١٤ ب — ٤١٥ ا)
(Paris. Bib. Nat. Ms. Arabe. No. 1702.)
(صور شمسية بدار الكتب المصرية، رقم ٥٣١٩، تاريخ)

"(ص ٤١٤ ب) وكان مقدم(٢) الاسبتار قد كتب عدة كتب، منها جوابٌ عن مشافهة على لسان كُنْدُو(٣) الداوية، مضمونها: إنكم نقضتم العهد بأمور منها سوف تسمعونها، يعنى بأخبار التتار. فكتب السلطان إليهم: إن شرط الهدنة التى كانت بيننا لا تُجَدِّد بناء (فى الأصل لا يحدد بنا)، وقد شرع بيت الاسبتار فى بناء (ص ٤١٥ ا) ربض على أرسوف وغير ذلك، وهذا من بعض ما ينقض العهد. فَرَدُّوا إلى السلطان: إنا لم نبن هذا الربض إلا لحماية الصعاليك من متجرِّمة المسلمين، إلى غير ذلك مما يشبه هذا الكلام. فكان جواب الملك الظاهر: أما تجديد الربض لحفظ الصعاليك، فالبلاد ما تحفظ بالأسوار، ولا تحفظ الرعية ولا (كذا) بالخنادق، ولا تحفظ إلا بأحد أمرين، إما بالسيوف والعزائم، وإما بإحسان الجيرة وكفِّ الأذى. ومن يخاف من اللصوص لم لا يخاف من غيرهم؟ وأما أمر التتار، فقد علم كل أحد أنا عندما تحصَّنتم بالأسوار والخنادق خرجنا نحن إلى التتار، وما جعلنا حصوننا إلا خيولنا، ولا خنادقنا إلا سيوفنا، ولا أسوارنا إلا رجالنا. وأما قولكم إن قلاعكم ما تخاف إلا الله، ولا يجسر أحد أن يصل إليها، فسوف ترون كيف يكون الوصول إليها، إن شاء الله تعالى. وما يفزع من أخبار التتار إلا مثلكم، وإلا هذه عساكرى أولها فى الفرات وآخرها فى عيذاب، وها هى متواصلة".

(١) انظر ص ٤٨٤، سطر ٦، وحاشية ٢ بنفس الصفحة.

(٢) كان مقدم الاسبتارية ورئيسها تلك السنة (F. Hugh Revel). راجع (King: The Knights Hospitallers In The Holy Land. PP. XV, 259). انظر الحاشية التالية.

(٣) هذا اللفظ تعريب حرفى لكلمة (Commander) فى اللغة الإنجليزية، والراجح أن مرادفها فى العربية الصحيحة لفظ المقدم، وهو الذى يلى الرئيس العام (Grand Master) فى ترتيب الوظائف الكبرى عند الاسبتارية والداوية (Templars)، ويظهر أن الرئيس العام فى كل من الهيئتين كان يحفظ لنفسه وظيفته الأصلية مع وظيفة الرآسة. هذا وقد كان مقدم الداوية ورئيسها تلك السنة (Thomas Bernard). انظر (Ibid: Op. Cit. p. 259).

ملحق[1] رقم ٢

نصُّ كتاب السلطان الظاهر بيبرس إلى بوهمُنـد السادس (Bohemond VI) أمير أنطاكية وطرابلس، بعد فتح أنطاكية سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨م)، وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٥٢ا — ٢٥٣ا . صور شمسية بدار الكتب المصرية، رقم ٥٤٩، معارف عامة)، وقد صُحِّح لفظه وقوبل على ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد، ص ١٦٧، وما بعدها)، والعينى (عقد الجمان، ص ٢٢٩، وما بعدها، فى Rec. Hist. Or. II. I.)، وكذلك (Quatremère : Op. Cit. I. 2. PP. 190, et seq.)، حيث أورد النص نقلا عن النويرى، تتلوه ترجمته إلى الفرنسية .

(ص ٢٥٢ا) قد علم القومص[2] الجليل المبجل، المعزّز الهمام الأسد الضرغام، بيمند فخر الأمةِ المسيحيّة، رئيسُ الطائفة الصليبية، كبير الأمة العيسوية، المنتقلة مخاطبته بأخْـذِ أنطاكية [منه] من البرنسية[3] إلى القوموصيّة، ألهمه الله رشدَه، وقرن بالخير قصدَه، وجعل النصيحة محفوظة عليه . ما كان من قصْـدِنا طرابلس وغزونا له فى عقر الدار، وما شاهده بعد رحيلنا من إخراب العمائر وهدم الأعمار . وكيف كُنست تلك الكنائس من بساط الأرض، ودارت الدوائر على كل دار؛ وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر كالجزائر، وكيف قُتلت الرجال واستُخدمت الأولاد وتملّكت الحرائر؛ وكيف قُطعت الأشجار ولم يُترك إلا ما يصلح لأعواد المجانيق إن شاء الله والستائر؛ وكيف نهبت لك ولرعيتك الأموال والحريم والأولاد (ص ٢٥٢ ب) والمواشى، وكيف استغنى الفقير وتأهّل العازب، واستخدم الخديم وركب الماشى .

هذا وأنت تنظر نظر المغشىّ عليه من الموت، وإذا سمعت صوتا قلت فزعا: علىّ هذا

(١) انظر ص ٥٦٧، سطر ١٣، وحاشية ٤ بنفس الصفحة .

(٢) القومص تعريب اللفظ اللاتينى (Comes)، وهو فى الفرنسية (Comte)، وفى العربية الدارجة "الكونت" .

(٣) البرنسية صفة البرنس، وهو معرب اللفظ اللاتينى (princeps)، أو (prince) فى الفرنسية والإنجليزية .

الصوت . وكيف رحلنا عنك رحيل من يعود ، وأخَّرناك وما كان تأخيرك إلا لأجل معدود ؛ وكيف فارقنا بلادك وما بقيت ماشية إلا وهى لدينا ماشية ، ولا جارية إلا وهى فى ملكنا جارية ، ولا سارية إلا وهى من أيدى المعاول سارية ، ولا زرع إلا وهو محصود ، ولا موجود لك إلا وهو منك مفقود ، ولا منعتك[1] تلك المغاير التى هى فى رؤوس الجبال الشاهقة ، ولا تلك الأودية التى هى فى التخوم مخترقة وللعقول خارقة ؛ وكيف سُقنا عنك ولم يسبقنا إلى مدينتك أنطاكية خبر ، وكيف وصلنا إليها وأنت لا تصدّق أننا نبعد عنك وإن بعدنا فسنعود على الأثر .

وها نحن نعلمك بما تمّ ، ونفهمك بالبلاء الذى عمّ : كان رحيلنا عنك عن طرابلس يوم الأربعاء رابع عشرى[2] شعبان ، ونزولنا أنطاكية فى مستهلّ شهر رمضان . وفى حالة النزول خرجت عساكرك المبارزة فكُسروا ، وتناصروا فما نُصروا ، وأسر من بينهم كنداسطبل[3] ، فسأل مراجعة أصحابك فدخل إلى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك وأعيان أعوانك ، فتحدّثوا معنا فرأيناهم على رأيك من إتلاف النفوس بالغرض الفاسد ، وأنّ رأيهم فى الخير مختلف وقولهم فى الشر واحد . فلما رأيناهم قد فات فيهم الفوت ، وأنهم قد قدّر الله عليهم الموت ، رددناهم وقلنا : نحن الساعة لكم نحاصر ، وهذا هو الأول فى الإنذار والآخر ، فرجعوا متشبّهين بفعلك ، ومعتقدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك . ففى بعض ساعة مرّ شان المرشان[4] ، وداخل الرهبُ الرهبان ، ولان للبلاء القسطلان[5] ، وجاءهم الموت من كل مكان .

وفتحناها بالسيف فى الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ، وقتلنا كل من اخترته لحفظها والمحاماة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعنده شىء من الدنيا ، فما بقى أحد منا إلا وعنده شىء منهم ومنها .

---

(١) فى الأصل "منعت" .

(٢) فى الأصل "عشرين" .

(٣) الكنداسطبل معرب اللفظ اللاتينى المركب (comes stabuli) ، ومعناه فى مصطلح العصور الوسطى الأوربية حاكم القلعة وحارسها ، ويقابله فى مصطلح الدول الإسلامية لفظا "الزردار" و"المستحفظ" . انظر ص ٣٥ ، سطر ١٤ ، وحاشية ٥ بنفس الصفحة ؛ ص ٤٠ ، سطر ١٠ ؛ ص ١١٦ ، سطر ٥ .

(٤) المرشان تعريب لفظ (mareschal) فى الفرنسية القديمة ، وهو مأخوذ من اللفظ اللاتينى (mariscalcus) ، ومعناه فى مصطلح التاريخ الأوربى فى العصور الوسطى "منظم الحفلات والمجالس" فى البلاط ؛ وربما كان مرادفه فى مصطلح دولة المماليك وظيفة "أمير مجلس" .

(٥) القسطلان معرب اللفظ اللاتينى (Castellanus) ، وهو حارس القصر .

فلو رأيتَ خيّالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول ، ودياركَ والنهّابة فيها تصول ، والكسّابة[١] فيهـا تجول ، وأموالك وهى توزن بالقنطار ، وداماتك[٢] وكل أربع منهن تباع فتشترى من مالك بدينار — ؛ ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كُسرت ونُشِرت ، وصحفها من الأناجيل المزوّرة قد نُثِرت ، وقبورَ البطارقة قد بُعثِرت ؛ ولو رأيت عدوّك المسلم وقد داس مكان القداس والمذبح ، وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشمّاس ، والبطارقة وقد دُهموا بِطَارِقَة ، وأبناءَ المملكة قد دخلوا فى المملكة ؛ ولو شاهدت النيران وهى فى قصورك تحترق ، والقتلى بنار الدنيا قبل نار الآخرة تحترق ، وقصورك وأحوالها قد حالت ، وكنيسةَ بولص وكنيسة القسيان[٣] وقد زلّت وزالت — ، لكنتَ تقول : "يا ليتنى كنت ترابا ! ويا ليتنى لم أُوتَ بهذا الخبر كتابا !" ، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ، ولكنت تطفئ تلك النيران بماء عبرتك ؛ ولو رأيت مغانيك وقد أقفرت من مغانيك ، ومراكبك وقد أُخِذَت فى السويدية بمراكبك ، فصارت شوانيك من شوانيك ، لتيقّنت أن الإله الذى أعطاك أنطاكية منك استرجعها ، والربَّ الذى أعطاك قلعتها منك قَلَعَها ، ومن الأرض اقتلعها .

ولتعلم أنّا قد أخذنا بحمد الله منك ما كنتَ أخذته من حصون الإسلام : وهو دير كوش وشقيف تلميس وشقيف كفردنين ، وجميع ما كان فى بلاد أنطاكية ، واستنزلنا أصحابك من الصياصى ، وفرّقناهم فى الدانى والقاصى ، ولم يبق شىء يُطلق عليه اسم العصيان إلا النهر ، فلو استطاع لما سُمِّى بالعاصى ؛ وقد أجرى دموعه ندما ، وكان يذرفها عبرة صافية ، فها هو أجراها بما سفكناه فيه دما .

وكتابنا هذا يتضمّن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة ، وطولِ العمر بكونك لم يكن لك فى أنطاكية فى هذه المدة إقامة ، وكونك ما كنت بها فتكون إما قتيلا وإما أسيراً ، وإما جريحا وإما كسيراً ؛ وسلامةُ النفس هى التى يفرح بها الحىّ إذا شاهدَ الأموات ، ولعل الله ما أخّرك إلا لأن تستدرك من الطاعة والخدمة ما فات . ولمّا لم يسلم أحد يخبرك

---

(١) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 193) هـذا اللفظ إلى (ceux qui cherchaient du butin) ، أى الذين كان همهم كسب الغنائم .

(٢) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 193) هذا اللفظ إلى (joyaux) ، أى الجواهر الثمينة ، ولعله مخطئ هنا ، إذ ليس من المعقول أن تباع الجواهر الثمينة أربعة بدينار كما بالمتن ، وربما كان هذا اللفظ تعريبا للكلمة الفرنسية (dames) ، أى النساء ، أو لعل المقصود لفظ "الدميات" ، وهو جمع "دمية" .

(٣) كذا فى الأصل . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 191) .

عما جرى خبّرناك ، ولمّا لم يقدر أحد يباشرك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاكِ ماسواها باشرناك بهذه المفاوضة وبشّرناك ، لتتحقّق الأمر على ما جرى .

وبعد هذه المكاتبة لا ينبغى لك أن تكذب لنا خبرا ، كما أنّ بعد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل غيرها مخبرا". قال ولما وصل إليه (ص ١٢٥٣) هذا الكتاب اشتدّ غضبه ، ولم يبلغه خبر أنطاكية إلاّ من هذا الكتاب .

ملحق (١) رقم ٣

نص تجديد الحلف بولاية العهد الملك السعيد بن السلطان الظاهر بيبرس . (النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٢٣٩ ا — ب . صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف عامة) .

(ص ٢٣٩ ا) وفى يوم الخميس تاسع صفر ، سنة سبع وستين وستمائة ، جلس السلطان فى مرتبته ، وجلس الأمير فارس الدين الأتابك والأمير عز الدين الحلى بين يديه ، والصاحب بهاء الدين ، وكاتب الإنشاء . وكان قبل ذلك [قد] تحدّث مع الأمراء فى أمر ولده الملك السعيد وتفويض الأمور إليه ، فأجابوا بالسمع والطاعة . وحلف الأمراء فى هذا اليوم وسائر العساكر المنصورة .

وفى ثالث عشرى الشهر ركب الملك السعيد فى الموكب كما يركب والده ، وجلس فى الإيوان وقرئت عليه القصص . وفى العشرين من الشهر قُرئ تقليده بتفويض السلطنة إليه ، وهو من إنشاء المولى فخر الدين بن لقمان وخطّه ، ونسختُه بعد البسملة والعلامة السلطانية الظاهرية :

"الحمد لله الذى أجزل العطاء والمواهب ، وضاعف النعماء التى يفيض شعابها وأمواه العيون نواصب ، وضاعف عزًّا لا يعزّ معه مقصد ولا يتعذّر معه المطالب ، وحلّى عطل الأيام بالمحاسن التى تُستَر بها ما ظهر من المعايب . أحمده على نعمه التى تُجلَى بنورها ظلم الغياهب ، والألطاف التى نظمت من المجد عقده المتناسق وذروة المتناسب . وأشهد أن لا إله إلا الله

(١) انظر ص ٥٧٣ ، سطر ١٢ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

وحده لا شريك له ، شهادة يبلغ بها يوم الإشهاد قاصية المنى ، وتجعل كل صعب هيناً . وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله الذى صدع بالحق معلناً ، ورسوله الذى أظهر الإسلام وما نبا حدّ حزمه عنه ولا انثنى ، صلى الله عليه وعلى آله الذين شيّدوا من المعالى البِنا ، وأصحابه الذين أحسنوا والله يحب من كان محسناً .

وبعد فإنا لما أتانا الله تعالى من السلطان الذى ملك به من العز ما جمح ، والقدرة التى قرنت من الآمال ما نزح ، والمهابة التى ملأت عيون الأعداء بالذلّ لا الوطف ، والعزائم التى أذكرت من مواقف المهاجرين والأنصار ما سلف ، والهمم التى نهضنا بها لفتح معاقل الكفّار ، والجهاد الذى كانت أثارنا فيه من أحسن الآثار ، والغزوات التى كان معروفها منكراً ، والوقائع التى نصر الله فيها حزب الإيمان فأضحى الدهر ينشر حديثه متعطّراً . وشدّ أزرنا بولدنا الملك السعيد الأجل الكبير العالم العادل ناصر الدين بركه خاقان ، أمتع الله الإسلام ببقائه ، وأقرّعيون المجد بنصر لوائه ، وتوسّمنا فيه مخايل السعادة بادية الغُرَر ، وظهرت فيه أدلة النجابة والأدلة إذا ظهرت لا تستتر ، وبدت فيه مساع أوجبتْ له مزية التكريم ، وعمّ فيها فضله فتعيّن أن يُخَصّ بالتعظيم ، ولاحت منه إشارات تعرب عن الرشد ، وتدلّ أنه فى تدبيره حسن القصد ، وسَمَا نور هلاله فاتفقت النفوس أن يكون بَدْراً كاملا ، (ص ٢٣٩ ب) ونقت الآمال أن يرجع حالياً كلّ ما كان عاطلا ، ورأينا أن نفوّض إليه حكم كلّ ما أمضى الله فيه حكمنا من البلاد ، وتحققنا أن رائد قطرنا فى أمره يصدق فيما اختار من الارتياد . وقلّدناه أمر الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع والحصون : وهى الديار المصرية ، [و] البلاد الشامية ، [و] البلاد الحلبية ، [و] البلاد الحموية ، [و] البلاد الحمصية .

فهذا الملك إليه ممتدّ الرواق ، ودرّ نظامه يتزيّن بحسن الاتساق[(١)] ، ونواحيه مع اتساعها محروسة بهممه ، فكأنه حصر اشتمل عليه النطاق ، ونعم الله محروسة معه بالشكر مقيّدة عنده بالإطلاق . والدين الحنيفى من عزمه عالى المنار ، والنفوس واقفة أن تكون بناصره داعّة الانتصار ، وأخبار نصره تحفظها الليالى مما تكرّره ألسن السُّمّار ، ومهابته تسرى إلى قلوب الأعداء فتجول فيها الأفكار . والدولة الزاهرة به مخلصة الأرجاء ، وسحائب إحسانه متدفقة الأنواء ، وآثار نعمة الله فيها ظاهرة والله يحب أن يرى على عبده آثار النعماء ؛

(١) فى الأصل "الاستاق" ، وفى محيط المحيط لفظ "الستوق" — والمستقة والتستوق أيضا — ، وهو لفظ فارسى معرب ، ومعناه فروة طويلة الكم .

والشريعة المطهّرة بتأييده نافذة الأحكام ، وأمورها مرعية بهمته التي أضحت المعالى لها لاتنام .

وأطلقنا بصرفه وحكمه فى الخزائن والأموال ، وتعيين الإقطاعات فى الغيبة منا والحضور ، وأمرنا أن لا يردّ أمره فى جميع ما يقتضيه رأيه الشريف من الأمور . فبيده الحلّ والعقد ، وإلى أبوابه ينتهي القصد ، فقد أضحى بحمد الله حليةَ المجد ، والأيام تزهو به كما تزهو الدرر بواسطة العقد . وإليه فى الأمور النقض والإبرام ، وعليه المعتمد فى فصل الأحكام ؛ وإليه ترجع الولاية والعزل ، وهو الفرع الذى زكا ولا يزكو الفرع إلا إذا كان طيب الأصل . ومن شيمته الاقتداء فى بسط الإحسان والعدل ، وإحياء سنتنا مما يضفيه على الأولياء من ملابس الفضل ، واقتفاء آثارنا فى غزو بلاد الكفار والمَجاهد التى تطول بها أيدى الكماة بالسيوف القصار . وإلى الله نرغب أن يوفّقه لمراضيه ، ويلهمه رشده فيما يستقبله من أموره ويمضيه ، ويؤيده بالنصر الذى تُروَى أحاديثه وتُتلى ، ويمدّه بتوفيقه الذى يرشده من الضلال ناشئا وكهلا ، ويساعده بالتأييد الذى يستجدّ له ذكراً خالداً لا يبلى ، والظفر الذى تُستحلى أحاديثه إذا أُعيدت وإن كان الحديث المستعاد لا يستحلى .

ونسأل كلّ واقف على هذا التقليد أو يسمع به ، من الأمراء والنواب والعساكر المنصورة أيّدهم الله تعالى ، امتثالَ أمره ، والقيامَ بما يجب عليه من طاعته فى سرّه وجهره ، والنهوضَ فى خدمة ركابه ، والاجتهادَ فى تسهيل ما يصعد من طلابه ، والسير عند سيره تحت عَلَمه ، والالتجاءَ فى السّراء والضّراء إلى حرمه ، والوفودَ إلى جنابه المنيع الربيع ، فهو بحمد الله كعبة تحجّ إليها الآمال ، وحرم تخفّف ما على الأعناق من أعباء الخدم الثقال . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه . وكتب فى عاشر صفر سنة سبع وستين وستمائة .

وقرئ هذا التقليد بالإيوان بحضور الأمراء وأعيان الدولة ، واستمرّ جلوس الملك السعيد وركوبه .

ملحق[1] رقم ٤

نص كتاب السلطان الظاهر بيبرس إلى بوهمند السادس (Bohemond VI) صاحب طرابلس ، بعد فتح بلدة عكار سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠م) ، وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٦ ب . صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف عامة) .

(ص ٢٥٦ أ) ولما فتحه[2] السلطان الملك الظاهر ، كتب إلى صاحب طرابلس ما مثاله بعد البسملة: "قد علم القومص بيمند جعله الله ممن ينظر لنفسه ، ويفكر فى عاقبة يومه من أمسه ، نزولنا بعد حصن الأكراد على حصن عكار ، وكيف نقلنا المنجنيقات إليها فى جبال تستصعبها الطيور لاختيار الأوكار ، وكيف صبرنا فى حرها فى مناكدة الأوحال ومكابدة الأمطار ، وكيف نصبنا المنجنيقات على أمكنة يزلق عليها النمل إذا مشى ، وكيف هبطنا فى تلك الأودية التى لو أن الشمس من الغيوم ترى بها ما كان غير جبالها رشا ، وكيف صارت رجالك الذين ما قصرت فى انتخابهم ، وحسنت بهم استعانة نائبك الذى انتحى بهم .

وكتابنا هذا يبشرك بأن علمنا الأصفر نصب مكان علمك الأحمر ، وأن صوت الناقوس صار عوضه الله أكبر . ومن بقى من رجالك أطلقوا ولكن جرحى القلوب والجوارح ، وسلموا ولكن من ندب السيوف إلى بكاء النوائح . وأطلقناهم ليحدثوا القومص بما جرى ، ويحذروا أهل طرابلس من أنهم يغترون بحديثك المفترى ، وليروهم الجراح التى أرأيناهم بها نفاذاً ، ولينذروهم لقاء يومهم هذا ، ويفهموكم أنه ما بقى من حياتكم إلا القليل ، وأنهم ما تركونا إلا على رحيل . فتعرف كنائسك وأسوارك أن المنجنيقات تسلم عليها إلى حين الاجتماع عن قريب ، ونعلم أجساد فرسانك أن السيوف تقول إنها عن الضيافة لا تغيب ، لأن أهل عكار ما سدوا لها جوعاً ، ولا قضت من ريها بدمائهم الوطر ، وما أطلقوا إلا لما عاقب شرب دمائهم وكيف لا وثلاثة أرباع عكار عكر . يعلم القومص هذه

(١) انظر ص ٥٩٢ ، سطر ٧ ، وحاشية ٣ بنفس الصفحة .

(٢) الضمير عائد على حصن عكار .

الجملة المسرودة ويعمل بها ، وإلا فيجهز مراكبه ومراكب أصحابه ، وإلا فقد جهزنا قيودهم وقيوده". وقال المولى محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر :

يا مليكَ الأرضِ بُشرا كَ فقد نلتَ الإراده
إنَّ عكّار يقيناً هيَ عكّا وزياده

ملحق[١] رقم ٥

نص اليمين التى حلف عليها مشكد[٢] ملكُ النوبة الجديد بدنقلة ، للظاهر بيبرس بعد فتح المماليك لتلك البلاد سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥م) ، وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٩ ب . صور شمسية بدار الكتب المصرية معارف عامة ، رقم ٥٤٩ ، وقد صحح وقوبل على النص الوارد فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص٢٣٦ ، وما بعدها) ، وكذلك (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 129.) .

(ص ٢٥٩ ب) والله ! والله ! والله ! وحق الثالوث المقدس ، والإنجيل الطاهر ، والسيدة الطاهرة العذراء أم النور والمعمودية ، والأنبياء المرسلين والحواريين والقديسين والشهداء الأبرار ، وإلاّ أجحد المسيح كما جحده يُوذس ، وأقولَ فيه ما يقول اليهود وأعتقد ما يعتقدونه ، وإلا أكون يُوذس الذى طعن المسيح بالحربة ، إنّنى أخلصت نيّتى وطويتى من وقتى هذا وساعتى هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس ، وإنى أبذل جهدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته ، وإنى ما دمت نائبه لا أقطع ما قرّر علىّ فى كل سنة تمضى ، وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصّل لمن تقدّم من ملوك النوبة ، وأن يكون النصف من المتحصّل للسلطان مُخَلّصاً من كل حق ، والنصفُ الآخر أرصُدُه لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرُقها ، وأن يكون علىّ كل سنة من الأفيلة ثلاثة ، ومن الزرافات ثلاث[٣] ، ومن

---

(١) انظر ص ٦٢٢ ، سطر ٩ — ١٠ ، وحاشية ٩ بنفس الصفحة.
(٢) سمى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٦) هذا الملك باسم "مرقشكنز" . انظر أيضاً ص ٦٢١ ، حاشية ٤ .
(٣) فى الأصل "ثلاثة" .

إناث الفهود خمس ، ومن الصهب الجياد مائة ، ومن الأبقار الجياد المنتخبة أربعمائة . وإننى أقرّر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدى فى البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا ، وأن يفرد بلاد العلى والجبل خالصا للسلطان . وأنه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكوا ولأمه وأقاربه ، ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة ، أحمله إلى الباب العالى مع من يُرْصَد لذلك ؛ وإننى لا أترك شيئا منه قلّ ولا جلّ ولا أخفيه ، ولا أمكن أحدا من إخفائه . ومتى خرجتُ عن جميع ماقررته ، أو شىء من هذا المذكور أعلاه ، كنت بريئا من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة ، وأخسر دين النصرانية ، وأصلّى إلى غير الشرق ، وأكفر بالصليب وأعتقد ما تعتقد اليهود . وإنى لا أترك أحدا من العربان ببلاد النوبة ، ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطانى . ومهما سمعت من الأخبار السارّة والنافعة طالعت به السلطان فى وقته وساعته ، ولا أنفرد بشىء من الأشياء إذا لم تكن مصلحة ، وإننى ولىٌّ من والى السلطان وعدوٌّ من عاداه ، والله على ما نقول وكيل(١) .

ملحق(٢) رقم ٦

نص شروط المدنة بين السلطان الملك المنصور قلاون و بيت الاسبتار و إمارة طرابلس فى المحرم سنة ٦٨٠ هـ (أبريل ١٢٨١ م) ، وهو منقول من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، ج ٩ ، ص ١٢٤ أ ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المتحف البريطانى بلندن ، مكتبة الجامعة المصرية ، رقم ٢٤٠٢٨) . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٧٨ أ ، وما بعدها) .

(ص ١٢٤ أ) ذكر ما تقرّر من المهادنات مع الفرنج على ما نذكر .

وفيها تقرّرت المدنة بين السلطان وولده معا ، وبين مقدّم بيت الاسبتار وجميع الإخوة الاسبتارية ، لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات ، أول

(١) أورد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٩٠ — ٢٩١) هذا النص باختصار قليل ، تحت أخبار السلطان المنصور قلاون .

(٢) انظر ص ٦٨٥ ، سطر ١٠ ، وحاشية ٥ بنفس الصفحة .

ذلك يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ثمانين وستمائة ، الموافق للثالث من شهر إيار سنة (ص ١٢٤ب) ألف وخمسمائة [و] اثنتين وتسعين للإسكندر بن فيلبُّس اليونانى ، على جميع بلاد السلطان وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع ، والمدن والحصون والبلاد والقرى ، والمزارع والأراضى والموانى والبحور ، والمراسى والثغور ، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة ، وعلى التجار والمسافرين فى البر والبحر والسهل والجبل ، فى الليل والنهار ، وعلى قلعة المرقب وربض المرقب بحقوقه وحدوده .

وتقرَّرت الهدنة مع متملك طرابلس بيُمند بن بيمند ، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضُها بعضا ، أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، الموافق للخامس من تموز سنة ألف وخمسمائة [و] اثنتين وتسعين للإسكندر ، وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة النبوية . وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح أعز الله نصرهما ، قريبها وبعيدها ، سهلها وجبلها ، غورها ونجدها ، قديمها ومستجدّها ، وما هو مجاور لطرابلس ومحادٌّ لها من المملكة البعلبكية جميعها ، وجبالها وقراها الرّحلية[1] والجبلية ، وجبال الضّنّيّين[2] والمضبين[3] وما هو من جملتها وحقوقها ، وعلى الفتوحات المستجدّة : وهى حصن الأكراد وبلاده ، وافليس[4] وبلادها ، والقليعات وبلادها ، وصافيتا (ص ١٢٥ ا) وبلادها ، وميعار وبلادها ، وأطليما وبلادها ، وحصن عكار وبلاده ، ومرقية ومدينتها وبلادها ومناصفاتهـا : وهى بلاد اللكمة[5] [وجميع بلاد هـذه الجهات التى ذكرناها] ، ومناصفات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته[6] وبلادها ، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى ، وبلاد الست وبلاطنس وبلادها ، وقرفيص[7] وبلادها ، وجبلة وبلاد اللاذقية وأنطاكية وبلادها ، والسويدية وميناؤها ، وحصن بغراس وبلاده ، وحصن دير كوش وبلاده ، وشقيف تلميس وبلاده ، وكفر دنين وبلاده ، والدربساك وبلاده ، وثغرى الشغر

(١) كذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٤ ب) ، والنويرى (ص ٢٧٨ ا) ، ولعل المقصود بالقرى الرحلية ما كان منها على طريق القوافل والرحلة . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) مضبوط هكذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٤ ب) .

(٣) كذا أيضا فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) .

(٤) كذا فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) ، وهى بغير نقط البتة فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٤ ب) .

(٥) كذا فى المرجعين ، وقد أضيف ما بين القوسين من النويرى (ص ٢٧٨ ا) .

(٦) فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٥ ا) "ومدينتها" ، والرسم المثبت هنا من النويرى (ص ٢٧٨ ا) .

(٧) فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) "وقرقص" .

وبكاس وبلادها ، والقصير وبلاده ، وصهيون وبلادها ، وبرزية وأعمالها ، والقليمة وأعمالها ، وعيدوا[1] وأعمالها ، ومصياف وبلادها ، وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع : وهى القدموس والكهف والمينقة والخوابى والرصافى والقليعة والعليقة ، والمملكة الحلبية وحصونها ومدنها وبلادها ، وشيزر وأبو قبيس وبلادها ، والمملكة الحموية وبلادها ، والمملكة الحمصية وبلادها ، وجميع ما لمولانا السلطان من ممالك وحصون وبلاد ، وقلاع وثغور وأبراج ، ومواني وسواحل وبرور وأنهار ، وبساتين ومصايد وملاّحات ، وسهل وجبل وعامر ودائر ، وجميع الأمصار مصريّها وشاميّها وساحليها وحجازيّها وغربيها وشرقها (ص ١٢٥ ب) ، وماسيفتحه الله على يده ويد ولده ويد عساكرهما وجنودهما من الممالك والحصون ، وعلى بلاد الإبرنس : وهى طرابلس وماهو داخلٌ بها ومحسوب منها ، وانفه[2] وبلادها ، وجبيل وبلادها ، ومدينة البترون وأعمالها ، وصنم جبيل وبلاده ، وعرقا وبلادها المعينة فى الهدنة وعدتها إحدى وخمسون ناحية ، وما هو للخيالة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلدا ، وما هو للفارس روجار[3] دلالولاى من قبلى طرابلس يكون مناصفة ، وعلى أن يستقرّ برج اللاذقيّة وما تجدّد فيه لخاص الإبرنس .

ويستقرّ النواب من الجهتين بمدينة اللاذقية وميناها فى استخراج الحقوق والجبايات والغلاّت وغيرها مناصفة ، ويستقرّ مقامهم بمدينة اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية [بيبرس] ، وكذلك فى رعايا مدينة اللاذقية وبلادها ، على ما تضمّنته الهدنة الظاهرية [بيبرس] ، وعلى أن يكون على جسر أرتوسية من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلاّت[4] ستة عشر نفراً : وهم المشدّ وغلامه ، والشاهد وغلامه ، والكاتب وغلامه ، وعشرة أنفار رجّالة فى خدمة الشد ، ويكون لهم فى الجسر بيوت يسكنون فيها على العادة ، ولا يحصل منهم مضرّة لرعية الإبرنس ، وأن يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات ، وألا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها ، وما يعبر من غلالها ومن أراضيها ، مما يستغلّ منها ومن بلادها على ما تشهد به الهدنة ، من (ص١٢٦ ا) الصيفى والشتوى ، وغيرذلك مما يتعلّق بعرقا وبلادها ، لا يعارضهم الشد فيه ، وما خلا ذلك مما يعبر من بلاد مولانا السلطان تؤخذ عليه الحقوق ،

(١) كذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٥ ا) .
(٢) كذا أيضا فى النويرى (ص ٢٧٨ ا) .
(٣) كذا فى بيبرس المنصورى (ص١٢٥ب) ، وهو فى النويرى (ص٢٧٨ب) "روجا دلالولاى" .
(٤) ليس لهذا اللفظ وجود فى النويرى (ص ٢٧٨ ب) .

ولا تدخل إلى طرابلس غلة محميّة باسم البرنس ولا أصحابه إلا [و] تؤخذ الحقوق عليها ؛ وعلى أن الإبرنس لا يستجدّ خارج مدينته ، ولا فى البلاد التى وقعت الهدنة عليها بناء يمنع ويدفع ؛ وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة من الأخرى . وكذلك مولانا السلطان لا يستجدّ بناء قلعة ينشئها من الأصل مجاورة للبلاد التى وقعت الهدنة عليها ، ولا يُنتقض ذلك بموت أحد من الجهتين ولا بتغيّره ، ولا برجل[1] غريبة من الفرنج أو التتار ، بل تكون هذه الهدنة باقية . ومتى جاءت رجل غريبة بداريهم عن بلاده وعن نفسه ، ولا يدخل فى مشورة تؤدّى إلى اعتماد سوء أو مكروه ، ولا يحسن لأحد من أعداء مولانا السلطان ، ولا يتّفق عليه برمز ولا خط ، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة . فتقرّر الحال على ذلك ، وعادت رسل كل جهة إليها .

ملحق[2] رقم ٧

نص خطاب إيلخان أحمد تكدار ملك المغول بفارس إلى السلطان الملك المنصور قلاون سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) ، وجواب السلطان قلاون عليه ، نقلا عن بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، ج ٩ ، ص ١٣١ ا ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المتحف البريطانى بلندن ، مكتبة الجامعة المصرية ، رقم ٢٤٠٢٨) . انظر أيضا ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ص ٣٣٥ ، وما بعدها) ، والنويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٠ ا ، وما بعدها) ، وكذلك (Quatremère: Op. Cit. II. 1. pp. 158, et séq) ، حيث أورد النص العربى مصحوبا بترجمة إلى الفرنسية .

(ص ١٣١ ا) ذكر نسخة الكتاب الواصل من جهة المذكور ، مُخبرا بانتقاله إلى ملّة الإسلام ، هو ومن معه من التتار .

---

(١) مضبوط هكذا فى بيبرس المنصورى (ص ١٢٦ ا) .

(٢) انظر ص ٧٠٨ ، سطر ١ ، وحاشية ١ بنفس الصفحة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى ، بإقبال قاآن (كذا) فرمان أحمد إلى سلطان مصر.
أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى ، بسابق عنايته ونور هدايته ، قد كان أرشدنا فى عنفوان الصبا وريعان الحداثة إلى الإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام بصدق نبوته ، وحسن الاعتقاد فى أوليائه الصالحين من عباده فى بريته ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور المسلمين ، (ص ١٣١ ب) إلى أن أفضت(١) بعد أبينا الجيد وأخينا الكبير نوبة الملك إلينا ، فأفاض علينا من جلابيب ألطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه ، وجلا هدى المملكة على يدينا ، وأهدى عقيلتها إلينا . فاجتمع عندنا فى قوريلتاى المبارك — وهو المجمع الذى تنقدح فيه الآراء — جميع الإخوان والأولاد ، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد . واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير فى إنفاذ الجم الغفير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها ، وامتلأت الأرض رعبا لعظيم صولتها وشديد بطشتها إلى تلك الجهة ، بهمة تخضع لها شم الأطواد ، وعزمة تلين لها صم الصلاد . ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه ، واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه ، فوجدناه مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتناء الخير العام ، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام ، وألا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وتجرى به فى الأقطار رخاء نسائم الأمن والأمان ، وتستريح به المسلمون فى سائر الأمصار فى مهاد الشفقة والإحسان ، تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله .

فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة ، وتسكين الفتن الثائرة ، وإعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا إليه من تقديم ما يرجى به شفاء مزاج العالم من الأدواء ، وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء ، وإننا لا (١٣٢ أ) نحب المسارعة إلى هز النصال للنضال إلا بعد إيضاح المحجة ، ولا نأذن لها إلا بعد تبيين الحق ووضوح الحجة .

وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعى الصلاح ، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح ، أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن ، الذى هو نعم العون لنا فى أمور الدين ، فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه ، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه . وأنفذنا أقضى القضاة وقطب الملة والدين ، والأتابك بهاء الدين ، اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة ، ليعرفاهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا ، ويبينا

(١) فى الأصل "افضى".

لهم أنّا لهم من الله على بصيرة ، وأن الإسلام يجُبّ ماقبله ، وأنه تعالى ألتى فى قلبنا أن نتبع الحق وأهله ، ويشاهدون[١] عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه من تقديم أسباب الإحسان ، ولا يُحْرَموها بالنظر إلى سالف الأحوال فكل يوم هو فى شان . فإنْ تطلّعت نفوسهم إلى دليل يستحكم بسببه دواعى الاعتماد ، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد ، فلينظروا إلى ما ظهر من أثرنا مما اشتهر خبره ، وعمّ أثره .

فإنّا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى بإعلاء أعلام الدين ، وإظهاره فى إيراد كل أمر وإصداره تقديما ، وإقامة نواميس الشرع المحمّدى على مقتضى قانون العدل الأحمدى إجلالا وتعظيما . وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور ، وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف ، (ص ١٣٢ ب) وقابلناه بالصفح وقلنا عفى الله عما سلف ؛ وتقدّمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين ، من المشاهد والمساجد والمدارس ، وعمارة بقاع البر والرُبُط الدوارس ، وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقّيها لشروط واقفها ، ومنعنا أن يلتمس شىء مما استحدث عليها ، وألا يُغيّر أحدٌ مما قُرِّر أولا فيها . وأمرنا بتعظيم أمر الحاج وتجهيز وفدها ، وتأمين سبلها وتسيير قوافلها . وإنا أطلقنا سبيل التُجار المترددين إلى تلك البلاد ، ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم ، وحرّمنا على العساكر والقراغول[٢] والشحانى[٣] فى الأطراف التعرّض بهم فى مصادرهم ومواردهم . وقد كان صادف قراغو لنا جاسوسا فى زىّ الفقراء كان سبيل مثله أن يهلك ، فلم يهرق دمه لحرمة ما حرّمه الله تعالى ، وأعدناه إليهم . ولا يخفى عليهم ما كان فى إنفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين ، فإنّ عساكرنا طالما رأوهم فى زى الفقراء والنساك وأهل الصلاح ، فساءت ظنونهم فى تلك الطوائف ، فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا . وارتفعت الحاجة بحمد الله إلى ذلك ، بما صدر إذننا به من فتح الطريق وتردّد التجار وغيرهم . فإذا أمعنوا الفكر فى هذه

(١) كذا فى الأصل ، وفى جميع المراجع المذكورة فى عنوان الملحق .

(٢) القراغول عند المغول جماعة من العسكر ، كان يناط بهم حراسة الطرق . (ceux qui étaient préposés à la garde des routes) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، حيث يوجد مثال لاستعمال هذا اللفظ بعد تحريفه قليلا ، ونصه : "وعند أرباب السياسة جماعة من الضابطية فى أماكن معينة للمحافظة ، وربما قالوا قراقون وكراكون". انظر أيضا ص ٧٥ ، سطر ٣ ، وحاشية ٣ بنفس الصفحة ، حيث ورد هذا اللفظ فى مصطلح الدولة الأيوبية بالمعنى نفسه ، برسم مخالف قليلا .

(٣) الشحانى — والشحن أيضا — جمع شحنة ، وهو رئيس الشرطة والموكل بالأمن فى بلد من البلاد . (un gouverneur, celui qui est chargé de maintenir la police dans une ville, un chef, un préposé.) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

الأمور وأمثالها لايخفى عليهم أنها أخلاق جبلّية طبيعية ، وعن شوائب التكلّف والتصنّع عرية . وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت (ص١٣٣ أ) دواعى المضرّة التى كانت موجبة المخالفة ، فإنها كانت بطريق الدين والذبّ عن حوزة المسلمين . فقد ظهر بفضل الله تعالى فى دولتنا النور المبين ، وإن كان لما سبق من الأسباب ، فمن تحرّى الآن طريق الصواب ، فإنّ له عندنا لزُلْفى وحسن مآب .

وقد رفعنا الحجاب ، وأتينا بفصل الخطاب وعرّفناهم ماعزمنا عليه بنية خالصة لله تعالى على استئنافها ، وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها ، لترضى بها الله والرسول ، وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول ، وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة ، وتنجلى بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغُمّة ، فيسكن فى سابغ ظلها البوادى والحواضر ، وتقرّ القلوب التى بلغت من الجهد الحناجر ، ويعفى عن سالف الهنات والجرائر .

فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم ، وانتظام أمور بنى آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى ، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الإخلاص بحيث تنعمر تلك المدائن والبلاد ، وتسكن الفتنة الثائرة ، وتغمد السيوف الباترة ، وتحلّ الكافة أرض الهوينى وروض الهدون ، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون . وإن غلب سوء الظن بما تفضّل به واهب الرحمة ، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة ، فقد شكر الله مساعينا ، وأبلى عذرنا ، وما كنا معذّبين حتى (ص١٣٣ ب) نبعث رسولا . والله الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيمن على البلاد والعباد ، وحسبنا الله وحده". كُتب فى [مدينة] واسط ، [فى شهر[1]] جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة ، بمقام الأوطاق .

***

ذكر نسخة جواب السلطان الصادر إليه .

"بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى ، بإقبال دولة السلطان الملك المنصور ، كلام قلاون إلى السلطان أحمد . أما بعد حمد الله الذى أوضح بنا ولنا الحق منهاجا ، وجاء بنا لجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذى فضّله الله على كل نبى نجّى به أمته وعلى كل نبى ناجى ، صلاة تنير ما دجا وتجير من داجى .

(١) أضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة النويرى (ص ٢٨٠ أ) .

فقد وصل الكتاب الكريم ، المتلقى بالتكريم ، المشتمل على النبأ العظيم ، من دخوله فى الدين ، وخروجه عمن خلف من العشيرة والأقربين .

ولما فُتِح هذا الكتاب فاتَحَ بهذا الخبر المُعْلَمَ المُعْلِم ، والحديث الذى صُحِّح عند أهل الإسلام إسلامه ، وأصحّ الحديث ماروى عن مسلم ، وتوجّهت الوجوه بالدّعاء إلى الله سبحانه فى أن يثبته على ذلك بالقول الثابت ، وأن ينبت حَبَّ حُبِّ هذا الدين فى قلبه كما أنبته أحسن النبت من أخشن النابت . وحصل التأمل للفصل (ص ١٣٤ ا) المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النية ، فى أول العمر وعنفوان الصبا والإقرار بالوحدانية ، ودخوله فى الملة المحمدية ، بالقول والعمل والنية . فالحمد لله على أن شرح صدرَه للإسلام ، وألهمه شريف هذا الإلهام ، كحمدنا لله على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا القال والمقام ، وثبّت أقدامنا فى كل موقف اجتهاد وجهاد تتزلزل دونه الأقدام . وأما إفضاءُ النَّوبةِ فى الملك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه ، وإفاضة جلابيب هذه المواهب العظيمة عليه ، وتوَقُّلُه الأسرّة التى طهّرها إعانه ، وأظهرها سلطانه ، فلقد أورثها الله من اصطفاه من عباده ، وصدق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعُبّاده .

وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد ، والأمراء الكبار ومقدّمى العساكر وزعماء البلاد ، فى مجمع قوريلتاى الذى تنقدح فيه زُنُد الآراء ، وأن كلهم اتفقت على ماسبقت به كلمة أخيه الكبير فى إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب ، وأنه فكّر فيما اجتمعت عليه آراؤهم ، وانتهت إليه أهواؤهم ، فوجده مخالفا لما فى ضميره ، إذ قصدُه الصلاح ، ورأيه الإصلاح ، وأنه أطفأ تلك الثائرة ، وسكّن تلك النائرة ، فهذا فعل الملك المتّقى ، المشفق من قومه على [من بقى ، المفكّر فى العواقب[1] ، بالرأى الثاقب ؛ وإلا فلو تركوا وآراؤهم حتى تحملهم العزّة ؛ لكانت هذه الكرّة] (ص ١٣٤ ب) هى الكرّة . لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، ولم يوافق قول من ضلّ ولا فعل من غوى .

وأما القول منه بأنه لايحبّ المسارعة إلى القارعة ، إلا بعد إيضاح المحجة ، وتركيب الحجة ، فبانتظامه فى سلك الإيمان صارت حجتنا وحجته المتركبة ، على من غدت طواغيته عن سلوك هذه المحجة متنكبة . فإن الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنصر هذه الملة ، وجهادنا واجتهادنا إنما هو على الحقيقة لله . وحيث قد دخل معنا فى الدين هذا

(١) موضع ما بين القوسين ألفاظ تعذرت قراءتها بالأصل ، وقد أضيفت من : (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 193)

الدخول ، فقد ذهبت الأحقاد وزالت الذحول ، وبارتفاع المنافرة ، تحصل المظافرة ، فالإيمان كالبنيان يشد بعضه ببعض ، ومن أقام مناره فله أهل بأهل فى كل مكان وجيران بجيران فى كل أرض .

وأما ترتيب هذه القواعد الجمة على أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن ، أعاد الله من بركاته ، فلم تُرَ لولىّ قبله كرامة كهذه الكرامة ، والرجاء ببركاته وبركة الصالحين أن تصبح كلّ دار للإسلام دارَ إقامة ، حتى تتمّ شرائط الإيمان ، ويعود شمل الإسلام مجتمعاً كأحسن ما كان ، ولا ينكر لمن لكرامته ابتداء هذا التمكن فى الوجود ، أنّ كلّ حق ببركته إلى نصابه يعود .

[وأما إنفاذ أقضى القضاة قطب الملّة والدين[1]] ، والأتابك بهاء الدين الموثوق بنقلهما فى إبلاغ رسائل هذه البلاغة ، فقد حضروا وأعادوا كل قول (ص ١٣٥ ا) حسن من حوالى أحواله وخطرات خاطره ، ومنتظرات ناظره ، ومن كلّ ما يشكر ويحمد ، ويمتمن حديثهما فيه عن مسند أحمد .

وأما الإشارة إلى أنّ النفوس إن كان لها تطلّع إلى إقامة دليل ، تستحكم به دواعى الود الجميل ، فلينظر إلى ما ظهر من مآثره فى موارد الأمر ومصادره ، ومن العدل والإحسان بالقلب واللسان ، والتقدّم بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسبيل السبل للحج إلى غير ذلك ، فهذه صفات من يريد الملك الدوام ، فلما مَلَكَ عَدَل ، ولم يمل إلى لوم من عدى ولا لوم من عَذَل . على أنها وإن كانت من الأفعال الحسنة ، والمثوبات التى تستنطق بالدعاء الألسنة ، فهى واجبات تؤدّى وقربات بمثلها يُبدّى ، وهو أكثر من أنه بإجراء أجر غيره يفتخر ، أو عليه يقتصر ، أوْ له يدّخر . بل إنما يفخر الملوك الأكابر بردّ ممالك على ملوكها ، ونظم ما كانت عليه فى سلوكها ، وقد كان والده فعل شيئا مع الملوك السلجوقيّة وغيرهم ، وما كان أحد منهم بدينه يدين ، ولا دخل معه فى دين ، وأقرّهم فى ملكهم وما زحزحهم عن مَلِكهم . ويجب عليه ألا يرى حقا مغتصبا ويأبى إلا ردّه ، ولا باغا ممتدا بالظلم ويرضى إلا صدّه ، حتى أن أسباب ملكه تقوى ، وأيامه تتزيّن بأفعال التقوى .

وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحانى بالأطراف التعرّض إلى أحد بالأذى ، وإصفاء موارد (ص١٣٥ ب) الواردين والصادرين من شوائب القذى ، فمن حين بلغنا تقدّمه

(١) موضع ما بين القوسين ألفاظ تعذرت قراءتها بالأصل ، وقد أضيفت من (Quatremère: Op. Cit. II. 1. p. 193.)

بمثل ذلك تقدّمنا أيضا بمثله إلى سائر نوّابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب ، وإلى مقدّمى العساكر بأطراف تلك الممالك ، وإذا اتحد الإيمان ، وانعقدت الأيمان ، تحتّم هذا الإحكام ، وترتّب عليه جميع الأحكام .

وأما الجاسوس الفقير الذى أُمسك وأُطلق ، وأنّ بسبب من يتزيّا من الجواسيس بزىّ الفقراء قُتل جماعةٌ من الفقراء الصلحاء رجما بالظنّ ، فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه ، وزند من ذلك الطرف كان قدحه ، وكم من متزىٍّ بفقير من ذلك الجانب سيّروه ، وإلى الاطلاع على الأمور سوّروه ، وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرُفع عنهم السيف ، ولم يكشف ما غطّوه بخرقة الفقر بِلِمَ ولا كيفَ .

وأما الإشارة إلى أن باتفاق الكلمة تنجلى ظُلم الاختلاف ، وتَدرّ بها من الخيرات الأخلاف ، ويكون بها صلاح العالم ، وانتظام شمل بنى آدم ، فلا رادّ لمن فتح أبواب الاتحاد ، وجنح إلى السلم فما حادّ ولا حاد ؛ ومن ثنى عنانه عن المكافحة ، كان كمن مدّ يد الصالحة للمصافحة ، والصلح وإن كان سيد الأحكام ، فلا بدّ من أمور تُبنَى عليها قواعده ، ويُعلم من مدلولها فوائده . فالأمور المسطورة فى كتابه هى كليات لازمة يعمر بها كل مغنىً ومَعلَم ، إن تهيأ صلح أو لم ، وثم أمور لا بد وأن تحكم ، وفى سلكها عقود العهود تنظم ، [قد تحمّلها[1]] بلسان المشافهة (١٣٦ ا) التى إذا أورِدَت أقبلت إن شاء الله عليها النفوس ، وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزه سطور الطّروس .

وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله تعالى ، وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا ، فما على هذا النسق من الود يُنسج ، ولا على هذا السبيل يُنهج ، بل الفضل للمتقدّم فى الدين ، ونصره عهود تُرعى ، وإفادات تستدعى ، وما برح الفضل للأولوية وإن تناهى العدد للواحد الأول ، ولو تأمّل مورد هذه الآية فى غير مكانها لتروّى وتأوّل .

وعندما انتهينا إلى جواب ما لعلّه يحث عنه الجواب من فصول المكاتبة ، سمعنا المشافهة التى على لسان أقضى القضاة قطب الدين ، فكان منها ما يُناسب ما فى هذا الكتاب من دخوله فى الدين ، وانتظام عقده بسلك المؤمنين ، وما بَسطه من مَعدلةٍ وإحسان ، مشكورة بلسان كل إنسان ، فالمنّة لله عليه فى ذلك فلا يشينها منه بامتنان ، وقد أنزل الله على

(١) موضع ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد أضيف من (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 194.)

رسوله فى حقّ من امتنّ بإسلامه : قل لا تمنّوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أنْ هداكم للإيمان .

ومن المشافهة أن الله قد أعطاه من العطاء ، ما أغناه عن امتداد الطّرْف إلى ما فى يد غيره من أرض وماء ، فإن حصلت الرغبة فى الاتفاق على ذلك فالأمر حاصلٌ ، فالجوابُ أنّ ثَمّ أمورا متى حصلت عليها الموافقة ابتنى على ذلك حكمُ المصاحبة والمصادقة ، ورأى الله والناس كيف يكون تصافينا ، وإذلال عدونا وإعزاز (ص ١٣٦ ب) مُصافينا ، فكم من صاحبٍ وُجد حيث لا يوجد الأبُ والأخ والقرابة ، وما تمّ أمر هذا الدين واستحكم فى صدر الإسلام إلا بمضافرة الصحابة . فإن كانت له رغبة مصروفة إلى الاتحاد ، وحسن الوداد ، وجميل الاعتضاد ، وكَبْت الأعداء والأضداد ، والاستناد إلى من يشتدّ الأزرُ به عند الاستناد ، فالرأى إليه فى ذلك .

ومن المشافهة أنه إن كانت الرغبة ممتدّةَ الأمل إلى ما فى يده من أرض وماء ، فلا حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود ، فالجواب عن ذلك ، أنه إذا كفّ كفّ العدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك ، سكنت الدهماء ، وحقنت الدماء ، وما أحقّه بأن لا ينْه عن خلق ويأتى مثله ، ولا يأمر ببرّ وينسى فعله ، وقتمرطاى بالروم وهى بلاد فى أيديكم ، وخواجها يجبى إليكم وقد سفكَ فيها وفتك ، وسَبى وهتك ، وباع الأحرار ، وأبى إلا التمادى على الإصرار والإضرار .

ومن المشافهة أنه إن حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الغارات ، ولا يُقتَصَرّ عن هذه الإثارات ، فتُعيّن مكاناً يكون فيه اللقاء ، ويعطى الله النّصر لمن يشاء ، فالجواب عن ذلك أن الأماكن التى اتفق فيها ملتقى الجمعين مرّةً ومرّةً ومرة ، قد عاف مَوارِدَها من سلم من أولئك القوم ، وخاف أن يُعاودَها فيماودِه مصرع ذلك اليوم ، فوقتُ اللقاء عِلْمُه عند الله فلا يُقَدّر ، وما النصر إلا من عند الله لمن أقدرَ لا لمن قَدّر ، ولا نحن ممن ينتظر (ص ١٣٧ ا) فلتة ، ولا لاله إلى غير ذلك لفتة ، وما أمرُ ساعة النصر إلا كالساعة لا يتأتى إلاّ بغتة ، والله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة ، والقادر على إتمام كل خير ونعمة .

ملحق[١] رقم ٨

نص الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاون وفرنج[٢] عكا، فى خامس ربيع الأول سنة ٦٨٢ هـ (٣ يوليه، ١٢٨٣ م)، وهو منقول من ابن الفرات (تاريخ الدول[٣] والملوك، ج ١٤، ص ١٨٨ — ١٩٥. صور شمسية من نسخة فينا، بدار الكتب المصرية، رقم ٣٢٩٧، تاريخ). انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. II. I. PP. 179 et Seq)، حيث نقل هذا النص من كتاب اسمه سيرة السلطان قلاون[٤]، مع بعض إضافات وتعديلات من ابن الفرات، ومصحوبا بترجمة إلى الفرنسية. (PP. 224 et seq).

(ص ١٨٨ ا) وفى يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة جرت الهدنة بين [السلطان] الملك المنصور [قلاون] وبين الحكام بعكا، على ماتقرر بينه وبينهم فى شرحها، وصورتها:

استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاون الملكى الصالحى وولده السلطان (ص ١٨٨ ب) الملك الصالح علاء الدين علىّ، خلّد الله سلطانهما، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليها هذه الهدنة، وهم: السنجال[٥]

(١) انظر ص ٧١٣، سطر ١٠، وحاشية ٤ بنفس الصفحة.

(٢) المقصود بفرنج عكا هنا مملكة بيت المقدس الصليبية، وكانت قد ظلت اسما يطلق على ما بقى لها من البلاد بالشام، وهى عكا وعثليث وصيدا وما حولها، وكان ملكها تلك السنة شارل الأنجوى (Charles of Anjou)، وهو ملك صقلية أيضا؛ وكان نائبه بالشام أودو پوالشيان (Odo Poilechien)، وهو الذى تولى مفاوضة السلطان فى الهدنة، كما سيلى بالمتن. (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 284; Stevenson ; Crusaders In The East. p. 346.)

(٣) يقوم على نشر هذا الكتاب، منذ سنة ١٩٣٦، الدكتور قسطنطين زريق أحد أساتذة التاريخ الشرقى بجامعة بيروت الأمريكية، والدكتورة نجلا عز الدين بدائرة التاريخ بكلية البنات الأمريكية ببيروت، فى سلسلة العلوم الشرقية، رقم ٩، ١٠.

(٤) انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 158. N. 1.)، حيث ذكر أن هذا النص منقول من كتاب سيرة السلطان قلاون.

(٥) هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (sénéschal)، المأخوذة من اللفظ اللاتينى (senescallus)، وهو الأقرب إلى لفظ السنجال، ومعناها هنا النائب — أو الكفيل، على حد التعبير العربى فى ذلك العصر — والمقصود به أودو پوالشيان (Odo Poilechien)، نائب المملكة بعكا. انظر حاشية ٢.

أود كفيل المملكة بعكا ، وحضرة المقدم الجليل إفرير[١] كليام دياجوك[٢] مقدّم بيت الديوية ، والمقدم إفرير نيكول لِلُورِنْ[٣] مقدّم بيت الاسبتار ، [و] المرشان الأجل إفرير كورات نائب مقدم بيت الاسبتار الأمن[٤] ، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول ، سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية ، صلوات الله على صاحبها وسلامه ، الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة [و] أربعة وتسعين للإسكندر [بن] فيلبس اليوناني ، على جميع بلاد السلطان [الملك المنصور] وولده ، وهي التي في تملكهما وتحت حكمهما وطاعتهما ، وتحويه يدهما يومئذ من جميع الأقاليم والممالك والقلاع والحصون ، والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضي ، وهي[٥] مملكة الديار المصرية حرسها الله تعالى ، وما بها من الثغور والقلاع والحصون الإسلامية ، وثغر دمياط وثغر الإسكندرية المحروسين ، ونستروه وسنتريه ، وما ينسب إليها من الموانى والسواحل والبرور ، وثغر فوّة وثغر رشيد ، والبلاد الحجازية ، وثغر غزة المحروس ، وما معها من الموانى والبلاد ، والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها ، والصّلت وأعمالها ، وبصرى وأعمالها ، ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه ، ومملكة القدس الشريف وأعمالها ، والأردن وبيت لحم وأعماله وبلادها ، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها ، ومملكة يافا والرملة وميناؤها [وأعمالها] ، وقيسارية وجميع ماهو داخل فيها ومحسوب منها ، وبيت جبريل ، ومملكة نابلس وأعمالها [ومملكة الأطرون[٦] وأعمالها] (ص ١٨٩) وميناؤها وسواحلها وأعمالها ، وأرسوف وأعمالها ، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها ، ولدّ وأعمالها ، وأعمال العوجاء وما معها من الملاّحة ، و [بلاد] الفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها[٧] ، [وبيسان وأعمالها وبلادها ، والطور وأعمالها ، واللجون وأعمالها ،

(١) هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (frère) ، ومعناها الأخ عامة .

(٢) المقصود بهذا الاسم (Guillaume de Beaujeu) . انظر (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 226.) .

(٣) المقصود بهذا الاسم (Fr. Nicholas Le Lorgne) . انظر (King : Op. Cit. P. XV) .

(٤) كذا في الأصل ، والمقصود لفظ الألمان ، وكان مقدم هذا الفرع من الاسبتارية (Conrad) انظر (Quatre Op. Cit. II. 1. p. 226) .

(٥) سيلاحظ القارئ أن السطور التالية تشمل ثبتا دقيقا لدولة المماليك بمصر والشام ، في عصر السلطان قلاون .

(٦) أضيف مابين الأقواس من النص الوارد في (Quatremère : Op. Cit. II. 1. p. 179) .

(٧) يلي هذا في نص ابن الفرات العبارة التالية ، "وذكر بقية بلاد الإسلام التي هي في مملكة الملك =

وجينين وأعمالها ، وعين جالوت وأعمالها ، والقسمون (كذا) وأعماله ، ومابنسب إليه ، وطبرية وبحيراتها وأعمالها وما معها ، والمملكة الصفدية وما ينسب إليها ، وتبنين وهونين وما معها من البلاد والأعمال ، والشقيف المعروف بشقيف أرنون وما معه من البلاد والأعمال وما هو منسوب إليه ، وبلاد القرن وما معه خارجاً عما عيّن فى هذه الهدنة ، ونصف مدينة إسكندرونة ، ونصف ضيعة مارن ، بقراها وكرومهما وبساتينهما وحقولهما ، وماعدا ذلك من أعمال إسكندرونة المذكورة ، يكون جميعه بحدوده وبلاده لمولانا السلطان ولولده ، والنصف لمملكة عكا ، والبقاع العزيزى وأعماله ، ومشغر وأعمالها ، وشقيف تيرون وأعماله ، والمغاير جميعها — زلايا وغيرها ، وبانياس وأعمالها ، وقلعة الصبيبة وما معها من البحيرات وأعمالها ، وكوكب وأعمالها وما معها ، وقلعة عجلون وأعمالها ، ودمشق والمملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والممالك والأعمال ، وقلعة بعلبك وما معها وأعمالها ، ومملكة حمص وما لها من الأعمال والحدود ، ومملكة حماة ومدينتها وقلعتها وبلادها وحدودها ، وبلاطنس وأعمالها ، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله ، وصافيثا وأعمالها ، وميعار وأعمالها ، والعريمة وأعمالها ، ومرقية وأعمالها ، وحلبا وحصن عكار وأعماله وبلاده ، والقليعات وأعمالها ، وقلعة شيزر وأعمالها ، وأفامية وأعمالها ، وجبلة وأعمالها ، وأبو قبيس وأعماله ، والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون ، وأنطاكية وأعمالها وما دخل [منها] فى الفتوحات المباركة ، وبغراس وأعمالها ، والدربساك وأعماله ، والراوندان وأعمالها ، وحارم وأعمالها ، وعينتاب وأعمالها ، وتيزين وأعمالها ، وشيح[1] الحديد وأعماله ، وقلعة نجم وأعمالها ، وشقيف دير كوش وأعمالها ، والشغر وأعمالها ، وبكاس وأعماله ، والسويداء وأعمالها ، والباب وبزاعا وأعمالها ، والبيرة وأعمالها ، والرحبة وأعمالها ، وسلمية وأعمالها ، وشميميس وأعمالها ، وتدمر وأعمالها ، وما هو منسوب إلى جميع ذلك ما عُيّن وما لم يُعيّن] ، وجميع ما هو لمولانا السلطان ولولده من البلاد التى عُيّنت فى هذه الهدنة المباركة ، والتى لم تُعيّن .

وعلى جميع العساكر وعلى جميع الرعايا ، من سائر الناس أجمعين ، على اختلافهم وتغاير أنفارهم وأجناسهم وأديانهم ، القاطنين فيها والمترددين إليها ومنها من سائر بلاد المسلمين ،

= المنصور وولده ، ثم ذكر بعد ذلك ما صيغته " . وقد رؤى حذف تلك العبارة وإثبات تفاصيل ممتلكات دولة المماليك بين القوسين ، حتى سطر ٢٠ بهذه الصفحة ، من النص الوارد فى (Quatremère : Op. Cit. II.1. p. 179) .

(١) فى الأصل "سيح" .

وعلى جميع التجار والسفار والمترددين فى البر والبحر ، والسهل والجبل ، فى الليل والنهار ، يكونون آمنين مطمئنين فى حالتى صدورهم وورودهم ، على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، وحريمهم وبضائعهم وغلمانهم ، وأتباعهم ومواشيهم ودوابهم ، وعلى جميع مايتعلق بهم ، وكل ماتحوى أيديهم من سائر الأشياء على اختلافها من الحكام بمملكة عكا[1] : [وهم كفيل المملكة ، والمقدم إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية ، والمقدم إفرير نيكول للورن مقدم بيت اسبتار ، والمرشان إفرير كورات نائب مقدم بيت اسبتار الأمن[2] ، ومن جميع الفرنج الإخوة ، والفرسان] الداخلين فى طاعتهم وتحويه مملكتهم الساحلية ، ومن جميع الفرنج على اختلافهم ، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى الهدنة ، وكل واصل إليها فى بر وبحر ، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم ، لا ينال بلاد [مولانا] السلطان [الملك المنصور قلاون] وولده [الملك الصالح] ، ولا حصونهما ولا قلاعهما ، ولا بلادهما ولا ضياعهما ، ولا عساكرهما ولا جيوشهما ، ولا عربهما ولا تركمانهما ، ولا أكرادهما ولا رعاياهما ، على اختلاف الأجناس والأنفار ، ولا ما تحويه أيديهم من المواشى والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم بغدر ولا سوء ، ولا يخشون من جهتهم أمراً مكروهاً ولا إغارة ولا تعرضا ولا أذية ؛ وكذلك كل ما سيفتحه ويضيفه [مولانا] السلطان [الملك المنصور] وولده [الملك الصالح] ، على يدهما وعلى يد نوابهما وعساكرهما ، من بلاد وحصون وقلاع وملك وأعمال وولايات ، براً وبحراً ، سهلا ووعراً .

وكذلك جميع بلاد الفرنج التى استقرت الآن عليها هذه الهدنة المباركة (ص ٨٩ ب) ، وهى : مدينة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحينها ، وما يختص بها من كرومها ، وما لها من حقوق حولها ، وما تقرر لها من بلاد فى هــذه الهدنة[3] ، [وعدتها عما فيها من مزارع ثلاث[4] وسبعون ناحية خاصا للفرنج ، وكذلك حيفا والكروم والبساتين ،

(١) يلى هذا فى نص ابن الفرات العبارة التالية : "وذكر ماقدمنا شرحه من أسمائهم . . ." ، وقد رؤى حذف ذلك التلخيص وإثبات تفصيله بين القوسين ، من النص الوارد فى (Quatremère : Op, Cit. II. 1. p. 180) .

(٢) كذا فى الأصل . انظر ص ٩٨٦ ، سطر ٢ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

(٣) يلى هذا فى ابن الفرات العبارة التالية ، ونصها : "وذكر أسماء البلاد التى استقرت الان عليها هذه الهدنة ، ثم ذكر بعد ذلك ما صيغته . . ." ، وقد حذف هذا التلخيص وأثبت ما يقابله مفصلا من (Quatremère : Op - Cil. II. 1. P. 181) ، بين الأقواس ، إلى ص ٩٨٩ ، سطر ١٤ .

(٤) فى الأصل "ثلثة" .

والعدّة بحيفا سبع نواحى ، وكذلك مارينا [١] بأرضها المعروفة بها تكون للفرنج ، وكذلك دير السياج [٢] ودير مار [٣] إلياس يكون للفرنج] .

[ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصا عفا والمنصورة ، وباقى بلاد الكرمل ثلاث عشرة ناحية للفرنج ، وعثليث القلعة والمدينة والبساتين التى قطعت والكروم وفلاحتها وأراضيها تكون لها ، ويكون لها من البلاد ست عشرة ناحية ، ويكون خاصا لمولانا السلطان ما يذكر : وهو قرية الهراميس بكمالها وحقوقها ومزارعها ، وبقية بلاد عثليث تكون مناصفة خارجا عما للخاص الشريف وعما لخاص عثليث يكون مناصفة : وهى ثمانى نواحى ، وفلاحة الإسبتار بعمل قيسارية تكون خاصا للفرنج بما فيها ، ونصف مدينة إسكندرونة ، ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج ؛ وما عدا ذلك يكون خاصاً لمولانا السلطان . ومهما كان فى إسكندرونة وقرية مارن من الحقوق والغلة يكون مناصفة ، وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب إليها يكون خاصاً للفرنج ، ويكون لها من البلاد خاصا خمس عشرة ناحية ، وما فى الوطاة من أنهار ومياه وعيون ، وبساتين وطواحين وقنى ، ومياه جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تَسْقى أراضيهم ، يكون خاصا لهم ، وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان ولولده بكمالها] .

وتكون جميع هذه البلاد المكاوبة ، وما عُيّن فى هذه الهدنة المباركة من البلاد الساحلية ، آمنة من السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح ، وآمنة من عساكرها وجنودها ومَنْ فى خدمتهما . وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة فى هذه الهدنة المباركة ، الخاص منها وما هو مناصفة ، مطمئنة هى ورعاياها وسائر أجناس الناس فيها ، والقاطنين بها والمتردّدين إليها ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، والمتردّدين إليها من جميع بلاد الفرنجية والتجّار والسفّار ، والمتردّدين منها وإليها فى برّ وبحر ، فى ليل أو نهار ، وسهل وجبل ، آمنين على النفوس والأموال والأولاد ، والمراكب والدواب وجميع ما يتعلّق بهم ، وكل ما تحويه أيديهم من الأشياء على اختلافها ، من السلطان وولده ، ومِن جميع مَن هو يجب عليه طاعتهما ، لا ينالهم ولا ينال هذه البلاد المذكورة التى انعقدت الهدنة عليها سوء ولا ضرر ولا إغارة ، ولا ينال إحدى الجهتين المذكورتين الإسلامية والفرنجية من الأخرى ضرر ولا أذية ، ويكون ما تقرّر

(١) فى الأصل "مارما" . انظر (Quatremère : Op Cit. II. I. P. 227) .
(٢) فى الأصل "السياج" . انظر (Ibid : Op. Cit. II. I. P. 227) .
(٣) فى الأصل "مارلياس" . انظر (Ibid : Op. Cit. II. I. P. 227) .

أنه يكون خاصا للفرنج حسبما بُيِّن أعلاه لهم ، وما تقرّر أن يكون للسلطان وولده يكون خاصا لهما ، والمناصفات تكون كما شُرح ، ولا يكون للفرنج من البلاد والمناصفات إلاّ ما شُرح فى هذه الهدنة وعُيِّن فيها من البلاد .

وعلى أن الفرنج لا يجدّدون فى غير عكا وعثليث وصيدا ، مما هو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث (ص ١٩٠ ا) المذكورات [سورا] ، ولا قلعة ولا برجا ولا حصنا قديما ولا مستجداً .

وعلى أنه متى هرب أحد كائنا من كان من بلاد السلطان وولده إلى عكا والبلاد الساحلية المعيَّنة فى هذه الهدنة ، وقَصَد الدخول فى دين النصرانية وتنصّر بإرادته ، يُرَدّ جميع مايروح معه ويبقى عريانا ؛ وإن كان مايقصد الدخول فى دين النصرانية ولا يتنصّر ، رُدّ إلى أبوابها العالية بجميع ما يروح معه ، بشفاعة معه ، بعد أن يُعطى الأمان .

وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، ويقصد الدخول فى دين الإسلام ، وأسلم بإرادته ، يُرَدّ جميع ما معه ويبقى عريانا ؛ وإن كان مايقصد الدخول فى دين الإسلام ولا يسلم ، يردّ إلى الحكام بعكا ، [وهم] كفيل المملكة والمقدمون ، بجميع ما يروح معه بشفاعة ، بعد أن يُعطى الأمان .

وعلى أن الممنوعات المعروف منعها قديما تستقرّ على قاعدة المنع من الجهتين ، ومتى وُجد صحبة أحد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين وغيرهم ، على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، شئ من الممنوعات بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، مثل عدّة السلاح وغيره ، تُعاد على صاحبه الذى اشتراه منه ، ويعاد إليه ثمنه ، ولا يؤخذ ماله استهلاكا ، ولا يؤذى بسبب ذلك ، لا هو ولا ماله .

وكذلك إذا طلع تجار الفرنج من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، ووُجد معهم شئ من الممنوعات مثل عدّة سلاح وغيره ، يعاد على صاحبه الذى (ص ٩٠ ب) اشتراه منه ، ويعاد إليه ثمنه ويردّ ، ولا يؤخذ ماله استهلاكا ، ولا يؤذى . وللسلطان ولولده أن يفصلا فيمن يخرج من بلادهما من رعيتهما ، على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، بشئ من الممنوعات . وكذلك كفيل المملكة بعكا والمقدمون ، لهم أن يفصلوا فى رعيتهم الذين يخرجون بالممنوعات من بلادهم الداخلة فى هذه الهدنة .

ومتى أُخذت أخيذة من الجانبين ، أو قتل قتيل من الجانبين ، على أى وجه كان والعياذ

بالله ، ردت الأخيذة(١) بعينها إن كانت موجودة ، أو قيمتها إن كانت مفقودة . والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه : فارس بفارس ، وبركيل(٢) ببركيل ، وتاجر بتاجر ، وراجل براجل ، وفلاّح بفلاّح ؛ فإن خفي أمر القتيل والأخيذة كانت المهلة في الكشف أربعين يوما ، فإن ظهرت الأخيذه أو تعيّن أمر المقتول رُدَّت الأخيذة بعينها . ويكون العوض عن القتيل بنظيره ، وإن لم تظهر كانت اليمين على والى المكان المدعى عليه ، وثلاثة(٣) نفر يقع اختيار المدعى عليهم من تلك الولاية . وإن امتنع الوالى عن اليمين حلّف من الجهة المدعية ثلاثة نفر يختارهم الجهة الأخرى ، وأخذت(٤) قيمتها . وإن لم ينصف الوالى ولا رُدَّ المال أنهى المدعى أمره إلى الحكام من الجهتين ، وتكون المهلة بعد الإنهاء أربعين يوما . ويلزم الولاة من الجهتين بالوفاء بهذا الشرط ، ومتى أخفوا قتيلا أو أخيذة ، أو قدروا على أخذ حق ولم يأخذه كل واحد في ولايته ، يتعين على الذى يولّيه من ملوك الجهتين إقامة السياسة فيه : من أخذ الروح والمال ، والسبق والإنكار العام على من يتعين عليه الإنكار ، إذا فعل ذلك في ولايته وأرضه . وإن هرب أحد بمال واعترف (ص ١٩١) ببعضه ، وأنكر ما ادّعى به عليه ، لزمه أن يحلف أنه لم يأخذ سوى ما ردّه ، فإن لم يقتنع المدّعى بيمين الهارب حلف والى تلك الولاية أنه لم يطّلع على أنه وصل معه غير ما ردّه ، وإن أنكر أنه لم يصل إليه شئ أصلا يستحلف الهارب أنه لم يصل معه للمدّعى شئ ، ويحلف والى تلك الجهات على أنه لم يصل شىء .

وعلى أنه إذا انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده ، التى انعقدت عليها الهدنة ، ورعيتهما من المسلمين وغيرهم ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، في ميناء عكا وسواحلها ، والبلاد الساحلية التى انعقدت عليها الهدنة ، كان كلُّ مَنْ فيها آمناً على الأنفس والأموال والأمتعة والمتاجر . فإن وُجِدَ(٥) أصحاب هذه المراكب التى تتكسر تُسَلَّم مراكبهم وأموالهم إليهم ، وإن عُدِموا بموت أو غرق أو غيبة فيُحتفظ بموجودهم ، ويُسَلَّم لنواب السلطان وولده . وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقدة عليها الهدنة

(١) في الأصل "الاخدة" .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل المقصود بالبركيل مرتاد البحار من التجار والمغامرين ، ففى محيط المحيط أن البراكية ضرب من السفن ، وأن البركوس — والبراكوس ، والبريق ، والبريك — أنواع من السفن أيضا ؛ وفى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) فعل "بركل" ، بمعنى داخ من تلاطم الأمواج (être agité par les vagues) ؛ وهذا فضلا عن أن من معانى كلمة السفينة في اللاتينية (barca, barica) ، وفى الفرنسية والإنجليزية (barque) .

(٣) في الأصل "ثلث" .

(٤) في الأصل "واحد" . (٥) في الأصل "وجدوا" .

للفرنج ، يجرى لها مثل ذلك فى بلاد السلطان وولده ، ويحتفظ بموجودها إن لم يكن صاحبها حاضرا ، إلى أن يسلم لكفيل المملكة بعكا والمقدمين .

ومتى توفى أحد من التجار المترددين ، الصادرين والواردين ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، من بلاد السلطان وولده ، فى عكا وصيدا وعثليث والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، يحتفظ على ماله إلى أن يوصل إلى نوابها . وكذلك التجار الصادرين والواردين ، المترددين من عكا وصيدا وعثليث ، والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، إذا توفى أحد فى البلاد الإسلامية الداخلة فى هـذه الهدنة يحتفظ على ماله إلى حين يسلم ، إلى كفيل المملكة بعكا والمقدمين .

وعلى أن (ص ٩١ ب) شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية من البلاد الساحلية التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، ومتى قصدت هذه المذكورة جهة غير هـذه الجهات ، وكان صاحب تلك الجهات معاهدا للحكام بمملكة عكا ، فلا تدخل إلى البلاد التى انعقدت عليها هذه الهدنة ولا تتزود منها . وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التى تقصدها الشوانى المنصورة معاهداً للحكام بمملكة عكا والبلاد التى انعقدت عليها الهدنة ، فلها أن تدخل إلى بلادها وتتزود منها . وإذا تكسر شىء من هذه الشوانى والعياذ بالله ، فى ميناء من موانى البلاد التى انعقدت عليها الهدنة وسواحلها ، فإنْ كانت قاصدة مَنْ له مع مملكة عكا ومقدمى مونها[1] عهد ، ولم يكن لهم معهم عهد ، فيلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت حفظها ، ويُمكّن رجالها من الزوادة وإصلاح ما انكسر منها والعود إلى البلاد الإسلامية ، ويُبْطِل حركة ماينكسر منها والعياذ بالله ، أو يرميه البحر . هذا إذا كانت قاصدة بلاد من له مع مملكة عكا ومقدميها عهد ، فإن لم يكن لها معهم عهد فلها أن تتزود وتعمّر رجالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة ، وتتوجه إلى الجهة المرسوم لها بقصدها ؛ ويعتمد هذا الفصل من الجهتين .

وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجية وغيرهم من جُوّا البحر ، بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده فى بلادهما المنعقد عليها هذه الهدنة ، فيلزم نائب المملكة والمقدّمين بعكا أن يعرّفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى الهدنة بمدة شهرين . وإن وصلوا (ص ١٩٢) بعد انقضاء مدة شهرين ، فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمون بريئين من عهدة اليمين فى هذا الفصل .

(١) كذا فى الأصل .

ومتى تحرّك عدد من جهة البرّ من التتار وغيرهم ، فأىّ من سبق الخبر إليه من الجهتين يعرّف الجهة الأخرى بما سبق الخبر إليه من أمرهم .

وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية والعياذ بالله عدو من التتار وغيرهم فى البر ، وانحازت العساكر الإسلامية من قدّام العدو ، ووصل العدو إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة وقصدوها بمضرّة ، فلكفيل المملكة بعكا والمقدّمين بها أن يدرأوا عن نفوسهم ورعيّتهم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه . وإن حصل والعياذ بالله جفل من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر ، ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم .

وعلى أن النائب بمملكة عكا والمقدمين يوصون فى سائر البلاد الساحلية التى وقعت الهدنة عليها ، أنهم لا يمكّنون حراميّة البحر من الزوّادة من عندهم ، ولا من حمل ماء ، وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه ، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه . وكذلك يعتمد [مولانا] السلطان وولده ، ويعتمد فى أمر الحرامية هذا الاعتماد من الجهتين .

وعلى أن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، كلّ مَنْ عليه مبلغ أو غلة ، فيحلف والى ذلك المكان الذى منه الرهينة ، ويحلف المباشر والكاتب فى وقت واحد هذا الشخص رهينة أن عليه كذا وكذا من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره . فإذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدّام نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بما للفرنج عليه ويطلقونه . وأما الرهائن (ص٩٢ب) الذين أخذوا منسوبا إلى الجفل والاختشاء[1] أنهم لا يهربون إلى بلاد الإسلام ، ويمتنع الولاة والمباشرون من اليمين عليهم . فأولئك يطلقون .

وعلى أنه لا يُجدّد على التجار المسافرين ، الصادرين والواردين ، من الجهتين حقٌّ لم تجر به عادة ، ويجروا على عوائدهم المستمرّة إلى آخر وقت ، وتؤخذ منهم الحقوق على العادة المستقرّة ؛ ولا يجدّد عليهم رسم ولا حقّ لم تجر به عادة ، وكلّ مكان عُرف باستخراج الحق فيه استخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين . ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين مخفّرين من الجهتين ، فى حالتى سفرهم وإقامتهم ، وصدورهم ووردوهم ، بما [فى] صحبتهم من الأصناف والبضائع التى هى غير الممنوعة .

(١) فى الأصل "والاختشا" .

وعلى أن يُنادى فى البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة فى هذه الهدنة ، أنه من كان من فلاحى بلاد الإسلام يعود إلى بلاد المسلمين مسلماً كان أو نصرانيا ؛ وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج يعود إلى بلاد الفرنج مسلماً كان أو نصرانيا ، مَغروقا قراريا[(١)] من الجهتين ؛ ومن لم يعد بعد المناداة يُطْرَد عن الجهتين . ولا يمكّن فلاحو بلاد المسلمين من المقام فى بلاد الفرنج المنعقدة عليها هذه الهدنة ، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام فى بلاد المسلمين التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان .

وعلى أن تكون كنيسة الناصرة ، وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها ، لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب ، كبيرهم وصغيرهم ، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم ، من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة . ويصلّى بالكنيسة الأقسّاء والرهبان ، وتكون البيوت المذكورة لزوّار كنيسة الناصرة خاصة ، ويكونون آمنين مطمئنين فى توجههم وحضودهم إلى حدود البلاد الداخلة فى هذه (ص٩٣ ا) الهدنة . وإذا نقبت الحجارة التى بالكنيسة المذكورة ترمى برّا ، ولا يحطّ منها حجر على حجر لأجل بنايته ، ولا يتعرّض إلى الأقساء ولا الرهبان ، وذلك على وجه الهبة لأجل زوّار دين الصليب بغير حقّ .

ويلزم السلطان وولده حفظ هذه البلاد المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة ، من نفسهما وعساكرها وجنودها ، ومن جميع المتجرمة[(٢)] والمتلصّصين والمفسدين ، ممن[(٣)] هو داخل تحت حكمهما وطاعتهما . ويلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظ هذه البلاد الإسلامية المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة ، من نفسهم وعساكرهم وجنودهم ، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين والمفسدين ، ممن هو داخل تحت حكمهم وطاعتهم ، بمملكتهم الساحليّة الداخلة فى هذه الهدنة .

ويلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت بها ، الحكام بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، القيام بما تضمنته هذه الهدنة من الشروط جميعها ، شرطا شرطا وفصلا فصلا ، والعمل بأحكامها والوقوف عند شروطها إلى انقضاء مدتها ؛ ويفى كلٌّ منهم بما حلف به من الأيمان المؤكدة من أنه يفى بجميع ما فى هذه الهدنة على ما حلفوا به .

تستمرّ هذه الهدنة المباركة بين السلطان وولده وأولادهما وأولاد أولادهم ، وبين الحكام

(١) كذا فى الأصل .
(٢) فى الأصل "المتحرمة" .
(٣) فى الأصل "من" .

بمملكة عكا وصيدا وعثليث ، وهم السنجال أود ، والمقدمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها ، لا تتغيّر بموت أحد ملوك الجهتين ، ولا بتغيّر مقدّم وتولية غيره ، بل تستمرّ على حالها إلى آخرها وانقضائها ، بشروطها المحرّرة وقواعدها المقرّرة كاملة تامة .

ومتى انقضت هذه الهدنة المباركة ، أو وقع والعياذ بالله فسخ ، كانت المهلة فى ذلك أربعون يوما من الجهتين ، ويُنادى برجوع كل أحد إلى وطنه (ص٩٣ب) بعد الإشهار ، ليعود الناس إلى مواطنهم آمنين مطمئنين ، ولا يُمنعوا من السفر من الجهتين ، ولا تبطل بعزل أحد من الجهتين ، وتستمرّ(١) أحكامها متتابعة متوالية بالسنين والشهور والأيام إلى انقضائها .

ويلزم المعزول والمتولى حفظها والعمل بشروطها إلى آخر مدتها المعينة ، [و] تستمرّ هذه الهدنة بشروطها وفصولها وفروعها وأصولها ، ويجرى الحال فيها على أجمل الحالات إلى آخرها ؛ وعلى جميع ذلك وقع الرّضا والصّلح والاتّفاق ، وحُلِف عليها من الجانبين . والله الموفّق .

* * *

نسخة اليمين التى حلف السلطان الملك المنصور عليها فى هذه الهدنة المباركة : أقول وأنا ... ...(٢) والله والله والله ! وبالله وبالله وبالله ! وتالله وتالله وتالله ! والله العظيم الطالب الغالب ، الضارّ النافع ، المدرك المهلك ، عالم مابدا وماخفا ، عالم السرّ والعلانية ، الرحمن الرحيم . وحقّ القرآن ومن أنزله ، ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية ، وحقّ شهر رمضان ، إننى أفى بحفظ هذه الهدنة المباركة ، التى استقرّت بينى وبين مملكة عكا والمقدّمين بها ، على عكا وعثليث وصيدا وبلادها ، التى تضمّنتها هذه الهدنة ، التى مدّتها عشر(٣) سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر(٤) ساعات ، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة إثنتين وثمانين وستمائة للهجرة ، من أولها إلى آخرها ، وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ، ولا أتأوّل فيها ولا فى شىء منها ، ولا أستفتى فيها (ص ٩٤ ا) طلبا لنقضها ، ما دام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث ، وهم كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الديوية ، ومقدم بيت الاسبتار ، ونائب مقدم بيت اسبتار الأمن(٥) الآن ، ومَنْ يتولّى

(١) فى الأصل " تسد " .
(٢) بياض فى الأصل ، والمقصود به أن يوضع اسم السلطان الذى يقسم اليمين ، أو من ينوب عنه فى ذلك .
(٣) فى الأصل " عشرة " .
(٤) فى الأصل " عشرة " .
(٥) كذا فى الأصل . انظر ص ٩٨٦ ، سطر ٢ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

بعدهم فى كفالة مملكة ، أو مقدم بيت عنهم ، بهذه المملكة المذكورة ، وافين باليمين التى يحلفون بها لى ولولدى الملك الصالح ولأولادى ، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن ، عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها ، إلى انقضاء مدتها ، ملتزمين بأحكامها . وإن نكثتُ فى هذه اليمين فيلزمنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المشرفة ، حافيا حاسراً ثلاثين حجة ، ويلزمنى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها ، ويذكر بقية شروط اليمين ، والله على ما نقول وكيل .

* * *

نسخة يمين الفرنج التى حلفوا بها فى هذه الهدنة : والله والله والله ! وبالله وبالله وبالله ! وتالله وتالله وتالله ! وحقّ المسيح وحقّ المسيح وحقّ المسيح ! وحقّ الصليب وحقّ الصليب وحقّ الصليب ! وحقّ الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد ، المكنى بها عن الأب والابن والروح القدس إله واحد . وحقّ اللاهوت(١) المكرّم الحالّ فى الناسوت المعظم ، وحق الإنجيل المطهّر وما فيه ، وحقّ الأناجيل الأربعة التى نقلها متّى ومرقس ولوقا ويُحنّـا ، وحقّ صلواتهم وتقديساتهم ، وحقّ التلاميذ الأثنى عشر ، والإثنين وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين بالبيعة ، وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الأردن فزجره ، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، وحق السّت مارية أم النور مارت مريم ، ويوحنا (ص ٩٤ ب) المعمودين ومرعـان ومرعانى ، وحقّ الصوم الكبير ، وحقّ دينى ومعبودى وما أعتقده من النصرانية ، وما تلقنته من الآباء والأقساء المعمودية ، إننى من وقتى هـذا وساعتى هـذه ، قد أخلصت نيتى ، وأصفيت طويتى ، فى الوفاء للسلطان المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما ، بجميع ما تضمّنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح عليها ، على مملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة المسماة فيهـا ، التى مدتها عشر(٢) ستين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر(٣) ساعات ، أولها يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة [و] أربعة وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى ، وأعملُ بجميع شروطها شرطا شرطا ، والتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها .

وإنى والله والله ! وحقّ المسيح ! وحقّ الصليب ! وحقّ دينى ! لا أتعرّض إلى بلاد

(١) فى الأصل "الصليب" . انظر (Quatremére : Op. Cit. II. 1. P. 233. N. 1.) .
(٢) فى الأصل "عشرة"
(٣) فى الأصل "عشرة" .

السلطان وولده ، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين ، ولا إلى من يتردّد منها إلى البلاد الداخلة فى هذه الهدنة ، بأذية ولا ضرر ، فى نفس ولا فى مال . وإنى والله! وحقّ دينى ومعبودى ! أسلكُ فى المعاهدة والمهادنة ، والمصافاة والمصادقة ، وحفظ الرعية الإسلامية والمتردّدين من البلاد السلطانية ، والصادرين منها وإليها ، طريق المعاهدين المتصادقين ، كفّ الأذيّة والعدوان عن النفوس والأموال ؛ وألتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها ، ما دام الملك المنصور وافيا باليمين التى حلف بها على الهدنة ؛ ولا أنقضُ هذه اليمين ولا شيئا منها ، ولا أستثنى فيها ولا فى شئ منها طلبا لنقضها . ومتى خالفتها أو نقضتها فأكون بريئا من دينى واعتقادى (ص ١٩٥ ا) ومعبودى ، وأكون مخالفا للكنيسة ، ويكون علىّ الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة ، حافيا حاسرا ، ويكون علىّ فك ألف أسير مسلمين من أسر الفرنج وإطلاقهم ، وأكون بريئا من اللاهوت الحالّ فى الناسوت ، واليمين يمينى ، وأنا فلان ، والنية فيها بأسرها نية السلطان الملك المنصور ، ونية ولده الملك الصالح ، ونية مستحلفى لهما بها على الإنجيل المكرّم ، لا نية لى غيرها ، والله والمسيح على ما نقول وكيل .

ملحق[1] رقم ٩

وصف الأبنية والعمائر التى شيّدها السلطان الملك المنصور قلاون ، نقلا عن النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٢ ا ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، معارف عامة ، رقم ٥٤٩) .

(ص ٢٨٢ ا) ذكر عمارة التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان ومكتب السبيل . قال ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحية[2] أمر بإنشاء تربة ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل ، فاشتريت الدار القطبية[3] وما يجاورها — وهى بين القصرين — من خالص

(١) انظر ص ٧١٦ ، سطر ١٣ ، وما بعده ، وحاشية ٦ بنفس الصفحة .
(٢) المقصود بالتربة الصالحية تربة السلطان الملك الصالح أيوب .
(٣) فى الأصل "القبطية" . انظر ص ٧١٦ ، سطر ١١ .

مال السلطان ، وعوّض سكان الدار القطبية[١] بالقصر المعروف بقصر الزمرّد . وكان انتقال سكان الدار القطبية منها إلى قصر الزمرّد ثانى عشر (ص ٢٨٢ ب) ربيع الأول من السنة[٢] ؛ ورُتِّب الأمير علم الدين الشجاعى مشدّا على العمارة ، فأظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال مالم يُسْمع بمثله ، فعمرت فى أيسر مدة ، ونجزت العمارة فى شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة . وإذا شاهد الرائى هذه العمارة العظيمة ، وسمع أنها عمرت فى هذه المدة القريبة ، ربما أنكر[٣] ذلك .

ولما كملت العمارة وقف السلطان من أملاكه القياسر والرباع[٤] ، والحوانيت والحمامات ، والفنادق والأحكار ، وغير ذلك ؛ والضياع بالشام ، ما يحصل من أجل ذلك وريعه وغلاّته فى كل شهر جملة كثيرة . وجعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم القبة ، ورتّب وقف المدرسة إلا أنه يقصر عن كفايتها ، ورتّب لمكتب السبيل من الوقف بالشام ما يكفيه .

ولما تكامل ذلك ركب السلطان وشاهده ، وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء . فأخبرنى بعض من شهد السلطان وشهد عليه ، أنه استدعى قدحاً من الشراب فشربه ، وقال : " قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى " . وأوقفه السلطان على الملك والمملوك ، والكبير والصغير ، والحرّ والعبد ، والذكر والأنثى ؛ وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوةً ، ومن مات جُهِّزَ وكُفِّن ودُفِن .

ورتّب فيه الحكماء الطبائعية[٥] ، والكحّالين[٦] ، والجرائحية[٧] ، والمجبّرين[٨] ، لمعالجة الرمدى والمرضى والمجرّحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتّب به الفراشين والفراشات والقَوَمَة ، لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها[٩] ، وغَسْل ثيابهم وخدمتهم فى الحمام ؛ وقرّر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة .

(١) فى الأصل " القبطية " .
(٢) المقصود سنة ٦٨٢ هـ .
(٣) فى الأصل " انكرت " .
(٤) فى الأصل " الدباغ " .
(٥) فى الأصل " الطبايعة " ، والرسم المثبت بالمتن من (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، ومفرده طبائعى (physicien) ، وهو المعروف الآن باسم طبيب الأمراض الباطنية .
(٦) هذا اللفظ جمع كحال ، وهو طبيب العين (oculiste) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .
(٧) هذا اللفظ مفرد جرائحى — وجارحى أيضا — ، وهو طبيب الجراحة (chirurgien) ، انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.)
(٨) هذا اللفظ مفرد مجبر ، وهو طبيب جبر العظام (orthopédiste) .
(٩) فى الأصل " تنضيفها " .

وعُمِلت التّخوت والفُرُش والطّراريح ، والأنطاع والمخدّات واللحف والملاوات ، لكلّ مريضٍ فَرش كامل . وأُفرد لكلّ طائفة من المرضى أمكنةٌ تختصّ بهم : فجُعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات (١) وغيرها ، وجُعلت قاعة للرمدى ، وقاعة للجُرحاء ، وقاعة لمن أفرط به الإسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين (٢) من الرّجال ، ومثله للنساء . والمياه تجرى فى أكثر هذه الأماكن .

وأُفردت أماكنُ لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين ، وتركيب الأكحال والشّيافات (٣) والسّفوفات ، وعمل المراهم والأدهان ، وتركيب الدرياقات (٤) ؛ وأماكنُ لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكانٌ يُفرّق منه الشراب وغير ذلك من جميع ما يُحتاج إليه . ورُتّب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء ، لإلقاء درسِ طب ينتفع به الطلبة . ولم يحصر السّلطان — أثابه الله — هذا المكان المبارك بعده فى المرضى ، يقف عندها المباشر ويمنع من عداها ، بل جعله سبيلا لكل من يصل إليه فى سائر الأوقات ، من غنيٍّ وفقير . ولم يقتصر أيضا فيه على من يقيم به للمرضى ، بل رتّب لمن يطلب وهو فى منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية ، حتى أن هؤلاء زادوا فى وقت من الأوقات على مائتين ، غير من هو مقيم بالبيمارستان .

ولقد باشرتُه فى شوّال سنة ثلاث وسبعمائة ، وإلى آخر رمضان سنة سبع وسبعمائة ، فكان يُصرف منه فى بعض الأيام من الشّراب المطبوخ خاصة ما يزيد على خمسة قناطير بالمصرى فى اليوم الواحد ، للمرتّبين والطوارئ ، غير السكر والمطابيخ من الأدوية ، وغير ذلك من الأغذية والأدهان والدرياقات وغيرها .

ورُتّب فى البيمارستان من المباشرين والأمناء من يقوم بوظائفه ، وابتياع ما يُحتاج إليه

---

(١) فى الأصل "الحايات" .

(٢) المقصود بالممرورين — ومفرده ممرور — من غلبت عليه المرة وهى المادة الصفراء تفرزها المرارة . (محيط المحيط) .

(٣) الشيافات — والأشياف أيضا — جمع شياف ، وهو دواء مسحوق يستعمل للعيون (Collyre sec, topique dur, devant être appliqué sur les yeux) . والشياف أيضا الدواء الذى يجعل قمعا — أو تلبيسة ، أو فرزجة (Suppositoire) — ، لمعالجة أمراض المستقيم (Anus) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar. ؛ محيط المحيط) .

(٤) فى الأصل "الدرناقات" ، والرسم المثبت هنا مما يلى سطر ١٨ ؛ وفى محيط المحيط أن الدرياق هو الترياق — ويقال الدراق أيضا ، وهو دواء مركب يؤخذ لدفع السموم . (محيط المحيط ؛ Dozy : Supp. Dict. Ar.)

من الأصناف ، وضَبْطِ ما يدخل إلى المكان وما يخرج منه خاصة ، من غير أن يكون لهم تعلق فى استخراج الأموال ، وإنما يبتاعون الأصناف ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج ، ويكتبون فى كل شهرٍ عملَ استحقاق لسائر أرباب الجامكيات والجرايات من سائر أرباب الوظائف والمباشرين ، يكتبه العامل ويكتب عليه الشهود ، ويأمر الناظر بصرفه ، ويُخلَّد ديوان الصندوق ، ويُصرف على حكمه . وهذه الطائفةُ من المباشرين بالبيمارستان هم مباشرو الإدارة .

وأمَّا مباشرو(١) الصندوق والرباع ، فإليهم يَرجع تحرير جهات الأوقاف فى الخَلق والسكون والمطل ، واستخراجِ الأموال ومحاسبات المستأجرين ، وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشرى الإدارة ، ومباشرة العمارة ، وعمل الاستحقاق ، لايتصرّفون فى غير ذلك ، كما لا يتصرف مباشرو الإدارة فى صرف الأموال إلا حوالةً بأوراقهم .

وأما العمارة فلها مباشرون يتفرّدون بها : من ابتياع الأصناف واستعمال الصناع (٢) ومَرَمَّةِ الأوقاف ، (ص١٢٨٣) وغير ذلك مما يدخل فى وظيفتهم ، وهم يحيلون بثمن الأصناف على الصندوق ، كما يُفعل فى الإدارة ، ويُنقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة ، ويكتبون فى كل شهر عملَ استحقاقٍ بثمن الأصناف وأرباب الأجر ، ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق ، وما وصل إليهم من المال ، ويسوقونه إلى قابضٍ أو متأخر ؛ وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حسباناتهم ، مياومةً ومشاهرة ومسانأة ، إلى الناظر والمستوفى . هذا ما بالبيماريستان .

وأما القبة المباركة المنصوريّة وهى التربة ، فإنه رُتب فيها خمسون مقرئاً يقرءون كتاب الله تعالى ليلا ونهاراً بالتَّوَب ، وجُعل لكل منهم فى كل شهر عشرون درهما . ورتّب بها إمام على مذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى ، وله فى كل شهر ثمانون درهماً من أصل الوقف ، وفى كل سنةٍ فى ليلة ختم صلاة قيام رمضان خلعة من خزانة السلطان كاملةً مسخية مقتدرة . ورُتب بها رئيس ومؤذنون يعلنون(٣) الأذان بالمئذنة الكبرى ، ويقيمون الصلاة ، ويُسَمِّعون خلف الإمام ؛ وهم سبعة نفر : الرئيس وله فى كل شهر أربعون درهماً ، والمؤذنون ستة لكل منهم فى كل شهر ثلاثون درهماً . ورُتِّبَ بها درسُ تفسير لكتاب

(١) فى الأصل "مباشرين" .
(٢) فى الأصل "الصباغ" .
(٣) فى الأصل "يقلبون" .

الله تعالى ، فيه درس يُلقيه [مدرس] ، رُتّب له فى كل شهر أربعون درهماً ، وطلبة عدتهم ثلاثون ، لهم فى كل شهر ثلاثمائة درهم ؛ ودرسٌ حديث يذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له مدرس ومعيد وطلبة ، لهم فى كل شهر نظيرُ ما لمدرس التفسير ومُعيده وطلبته ؛ وزيادة على ذلك قارئ يقرأ الحديث بين يدى المدرس فى أوقات الدروس ، ويقرأ ميعاداً للعوام بين يديه أيضاً فى صبيحة كلّ يوم أربعاء ، رُتّب له فى كل شهر ثلاثون درهماً . ورتّب لخازنِ كتبها فى كل شهر أربعون درهماً ؛ وخزانةُ كتُبِها من الختمات الشريفة والربعات المنسوبة الخط ، وكتب التفسير والحديث والفقه ، واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء ، شيء كثير[1] . ورتب بها الخدام اللازمة[2] ، يقيمون بالقبة لحفظ حواصلها ومنع من يعبر إليها فى غير أوقات الصلوات ؛ وهم ستة ، لكل منهم فى كل شهر خمسون درهماً ، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوابين .

وأما المدرسة المباركة المنصورية ، فإنه رتّب بها إمامٌ شافعيُّ المذهب ، له فى كل شهر ثمانون درهماً ، ورئيسٌ ومؤذنون يعلنون بالأذان بالمأذنة الكبرى المذكورة ، هم ومؤذنو[3] القبة بالتربة ، وهم رئيس وأربعةُ مؤذنون ، لهم فى كل شهر نظير ما لمؤذّنى القبة . ورتب بها مُتَصَدِّرٌ لإقراء كتاب الله عزّ وجل ، رتب له فى كلّ شهر أربعون درهماً . ورتّب بها دروس للمذاهب الأربعة : الشافعيّة والمالكيّة والحنفيّة والحنابلة ، لكل طائفة مدرس له فى كل شهر مائتا درهم ، وثلاثةُ معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهماً ، وخمسون طالباً ، لجميعهم فى كل شهر سبعمائة وخمسون درهماً ، وغير هؤلاء من القومة والفراشين وبواب [واحد] .

وأما مكتب السّبيل ، فإنه رُتّب فيه فقيهان يعلّمان [من كان] صغيراً من أيتام المسلمين كتابَ الله تعالى ، ورتّب لهما جامكية فى كل شهر وجراية (ص٢٨٣ب) فى كل يوم ، وهى لكل منهما فى كل شهر ثلاثون درهماً ، وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال ، وكسوة فى الشتاء ، وكسوة فى الصّيف ؛ ورتّب للأيتام لكل منهم فى كل يوم رطلان خبزاً ، وكسوة فى الشتاء ، وكسوة فى الصيف .

وتنوّع السلطان أجزل الله ثوابه فى وجُوه البرّ والقربات ، وهذه الجهات المباركة المبرورة باقية مستمرّة ، يزيد وقفها وينمو لحسن نيّة واقفها ، قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه .

---

(١) فى الأصل "شيا كثيرا" . (٢) فى الأصل "لخدام ازمة" . (٣) فى الأصل "مودنون" .

ملحق[1] رقم ١٠

وصفُ شاهدٍ عيانٍ لموقعةِ عكا بين الصليبيين وجيوش السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاون سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٠ م)، وهو منقول من بيبرس المنصوري (زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١٦٨ ب — ١٧٢ ا، صور شمسية من نسخة المتحف البريطاني بلندن. مكتبة الجامعة المصرية، رقم ٢٤٠٢٨).

(ص ١٦٨ ب) سنة تسعين وستمائة. ذِكر فتوح مدينة عكا، وجَعْلها بعد العمارة دكّا، فى يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة منها.

فيها عَزم السلطان على المسير إلى عكا ونزالها والجدّ فى قتالها، متمّما لما عزم والده عليه من أخْذِها واستئصالها. فتقدّم بتجهيز العساكر، (ص ١٦٩ ا) وكَتب إلى النّواب بأقطار الممالك بإنفاذ العساكر الشامية إليها، وحَمْل المجانيق والآلات لتركّب عليها؛ وأمر بالاستكثار من الحشود، وألاّ يتأخر أحد من الجنود. وأرسل الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى إلى دمشق وحماة وحصن الأكراد، مُحِثّا للنواب الذين بها على سرعة الحضور إلى الجهة المذكورة، وإحضار آلات الحصار المذخورة. فبادروا وتبادروا، وتسارعوا وما تأخّروا.

وكان حسام الدين لاجين السلحدار (كذا) نائب الشام قد أوجس من السلطان خيفة لما قتل طرنطاى، فتقاعد، ثم لم يجد بدًّا من التوجّه، فتوجّه وصحبته أمراء دمشق وعسكرها. وحضر صاحب حماة ومن معه، ونوّاب الممالك ومن معهم.

واجتمعت جيوش الإسلام، وجرّد السلطان صارمَ الاهتمام، وأرهف حدّ الاعتزام، وشمّر تشميرا يعجز عنه كل ملك همام.

قال الراوى: وكنت حينئذ بالكرك، فلما بلغنى أمر هذه الغزاة، ووردت علىّ مراسم السلطان بتجهيز الزردخانات (كذا) والآلات، تاقت نفسى إلى الجهاد، وحنّت إليه حنو الأرض الظّامئة إلى صوب العهاد؛ فطالعتُ السلطان بذلك، وسألتُه أن أصير إلى هنالك،

(١) انظر ص٧٦٥، سطر ١، وما بعده، وكذلك حاشية ٢ بنفس الصفحة.

لأساهم فى ثواب الغزو وأشارك . فأذِن لى فى الحضور ، وسمح بالدستور ، فكنت كمن فاز أمله بنجاحه ، وأنجلى ليله بصباحه . فجهّزت من الزردخانات (كذا) اللامعة ، والآلات النافعة ، والرجال المجتهدين ، والرُّماة والحجارين ، والغزاة والنجارين . وتوجّهت ملاقيا السلطان ، (ص ١٦٩ب) فوافيته وقد وصل إلى غزة ، فلقيت منه إكراما وبشراً وابتساما ، وسرت فى ركابه إلى عكا .

فلما نزلنا عليها حاق المحاق بأهليها : وكانوا لما بَلَغَتهم حركة السلطان لغزوهم ، ومسيرُه إلى نحوهم ، قد أرسلوا إلى ملوكهم الكبار ، واستدعوا النجد من داخل البحار . واجتمع بها جمع كثير من الديوية والإسبتار ، وحصّنوا الأبراج والأسوار ؛ وأظهروا المصابرة ، وعدم المبالاة بالمحاصرة ، فلم يغلقوا للمدينة باباً ، ولا أسدلوا دونها حجابا . فنُصبت عليها المجانيق الإسلامية ، وأحدقت بها العساكر المحمدية ، وأرسلت عليها حجارة كالصواعق الصاعقة ، وسهاما كالبوارق البارقة ، وضويقت أشدّ المضايقة ؛ وهُمْ مع ذلك يظهرون الجَلَد ، ولا يغلقون أبواب البلد ، ويهاجون العسكر ليلا ونهاراً ، ويقاتلون قتالاً مدراراً .

واستشهد عليها الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ، والأمير بدر الدين بيليك المسعودى ، وشرف الدين قيران السكزى . وشُدِّد القتال ، وأُسعرت نار النزال ، وتوالت سحب النوال بالنبال .

وأنا فى ضمن ذلك أتأمّل مكانا تلوح الفرصة منه فأقصده ، واتصفّح جانبا تمكِن منه الحيلة فلا أجده ؛ وبينما أنا أجيل فكرتى ، وأدير بصرى وبصيرتى ، إذ لمحت برجا من أبراجها قد أثّرت فيه المجانيق ، وأمكن أن يُتخذ منه طريق ، وبينه وبين السور فسحة مكشوفة ظاهرة ، لا يمكن السلوك فيها ، لأن الجروخ[1] مسلطة عليها ، إلا باتخاذ ستارة تطولها وتشملها ، وتقى من يدخلها . (ص ١٧٠ا) فعمدْتُ إلى اللّبود فجمعتها جمعا ، ولفقت بعضها مع بعضٍ لفقا ، فتَصوَّر منها سحابة كبيرة طولا وعرضا ؛ ونَصبتُ تجاه البدنة المهدومة من البرج صاريين من كلا (فى الأصل كلى) الجانبين ، وجعلت على رءوسهما بَكَرا كبكرات المراكب وحبالا ؛ ثم جذبت تلك السحابة المتّخذة من اللباد ، فقامت كأنها

(١) الجروخ جمع جرخ ، وهى آلة حربية تستعمل لرمى السهام والنفوط والحجارة ، ويقال لستخدمها من الجند "جرخى" (une arbalète avec laquelle on lançait, soit des flèches, soit le naphte). انظر (Dozy : Supp. Dict.Ar.) ؛ محيط المحيط) .

سدّ من الأسداد . وأتقنت ذلك فى جُنْح الليل وهم غافلون عنه ، فلما أصبحوا ورأوا ذلك الحجاب قصدوه بالمجانيق والنُّشاب ، فصارت الحجارة إذا وقعت فيها يرتخى اللبد تحتها فيبطل زخمها ، والجروخ إذا رمتها لا تنفذ سهمها .

فتمكنّا من المرور ، ووجدنا سبيلا إلى العبور ، وضُرب بيننا وبين الأعداء بسور ؛ وشرعنا فى ردْم الخندق الذى بين السورين بمخالى الخيل مملوءة بالتراب ، مع ما تيسّر من الأخشاب ، فصار طريقا سالكا ، وكان رأيا مباركا . وسمع به السلطان فأعجبه ، وركب بنفسه وحضر بالكوسات والطبلخانات (كذا) ، وضُربت عند الصّباح ، ولاحت تباشير الفلاح ؛ وحصل الزحف عليهم من ذلك المكان وغيره . وطلعت العساكر بالسناجق السلطانية ، وأثخنوا فى مقاتلة الفرنجية ؛ وتمكّنوا من المدينة ، وبذلوا فيها المناصل ، وأعملوا العوامل ، وسَبوا الولدان والحلائل .

وحقّق الله فى الفتح الظنون ، وأقرّ به العيون ، واستبشر يومئذ المؤمنون . وعلت الفرنجةَ ذلّةٌ وصَغار ، وإنكسروا كسراً ماله انجبار . وعصت الأبراج الكبار التى فيها الديوية والأرمن [1] والإستبار هيهات ، وقد استبيح حمى حماتهم ، (ص١٧٠ ب) وضعفت قوى أقويائهم وكماتهم . فحاصرناهم حول عشرة أيام أخر ، فاستأمن منهم ما ينيف عن عشرة ألف نفر ، ولم يجدوا مفرًّا حين راموا الفرّ ، ولا مقرًّا حين أعوزهم المقرّ ؛ فَفُرّقوا على الأمراء فقتلوهم عن آخرهم ؛ وأبقى السلطان جماعةً من أسراهم ، وأرسلهم إلى الحصون .

وكان هذا الفتح العظيم فى يوم الجمعة المبارك السابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، واستنقذ الله عكا من أيدى الكافرين ، على يد الملك الأشرف صلاح الدين [خليل] ، كما كان فتوحها أولا على يد صلاح الدين [الأيوبى] . وأقامت بأيديهم مائة وثلاث سنين ، لم ينهض أحد من الملوك الأيوبية ومن بعدهم من أرباب الدول التركية باسترجاعها ، ولا سَمَتْ هممهم إلى افترِاعها ، وذلك أن الفرنج أخذوها فى الأيام الناصريّة فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

ولله الحمد على انتصار المسلمين ، واستظهار الموحّدين ، وزوال دولة أعداء الدين ، وقمع الطُّغاة والملحدين ، بهمة أولى الهمم العلية ، والعزمات المنصورة المنصورية الأشرفية . ولا خلاف فى أن هذه الطائفة أربت على الأول ، ونالت بها الدولة من النّصرة والنّضرة

(١) كذا فى الأصل . انظر ص ٩٨٦ ، حاشية ٤ .

مالم تنله الدول . ولما أتاح الله هـذا الفتح وسهّله ، وأباحه وعجّله ، قرّضه الشعراء وذكره الفضلاء (١) .

ملحق (٢) رقم ١١

نصُّ البشارة التى وردت إلى قاضى القضاة بدمشق شهاب الدين بن الخُوَيّى ، بفتح السلطان الأشرف خليل لقلعة الروم ، فى جمادى الآخرة سنة ٦٩١هـ (مايو—يونية ١٢٩٢م) ، نقلا عن النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٠٠ ب ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف عامة) .

انظر أيضاً (Zetterstéen: Beiträge. P. 10,)

(ص ٣٠٠ب) بسم الله الرحمن الرحيم . أخوه خليل بن قلاون . صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى القاضى الأجل (٣) ، [الكبير الإمام العالم الفاضل ، الأثير الأكمل الأوحد ، الرئيس الزاهد شهاب الدين ، جمال الإسلام فخر الأنام شرف العلماء جلال الرؤساء ، فخر الأكابر شمس الشريعة صفوة الملوك والسلاطين] ، خصّه الله بأنواع التهانى ، وأتحفه بالمسرّات التى تعود بالسبع المثانى ، وأورد على سمعه من بشائر نصرنا وظفرنا ما يستوعب فى وصفه ومدحه الألفاظ والمعانى ، تبشّره بفتح ما سطّرت الأقلام إلى الأقاليم أعظم من بشائره ، ولا سَرَت بُرُدُ المسرّات بأحسن من إشاراته وأشائره ، ولا تفوّهت ألسنة خطباء هذا العصر على المنابر بأفصح من معانيه فى سالف الدهر وغابره ، — وهو البشرى بفتح قلعة الروم ، والهناء لكلّ من رام للإسلام نصراً ببلوغ ما رام وما يروم .

ومن أحسن قصص هذا الفتح المبين ، والمَنْح الذى تباشر به سائرُ المؤمنين ، وتساوى فى الإعلان والإعلام به كلُّ من قرّ عينا من الأبعدين والأقربين ، ويَخُصّ بمسرّى

---

(١) يلى هذا قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً ، وهى لبدر الدين محمد بن أحمد بن عمر المنبجى البزاز بالقاهرة .

(٢) انظر ص٧٧٨ ، سطر ١ ، وما بعده ، وحاشية ٥ بنفس الصفحة .

(٣) يلى هـذا فى النويرى عبارة "وذكر ألقابه ونعوته" ، وقد حذفت وأضيف مكانها ما بين القوسين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 10) .

مبشراته الحكام ليعمُّوا بيشرها عامة الناس ، ويَـفْرِض لكلّ ذى مرتبة عليّة منه نصيبا يجمع له من الابتهاج الأنواعَ والأجناسَ . وذلك أنّا ركبنا لغزوها من مصر ، وقد كان مَن قبْلَنا من الملوك يستبعد مداها ، ويناديها فلا يُجيبُ إلا بالصدّ والإعراض صداها ، ويسائل النسيم عن جبالها فتحيل فى الجواب على النسور المهوّمة ، ويستشير[1] أولى الرّأى فى حصرها فلا يَسمع إلا الأقوال المتلوّنة والآراء المتلوّمة .

وما زلنا نصل السُّرَى بالسير ، ونرسل الأعنة إلى نحوها فتمدّ الجياد أعناقها إليها مدّا ينقطع بين قوتها وقوته السير ، واستقبلنا من جبالها كل صعب المرتقى وعرِ المنتقى ، شاهقٍ لا يَلْتَـقى به مسلك ولا يُلتقى ؛ فما زالت العزائم الشريفة تسهّل حُزُونه ، والشكائم تفجّر بوقع السنابك على حجارتها عيُونه ، والجياد المطهمة ترتقى مع امتطاء متونها بدروع الحديد متُونه . فلما أشرف علينا منا أشرفُ سلطانٍ جعل جبلها دكا ، وحاصرناها حصارا ألحقها بمكّا ، وإخواتها وإن كانت أحصن من عكا ؛ ونصبنا عليها عدة مجانيق تنقضّ حجارتها انقضاض النسور ، وتقبض الأرواح من الأجسام وإن ضرب بينها وبينهم بسور ، وتفترس أبراجها بصقورٍ صخور ، افتراس الأسد الهصور .

هذا والنقوب تسرى فى بدناتها سريان الخيال ، وإن كانت جفونها المسهّدة ، وعُمُدها الممدّدة ، وحفظتها المجنّدة ، ورواسيها على جبل الفرات موطّدة ؛ وقد خندقوا عليها خندقا جرت فيه الفرات من جانب ، ونهر مرزبان من جانب ، ووَضعها واضعها على رأس جبل يزاحم الجوزاء بالمناكب ، وسفح صرحها الممرّد ، فكأنه عرش لها على الماء ، وإذا رمَقها طَرْفُ رائيها اشتبهت عليه بأنجم السماء .

وما زالت المضايقة تقضّ من جبلها أطرافه ، وتستدرّ بجبلها[2] أخلافه ، وتقطع بمسائل جلادٍ معاولُها وجدالُها خلافه ، ونورد عليها من سهامها كلّ إيراد لايجاوب إلا بالتسليم ، ونقضى عليها بكلّ حكم لا يقابل ثبوته إلاّ بالتحكيم .

ولما أذن الله بالفتح الذى أغلق على الأرمن والتتار أبواب الصواب ، والمَنْـح الذى أضفى على أهل الإيمان من المجاهدين أثواب الثواب ، فُتحت هذه القلعة بقوة الله ونصره ، فى يوم السبت حادى عشر شهر رجب الفرد . فسبحان من سهّل صعبها ، وعجّل كسبها ، وأمكن منها ومن أهلها ، وجمع شمل الممالك الإسلامية بشملها . فالمجلس السامى يأخذ حظّه

(١) فى الأصل " وينتبشر " .

(٢) فى الأصل " تسد محلتها اخلافه " ، والرسم المثبت هنا من (Zetteretéen : Op. Cit. p. 11) .

من هذه البشرى ، التى بَشَّرت بها ملائكة السماء ملكَ البسيطة وسلطان الأرض ، وتكاثر على شكرها كلٌّ من أرضى الله طاعة ، وأغضب من لم يرض من ذوى الإلحاد ، وممن حادّ الله [و] حاد ، وممن ينتظر من هذا الإيماز إنجاز الإيعاد ، فلا ينجيه الإقضاء هربا ولا الإبعاد . فإنه بفتح هذه القلعة وتوَقّلها ، وحيازة ثغرها ومعقلها ، تحقّق مَن بسيحون وجيحون ، أنهم بعد فتح باب الفرات بكسر أقفالها إقفــال هذه القلعة لا يرجون أنهم يربحون . وما يكون بعد هذا الفتح إن شاء الله إلا فتح المشرق والروم والعراق ، وملك (ص١٣٠١) البلاد من مغرب الشمس إلى مطلع الإشراق . والله تعالى يمدّنا من دعواته الصّالحة بمـا تغدو به عقود الآمال حسنةَ الاتساق ، إن شاء الله . كُتب يوم الفتح المبارك ، سنة إحدى وتسعين وستمائة ، حسب المرسوم الشريف .

***

وكُتب عن الأمير علم الدين الشجاعى نائب السلطنة بدمشق ، إلى قاضى القضاة شهاب الدين الخُوَيى أيضاً ، وهو من إنشاء الفاضل شرف الدين القدسى ، ما مثاله بعد البسملة : ضاعف الله مسارّ الجناب العالى المولى القضائى[1] [الإمامى العالمى العاملى ، الزاهدى العابدى الورعى] الشهابى ، [ضياء الإسلام شمس الشريعة قاضى القضاة ، حجّة الأئمة سيد الحكام قدوة العلماء ولى أمير المؤمنين] ، ولا زالت وفود البشائر إليه تترى ، وعقود التهانى تفضّ لديه نظما ونثراً ، وفواتح الفتح تتلى عليه بكل آيةِ نصرٍ يسجد لها القلم فى الطرس شكراً ، ويشتمل على أسرار الظفر فيأتى الأسماع من غرائبها مالم يحط به خبرا ، ويتحفه بظهور أثر المساهمة فتهدى إليه سرورا وأجرا .

المملوك يستفتح من حمد الله على ما مَنَح من آلائه ، وفتح على أوليائه ، ووهب من الإعداء على أعدائه ، وبسّر من الظفر الذى أيّد فيــه بنصره وأمدّ بملائكة سمائه ، ما يستديم الإنجاد بحوله ، ويستزيد به الأمداد من فضله وطوله ، ويوالى من الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما يستَدَرّ به أخلاف الفتوح ، ويسترهف بيُمنه الصوارم التى هى على من كفر بالله ورسوله دعوة نوح ، ويُهدى من البشائر ما تختال به أعطاف المنابر سرورا ، وتتعطّر بذكره أفواه المحابر جُورِّاً[2] ، ويرشف الأسماع موارد وارده فيستحيل فى

(١) يلى هذا فى الأصل عبارة "الشهابى وذكر القابه ونعوته"، وقد حذفت وأضيف مكانها ما بين القوسين من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 12) .

(٢) يشير الكاتب إلى الورد الجورى ، وهو الشديد الحمرة . (محيط المحيط) .

قلوب الأعداء نارا وفى قلوب الأولياء نورا ، ويبادر مساهمةً الحاضرُ فى استماعه كل بادٍ فينقلب إلى أهله مسرورا ، ويُنهى أنه أصدرها والنصر قد حُقِّقت بنودُه ، وصَدَقت وعوده ، وسار بمختلفات البشائر فى كل قطر بريده .

والأعلام الشريفة السلطانية قد امتطت من قلعة الروم صهوة لم تذلّ لراكب ، وحلّت من قُنَّتها وقلّتِها بين الذروة والغارب ، وأراقت أسنتها من دمائهم ما ترك الفرات لا تحلّ لشارب . ومدّ الإيمانُ بها أطنابه ، وأعجلت السيوف المنصورة الشرك أن يضمّ للرحلة أثوابه ؛ واستقرّت بها قدم الإسلام ثابتة إلى الأبد ، وقتلت بأرجائها سيوف أهل الجمعة حتى رقّ أهل السبت لأهل الأحد ، وأذهب الله عنها رسوم التثليث حتى كاد حكم الثلاثة أن يسقط من العدد ، وتبرأ منهم من كان يمدّهم بإمداده حتى الفرات لمجاورتهم ودّت النقص خوفا أن يطلق على زيادتها إسم المدد ؛ ونطق بها الأذان بخرس[1] الجرس ، وعلت بها كلمة الإيمان فأضحت لها بعد الابتدال آية الحرس ، وأسمعت دعوةُ الحق ما حولها من الجبال فسمعت وهى صمّ ، ولبّت الداعى بلسان الصدى الناطق عن شوامخها الشُّمّ .

وكانت هذه القلعة المذكورة للثغور الإسلامية بمنزلة الشَّجى فى الحلق ، والغلة فى الصدر ، والخسوف الطارئ على طلعة البدر ، لا تخلو من غِلّ تضمره ، فى لين تظهرُه ، وغدر تستره ، فى عذر توردِه وتصدره . وقد سكن أهلها إلى مخادعة الجار ، وموادعة التتار ، وممالأتهم على الإسلام بالنفس والمال ، ومساواتهم لهم حتى فى الزىّ والحال ، يمدّونهم بالهدايا والألطاف ، ويدلّونهم على عورات الأطراف . وهم يثقون بمسالمة الأيام ، ويدّعون أنّ قلعتهم لم تزل من الحوادث فى ذمام ، ويغترّون بها ولولا السطوات الشريفة لحقّ بمثلها أن يغترّ ، ويسكنون إلى حصانتها كلّما أومض فى خَلَل السحب برقُ ثغرها المفترّ .

وهو حصن صاعد منحدر ، بارزه مستدير ، لا يطؤ إليه السالك إلا على المحاجر ، ولا تنظره العيون حتى تبلغ القلوب الحناجر ؛ كأنه فى ضمائر الخيال خبءٌ يُقْتَل وهو كامن ، ويحرّق الظاهر وهو باطن ، قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوائبها ، ومدّت عليها الغمائم أطنابها ومضاربها ، وقد تنافست فيه الرواسى الرواسخ ، فأخفاه بعضها عن بعض ، وتقاسمته العناصر فهو للنكاية والرفعة والثبات ، ومجاورة الفرات ، مشترك بين النار والهواء والماء والأرض . وقد امتدّت الفرات من شرقيها كالسيف فى كفّ طالب ثار ، واكتنفها من

(١) فى الأصل "بجرس الجرس".

جهة الغرب نهر آخر استدار نحوها كالسور وانعطف معها كالسوار ؛ وفى قُنَّة قُلَّتها جبل يردّ الطرف وهو كليل ، ويصل النظر إلى تخيّل هضابه فلا يهتدى إلى تصوّرها دليل ، وكذلك مِنْ شرقها وغربها ، فلا تنظرها الشمس ولا القمر (ص١٣٠١ ب) وقت الشروق ، ولا يشاهدها وقت الأصيل ، وحولها من الأودية خنادق ، لا يعرف فيها الهلال إلا بوصفه ، ولا الشهر إلا بنصفه .

وأما الطريق إليها فيزلّ الذّر عن متنها ، ويكلّ طرف الطرف عن سلوك سهلها فضلا عن حزنها . وبها من الأرمن عُصَب جمْعُهم للتكسير[1] ، ومن التتار فرق زيادتهم للتنوير ، قد بذلوا دونها النفوس ، وتدرّعوا للذبّ عنها لبوس . وأقدموا على شرب كأس الحِمام ، خوفا أن يكفّرهم التكفور ، ويحرمهم خليفتهم الحاكم بها كسما عيكوس[2] . وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم ، وفسح فى ميدان الضلالة آمالهم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وترك كلا منهم يعضّ من الندم يديه .

وحين أمر مولانا السلطان ، خلّد الله ملكه ، الجيوش المنصورة بالنزول عليها ، والهجوم من خلفها ومن بين يديها ، ذلّت مواطئ جيادها صهوات تلك الجبال ، وأحاطت بها من كل جانب إحاطة الهـالة بالهلال . وسلكوا إليها تلك المخارم ، وقد تقدّمهم الرعب هاديا ، وأقدموا على [قطع] تلك المسالك والمهالك بالأموال والأنفس ثقة بأنهم لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا . فلم يكن بأسرع من أن طار إليهم الحمام فى أجنحة السهام ، وخضّبت الأحجار تلك الغادة العذراء بالدماء للضرورة وللضرورات أحكام ؛ وأزالت النقّابة عنها نقاب احتشامها ، ودبّت فى مفاصلها دبيب السقم فى عظامها ، مع أنهـا مستقرّة على الصخر الذى لا مجال[3] فيه للحديد ، ولكن الله أعزّ بالنصر سلطاننا فجاءت أسبـاب الفتح على ما يريد ؛ وأقيمت المجانيق المنصورة أمامها ، فأيقنوا بالعذاب الأليم ، وشاموا بروق الموت من عواصف أحجارها التى ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرّميم ، وساهموها صلاة الخوف فلسهامها الركوع ، ولبروجهم السجود ولقلعتهم التسليم .

ولم تزل نشنّ عليهم غارة بعد غارة ، وتسقيهم على الظمأ صوت أحجارها وإنّ من

---

(١) كذا فى النويرى ، ولعل (Zetterstéen : Op. Cit. P. 14) مخطىء فى قراءة هذه العبارة كالآتى : "وبها من الأرمن عصب جمعهم التكفور" .

(٢) كذا فى النويرى ، وهو فى (Zetterstéen : Op. Cit. p. 15) كيتا غيكوس .

(٣) فى الأصل "لامحال" .

الحجارة ، وهى مع ذلك تظهر الجلد والجِـدّ ، وتغضب غضب الأسير على القِـدّ ، وتخفى ما تـكابد من الألم ، وتشكو بلسان الحال شكوى الجريح إلى العقبان والرخم ، إلى أن خاب من الأنجاد ما كانوا يؤمّلون ، وسطت مجانيقنا[١] على مجانيقهم فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . ولما سقطت أسوارها ، وتهتّكت بيد النقوب أستارها ، وتوهّم الناظر أنها هانت ، ورآها المباشر فى تلك الحالة أشدّ ما كانت ، وثبتت على الرمى والارتماء ، وعزّت على من اتخذ نفقا فى الأرض أو سلّما فى السماء ، واستغنت بمكان السور ، وانقضّت أحجارها على أسود الحرب انقضاض النسور .

وكان هذا الفتح المبارك فى صباح يوم السبت حادى عشر شهر رجب الفرد ، سنة إحدى وتسعين وستمائة ، بالسيف عنوة . فشفت الصوارم من أرجاس الـكفر الغُـلل بقمع العدا وكَبْتِها ، وسطا خميس الأمة يوم السبت على [أهل] يوم الأحد ؛ فبارك الله لخميس الأمة فى سبتها .

فليأخذ حظه من هذه البشرى التى أصبح الدين بها عالِىَ المنار ، ، بادى الأنوار ، ضاربا مضارب دعوته على الأقطار ، ذا كراً بموالاة الفتوح أيام الصدر الأول من المهاجرين والأنصار ، وليُشعْ بها على رءوس الأشهاد ، ويجعلها فى صحف الفتوح السالفَـة بمنزلة المعنى فى القرينة والمثل فى الإستشهاد ، ويمدّ الجيش بهمّته التى ترهف الهمم ، وأدعيته التى تساعد الساعد وتؤيّد اليد وتقدّم القدم ، ويشارك بذلك فى الجهاد حتى يكون فى نـكاية الأعداء على البعد كسهم أصاب وراميه بذى سَلَم . ويستقبل من البشائر بعدها ما يكون له هذه بمنزلة العنوان فى الـكتاب ، والآحاد فى الحساب ، وركعة النافلة بالنسبة إلى الخمس ، والفجر الأول قبل طلوع طلعة الشمس . والله تعالى يجعل شهاب فضله لامعا ، ونور علمه فى الآفاق ساطعا ، ويتحفه من مفرّقات التهانى بكل ما يَغْدو ويشمل المسرّات جامعا ؛ إن شاء الله تعالى .

كُتب يوم الفتح المذكور ؛ وكتب غير ذلك من كتب البشائر ، واقتصرنا منها على ما أوردناه .

(١) فى الأصل "مجانيقها على مجانيقهم".

ملحق(١) رقم ١٢

نص فرمان إيلخان غازان لتأمين أهل دمشق ، قبيل دخوله بعساكره إليها ، فى ربيع الآخر سنة ٦٩٩ هـ (يناير سنة ١٣٠٠ م) ، نقلا عن النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص٣٢٥ ب — ٣٢٦ ا ، صور شمسية من نسخة المكتبة الأهليـة بباريس . دار الكتب المصرية ، معارف عامة ، رقم ٥٤٩) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. PP. 29 et seq ، وكذلك (Quatremère : Op. Cit. II. 2. PP. 151. et seq) ، حيث نقل هذا النص من النويرى تتلوه ترجمته إلى الفرنسية .

(ص ٣٢٥ ب) بقوة الله تعالى . ليعلم أمراء التومان(٢) والألوف والمائة ، وعموم عساكرنا المنصورة (ص ٣٢٦ ا) من المغول والتازيك(٣) والأرمن والكرج ، وغيرهم ممن هو داخل تحت ربقة طاعتنا ، أنّ الله لمّا نوّر قلوبنا بنور الإسلام ، وهدانا إلى ملّة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، أفَمَنْ شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه . فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك فى ضلال مبين .

ولما أن سمعنا أنّ حكام مصر والشام خارجون عن طريق الدين ، غير متمسّكين بأحكام الإسلام ، ناقضون لعهودهم حالفون بالأيمان الفاجرة ، ليس لديهم وفاء ولا ذمام ، ولا لأمورهم التئام ولا انتظام . وكان أحدهم إذا تولّى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحبّ الفساد ؛ وشاع من شعارهم الحيف على الرعيّة ، ومدّ الأيدى العادية إلى حريمهم وأموالهم ، والتخطّى عن جادة العدل والإنصاف ، وارتكابهم الجور والإعساف ، حملتنا الحميّة الدينية ، والحفيظة الإسلامية ، على أنْ توجّهنا إلى تلك البلاد ، لإزالة هذا العدوان ، وإماطة هذا الطغيان ، مستصحبين الجمّ الغفير من العساكر .

ونذرنا على أنفسنا إنْ وفقنا الله تعالى بفتح تلك البلاد ، أزلْنا العدوان والفساد ، وبسطنا

(١) انظر ص٨٩٠ ، سطر ٤ ، وحاشية ٥ بنفس الصفحة .

(٢) تقدم شرح هذا اللفظ فى ص٩٣٣ ، حاشية ١ .

(٣) فى الأصل "التاريك" ، والرسم المثبت هنا من (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P.154) ، حيث ورد أن هـذا اللفظ كان يطلق فى الأصل على العرب والمسلمين عامة ، ثم استعمله المغول للدلالة على أهل فارس فقط ، وهذا المعنى هو المقصود هنا .

العدل والإحسان فى كافّة العباد ، ممتثلا للأمر الإلهى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذّكرون ، وإجابةً لما ندب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم : إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا .

وحيث كانت طويّتنا مشتملة على هذه المقاصد الحميدة ، والنذور الأكيدة ، منّ الله علينا بتبلّج تباشير النّصر المبين ، والفتح المستبين ، وأتمّ علينا نعمته ، وأنزل علينا سكينته . فقهرنا العدوّ الطاغية ، والجيوش الباغية ، وفرّقناهم أيدى سبا ، ومزّقناهم كل ممزّق ، حتى جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ؛ فازدادت صدورنا انشراحا للإسلام ، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام ، منخرطين فى زمرة من حبّب إليهم الإيمان ، وزيّنه فى قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة .

فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثّقة ، والنذور المؤكّدة . فصدرت مراسيمنا العالية ألا يتعرّض أحد من العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتها ، لدمشق وأعمالها ، وسائر البلاد الإسلاميّة الشاميّة ، وأن يكفّوا أظفار التعدّى عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم ، ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه ؛ حتى يشتغلوا بصدور مشروحة ، وآمال مفسوحة بعمارة البلاد وبما هو كلّ واحد بصدده ، من تجارة وزراعة وغير ذلك . وكان هذا الهرج العظيم وكثرة العساكر ، فتعرّض(١) بعض نفر يسير من السلاحيّة وغيرهم إلى نهب بعض الرعايا وأسرهم ، فقتلناهم ليعتبر الباقون ، ويقطعوا أطماعهم عن النهب والأسر ، وغير ذلك من الفساد . وليعلموا أنّا لا نسامح بعد هذا الأمر البليغ البتّة ، وألا يتعرّضوا لأحد من أهل الأديان على اختلاف أديانهم من اليهود والنصارى والصابئة ، فإنهم إنما يبذلون الجزية عنهم من الوظائف الشرعية ، لقول علىّ عليه السلام : إنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا . والسّلاطين مُوصّوْن على أهل الذّمة المطيعين ، كما هم مُوصّوْن على المسلمين ، فإنهم من جملة الرعايا . قال صلى الله عليه وسلم : الإمام الذى على الناس راع عليهم ، وكلٌّ راع مسئول عن رعيته .

فسبيل القضاة والخطباء ، والمشايخ والعلماء والشرفاء ، والأكابر والمشاهير وعامة الرعايا ، الاستبشار بهذا النصر الهنى ، والفتح السنى ، وأخذ الحظ الوافر من السرور ، والنصيب الأكبر من البهجة والحبور ، مقبلين على الدّعاء لهذه الدولة القاهرة ، والمملكة الظاهرة ، آناء الليل وأطراف النهار . وكتب فى خامس ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة .

(١) فى الأصل "تعرض" .

ملحق[1] رقم ١٣

نص فرمان إيلخان غازان بتقليد الأمير قبجق بلاد الشام كلها ، وهو منقول من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢١٤ ا — ٢١٥ ب . صور شمسية من نسخة المتحف البريطانى بلندن ، مكتبة الجامعة المصرية ، رقم ٢٤٠٢٨) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. PP. 66, et seq) ، وكذلك (Quatremère : Op. Cit. II. 2. PP. 156 — 157)

(ص ٢١٤ ا) ذكر نسخة فرمان الأمير سيف الدين قفجاق . بتقوى الله وميامين[2] الملة المحمدية . فرمان السلطان محمود غازان .

الحمد[3] لله الذى جرد لنصر هذه الدولة القاهرة سيفاً ماضياً ، وانتضى لتأييدها من أوليائها قاضياً قاضياً ، وارتضى لها من أصفيائها من أصبح الملك عنه راضياً : نحمده ونشكره على نعمته التى أورثتنا الممالك ، وجمعت لنا مابين النصر والفتح وما أشبه ذلك . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنيل النجاة وترفع الدرجات ؛ ونشهد أن محمداً نبيه المرسل بالهدى والصدق ، والمبعوث بدين الحق ، صلى الله عليه صلاة تنيله الوسيلة والفضيلة ، وعلى آله خير آل وأشرف قبيلة .

وبعد فإن الله تعالى لما منّ علينا بالإيمان ، وهدانا إلى أشرف الأديان ، حمدناه وشكرناه ، على أنه أضاف إلى ملكنا الدنيا ملكنا للآخرة ، وجلل علينا حلل الدين الفاخرة ؛ ونذرنا أن نعم الرعية بعدلنا ، ونشمل البرية بفضلنا ، وألا نسمع بمظلوم إلا نصرناه ، ولا نطلع على مقهور إلا أنقذناه .

فلما اتصل بنا ما بمصر من المظالم ، ومن فيها من غاصب وظالم ، هاجرنا لنصر الله تعالى ونصرة الدين ، وبادرنا لإنقاذ من فيها من المسلمين ، وراسلناهم وأنذرناهم ، وكاتبناهم

(١) انظر ص٨٩١ ، سطر ٨ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

(٢) انظر ص١٠١٦ ، حاشية ٢ .

(٣) هذه الديباجة ، حتى رقم الحاشية الأولى بالصفحة التالية ، مختلفة اختلافاً كليا عما يقابلها فى كل من (Zetterstéen) و (Quatremère) .

وزجرناهم ووعظناهم ، فلم تنفع فيهم العظة ، وأيقظناهم فلم تكن عندهم يقظة . فلقيناهم بقوة الله تعالى (ص ٢١٤ ب) فكسرناهم وقلعنا آثارهم ، وملكنا الله تعالى أرضهم وديارهم . وتبعناهم إلى الرمل ، وحطمناهم كما حطم سليمان وجنوده وادى النمل ، فلم ينج منهم إلا القريد ، ولا سلم إلا البريد .

فلما استقر تملكنا البلاد ، وجب علينا حسن النظر فى [أمور] العباد[١] ، فأحصرنا الفكر فيمن نقلده الأمور ، وأنعمنا النظر فيمن نفوض إليه مصالح الجمهور ، فاخترنا لها من يحفظ نظامها المستقيم ، ويقيم ما انآد من قوامها القويم ، يقول فيسمع مقاله ، ويفعل فتقتفى أفعاله ، يكون أمره من أمرنا ، وحكمه من حكمنا ، وطاعته من طاعتنا ، ومحبته هى الطريق إلى محبتنا . فرأينا أن الجناب العالى الأوحدى [المؤيدى العضدى النصيرى[٢] ، العالى العادلى الذخرى] ، الكفيلى [السيدى المهدى] ، المجاهدى الأميرى الهمامى ، النظامى السيفى [سيف الدين] ، ملك الأمراء فى العالمين ، ظهير الملوك والسلاطين ، قفجق ، هو المخصوص بهذه الصفات الجميلة ، والمحتوى على هذه المناقب الجليلة ، وأن له حرمة المهاجرة إلى أبوابنا ، ووسيلة القصد إلى ركابنا ؛ فعرفنا له هذه الحرمة ، وقابلناه بهذه النعمة ، ورأينا أنه لهذا المنصب حفيظ قمين ، وعلى ما استحفظ قوى أمين ، وأنه يبلغنا الغرض من حفظ الرعايا ، فأقمناه مقامنا فى العدل والقضايا .

فلذلك رسمنا أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة ، بالممالك الدمشقية والبعلبكية والحمصية ، والساحلية والجبلية والعجلونية والرحبية ، من العريش إلى سلمية ، نيابة تامة عامة كاملة شاملة ، يؤتمر فيها بأمره ، ويزدجر فيها بزجره ، ويطاع فى أوامره ونواهيه (ص ٢١٥ ا) ، ولا يخرج أحد عن حكمه ولا يعصيه ، له الأمر التام والنظر العام ، وحسن التدبير وجميل التأثير والإحسان الشامل لأهل البلاد ، واستجلاب الغزاة والقواد ، وتأمين من يطلب الأمان ، والطاعة والامتنان ، متفقا فى الاستخدام والتأمين ، مع ملك الأمراء ناصر الدين ، فإن اجتماع الآراء بركة ، والهمم تؤثر إذا كانت مشتركة ، وكل من أمناه ، فإنه أماننا أجريناه على قلمهما ولسانهما .

وقد أنعم عليه بالسيف والسنجق الشريف والكوس والبايزة[٣] الذهب برأس السبع .

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) أضيف ما بين الأقواس من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 67) .

(٣) البايزة لفظ مغولى ، وهى لوح صغير من ذهب مرسوم على أحد وجهيه رأس سبع ، وكانت تمنح لكبار رجال الدولة عند المغول ، وللمكلفين بحمل الرسائل الحكومية . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

ورسمنا له بألف فارس من المغل يركبون لركوبه ، وينزلون لنزوله ، وليكونوا تحت حكمه ، رفعةً لقدره ، وتنويها باسمه . وسبيل الأمراء والمقدّمين ، وأمراء العربان والتركمان والأكراد والدّواوين ، والصُّدور والأعيان والجمهور ، أن يتحقّقوا أنه نائبنا فى السلطنة الشريفة ، وأنّ له هذه المنزلة المنيفة ، وليطيعوه طاعة تُزْلفهم لديه ، وتقرّبهم إليه ، ويحصل لهم بها رضاه عنهم ، وإقباله عليهم ، وقربهم منه . وليلزموا عنده الأدب فى الخدمة كما يجب ، وليكونوا معه فى الطاعة والموافقة على ما يجب .

وعلى ملك الأمراء سيف الدين بتقوى الله فى أحكامه ، وخشيته فى نقضه وإبرامه ، وتعظيم الشرع وحكّامه ، وتنفيذ أقضية كل قاض على قول إمامه ؛ وليعتمد الجلوس للعدل والإنصاف ، وأخذ حقّ المشروف من الأشراف ؛ وليُقِم الحدود والقصاص على كل من وجبت (ص ٢١٥ ب) عليه ، وليكفّ الكفّ العادية عن كل من يتعدى إليه . وقد تقدّم من الأمر بالآثار الجميلة فى الشام المحروس ، ما تشوّفت إليه الأعين وتاقت إليه النفوس ، وقد ردّه الله سبحانه إليهم ردًّا جميلا ، فليكن بمصالح الدولة ومصالح الرعية كفيلا ، والله تعالى يجعل له إلى الخير سبيلا ، ويوضح له إلى مراضى الله ومراضينا دليلا ، بمنّه وفضله ، [إن شاء الله تعالى . وكتب فى عشر جمادى الأول سنة تسع[1] وتسعين وستمائة] .

(١) أضيف ما بين القوسين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 68) ، ويلاحظ أن هذا النص كله مختلف فى أسلوبه وألفاظه ، وليس فى جوهره ، عما يقابله فى ذلك المرجع .

ملحق[١] رقم ١٤

نص كتاب إيلخان غازان إلى السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وجواب السلطان عليه ، وهو منقول من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٢٣ ب — ٢٢٤ ب ، ٢٢٦ ا — ٢٣٠ ا) . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٣٣٠ ا ، وما بعدها) ، والقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ ، وما بعدها) ، و (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 93—101) ، وكذلك (Quatremère Op. Cit. II. 2. pp 239. et Seq) ، حيث أورد هذان النصان من النويرى ، مع ترجمتها إلى الفرنسية .

(ص ٣٣١ ا) بسم الله الرحمن الرحيم . بقوة الله تعالى ، وميامين[٢] الملة المحمدية ، فرمان السلطان محمود غازان .

ليعلم السلطان المعظم الملك الناصر ، أنه فى العام الماضى بعض عساكرهم (كذا) المفسدة دخلوا أطراف بلادنا ، وأفسدوا فيها لعناد الله وعنادنا ، كماردين ونواحيها . وجاهروا الله بالمعاصى فيمن ظفروا به من أهلها ، وأقدموا على أمور بديعة (كذا) ، وارتكبوا آثاما شنيعة ، من محاربة الله وخرق ناموس الشريعة . فأنفنا من تهجمهم ، وغرنا من تقحمهم ، وأخذتنا الحمية الإسلامية ، فحدتنا على دخول بلادهم ، ومقاتلتهم[٣] على إفسادهم . فركبنا بمن كان لدينا من العساكر ، وتوجهنا بمن اتفق منهم أنه حاضر . وقبل وقوع الفعل منا ، واشتهار الفتك عنا ، سلكنا سنن المرسلين ، واقتفينا آثار المتقدمين ، واقتدينا بقول الله : لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وأنفذنا صحبة يعقوب السكرجى جماعة من القضاة والأئمة الثقات ، وقلنا هذا نذير من النذر الأولى ، أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة .

فقابلتم ذلك بالإصرار ، وحكمتكم عليكم وعلى المسلمين بالأضرار ، وأهنتموهم

(١) انظر ص ٩١٥ ، سطر ١٤ وما بعده ، وحاشية ٣ بنفس الصفحة .

(٢) ترجم (Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 295) هذا اللفظ إلى (les heureuses influences de la religion de Mohammed) ، أى الآثار الحميدة لدين الإسلام .

(٣) فى الأصل "مقابلتهم" ، والنص المثبت هنا من النويرى (ص ٣٣١ ا) .

وسجنتموهم ، وخالفتم سنن الملوك ، فى حسن السلوك . فصبرنا على تماديكم فى غيّكم ، وخلودكم إلى بغيكم ، إلى أن نصرنا الله ، وأراكم فى أنفسكم قضاه . أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله . وظننا أنهم حيث تحققوا كنه المحال ، وآل بهم [الأمر] إلى ما آل ، أنهم ربما تداركوا الفارط (ص ٢٢٤ ا) من أمرهم ، ورتقوا ما فتقوا بغدرهم ، وأوجه إلينا وجه عذرهم ، وأنهم ربّما سيّروا إلينا حال دخولهم الديار المصرية ، رسلا لإصلاح تلك القضيّة . فبقينا بدمشق غير متحجثين ، وتثبّطنا تثبّط المتملكين المتمكنين ؛ فصدّهم عن السعى فى صلاح حالهم التوانى ، وعلّلوا نفوسهم عن اليقين بالأمانى .

ثم بلغنا ، بعد عودنا إلى بلادنا ، أنهم ألقوا فى قلوب العساكر والعوام ، ورموا جبر ما أوهنوا من الإسلام ، أنهم فيما بعد يلقوننا على حلب أو الفرات ، وأنّ عزمهم مصرّ على ذلك لاسواه . فجمعنا[1] العساكر وتوجّهنا للقيّاهم ، ووصلنا الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم ، وقلنا لعلهم وعساهم ؛ فما لمع لهم بارق ، ولا ذرّ شارق . فتقدّمنا إلى أطراف حلب ، وتعجبنا من بطئهم غاية العجب . فبلغنا رجوعهم بالعساكر ، وتحقّقنا نكوصهم عن الحرب ، وفكرنا أنه متى تقدّمنا بعساكرنا الباهرة ، وجموعنا العظيمة القاهرة ، ربما أخرب البلادَ مرورها ، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها ، وعمّ الضررُ العباد ، والخرابُ البلاد . فعدنا بُقْيا عليها ، ونظرةَ لطفٍ من الله إليها .

وها نحن الآن أيضا مهتّمون بجمع العساكر المنصورة : ومشحذون غرار عزماتنا المشهورة ، ومشتغلون بصُنع المجانيق وآلات الحرب ، وعازمون بعد الإنذار ، وما كنا مُعَذّبين حتى نبعث رسولا .

وقد سيّرنا حاملى هذا الفرمان الأمير الكبير ناصر الدين على خواجا ، والإمام (ص ٢٢٤ ب) العالم ملك القضاة كمال الدين موسى بن يونس ؛ وقد حمّلناهما كلاما يشافهاهم به . فليثقوا بما تقدّمنا به إليهما ، فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما ؛ لنكون كما قال الله تعالى : قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ؛ فتُعدّوا لنا الهدايا والتحف ، فما بعد الإنذار من عاذر ، وإنْ لم تتداركوا الأمر فدماء المسلمين وأموالهم مطلولة بتدبيرهم ، ومطلوبة منهم عند الله على طول تقصيرهم .

فليمعن السلطان لرعيته النظر فى أمره ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : من ولّاه الله

(١) يوجد بهامش الأصل ، قبالة هذه العبارة ، الجملة الآتية "بلغ مقابلة وتصحيحاً" ، مما يدل على أن هذه النسخة من كتاب زبدة الفكرة قد روجعت وصححت .

أمرا من أمور هذه الأمة ، واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره . وقد أعذر من أنذر ، وأنصف من حذر ، والسلام على من اتبع الهدى .

كتب فى العشر الأوسط من شهر رمضان بجبال الأكراد ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وآله الطاهرين .

* * *

(ص ٢٢٦ ا) بسم الله الرحمن الرحيم . بقوة الله تعالى وميامين الملة المحمدية .

أما بعد حمد الله الذى جعلنا من السابقين الأولين ، الهادين المهتدين ، التابعين لسنة سيد المرسلين ، بإحسان إلى يوم الدين ، والصلاة على سيدنا محمد ، والسلام على آله وصحبه الذين فضل الله من سبق منهم إلى الإيمان فى كتابه المكنون ، فقال سبحانه وتعالى : والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون .

بإقبال دولة السلطان الملك الناصر . كلام محمد بن قلاون .

فليعلم السلطان المعظم محمود غازان أن كتابه وَرَدَ ، فقابلناه بما يليق بمثلنا لمثله من الإكرام ، ورعينا له حق القصد فتلقيناه منا بسلام ، وتأملناه تأمل التفهم لدقائقه ، المستكشف عن حقائقه ، فألفيناه قد تضمن مؤاخذة بأمور هم بالمؤاخذة عليها أحرى ، معتذراً فى التعدى بما جعله ذنوبا لبعض طالب بها الكل ، والله تعالى يقول : وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .

أما حديث من أغار على ماردين من رجالة بلادنا المتطرفة ، وما نسبوه إليهم من الإقدام على الأمور البديعة ، والآثام الشنيعة ، وقولهم إنهم أنفوا من تهجمهم ، وغاروا من تقحمهم ، واقتضت الحمية ركوبهم فى مقابلة ذلك . فقد تلمحنا هذه الصورة التى أقاموها عذرا فى العدوان ، وجعلوها سببا (ص ٢٢٦ ب) إلى ما ارتكبوه من طغيان . والجواب عن ذلك أن الغارات من الطرفين لم يحصل من المهادنة والموادعة ما يكف يدها الممتدة ، ولا يغير هممها المستعدة . وقد كان آباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والنفاق ، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق ؛ ولم يزل ملك ماردين ورعاياه منفذين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم ، متولين كبر مكرهم ، والله تعالى يقول : وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم .

وحيث جعلتم هذا ذنبا موجبا للحمية الجاهلية ، وحاملا على الانتصار الذى زعمتم

أن هممكم به مَليَّة ، فقد كان هذا القصد الذى ادَّعيتموه يَتم بالانتقام من أهل تلك الأطراف التى أوْجبَ ذلك فعلُها ، والاقتصار على أخذ الثار ممَّن ثار ، اتباعا لقوله تعالى : وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثلُها ، لا أن تقصدوا الإسلامَ بالجموع الملفَّقَة على اختلاف الأديان ، وتطأوا البقاع الطاهرة بعَبَدة الصُّلبان ، وتنتهكوا حُرمة البيت المقدَّس الذى هو ثانى بيت الله الحرام ، وشقيق مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام . وان احتججتم بأنّ زمام تلك الغيَّارة[1] بيدنا ، وسببَ تعدَّيهم من سبينا ، فقد أوضحْنا الجواب عن ذلك ، وإنّ عدم الصّلح والموادعة أوجب سلوك هذه المسالك .

وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين ، واقتفاء آثار المتقدَّمين ، فى إنفاذ الرُّسُل أوَّلا ، فقد تلمَّحنا هذه الصُّورة ، وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة . والجواب عن ذلك أنّ هؤلاء الرسل ما وصلوا (ص ٢٢٧ ا) إلّا وقد دَنت الخيام من الخيام ، وناضَلت السِّهام عن السِّهام ، وشارف القومُ القومَ ، ولم يبق للّقاء إلّا يوم أو بعض يوم ، وأشرعت الأسنّة من الجانبين ، ورأى كلٌّ خصمه رأىَ العين . وما نحن ممن لاحَت له رغبةُ راغب فتشاغَل عنها ولَهى ، ولا ممَّن يسالم فيقابل ذلك بجفوة النّفار ، والله تعالى يقول : وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجنح لَها . كيف والكتاب بعنوانه ، وأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : ما أضْمر الإنسان شيئاً إلا ظهر فى صفحات وجهه وفلتات لسانه . ولو كان حضور هؤلاء الرُّسل والسّيوف وادعة فى أغمادها ، والأسنّة مستكنَّة فى أعوادها ، والسّهام غير مفوَّقة ، والأعنة غير مُطلقة ، لسمعنا خطابهم ، وأعدْنا جوابهم .

وأمّا ما أطلقوا به لسان قلمهم ، وأبدوه من غليظ كلمِهم فى قولهم ، فصبرنا على تماديكم فى غيِّكم ، وإخلادكم إلى بغيكم : فأىّ صبر ممَّن أرسل عنانه إلى المكافحة ، قبل إرسال رُسُل المصالحة ، وجاس خلال الدّيار ، قبل ما زعمه من الإنذار والإعذار ، وإذا فكَّروا فى هذه الأسباب ، ونظروا فيما صدر عنهم من خطاب ، علموا العُذْر فى تأخير الجواب ، وما يتذكَّر إلا أُولو الألباب .

وأما ما تَحجَّجوا[2] به ممَّا اعتقدوه من نُصْرة ، وظنّوه من أنّ الله جعل لهم

(١) كذا فى الأصل ، وفى النويرى أيضاً (ص٢٣٢ ا) ، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. II. 2. p. 300.) هذا اللفظ إلى (hostilité) أى "العداوة" .

(٢) فى الأصل "يحجوا" ، والرسم المثبت هنا من النويرى (ص٢٣٢ ا) .

على حزبه الغالب فى كلّ كَرَّة الكرَّة ، فلو تأمّلوا ما ظنّوه ربحا لوجوده هو الخسران المبين ، ولو أنعموا النظر فى ذلك لما كانوا به مفتخرين ، ولتحقّقوا أن الذى اتّفق لهم كان غُرمًا (ص ٢٢٧ ب) لا غُنْمًا ، وتدبّروا معنى قوله تعالى : إنما نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثمًا . ولم يخف عنهم من أبْلَتْه السيوف الإسلامية منهم ، وقد رأووا عزم من حضر من عساكرنا التى لو كانت مجتمعة عند اللقاء لما ظهر خبر عنهم . فأنا كنّا فى مفتتح مُلكنا ، ومبتدئ أمرنا ، حللنا بالشام للنّظر فى أمور البلاد والعباد ، فلما تحقّقنا خبركم ، وقفونا أثركم ، بادرنا نَقُدُّ أديم الأرض سيرًا ، وأسرعنا لتدفع عن المسلمين ضررًا وضيرًا ، ونؤدّى من الجهاد السُّنَّةَ والفرض ، ونعمل بقوله تعالى : وَسَارِعوا إلى مغفرةٍ مِنْ رَبِّكم وَجنَّةٍ عَرْضها السَّموات وَالأرْض . فاتّفق اللّقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة ، وثوقًا بقوله تعالى : كَمْ مِنْ فِئةٍ قليلةٍ غَلبتْ فِئةً كثيرةً . وإلاّ فأكابركم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية التى كم وطئت موطنًا يغيظ الكفار ، فكتب لها به عملٌ صالح ، وسارت فى سبيل الله ، ففتح الله عليها أبوابَ المناجح ، وتعدَّدت أيّامُ نصرتها التى لو دقّقتمُ الفكر فيها لأزالت ما حصل عندكم من لبس ، ولما قدرتم على أن تنكروها وفى نعب من يجحد ضوء الشمس ، وما زال الله لها نعم المولى ونعم النصير ، وإذا راجعتموهم قصّوا عليكم نبأ النصرة ، ولا ينبئك مثل خبير .

وما زالت تتفق الوقائع بين الملوك والحروب ، وتجرى المواقف التى هى بتقدير الله فلا فخرَ فيها للغالب ولا عارَ على المغلوب وكم من ملك استُظهر عليه ثم نُصر ، وعاوده التأييد فجبره بعد ما كُسر ، خصوصا ملوك هذا الدّين ، فإنّ الله تكفّل (ص ٢٢٨ ا) لهم بحسن العقبى ، فقال سبحانه وَالعَاقِبةُ لِلمُتّقينَ .

وإما إقامتهم الحجّة علينا ، ونسبتهم التّفريط إلينا ، فى كوننا لم نَسيّر إليهم رسولا عند حلولنا بدمشق ، فنحن عند ما وصلنا إلى الدّيار المصرية لم نزد على أن اعتددْنا وجمعنا جيوشنا من كلّ مكان ، وبذلنا فى الاستعداد غاية الجهد والإمكان ، وأنفقنا جزيل الأموال فى جمع العساكر والجحافل ، ووثقنا بحسن الخلف لقوله تعالى : مثل الذين ينفقُونَ أموالهم فى سبيل الله كمثل حبّة أنبتَتْ سَبْعَ سَنَابِل .

ولما خرجنا من الدّيار المصرية بلغنا خروجُ الملك من البلاد ، لأمر حال بينه وبين المراد ، فتوقفنا عن المسير توقّفَ من أغنى رعبه عن حثّ الرّكاب ، وتلبثنا تلبث

الراسيات ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب . وبعثنا طائفةً من العساكر لمقابلة من أقام بالبلاد ، فما لاح لها منهم بارق ولا ظهر ، وتقدّمت فتخطفت من حمله على التأخُّر الغرر ، ووصلَت إلى الفرات فما وقعت للقوم على أثر .

وأما قولهم إننا ألقينا فى قلوب العساكر والعوام أنهم فيما بعد يلتقوننا على حلب أو الفرات ، وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا إلى الفرات وإلى حلب مترقبين وصولنا ، فالجواب عن ذلك أنه من حين بلغنا حركتهم جزَمنا ، وعلى لقائهم عزَمنا ، وخرجنا وخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ابن عمّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الواجب الطّاعة على كل مسلم ، المفترضُ المبايعة والمتابعة على كل مُنازع (ص ٢٢٨ ب) ومُسلّم ، طائعين لله ولرسوله فى أداء فرض الجهاد ، باذلين فى القيام بما أمرنا الله غاية الاجتهاد ، لا يتم أمر دين ولا دنيا إلا بمشايعته ، ومن والاه فقد حفظه الله وتولّاه ، ومن عانده أو عاند من أقامه فقد أذلّه الله . فحين وصلنا إلى البلاد الشامية تقدّمت عساكرنا تملأ السهل والجبل ، وتبلغ بقوة الله فى النصر الرّجاء والأمل ، ووصلت أوائلها إلى أطراف بلاد حماة وتلك النواحى ، فلم يُقدم أحد عليها ، ولا جسر أن يمدّ حتى ولا الطرف إليها .

فلم نزل مقيمين حتى بلغَنا رجوع الملك إلى البلاد ، وإخلافُه موعدَ اللقاء ، والله لا يخلف الميعاد . فعدنا لاستعداد جيوشنا التى لم تزل تندفع فى طاعة الله تعالى اندفاع السيل ، عاملين بقوله تعالى : وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .

وأما ما جعلوه عذراً فى الإقامة بأطراف البلاد وعدم الإقدام عليها ، وأنهم لو فعلوا ذلك ودخلوا بجيوشهم ربما أفسد البلادَ مرورُها ، وبإقامتهم فيها فسدت أمورها ، فقد فُهم هذا المقصود ، ومتى ألفت البلاد والعباد منهم هذا الإشفاق ؟ ومتى اتّصفت جيوشهم بهذه الأخلاق ؟ وها آثارهم موجودة ، ودعاوى خلافها بمشاهدة الحال مردودة ؛ وهل هذا اعتماد من رمق شخص الإسلام بإنسانه ؟ كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ؛ وأسارى المسلمين عندهم فى أشد (ص ٢٢٩ ا) وثاق ، وفى يد الأرمن والتكفور منهم ما يخالف ما ادّعوه من إشفاق .

وقد كان المسلمون غزوا عسكر أبغا وقتلوا من قتلوا من التتار ، وحصل لهم التمكُّن فى البلاد والاستظهار ، واستولوا على ملك آل سلجوق وما تعرّضوا لدار ولا جار ، ولا عفَوا أثراً من الآثار ، ولا حصل لمسلم منهم ضرر ، ولا أوذى فى ورد ولا صدر . وكان أحدهم

يشترى قوته بدرهمه وديناره ، ويأبى أن يمتدّ إلى أحد من المسلمين يد أضراره . هذه سُنّةُ أهل الإسلام ، وفعل من يريد للملك الدوام .

وأما ما أرعدوا به وأبرقوا ، وأرسلوا فيه عنان قلمهم وأطلقوا ، وما أبدوه من الاهتمام بجمع العساكر ، وتهيئة المجانيق إلى غير ذلك مما ذكروه من التهويل ، فالله تعالى يقول : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قولهم وإلا فدماء المسلمين مطلولة ، فما كان أغناهم عن هذا الخطاب ، وأولاهم بألا يصدر إليهم عن ذلك جواب . ومَنْ قصدُه الصُّلح والإصلاح ، كيف يقول هذا القول الذى عليه فيه من جهة الله تعالى ومن جهة رسوله أى جناح ؟ وكيف يضمر هذه النِّيَّة ، وينجح بهذه الطوية ، ولم يخف مواقع هذا القول وخلله ؟ والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : نيّة المرء أبلغ من عمله . وبأى طريق تُهْدرَ دماء المسلمين ، التى مَنْ تعرّض إليها يكون الله له فى الدنيا والآخرة مطالبا وغريما ، ومؤاخذا (ص٢٢٩ب) بقوله تعالى : وَمنْ يَقتُل مؤمنا متعمّدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما .

وإذا كان الأمر كذلك فالبشرى لأهل الإسلام ، بما نحن عليه من الهمم المصروفة إلى الاستعداد ، وجمع العساكر التى تكون لها الملائكة الكرام إن شاء الله تعالى من الأنجاد ، والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرّة العدد ، المتكاثرة المدد ، الموعودة بالنصر الذى يحفّها فى الظعن والإقامة ، الواثقة بقوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على عدوّهم إلى يوم القيامة ، المبلغة فى نصْرة دين الله آمالا ، المستعدّة لإجابة داعى الله إذ قال : انفروا خفافا وثقالا .

وأما رسلهم ، وهم فلان وفلان ، فقد وصلوا إلينا ووفدوا علينا ، وأكرمنا وفادتهم ، وغزّرنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم ، وسمعنا خطابهم ، وأعدنا جوابهم . هذا مع كوننا لم يَخْفَ عنّا انحطاطُ قدرهم ، ولاضعف أمرهم ، وأنهم مادُفعوا لأفواه الخطوب ، إلاّ لما ارتكبوه من ذنوب ، وما كان ينبغى أن يُرْسل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله ، ولا يُنْدب لهذا المهم إلا من يُجْمَع على فصل خطابه وفضله .

وأما ما التمسوه من الهدايا والتحف ، فلو قدّموا من هداياهم حسنة لعوّضناهم بأحسن منها ، ولو أتحفونا بتحفة لقابلناهم بأجلّ عوض عنها . وقد كان عمه الملك أحمد(١) راسل

(١) المقصود هنا السلطان أحمد تكدار .

والدنا السلطان الشهيد ، وناجاه (ص ٢٣٠ ا) بالهدايا والتحف من مكان بعيد ، وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب ، فأحسن له الجواب ، وأتى البيوت من أبوابها بحسن الأدب ، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب .

والآن فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها ، وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها ، فنقول : إذا جنح الملك للسلم جنحنا لها ، وإذا دخل فى الملة المحمدية ممتثلا ما أمر الله به مجتنبا ما عنه نهى ، وانضم فى سلك الإيمان ، وتمسك بموجباته تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنان ، وتجنب التشبه بمن قال الله فى حقهم : قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمانِ ، وطابق فعله قوله ، ورفض الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم حوله ، وأرسل إلينا رسولا من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلا ، ويروق خطابه وجوابه حتى يتلو كل أحد : ياليتنى كنتُ اتخذتُ مع الرسول سبيلا ، صارت حجتنا وحجته المركبة على من خالف ذلك ، وكلمتنا وكلمته قامعةً أهل الشرك فى سائر الممالك ، ومضافرتنا له تكسب الكافرين هوانا ، والمشاهدُ لتصافينا يتلو قوله تعالى : واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخوانا ، وينتظم إن شاء الله شملُ الصالح أحسن انتظام ، ويحصل التمسك من الموادعة والمصافاة بعروة لا انفصال لها ولا انفصام ، وتستقر قواعد الصلح على ما يُرْضى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام .

ملحق(١) رقم ١٥

نص فرمان إيلخان غازان إلى الأمير عز الدين إيبك الأفرم نائب الشام، يرغّبه فى الدخول فى طاعته سنة ٨٠٢ هـ (١٣٠٢ م)، وهو منقول من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة، ج ٩، ص ٢٣٥ ا — ٢٣٧ ب. صور شمسية من نسخة المتحف البريطانى بلندن. مكتبة الجامعة المصرية، رقم ٢٤٠٢٨).

(ص ٢٣٥ ا) ذكر نسخة الفرمان الذى سطّره قازان من رحبة الشام.

بسم الله الرحمن الرحيم

فرمان السلطان محمود غازان

ليعلم الأمير أفرم وأكابر الأمراء، ورعاءُ العساكر والأجناد، والقضاة والسادات، والأئمة والصدور، والأكابر والمشاهير والرؤساء، وعوامُ الرعايا من أهل دمشق، أنه حيثُ خصّنا الله تعالى بالعناية الأزلية، والسعادة الأبدية، وشرحَ صدرنا للإسلام، (ص ٢٣٥ ب)، ونوّر قلبنا للإيمان، وأورثنا سلطنةَ الآباء والأجدادِ، وأمدّنا بالنصرة المتواترة الأمدادِ، تصدّينا لإنابةِ الشكر على نعمائه بحَسَب الإمكان؛ فما هدانا الله تعالى على مُلازمةِ البرّ والإحسان، ودفع الرزايا عن الرعايا، وإيصالِ البرّ إلى البرايا، سيّما طوائف المسلمين وطبقات المؤمنين، وألا نرخص فى القتال ما لم يبدأنا به الجهّال، فكل لبيبٍ يعلم أن البادئَ أظلمُ؛ والذى يحقّق ذلك ما عرفة الدانى والقاصى، من طريقتنا المسلوكة مع المطيع والعاصى، وما ترتّب بيننا وبين أنسابنا الأصاغر والأكابر، وتركِنا المقاتلة إلا مع بادٍ مكابر.

وحيث كان أهل مصر والشام، يحبّون ويودّون قوة الإسلام، كان الواجبُ عليهم إظهارَ السرُور، وإبداءَ الحبور، بإسلام ذرارى جنكزخان(٢) وعساكرهم التى لا غاية لأواخرهم، وتُؤمن غلبةُ المتسلطين فى تلك البلادِ، وإنفاذِ الرسل إلينا عن الوداد، وإرسال التحف والهدايا، والشكر لله ولنا على تلك المزايا. فما أبصرنا منهم فى عمومِ الأوقاتِ، إلا

(١) انظر ص ٩٣٠، سطر ١١، وما بعده، وحاشية ٣ بنفس الصفحة.
(٢) فى الأصل «حكسخان».

مالا يحسن من الحركات ، حتى أنهم عمّوا على ماردين وديار بكر طغيانا ، وأقدموا على القتل والنهب فيها عُدوانا . فدعتنا الحمية على الإسلام ، إلى الفساد بالانتقام ، وهممنا بأن نجرّ إليهم العساكر ، ونُبيد البادى منهم والحاضر ؛ فصادفتهم المراحم العميمة ، (ص ٢٣٦ ا) التى لم تزل لنا خُلقاً وشيمة ، فتوقفنا مقتدين بقوله تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . فأنفذنا الإيلچيّة(١) مع قُضاة ثقات ، لعلّهم فى أمرهم يتفكّرون ، وإلى الإنابة يهتدُون ، فأتوهم بصرائح النصائح ، وهدوهم إلى جَدد المصالح ؛ فعصى سلطان مصر عُتوًّا ونُفورا ، وأودعهم السجن تجبّراً وغُرُوراً ، فأفضت حركاتُهم الذميمة إلى أن مال عليهم الجنود ، وحلّ عليهم ما حلّ بعاد وثمود ، ولولا رفقنا المجبول بنا .

لأضحتْ شامُ خاليةَ الديّارِ

وأما ما أصاب من لاحقه بعض العساكر من بعض الرعية ، فما كان أحد بذلك مأمورا ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وجُرم جرّهُ سُفهاءُ قوم فحلّ بغير جانيهِ العقابُ

ولما ثنينا عنان العزمة ، ترحمّاً على البرآء من الجريمة ، تذّينا لتركيب الحجة الرسالة ، لعلهم ينتهون عن التمادى فى الجهالة . فما سمعوا من الرسول قيلا ، وحبسوه زمانا طويلا . وأما فى الإعادة ، فقد خالفوا الذاهبين فى العادة ، لأنهم لم يُصحبُوه واحداً من رسلهم ، ليتداركوا ما فرط من زللهم . وياليت ما حمّلوهُ من الجواب ، كان متضمّناً لوجه من الصّواب ، فإن كتابهم دلّ على فساد آرائهم ، وتعمّقهم فى متابعة أهوائهم ، فقد ضمّنوا متهدْيَن القال مطواهُ ، وكتبوا اسم سلطانهم بالألقاب البليغة بالذهب أعلاه ، واسمَ الله (ص ٢٣٦ ب) تعالى ورسُوله عليه الصّلاةُ والسلام بالمداد ، واسمنا بعد عِدّة سطور للعنَاد . فحملنا ذلك على عدم معرفتهم بالرُّسوم والآداب ، وقلّة ممارستهم مراسيم الخطاب والجواب .

وحيثُ أردنا ألا يتأذّى بذلك المسلمون ، تلونا : فاصفح عنهم وقل سلامٌ فسوف يعلمون . وعاودنا إيفاد الإيلچيّة مع أكابر القضاة ، وحملنا إليهم الخلعَ والموهبات ، ليسلكوا مسالك الموافقات ، ويتجنبوا جوانب المخالفات ، فوصل الخبر عقيب توجّه الإيلچية إن القوم

(١) فى الأصل . "الايلچيه" ، والإيلچية — والإلجية ، والالجى أيضاً ، مفرد إلجى — وإيلچى ، ويقال إلشى أيضاً ، وهو السفير أو المبعوث ، وهو لفظ تركى الأصل . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

قصدوا ديار بكر ، وحلّوا حبى الكيد والمكر . فأمرنا بركوب العساكر ، وإهلاك الباغين بالسيوف البواتر . فانتهى خبر ذلك إليهم ، وفزعوا من سطوتنا عليهم ، فأخذوا عن ديار بكر جانبا ، وأصبح صحيح أملهم كاذبا ؛ لكنهم عمّوا على خرتبرت وملطيّة وسيس ، وخربوا أطرافها وحواليها بالحيلة والتلبيس ، ولا شبهة لأحد أن خرتبرت وملطيّة من ولايتنا ، وصاحبَ سيس من الداخلين فى شريعة طاعتنا . وقد كانوا أظهروا للإيلچية الأليّة[1]، واستلزم إقدامهم على ذلك كذب القضيّة ؛ وأيضا كاتبوا الأكراد والروم بخطاب الأخ مرارا ، ودعوهم إلى إثارة الشرّ والفتن سرًّا وجهارا ، وما علموا أن صحارى بلادنا مملوءة من أمثال أولئكَ ، ولا التفاتَ لأحد إلى ذلك ؛ وكتبوا أيضاً إلى ملك الكرج نارين[2] داود ، وأثبتوا البِرّ والعبودية مع أنه (ص ١٢٣٧) وسبْى[3] أزواجهم وبناتهم ، ونُقطّعُ أشجارهُم ، ونقتلُ صغارهم وكبارهم ، ونحرّق مساكنهم وأماكنهم ، ونتبع مخامنهم ومكامنهم ، ونجعل أطلالهم ممحوّةً بالطمس ، وأجسادهم كأن لم تغن بالأمس .

وإن لاح لهم الاحتراز فليستدركوا فارطهم ، وليرحموا أنفسهم وأزواجهم وأولادهم وأموالهم ، وليبادِروا إلى ماهو السببُ للخلاص ، ويدخلوا فى طاعتنا عن صدق وإخلاص ، وليتحققوا أننا لا نريد منهم خزائن ولا أموالا ، فإن الله تعالى قد أتانا من المال ما إن مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولى القوة ، وأغنانا بما أعطانا ، عما هو فى أيدى مَن سوانا . وفيما منحنا من المملكة العريضة ، والسلطنة المستفيضة ، والعساكر والجيوش غير المحصورة ، والألوية والأعلام المنصورة ،متسع وكفايةٌ ؛ بل يخطبون باسمنا ، ويضربون الدينار بسكّتنا ، حتى نقرّر الجمهور على أمورهم ، من أميرهم ومأمورهم ، زائدين فى الإقطاعات والمشاهرات ، والمرتبات والإقرارات .

ولا يخفى عليهم أن الشام كان فى الأعوام الماضية ، والأيام الخالية ، تارةً مع الروم وأخرى مع العراق ، وعن مصر لا زال منقطع العلاَق ، إلى زمان بغلُب طائفة من أهل الخروج والفتن ، فكما كانوا يتصوّرون أن الثغر هو العراق وديار بكر ، فليتصوّرا بعد اليوم أنه غزّة وحدُود الرمل . وكما كانوا يستمدّون منهم علينا ، يستمدّون (ص ٢٣٧ ب) مِنّا عليهم ؛

(١) كذا فى الأصل وفى محيط المحيط "الألى والإلى بمعنى النعمة" .

(٢) فى الأصل "نارن داود" ، وقد ضبط هذا الاسم على منطوقه (David Narin) فى : Allen (A Hist. Of TheG eorg'ans. P.114 ، حيث وردأن اسم هذا الملك فى الأصل دواد الرابع (David IV) ، وأن المتول لقبوه بلقب "نارين" ، ومعناه فى لغتهم "الماهر" .

(٣) كذا فى الأصل .

ولا يعتمدوا على القلاع ، فإنهم بالمحاصرة يعجزون ، ومن الاضطرار يُسلمون ؛ ومهما تركوا الوساوس والخيالات ، وأطاعونا بصدق النيات ، فهم فى أمان الله الملك العلاّم ، وأمان الرسول عليه السلام ، وأماننا فى النفس والأهل والمال ، ولا تُصيبهم من عساكرنا أذيةٌ فى عموم الأحوال .

ملحق[1] رقم ١٦

نص الكتاب المسمى باسم الروض الزاهر فى غزوة الملك الناصر ، تأليف القاضى علاء الدين على بن عبد الظاهر ، وقد صنّفه فى خبر وقعة مَرج الصُّفر بين السلطان الناصر محمد و إيلخان غازان ، فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ ﻫ (يناير ١٣٠٣) ، وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٣٧ ب ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ معارف عامة) .

(ص٣٣٧ب) ابتدأه بأن قال : الحمد لله الذى أيّد الدّين المحمدى بناصره ، وحمى حِماه بمن مضى هو وسلفه بأداء فرض الجهاد فى أول الزمان وآخره ، وجعل من الذريّة[2] المنصورية من يجاهد فى الله حقّ جهاده ، ويسهر فى سبيل الله فيمنع طرف السيف أن يغفى فى أغماده ، ويقدّم يوم الوغى والموت من بعوثه للعدى وأجناده . نحمده على ما وهبنا من شعره[3] ، ونشكره على نعمه التى خوّلنا منها بأساً أذاق العدوّ وبالَ أمره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً ترفع منار هذا الدّين ، وتضاعف أجر المجاهدين ، الذين (ص ٣٣٨ا) أضحوا فى درج المتّقين مرتقين ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه وضروع الكفر حوافل ، وربوع البغى أواهل ، فلم يزل يجرّد الصِّفاح من مقرّها ، ويطلق جياد

(١) انظر ص٩٣٨ ، سطر ٦ ، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .
(٢) هذا اللفظ مكرر فى الأصل .
(٣) كذا فى الأصل بغير ضبط ، ويظهر أن المقصود بالشعر هنا العلم . انظر محيط المحيط .

العزم فى مجراها وصعاد الحزم فى مَجْـرِها (١) ، إلى أن أخمد نار الشرك والنفاق ، وظهرت معجزاته بإطفاء نار فارس بالعراق ؛ صلى الله عليـه وعلى آله الذين جرَّدوا بين يديه سيوف الحتوف فاستغلقت الأعمار ، وهاجروا إليه ونصروه فسُمُّوا المهاجرين والأنصار .

وبعد فإن الوقائع التى عظمت آثارها فى الآفاق ، وحُفظت بها دماء المسلمين من أن تُراق ، وبقى بها الملك والممالك ، وأشرف بها سواد الخطب الحالك ، وسطرها الله تعالى فى صحائف مولانا السلطان الملك الناصر ، وآتاه فيها من الملك ما لم يبلغه أحد ، فأورثه به ظفراً مخلّداً لايفنى وإن طال المدار والأمد ، واشتبه فى ثباته ووثباته بها أباه رضى الله عنه والشبل فى المَجْر (٢) مثل الأسد ، واستقرَّ بها الملك فى مهاد السكون بعد القلق ، وتبدَّلت بها الملّة الإسلامية الأمْنَ بعد الفَرَق ، وأضحى بها وجه الإسلام سافراً بعد تقطيبه ، وطلع بها بدر السرور كاملا بعد مغيبه ، وعمّت الأيام إحساناً من الملك وحسنى ، وعلم المؤمنون بها تحقيق قوله عزّوجل : وَعَد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، أن يسطر فيها مايعمر ربوع السرور ويؤنس معاهده ، ويقف عليه الغائب فيكون كمن شاهده ، ويذيع أنباء هذه النصرة فى الأقطار ، ويتحقّق أهل الإسلام أنَّ لهم مَلِكا يناضل عن دين الله بالسُّمر الطِّوال والبيض القصار ، وسلطانا ما أغمض سيفَه فى جفْنه إلا ليستجمَّ لأخذ الثأر من ثار .

ولما كانت هذه الغَزاة المبرورة ، والحركات التى عدَّت حسناتها فى صحائف القبول مسطورة ، والسَّفرة التى أسفرتْ بحمد الله عن الغنيمة والسلامة ، وأعلتْ الأمة بركة قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفـة من أمتى ظاهرين على الحقِّ لأنصرهم من خذلهم إلى يوم القيامة ؛ وكنتُ ممن شملته نفحات الرحمة فيها ، وهبَّتْ عليه رياح النصر التى كانت تزجيها ، وشاهدتُ صدق العزائم الملكية الناصرية التى طلعت فى سماء النفع نجوماً وقّادة ، وشهدتُ فى محضر الغزو على إقرار العدى بالعجز ، وكيف لا وذاك الموطن محل الشهادة ، وما رأيتُ كيف أثبتَ السيف لنا الحق لأنه القاضى فى ذلك المجال ، وكيف نفذتْ السهام لأجل تصميمه فى الحكم فلم يمهل حتى أخذت دين الآجال وهو حَال .

(١) كذا فى الأصل بغير ضبط ، والراجح أن المجر هنا الجيش العظيم . انظر محيط المحيط .

(٢) كذا فى الأصل بغير ضبط ، ولعل المقصود بلفظ المجر هنا ما فى بطون الحوامل ، من الإبل والغنم وغيرها من أنواع الحيوان . انظر محيط المحيط .

وقد أحببتُ أن أذكر من أمرها مُلْحة تنشرح بها الصدور ، وآتى بلُمعة تُعْرِب عن ذلك النور ، وها أنا أذكر نبأ السَّفر من افتتاحه ، وأشرح حديث هذه الغَزَاة من وقت صباحه ، فأقول : —

ركب مولانا السّلطان الملك النّاصر — خلّد الله ملكه — بنيّة صالحة أخلصها فى سبيل ربه ، وعزيمة ناجحة ماثلتْ فى المضاء سُمْرَ عواليه وبِيضَ قُضُبه ، من قلعة مصر التى هى كنانة الله فى أرضه ، بجيوشه التى نهضت بسُنَن الجهاد وفَرْضه ، تقدَّمها أمراؤه الذين كأنهم ليوث غاب أو غياثُ سحاب ، أو بدور ليال أو عقود لآل ، معتضدا[1] ببضعة من الرسول ، منتصراً بابن عمه الذى لا يسمو أحد من غير أهل بيته لشرفه ولا يطول ، ملتمساً بركة هذا البيت الشّريف الذى طالما كانت الملائكة من نجده وجندة ، مسترسلا بيُمنَة الإيمان سحب كرمه ، مستدعياً صادق وعده . وسَارَ على اسم الله تعالى بالجاريات الجياد ، التى تعدو فى سبيل الله النجاد وتعلو[2] الهضاب ، وسَرَى يقطع المنازل[3] ويطوى المراحل طىَّ السِّجل للكتاب ؛ والجيوشُ المنصورة قد أرهفت حدَّ سيوفها ، وأشرعت أسنّة حتوفها ، وهى تسير كالجبال ، وتَبْعثُ[4] كالصَّدَى ما يُرْهِبُ من طيف الخيال .

فبينما الركائب قد استقلّت فى السرى ، ورُقِمَت[5] فى البيداء من أعناق جيادها سطورٌ من قرأها استغنى بحسنها عن القرى ، إذا بالبشير قد وفد ، ونجم المسرة قد وَقَد ، وأخبر بأن جمعا من التّتار قصدوا القريتين للإغارة ، وما علموا أن ذلك مبدأ خولهم الذى فتح الله به للإسلام باب الهناء والبشارة ؛ وغرّتهم الآمال ، وساقتهم الحتوف للآجال . فنهض بعض العساكر المؤيّدة ، فأخذتهم أخذ القرى وهى ظالمة ، وأعلمتهم أن السّيوف الإسلامية ما تترك لهم بعد هذا العام بقوّة الله يدا فى الحرب[6] (ص ٣٢) مبسوطة ، ولا رِجلا فى المواقف قائمة ، وأرى اللهُ العدوَّ مَصارعَ بَغْيه ، وعاقبة استحواذه ، وتلا لسان الوعد الصّادق على حزب[7] الإيمان ، وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ .

(١) فى الأصل "مقتصدا" . (٢) فى الأصل "ويعلوا الهضاب" .

(٣) فى الأصل "وسرى بقطع المنازل ويطوى المراجل" .

(٤) فى الأصل "ويبعث كالعدى ما يرهب" . (٥) فى الأصل "ورقت" .

(٦) هنا ينتهى ما ورد من هذه الوثيقة بهذا الجزء من كتاب النويرى ، وقد عثر الناشر على بقيتها فى نسخة أخرى من نفس الكتاب بدار الكتب المصرية (معارف عامة ، رقم ٥٥١ ، ج ٣٠ ، القسم الأول) بعد طبع الصفحات السابقة ، ولذا جاء طبعها من نسختين لمرجع واحد .

(٧) فى الأصل "حرب" .

ووصل مولانا السلطان خلّد الله ملكه غزّة ، والإسلام — بحمد الله — قد زاد قوّة وعزّة ؛ ثم رحل بحمد الله بعزم لا يفترُّ عن المسير ، وجيشٍ أُقسم النصرُ أن لا يفارقه وأن يصيرَ معه حيث يصير ، إلى أن وصلوا يومَ السّبت الثانى من شهر رمضان المعظّم سنة اثنتين وسبعمائة ، وهو أوّل أيام السّعود(١) ، واليومُ الذى يُجمع فيه الناس ، وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، إلى مرج الصفر ، (ص ٣٣) الذى هو موطن الظفر ومكان النصر الذى يحدّث عنه السّمار بأطيب سمر . والسّلطان بين عساكره كالبدر بين النجوم ، والملائكة الكرام تحمى الجيوش المؤيّدة بإذن الله وطيور النصر عليها تحُوم ؛ وهو خلّد الله ملكه قد بايع الله على نصرة هذه الملة التى لا يحيد عن نصرها ولا يريم ، وعاهده على بذل الهمم التى انتظمت فى سبيل الله كالعقد النظيم ، وخضع لله فى طلب النصر ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ، وقال ربِّ قد بذلت نفسى فى سبيلك فتقبّلها بقبول حسن ، ونويت المصابرة فى نصرة دينك ، وأرجو أن أشبع النية بعمل يعدو بيان إنسان فى وصفه واللّسَن(٢) ، وتلا — ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، واهزم عدونا فقد بايعناك على المصابرة والله مع الصّابرين ، وابتهل إلى الله فى طلب التأييد ، وتضرّع إليه فى ذلك الموقف الذى ما رآه إلا من هو فى الأخرى شهيد وفى الدُّنيا سعيد .

هذا والسيوف قد فارقت الأغماد ، وأقسمت أنها لا تقَرّ إلا فى الرؤوس ، والأسنّة قد أشرعت وآلت أنها لا يُروى ظمؤُها إلا من دماء النفوس ، والسّهام قد (ص ٣٤) التزمت أنها لا تتخذ كنائنها إلا من النحور ، ولا تتعوّض عن حنايا القسىّ إلا بحنايا الأضالع أو لِترَفُّعها لا تحلُّ إلا فى الصّدور ، والدروع قد لزمت الأبطال قائلة : لا أفارق الأبدان حتى تتلى سورة الفتح المبين ، والجياد حرمت وطءَ الأرض وقالت لفرسانها لا أطأ إلا جثث القتلى ورؤوسَ الملحدين ؛ فلا ترى إلا بحراً من حديد ، ولا تشاهد إلا لمع أسنة أو بروق سيوف تصيد الصّيد ؛ والسلطان قد أرهف ظباه ليسعر بها فى قلوب العدى جمراً ، وآلى أنه لا يورد سيوفه الطلا بيضا إلا ويصدرها حمرا ؛ والإسلام كأنه بنيان مرصوص ونبأ النصر على مسامع أهل الإيمان مقصوص ، والنفوس قد أرخصت فى سبيل

(١) فى الأصل "السعود الذى واليوم الذى ... " .
(٢) فى الأصل "يعدوا لسان السنان فى وصعه والسن" .

الله وإن كانت فى الأمن غالية ، وأرواح المشركين قد أعِدّ لها الدرك الأسفل من النار وأرواح المؤمنين فى جنّة عالية .

ولما كان بعد الظهر أقدم العدوّ — خذله الله — بعزائم كالسيوف الحداد ، وجاء على قرب من مقدمنا فكان هو والخذلان على موافاةٍ وجئنا نحن والنصر على ميعاد ، وأتى كقطع الليل المظلم بهم ، لا تكاد لولا دفع الله عن بُزاتِها[1] تُحْجِم ، معتقداً أن الله قد بسط يده فى البلاد ويأبى الله إلا أن (ص ٣٥) يَقْبِضَها ، متخيلا أن هذه الكَرَّة مثل تلك ويأبى الله إلا أن يخلف لهذه الأمة بالنصر ويعوّضها ، متوهما أن جيشه الغالب وعزمه القاهر ، متحققاً أنه منصور وكيف ذاك ومعنا الناصر .

والتقى الفريقان بعزائم لم يبئسها فى الحرب نكول ولا تقصير ، فكان جمعنا ولله الحمد جمعَ سلامة وجمعهم جمع تكسير . وحمى الوطيس وتَحَمَّلَ فى يوم السبت الخميسُ على الخميس ، ودارت رحا الحرب الزَّبون ، وغنت السيوف بشرب الكماة كأس المنون ؛ والسّلطان قد ثبت فى موقف المنايا حتى كأنه فى جفن الردى وهو نائم ، ورأى الأبطال من أوليائه جرحى فى سبيل الله والأعداء مهزومة والوجه منه وضّاح والثغر باسم ؛ وقابل العدو بصدره ، وقاتل حتى أفنى حديد بيضه وسُمره ؛ وخاطر بنفسه والموت أقرب إليه من حبل الوريد ، ونَكَّب[2] عن ذكر العواقب جانباً ولم يستصحب إلا سيفه المبيد ، واشتدّ أزْراً بأمرائه الذين رأوا الحياة فى هذا اليوم مغرَما ، وعَدُّوا الممات فيه مغنما ، وقالوا لاحياة إلا بنصر الإسلام ، ولا استقرار حتى تطأ بين يدى السلطان سنابكُ الخيول هذا الهام ، وما أعددنا (ص ٣٦) العزائم إلا لهذا الموقف ، ولا أحْدَدْنا[3] الصوارم وخبأناها إلا لنبذلها فى السفك فنسرف — وهم بين يدى سلطانهم يحثّون جيوشهم على المصابرة ، ويقولون هذا يوم يصيبنا فيه إحدى الحسنيين : فإما سعادة الدنيا وإما جنّة الآخرة ، وقالت الملائكة للجيوش المنصورة ، "ياخيل الله اركبى ! ويا يَدَ النّصر اكتبى !" .

وقامت الحرب على ساق ، وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ، وأتى العدو جملة واحدة ، وحمل حملة أمست بالنّفوس جائدة[4] ، ونكب على الميسرة وقصد الميمنة والقلب ، وهاله جمع الإسلام فأراد أن يَتَخَلَّصَ بانحيازه من شدّة ذلك الكرب . واستمرّت

(١) فى الأصل "براتها محجم" .

(٢) فى الأصل "نلب على" بغير نقط البتة .

(٣) فى الأصل "ولا لاجدادنا" . (٤) كذا فى الأصل .

المناضلة تمتد بين الفريقين وتنتشر ، والمؤمنون قد وفوا بما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ؛ ومولانا السلطان يردف مواكبه بحملاته ، ويقدم فتخشى الأعداء مواقع مهابته وترجو الأولياء منافع هباته ، ويرى غمرات الموت ثم يزورها ، ويمر فى مجال المنايا فيحلو له مريرها ومزورها ، ويقاسم سيوف العدى شر قسمة فعلى عاتقه غواشيها وفى صدورهم صدورها .

ولما كان وقت المغرب لجئوا — خذلهم الله — (ص ٣٧) إلى هضاب اعتقدوا أن فيها النجاة ، وقالوا نأوى إلى جبل يعصمنا من الموت ونسوا أن لا عاصم اليوم من أمر الله .

راموا النجاة وكيف تنجو عصبة مطلوبة بالله والسلطان ؟

وحصرتهم العساكر الإسلامية بعزائم كالشهاب أو النار[1] ، ودارت عليهم كالسوار والسوار ، وصيرتهم بقدرة الله فى ربقة الإسار ؛ وقاتلتهم الجيوش المنصورة غير محتمية[2] بقرى محصنة ولا من وراء جدار ، تتلظى كبودهم عطشاً وجوعاً ، ويكادون من شدة الهجير يشربون من سيل قتلاهم نجيعا ، ويودون لو كانوا أولى أجنحة ، ويندمون حين رأوا صفقتهم خاسرة وكان ظنهم أنها تكون مربحة ، ويأسفون على فوات النجاة ويتحيرون عند مواقعة الجيوش المؤيدة حيث رأوا ما شملها من نصر ؛ ويتضربون (؟) بنار الخيبة على حركتهم التى أدبرت لهم مآبا ، وينظرون فيما أسلفوه من ذنوب ولسان الانتقام يتلو عليهم يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا .

وَدَخَلَتْ ليلةُ الأحد وهم فى حصرهم ، وقد أوقعهم الله فى حبائل مكرهم ، وأراهم من الحصر والضيق ما لا رأوه مدة عمرهم ، (ص ٣٨) وأيقنوا بالهلاك ، وتحققوا أن لاخلاص لهم من تلك الأشراك ، ولو سمعوا ما سبق من الإنذار لما أتوا للمبارزة مظهرين ، ولو علموا سوء صباحهم لفروا عشاء ونجوا من قبل أن يتلى فى حقهم : وَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ .

وأصبح الإسلام يوم الأحد فى قوته المنيعة ، وأرواح العدى فى أجسادهم وديعة . ومولانا السلطان يصطبح من دمائهم كما اغتبق ، ويريهم عزماً ينثر عقد اجتماعهم الذى انتظم

(١) فى الأصل " النهار " .
(٢) فى الأصل " مسحه " .

واتّسق ، ويفهمهم أنه لا مردّ له عن مراد الصوارم ، وأنه لا يفارق الخيل حتى يجعل عِوَض الحجارة جماجم ؛ وأمراؤه - أعزّ الله نصرهم - بين يديه أولو همٍّ فى الحرب وأولو عزائم ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، يعدون الصابرة فى طاعة الله وطاعة سلطانهم غنيمة جمعت لهم أسباب الفخار ، ويمتازون بأن منهم من هاجر إليه ومنهم من نصره ، فعُدّوا حقا لكونهم[1] مع محمد تابعى المهاجرين والأنصار .

وزحف السّلطان وبين يديه أمراؤه وعساكره المؤيدة فضيّقوا عليهم الخناق ، وأحدقوا بهم إحداق الهدب بالأحداق ، وراسلوهم بالسهام وشافهوهم بالكلام لا الكلام ، ورفعوا من راياتهم (ص ٣٩) المنصورة ما طاول المنشآت فى البحر كالأعلام ، وحمل بها الأبطال فكلما رآها العدى تهتزّ بتحريك نسيم النّصر سَكَنوا خوف الحِمام ، ثم فرجوا لهم عن فرجة من جانب الجبل ظنوها فَرَجا ، وخيل لهم أنه من سلك تلك الفرجة سلك طريقا مستقيما وما دروا أنه سلك طريقا عِوجا ، واستترت لهم الجيوش المنصورة إلى الوطاة لتمكّن سيوفها من سفكهم ، وتقرّب مدى هلكهم ، وتُسلمهم إلى الحِمام الذى لا ينجى منه خيل ولا حِيَل ، وتملأ الوطاة من دمائهم فتساوى السهل من قتلاهم الجبل . وحلّ الحِمام بساحتهم ، وامتدت الأيدى لاستباحتهم ، وضاقت عليهم المسالك ، وغلبوا هنالك ، وأنزل الله نصره على المؤمنين وأيّدهم بجنود لم يروها ، واشترى منهم أنفسهم بأن لهم الجنة فياطيب ما شروها . وفرّت من العدو قوته ، وصلت فى حالة الحرب عن السيف فأدركهم العزم الماضى الغدار وتلا عليهم لسان الحق . . .[2] . . .

وما انقضى ظهر يوم الأحد إلا والنصر قد خفقت بنوده ، والحقّ سبحانه وتعالى قد صدقت وعوده ، وطائر الظفر قد رفرف بجناحه وطار باليمن والسرور ، (ص ٤٠) ونسيم الريح قد تحمّلت رسالة التأييد فسارت إلى الإسلام بالصبا وإلى العدى بالدّبور ، والألطاف ولله الحمد قد زادت للإسلام قوة وتمكينا ، ولسان النصر يتلو على السلطان إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ؛ والسيفُ قد طهّر ديار الإسلام من تلك الأدناس ، ومولانا السلطان يتلو ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . وأمست الوحوش تحوش أشلاءهم ، والحوائم ترد دماءهم ؛ والعساكر فى أعقابهم تقتل وتأسر ، وتبدى فى إيصالهم (؟) كل عزيمة وتظهر ، وتنظم أسنتها

(١) فى الأصل " لوهم " .

(٢) بقية هذه العبارة واردة بهامش الصفحة فى الأصل ، غير أن المصوّر أفسدها بتصوير نصف الهامش فقط ، فجاءت العبارة مبتورة كما هنا .

برؤوس القتلى ، وتعقد لها على عقائل النصر فتزف لديها وتجلى ، إلى أن ناجتهم بالحيف من مكان قريب ، وبسطت فيهم السيف فسأل الأسر أن يسمح له بحظ فاعطى أيسر نصيب . ومُلِئَت من قتلاهم القفار ، وأمسوا حديثا فى الأمصار ، وعبرة لأولى الأبصار .

ثم رحل السلطان يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان المعظم إلى منزلة الكسوة من مكان النصر وبقاعه تثنى على معاليه ، وتشهد بمضاء قواضيه ونفوذ عواليه ، ودمشق قد أخذت زخرفها وازينت ، وتبرجت محاسنها للنواظر وما بانت بل (ص ٤١) تبينت ، وكادت جدرها تسعى للقائه لتؤدى السنة من خدمته والفرض ، غير أنها استنابت الأنهار فسعت وقبلت بين يدى جواده الأرض . ثم رحل فى يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان ، ودخلها فى هذا اليوم والملائكة تحييه عن ربه بتحية وإكرام ، وتتلو عليه وعلى جيوشه أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ، فى موكب كأنه نظام الدرر ، أو روضة كلها زهر ، بل هو حقا هالة القمر ؛ والدنيا قد تاهت به عجبا ، والناس يدعون لسلطان قد شغفوا بدولته حبا ، ويتعجبون من نضارة ملكه الذى سر النواظر ، ويرون أولياءه فى فَلَكِ إنعامه فيقولون أبدلت الأرض غير الأرض أو صارت سماء وإلا فما هذا القمر حوله النجوم الزواهر . وعادت المآتم بدمشق أفراحا أعراسا ، وربوع الهناء قد عوضها أمْنُ مقدمه الوحشة إيناسا ، والقلعة بآلات حصارها مزينة ، قائلة كيف يستباح حماى وأنا بهذا السلطان محصنة وبسعادته محصنة . هذا والأنهار تساير ركابه ، وقد صبغت من دماء العدى بأحمر قانى ، والأشجار تميل طربا بالهناء كما يميل النشوان بين (ص ٤٢) الأغانى ، والحمام يطرب بحسن الألحان والتغريد ، وقد أقسمت لا تنوح وكيف تنوح وقد خضبت كفها وطوقت الجيد ، والناس يقولون أيا عجباً فى أول رمضان يكون عيد وفى آخره عيد ، والعزائم للعدى تردى ، وبنصر الله ترتدى وتهز بردا ، تقول عند تغريد الحمامه :

يا بَرْدَ ذاك الذى قالت على كبدى

والأقاليم قد تاهت بسلطانها بهجة وسرورا ، وهامُ الجوزاء تودّ لو كانت منبراً وسريرا ، والرعايا تقول هذا الملك الذى حمى الله بعزائمه الديار ، وأدار العدى إلى دار البوار ، ووقف لا يبتغى إلا وجه ربه ، وقابل اليوم بنفسه وبكتائبه وناضل الأمس بكتبه ، والله لدعائهم سامع ومجيب ، ومكافئه بكل فتح مبين ونصر قريب .

ووصل [السلطان] الميدان الأخضر وقد أذاق العدو الأزرق الموت الأحمر ، فى يوم السعد الأبيض بعلم النصر الأصفر ، إلى القصر الأبلق ، وقد طلع شمساً فى سماء الملك أنار بها

أفق الآفاق وأشرق ، ففخر القصر بحلوله فيه ، وقال : هـذا اليوم الذى كنت أرتجيه ، وهذا الوقت الذى ما برحت (ص ٤٣) تبشرنى به نشرات الذكر والأصائل ، لا تمر لطيفة فأعلم أن معها منه — خلد الله ملكه — رسائل ، وهذا الملك الذى أعرف فيه من الله شمائل ؛ فغبطته القلعة المنصورة ، وسألت أن لا تبقى بغير الجسد محصورة ، وفاخرت القصر بما لها من محاسن ، وما شرُفت به من إشراف على أنضر الأماكن ، وامتازت به من حصانتها التى ما امتطى سواه ذروتها ، ولا علا غيره — خلد الله ملكه — صهوتها ، فأراد أن يعظم لقلعته الشان ، فحلّ بها مرّة ثم بتلك أخرى فطاب بحلوله الواديان .

ثم أذهب [السلطان] عن أوليائه وجيوشه مشقة التعب ببذل الذهب ، وأنسى بمكارمه حاتم طى فلو عاش لاستجدى مما وهب ؛ وأمر بعود نواب ممالكه إلى أماكنهم المحروسة ، وقال قد خلت ربوعكم هذه المدة وحيث حللنا بالبلاد نبتغى أن تكون مأنوسة . فتضاعف الشكر لله على إتمام هذه النعمة ، وابتهلت الألسن بالمحامد وكيف لا وقد طلع صبح النصر فجلى ليل تلك الغمة . وشكر الناس منة الله التى أعادت إليهم بالأمن الوسن ، وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحـزَن .

(ص ٤٤) وأقام [السلطان] بدمشق المحروسة يتبوّأ منها أحسن الغرفات ، ويستقرّ من بقعتها فى جنات ، فحييت به بعد المات ، وعادت بمقدمه إلى جسدها الروح بعد المفارقة ، وتمتعت مقلتها من محاسنه بأبهى من رياضها الرائقة ، وهو يحمى حماها ، ويحلى مواطن ملكها الزواهر رباها ، ويزينها بمواكبه التى ماثلت الكواكب فى سنائها وسناها ، وتطأ سنابك جياده أرضها فتدانى الثريا فى الافتخار ثراها ، إلى أن قضى شهر صيامه المقبول ، وأتاه عيد الفطر مبشراً بإدراك آماله فى عزّ مستمرّ ونصر موصول ، وأسبغ من عطاياه ما أربى على عدد أمواج البحر ، وتعدّدت لدولته المسرّات فى هذا الشهر الميمون فآخره عيد فطر وأوله عيد نحر .

ثم رحل [السلطان] عن دمشق فى يوم الثلاثاء ثالث شوّال ، ويعزّ عليها أن تفارقه ، أو تبعد عن محياه الذى أنار مغارب الملك ومشارقه ، أو يسيّر عنها عزمه الذى إن غاب أغنت مهابته أو حضر أرهف على العدو بوارقه ، وأغصان رياضها تحشد بنود سناجقه ، وأوراق دوحها تودّ لو كانت مكان أعلامه وخوافقه ، وزهرها يتمنّى لو كان وشيا (ص٤٥) لحلك جياده ، وأرضها النضرة تكاد تنطوى بين يديه لتكون مراكز السعادة ، وقصرها الأبلق يتوسّل إليه فى أن يتخذه بدل خيامه وستائره ليصير[1] مسكنه فيه ومقامه . ومصر يبعثُ

(١) فى الأصل "ليسر ممكنه" .

إليه مع النسيم رسائل ، ويبذل له فى تعجيل عوده وسائل ، وكرسى سلطنتها يودُّ لو سعى من شوق إليه ، أو شافهه بالهناء بالنعمة التى أتمها الله عليه ، فلبى دعوتها ، ولم يطل جفوتها ، وسار إليها سير الأقمار إلى منازل الضياء والنور ، ووطئ بعواكبه الأرض فظهرت بها من مواطئ جياده أهلّة ومن آثار أخفاف مطيّه بدور .

ووصل [السلطان] ديار مصر المحروسة ، وقد زُفّت عروساً تُجْلَى فى أبهى الحلل ، وجمعت أنواع المحاسن فلا يقال لشىء منها كَمَل لو أنَّ ذا كَمَل . وفضح الدجى إشراقها وبهر العيون جمالها ، فإلى أقصى حدائق حسنها رنت أحداقها وسبت النفوس منازلها ، وكيف لا وهى المنازل التى لم نزل نشتاقها وشغلت القلوب أبياتها ، وكيف لا وقد زانها ترصيعها وطباقها ، وحوت من البهاء ما لو حوته البدور لما شانها بعد التمام محاقها ، وأمست روضة أثمرت اللآلئ والدّرر ، وفلكا زها بالمشرقات (ص ٤٦) فيه وكيف لا وفى كل ناحية من وجهها قمر .

وحلّ خلد الله ملكه بظاهر القاهرة فكادت تسير لخدمته بأهلها وجدرانها ، غير أنه أثقلها الحلى فأخّرها لتبدو إليه فى أوانها المراد وما أحسن الأشياء فى أوانها ؛ وهمّ نيلها أن يجرى فى طريقه لكنه أخره النقص والتقصير ، واستحى أن يقابله وهو فى دون غاية التمام أو يَسيرَ من مواكب أمواجه فى عدد يسير ، وخشى أن يتخلّل السبل بين يديه فيحصل فى ربّها الخلل ، أويظهر عليه كونه فى زمن توحّمه حمرةُ الخجل ، وكان عمود مقياسه قد آلى ألا يضع أصابعه فى اليم إلا بإذن سلطانه ، ولا يلبس ثوب خلوق إلا ما برزه عليه بنيانه ، ولا يأتى بزيادة إلا بعد مقدمه وكيف لا ومدده من إحسانه .

وركب [السلطان] سحر يوم الاثنين الثالث والعشرين من شوّال ، سنة اثنتين وسبعمائة ، من ظاهر القاهرة فى موكب حفّ به الظفر ، وأضحى حديثاً للأنام وذكرى للبشر ، وسيفه المنصور قد أذهب عن الملة الاسلامية ليل الخطب ومحى ، والأمة يترقبون طلوع فجر بدره ولسان المسرة يتلو عليهم مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى .

ودخل [السلطان] البلد وقد تزايدت (ص ٤٧) بمقدمه سروراً وبشراً وأنشدته :

أنت غيثٌ إذا وردت إلى الشّا ... مِ ونيلٌ إذا يمّمت مصرا
أطلع الشرْق من جبينك شمساً ... ليس تَخفَى ومن مُحياك بدرا
كان أمرُ التتار يستصعب الحا ... ل فصيّرتَ عُسْرَ ذلك يسرا

وفتحت له أبواب نصرها التى يُفضَى منها إلى نعمة ونعيم ، وشاهدت عيون أهلها فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ

كَرِيمٌ ، والرعايا قد أصبحوا كما أمسوا بالدعاء له مبتهلين ، والألسنة تتلو عليه وعلى أمرائه أُدْخُلوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ ، وقد أظلته سماء أديمها الحرير ونجومها الذهب وسحبها نثر اللؤلؤ المكنون ، وحيل بين سنابك خيله وبين الأرض بأثواب من إستبرق تستوقف العيون ، وكوفئت عن وطء الأحجار بالأمس فى سبيل الله بوطء الديباج فى هذا اليوم ، وكادت الأيدى تلمس معارفها تَبَرُّكاً بترب الجهاد الذى حملت إليه أكرم قوم ، فرأى فيها جنة أوردت من مناهلها كوثرا ، وكان قد أُنهِىَ بين يديه حديث رتبها فوجد[1] خُبْرُها يجاوز خَبَرا ، ولم يجد بها غيبا غير أن صباحها حمدت به الأجفان عاقبة السرى ، وتبرّجت (ص ٤٨) عقائلها نزها للنواظر ، وتظهر كل واحدة منهن فى وشى أبهى من الزواهر ، ولبست جدرانها حلل السرور النضرة ، وأبرزت بعولتهن ما فى ذخائرهم ولم يسألوا نظرة إلى ميسرة ، وماست أعطافها كما أمست وجوه التهانى بها ضاحكة مستبشرة . ولما مر بسبلها حلا له ذلك النور ، ولما سلك بين قصريها تحقق الناس أن أيامه زادت على أيام الخلفاء فإنها أنشأت قصرين وهذا أنشأ لها قصورا ما بها من قصور ، فمن بُرُوج تمنت البدور لو كانت لها منازل ، ومن قلاع لو تحصن بها جان لما دارت عليه دوائر الدهر الغوائل ، ومن قباب عَلَت وليس لها غير الهمم من عمد ، وضربت على السماحة والندى فما عدم مُشَيِّدها حسن البناء ولا فقد ، ومن عقود عقد لها على عرائس السعود وتمكنت فى الصعود ، ومن حُلِىٍّ لو ظفر بها الحَسَنُ بنُ سهل لاتخذ منها لجهاز ابنته على المأمون ما لا أُلِفَ مثله فى زمنه ولا عهد ، ولو رآه ابن طولون لاعتضد به فى إهداء عقيلته للمعتضد ، ومن أواوين تزرى بإيوان كسرى التى تعظم بناؤه وتحمد ، وتستصغر فى عين من رأى إيوانا واحدا من هذه وكيف لا وذاك هُدِم فى زمن (ص ٤٩) محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عُمِّر لنصرة محمد ، وذاك أهلك بانيه وزُجِر ، وهذا أيد بانيه ونُصر ، ومن سَوَاقٍ جَوَارٍ وجَوَارٍ سَوَاقٍ ، وآلات تبهر عند رؤية حدائقها الأحداق ، ومن غروس وأشجار ، ورياض نضرة تبهت الأبصار ، قد أخذت من كل المحاسن بِشِطْر ، وحلت مذاقا وكيف لا وقد سُقِيتْ بالقطر ؛ ومن سفائن ترفعت حتى مرت فى الجو من بحر النسيم فى لجج ، ومن عَجَائبَ إذا حدث المرء عنها قيل له حدث عن البحر ولا حرج ، ومن شخوص بالألحاظ تتغازل ، ودُمًى تسحر العقول بسحر بابل ؛ وصور يُخَيِّل للرائى أنها تنطق ، وأشكال وضعت صفةً للحرب التى أضحت راياتها فى الآفاق تخفق ، ومن هبة للعدى التى

(١) فى الأصل " فوجد حبرها محاور حبرا " .

أبادتها الأبطال ، وأعدمت حقيقتها فلم يَبْقَ إلاّ مثال يبرُزُ فى خَيَال ، ومن جتور ظهرت بها آية ملكه لما مرّت بنفسها على رأسه الكريم مرّ السّحاب ، وسارت بين السماء والأرض فلم تحتج مع سعادته إلى عَمَدٍ ولا إلى أطناب ، ومن فرسان خلت الجيوش المنصورة حيث لبسَت لامَةُ حَرْبها واعتقلت رماحها ، وبارزت الأقران (ص٥٠) فكان النّصر من حزبها ؛ ومن أنواع احتفال يعجز عن وصفها البديع الفَطِن ، ولولا خوفُ الإطالة لقُلْتُ وِمنْ وِمنْ إلى أن تنفد كلة مِنْ ، والأمة يبذلون فى خدمته الجمل والتفاصيل ، ويصيغون له ما يريد من النزَه ويعملون ما شاءوا من تماثيل ، والأسارى قَدْ جُعِلوا بين يديه مُقَرَّنين فى الأصفاد ، يشاهدون مدينةً ما تلتْ إرمَ ذات العماد ، الّتى لم يُخْلق مثلها فى البلاد ، وهو — خلّد الله سلطانه — يسير الهُوَينا وينظر بعين خبرة هذا المحفل ، ويُقْبِل وأمراؤه بين يديه كالليث أقبل للفريسة ينقل ، وهم يشكرون حلمه على السلامة من ريب المنون ، والأفواه تنطق بشكر الله إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يُسْحَبون ، وقد بُهتوا لِمَا رأوه من نِعَم الله التى تنوّعت له — خلّد الله ملكه — حتى أتت كل نعمة فى وقتها ، وعظمت فى عيونهم آيات الله سبحانه ولسان الأقدار يتلو ﴿وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلاَّ وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ . فلما نظروا بالأمن فى إنجاد الملائكة للعساكر المنصورة آية كبرى ، شاهدوا اليوم من سعادة هذا الملك الذى ثبّتت له الأقدار (ص٥١) بين السماء والأرض مدينة فقالوا هذه آية أخرى ، واستقلّوا ما مرّوا به فى المدائن والأمصار ، وغدوا وعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار ، واستصغروا مَلِكَهم المخذول ومُلكه ، وقالوا عيب عجيب لمن أقْدَمَ على هذا الملك أن يبدّد جمعه ويفرط سلكه ، وتحقّقوا أنه من أوتِيَ هذا السّعد لا يؤخر إن شاء الله إمساك كبيرهم وهُلْكه ، ونورا (؟) إن شاطروه فى السلاسل والقيود ، والسيف يقول ليس الأمر لمن يسمى خديعةً محمودا [1] محمود .

ووصل مولانا السّلطان تربة والده السلطان الشّهيد — قدس الله روحه — وأمراؤه قد بذلوا فى محبته نفائس النّفوس وجزيل الأموال وأخاير الذّخائر ، وركبوا بالأمس للمناضلة عن دولته فى سبيل الله وقد بلغت القلوب الحناجر ، وترجّلوا اليوم فى خدمته تعظيما لشعائر سلطنته وطلعوا فى سماء المعالى كالنّجوم الزواهر . وصعد — خلّد الله ملكه — تربة والده — رضى الله عنه — وأنوار النصر على أعطافِ مجده لائحة ، ودخلها فلولا خرق العوايد لنَهضَ من ضريحه وصافحه ، وشكر مساعيه التى اتّصلت بها أعماله وكيف لا وهى (ص ٥٢) أعمال صالحة .

---

(١) يقصد المؤلف بذلك إيلخان محمود غازان .

وقصّ مولانا السلطان — خلّد الله ملكه — عند قبره المبارك من غزوته أحسن القصص ، وأسْهَمَ له من بركة جهاده أوفر الحِصَص . فلو استطاع — رحمه الله — أن ينطق لقال " هذا الولد البارّ ، والملكُ الذى خلفنى وزاد فى نُصْرَة الإسلام وكسر التتار " ؛ ولو تمكّن — رضى الله عنه — لأخبره بما وجده من ثواب الجهاد فى جنّات وعيون ، وبشّره بما أعدّه الله لمن فُقِد من المجاهدين فى هذه الغزاة المبرورة بين يديه — وتلى عليه : وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، ولأثنى على أمرائه الذين فعلوا من المصابرة والمحافظة ما أوجبه حسن التهذيب منه — رحمه الله — وجميل التّربية ، وشكر عزائمهم التى ما ناداها أهل مملكة لكشف خطب إلا أجابوهم بمواقع التلبية ، واعتدّ بطاعتهم للميت والحىّ ، وموالاتهم التى ذاعت فى كلّ ناد وحىّ ، والقُرَّاء حول ضريحه يتلون آياتِ الله التى كان — رضى الله عنه — بها عاملا ، ولم يزل رَبْع تقواه بها آهلا . فشمل مولانا السلطان — خلّد الله ملكه — الأنام بالصّدقات (ص ٥٣) المتوفّرة ، وسمح من الذهب والفضة بالقناطير المقنطرة ، وازدحمت الأمانى على سيْبه ، كما ازدحمت الأعادى على سيفه ، فكان كما قيل :

قَدّاح زَنْدِ المجْدِ لا تنفكّ مِنْ نارِ الوَغَى إلا إلى نارِ القِرى

وركب من التربة الشريفة والرّعايا يدعون بدوام دولته التى أضحت قواعد الأمْن بها متينة ، ويرتعون بالمدينة فى لهو ولَعِب وزينة ، وسار جوادُه بين حُلِىّ وحلل فاستوقف الأبصار ، مسلكٌ حُفَّت به غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنيّة تجرى من تحتها الأنهار ؛ وعاد إلى قلعته ظافراً عودَ الحلى إلى العاطل ، وغدت ربوعها[1] الموحشة لبُعدِه بقُربه أواهل ، وطَلَعها فى أيمن طالع لا يحتاج معه إلى اختبار أو رصد ، وحلت شمس ملكه فى بُرجها وكيف لا وهو فى بُرج الأسد ، فالله تعالى يمتّع الدنيا منه بملك حَمَى شاماً ومصرا ، وأذاق التّتار بعزائمه مصائب تترى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولما صنّف المولى علاء الدين هذه الغزاة ، وعُرِضت (ص ٥٤) على المسامع الشريفة السلطانية شمله الإنعام والتشريف السلطانى ، ووفر حظّه من ذلك ؛ وقد سمعت هذه الغزوة من لفظه ، ونقلتها من خطه ، وقد أتى فيما أورده بالواقعة المشاهدة .

(١) فى الأصل "ربوعه" .

ملحق(١) رقم ١٧

وصف المدرسة الناصرية والقبة اللتين كمّل إنشاءهما السلطان الناصر محمد ، سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣م) ، وبه شرح لأوقافهما وطريق إدارتهما ، وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٤١ ب ، وما بعدها . صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف(٢) عامة) .

(ص ٣٣٩ ا) ذكر الجلوس بالمدرسة الناصرية والقبة ، وأوقاف ذلك وشروطه . وفى هذه السنة فى أولها فتحت المدرسة المباركة الناصرية والقبة الشريفة ، وانتصب المدرّسون والفقهاء بالمدرسة والقرّاء بالقبّة ، وجلس شيخ الحديث برواق القبّة . وفُوّض التدريس بالمدرسة لمن نذكرهم ، وهم : قاضى القضاة زين الدين على المالكى ، والطائفة المالكية جلسوا فى الإيوان القبلى بالمدرسة ، بمقتضى شرط الواقف لهم ؛ وقاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى ، والطائفة الحنفية جلسوا فى الإيوان الغربى ؛ وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرّانى الحنبلى ، والطائفة الحنابلة بالإيوان الشرقى . وكان جلوسهما بهذين الإيوانين بخلاف شرط الواقف ، فإنه جعل الإيوان الشرقى للحنفيّة ، والإيوان الغربى للحنابلة ، فجلسا على عكس الشرط ، ولعلّ ذلك عن غير قصد . ثم انتقض ذلك على ما نذكره ، وجلست كل طائفة منها فى المكان المعيّن لها بشرط الواقف ؛ وجلس القاضى صدر الدين محمد بن الشيخ زين الدين المعروف بابن المرحّل ، والطائفة الشافعية ، بالإيوان البحرى ؛ وحضر درسه الأمير عزّ الدين إيبك البغدادى ، وزير(٣) الدولة ومدبّرها .

وهذه المدرسة والقبة كان أنشأها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى فى أيام سلطنته ، واشترى أرضهما ، وكانت داراً تعرف بالرشيدى ، وحماما ومساكن ، (ص ٣٣٩ ب) فابتاع ذلك وهدمه وأنشأ قبّة ومدرسة ؛ وكملت عمارة القبة ، وبُنى من المدرسة إيوانها

(١) انظر ص ٩٥١ ، سطر ٤ ؛ ٩٥٢ ، حاشية ٣ .
(٢) قورن هذا النص على شبيهه الوارد بالنسخة الثانية من النويرى الموجودة بدار الكتب المصرية (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، القسم الأول ، ص ٦٩ — ٨٩ ، دار الكتب المصرية ، معارف عامة ، رقم ٥٥١) ، وسيكتفى الناشر بهذه الإشارة للتنبيه إلى مرجع التصحيحات والإضافات الواردة فيما يلى .
(٣) فى الأصل "ووزير" .

القبلي وبعض ما يليه ؛ ثم خُلع الملك العادل من السلطنة كما تقدّم ، فغلقت المدرسة وبطلت عمارتها .

فلما عاد السلطان الملك الناصر [محمد] إلى السلطنة ثانياً ، فى سنة ثمان وتسعين وستمائة ، حسّن له قاضى القضاة زين الدين المالكي ابتياعها وتكملة عمارتها وإتقانها ، فابتاعها وعوّض الملك العادل [كتبغا] عن ثمنها حصصا من ضياع من أملاكه بدمشق ، وحصل الشروع فى عمارتها . وعُيِّن له من الأملاك السلطانية ما يوقف عليها ؛ وكان المعيّن لذلك قاضى القضاة زين الدين المالكي ، وهو يومئذ ناظر الأملاك السلطانية ، التي ورثها السلطان عن والده وأخوته والمبتاعة من أجر أملاكه ، وكانت أجرتها فى كلّ شهر بالقاهرة وظواهرها خاصة تزيد على ثمانية عشر ألف درهم .

ولما عزم السلطان على الحركة إلى الشام ، للقاء غازان وضربه عند طروقه الشام ، وَقَفَ القبّة والمدرسة ، ووَقَفَ على مصالحهما [من أملاكه] ما يذكر ، وذلك فى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وتسعين وستمائة ، قبل استقلال ركابه الشريف إلى الشام بيومين .

وكان قاضى القضاة زين الدين قد رتّب كتاب وقف[1] جعل النظر فيه على الوقف والمدرسة والقبّة لنفسه أيام حياته ، ثم مِنْ بعده للأرشد فالأرشد من أولاده وأولادهم وذرّيتهم ، ثم من بعدهم لقاضى القضاة المالكي ؛ وشَرَط أيضاً التدريس فى إيوان المالكية لنفسه ، ولأولاده من بعده ، وكُتب الكتاب ووقع الإشهاد على السلطان فيه بذلك .

فضاق شهاب الدين أحمد بن عبادة من ذلك — وكان قاضى القضاة زين قد استخدمه مُشَارِفا بالديوان الناصرى ، وتقدّم عند السلطان — ، وأوضح للسلطان أمر الوقف وبيّنه له وقال : " إن قاضى القضاة إنما جعل هذا لنفسه ولأولاده وذرّيته ، ولم يجعل للسلطان ولا لعتقائه فى ذلك شيئاً " ؛ وحسّن للسلطان تغيير كتاب الوقف ، وأن يجعل النظر فيه لعتيقه الطواشى شجاع الدين عنبر اللالا ، ومن بعده للأمثل فالأمثل من عتقاء الواقف ، ثم عتقاء[2] والده . ففعل [السلطان الناصر] ذلك ، وجعل له أن يتناول من ريع الوقف المذكور فى كلّ شهر ثلاثمائة درهم نقرة مدة حياته ، وجعل لمن يؤول النظر إليه بعده فى كلّ شهر مائتى درهم ، وأبطل الكتاب الأول وثبّت الكتاب الثانى .

وسألتُ شهاب الدين بن عبادة عن السبب الحامل له على إخراج النظر عن قاضى القضاة

(١) فى الأصل " وقفه " .
(٢) فى الأصل " اعتقاء " .

ونقله إلى غيره ، فقال : " إنه جعل النظر والتدريس لنفسه ولأولاده من بعده ، وما جعل لى منه نصيباً ، ولا ذكر لى وظيفة . وكنتُ طلبتُ منه أن يجعلنى مشاركا بشرط الواقف ، فشحّ علىّ بذلك ، فأخرجت النظر عنه وعن ذرّيته " .

وقد رأيتُ أن أذكر ملخّص ما تضمّنه كتابُ وقف القبّة والمدرسة ، وما رُتّب فيهما فيه من أربابِ الوظائف ، وما شُرِط لهم منَ المعلوم ، وما شُرط عليهم ، والجهات الموقوفة على ذلك ، وما يُتحصّل من أجورها فى كلّ شهر ، وألخّص[1] القاصد فيه مع عدم الإخلال بها ، ولا أحذف منها إلاّ حشو الكتاب الذى لا يخِلّ حذفه بالمعنى ، وأوردَ ذلك بمقتضى كتاب الوقف ، وارتفاعِ الجهات الموقوفة بمقتضى حساب المباشرين .

والذى حملنى على ذلك ، وأوجب لى إيرادَه فى هذا الكتاب ، مع ما فيه من الإطالة والخروج عن القاعدة التاريخيّة ، ما وقع فى مثل ذلك من إخفاء كتب الأوقاف إذا تطاول عليها المدد ، وبَعُد العهد بالأوقاف والشروط ، وتداولها النظّار والمباشرون[2] ، واستولوا على الأوقاف ، وغيّروا المصارف عن شروط الواقفين ، ونسبوها إلى العادة ، فيخرج [الأمرُ] عن شرط الواقف إلى رأى المباشرين وعادةِ الصرف .

ثمّ بعثنى على ذلك ، وأكّدهُ عندى ، ما وقع فى هذه المدرسة المباركة فى ابتداء أمرها مع بقاء واقفها خلّد الله سلطانه ، وتوفّر[3] الداعى على ملاحظتها ، ونَصْب[4] قضاة القضاة وأعيان العلماء ونبلاء الفقهاء فى دروسها ، ومع ذلك كله حصل الخروج فيها عن شرط واقفها فى كثير من أحوالها ، وأحْصِرَ الرتب عن شرط الواقف مع توفر[5] المال وزيادة عن كفاية الشروط . وإنما ظهر ذلك عند وفاة ناظرها الطّواشى شجاع الدين فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وظهور كتاب الوقف ؛ ولعلّ النّاظر المذكور لم يفعل ذلك عن علمٍ واطّلاع [على الشروط[6] ، وإنما فعله عن] إغفال وإهمال وجَهْل وعدم احتفالٍ بإمعان النّظر فيما أُسْنِد إليه واعتمد فيه عليه .

(١) فى الأصل " واتحط " .
(٢) فى الأصل " المباشرين " .
(٣) فى الأصل " وتوق " .
(٤) فى الأصل " ونصف " .
(٥) فى الأصل " توق " .
(٦) موضع مابين القوسين فى الأصل ألفاظ تعذرت قراءتها تماما ، لاحتجابها تحت سواد ناشئ من إهمال المصور .

(ص ١٣٤٠) فلمّا أسند النّظر إلى أهله ، وانتهى إلى مَنْ يتحرّى الصّواب فى قوله وفعله ، أجرى الأمورَ فيها على شرطِ واقفها ، وصرف أموالها فى وجوه مصارِفها ؛ وما عدَل عن شرط الواقف ولا خرج ، ولا اعتمد ما يترتب عليه فيه إذا خرج . والذى تضمّنه كتاب الوقف الثانى الصادر عن مولانا السلطان الملك الناصر ، ناصر الدّنيا والدين أبى المعالى محمّد بن السّلطان الشّهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون الصّالحى ، خلّد الله سلطانه ، وأفاض على الكافّة عدله وإحسانه ، أنه وقف جميع المكان : أرضاً وبناء ، وما هو من حقوقه ، والسّاحة التى هى أمام المكان المذكور التى هى من حقوقه ، وذلك بعد أن كَمُلت عمارة القبّة ، وقبل أن تكمُل عمارة المدرسة ؛ وشرَط تكملة عمارتها وإنشاء المئذنة ، فقال بعد الوصف لهـا والتّحديد ما معناه ، بعد ذكر ألفاظه وتحرير مقاصده .

***

أما القبّة فإنه وقفها للقرّاء بها ، وشيخِ الحديث والإمامِ والمؤذّنين ، والقَوَمةِ والفرّاشين والخدّام ، والمتردّدين والمجتازين بها للصلوات وأداء الفرائض الواجبات وسماع القرآن العظيم وحديثِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، خلا موضع الضريح الذى بوسط القبّة ، فإنه مُرْصَد للدفن ؛ وخلّى بينهم وبين القبة المذكورة ، وأذن لهم فى الدخول إليها والصلاة فيها على العادة فى مثل ذلك ، فصار لا حقّ له فيها إلاّ كسائر الناس أجمعين .

وجعل للناظر أن يرتّب بالقبة المذكورة إماماً يؤمّ بالمسلمين فى الصلوات الخمس ، ويفعل ما يفعله الأئمة على ما يراه الناظر من المذاهب ويؤدى إليه اجتهاده ؛ ويَصرِف له فى كلّ شهر بالهلال ثمانين درهماً أو ما يقوم مقامها .

ويُرتِّب فيها شيخاً لإقراء الحديث النبوى ، ينتصب فى المكان الذى يعيّنه الناظر منها فى الوقت الذى يجعله له لمن يقصده ويشتغل عليه به — أو لسماع الحديث وتصحيحه ؛ ويصرف له من ريع الوقف فى كل شهر ثلاثين درهما نقرةً .

ويرتّب بها من القرّاء الحافظين لكتاب الله العزيز خمسة وعشرون نفراً ، على ما يراه فى ترتيبهم فى النوبة ، يقرءون له ما تيسر لهم قراءته ليلا ونهاراً ، فى الوقت الذى يعيّنه ، ويدعون عقيب قراءتهم للواقف ووالديه بالرحمة والرضوان وجميع المسلمين ، ويصرف لهم فى كل شهر خمسمائة درهم بينهم على مايراه من التسوية والتفضيل .

ورتب بالقبة والمدرسة من المؤذنين ثمانية نفر ، يجعل من العدد رئيسين عارفين بالأوقات يعلنون بالأذان الشرعى فى المئذنة التى تنشأ على الباب ، ليلا ونهاراً ، وإقامة الصلوات والتسبيح والتذكار فى الأسحار ، على ما يراه الناظر متناوبين أو مجتمعين ، وعلى ما يراه من ترتيبهم فى القبة والمدرسة ؛ ويصرف لهم فى كل شهر مائتى درهم وثلاثين درهما نقرة ، يصرف للرئيسين فى كل شهر ثمانين درهما على ما يراه من التسوية والتفضيل ، ويصرف للستة الباقين فى كل شهر مائة درهم وخمسين درهما على ما يراه من التسوية والتفضيل .

ورتب بالقبة من القَوَمة اثنين يقومان بخدمة القبة المذكورة والإيوان والساحة التى من حقوقها ، ووقود مصابيحها والكنس والتنظيف والغسل للصحن الرخام ودائره ، والسقاية التى للقبة ، وإماطة الأذى عن ظاهرها كعادة القومة فى مثل ذلك ؛ ويصرف لهما فى كل شهر ثمانية وخمسين درهما نقرة أو ما يقوم مقامها ، على ما يراه من التسوية والتفضيل .

ورتب بها ثلاثة من الفراشين الذين خَبَروا الخدمة ، يقومون بفرش القبة المذكورة ورفع فُرشها فى الأوقات[1] المعهود ذلك فيها ، ويفعلون ما يفعله مثلهم فى مثل ذلك ؛ ويصرف لهم فى كل شهر مائة درهم وأحداً وستين درهماً نقرة ، من ذلك مايصرف للحاج صبيح القطبى أحد الفراشين مائة درهم نقرة فى كل شهر ، أو ما يقوم مقامها من النقود ، ما دام حيا مباشراً ، وباقيها لرفيقيه[2] بينهما على ما يراه الناظر من التسوية والتفضيل ؛ فان توفى صبيح المذكور أو تعذرت مباشرته بسبب من الأسباب ، وزال استحقاقه ، عوض الناظر مكانه غيره مَنْ شاء ، ويصرف له أسوة رفيقيه[3] (ص ٣٤٠ ب) والباقى منه يعود فى مصالح الوقف .

ورتب بها أربعة من الخدام من عتقاء الواقف ، فإن لم يوجد من عتقائه فمن عتقاء والده ؛ ويصرف لهم من كل شهر مائة درهم وستين درهماً على ما يراه الناظر من التسوية والتفضيل ؛ فان لم يوجد من عتقائه ولا عتقاء والده ، وتعذرت مباشرة الخدام بوجه من وجوه التعذرات ، رجع ما كان يُصرف إليهم على المصالح المذكورة .

ورتب لها بوابا حافظاً لها ، يحتاط فى الداخلين والخارجين ، ويمنع المرتاب بهم ، ومَن يُكثر الدخول لغير حاجة ، ولا يترك الباب[4] إلا لعذر ، ويستخلف مكانه زمان غيبته ؛

(١) فى الأصل "من الأوقاف" .
(٢و٣) فى الأصل "لرفيقه" .
(٤) فى الأصل "البيات" .

ويصرف له فى كل شهر عشرين درهما ، أو مايقوم مقامها ؛ ويصرف فى ثمن زيتٍ يُستصبح به بالقبة المذكورة وما حوته من الأماكن ما يراه ، وفى ثمن حصر من العبدان الأحمر أو الأبيض بحسب ما يراه ، وفيما يحتاج إليه من القناديل والبصّاقات والسّلاسل والأباريق والكيزان ، وجميع ما يحتاج إليه ما يراه .

***

وأما الموضع الذى فيه الأواوين الأربعة ، وما به من البيوت السّفلية والعلوية ، والقاعة المجاورة للإيوان القبلى ، وما حواه من الأبنية ، فإنه وَقفَ ذلك على المدرسين بها ، والمعيدين والفقهاء المتفقّهين المشتغلين بها بالعلم الشريف على مذاهب الأئمة الأربعة ، وعلى الإمام والمؤذّنين والقومة والبوّاب بهذه المدرسة وغير ذلك : يسكن بها المدرّسون والمعيدون والفقهاء والأئمة فى بيوتها للاشتغال بالعلم الشريف ، ويؤدّى كلّ واحد منهم ما يلزمه بهذه المدرسة على العادة فى مثلها ، وعلى المتردّدين بهذه المدرسة ، والمجتازين للصلوات وأداء الفرائض . وخلّى بين المسلمين وبينها تخلية شرعية ، وأذِن لهم فى الصلاة فيها ، وصار حكمها حكم سائر المدارس .

وجعل للناظر أن يرتّب بالمدرسة المذكورة فى كل من أواوينها الأربعة مدرّسيها على المذاهب الأربعة ، ينتصب المدرس المالكىّ المذهب بالإيوان القبلى ، والمعيدون[1] المالكية والطلبة المالكية فى الوقت الذى تُعيّن فيه ، وهو ما بين طلوع الشمس إلى زوالها ، أىّ وقت رآه المدرس من ذلك لإلقاء فروع مذهبه ، وما تيسّر له من إلقائه من تفسير وأصول وغير ذلك ، بحيث يلازم الجلوس على العادة فى الوقت المعيّن ، بعد أنْ يتيمّن كل واحد من المدرسين هو وجماعته بقراءة ما تيسر من القرآن الحكيم — إمّا من ربعة أو من صدورهم — ويدعوا عقيب ذلك للواقف وسائر المدرّسين ؛ ويُعيَّن من المعيدين المالكية ما يراه الناظر من العدد .

وكذلك ينتصب المدرّس الشافعى المذهب بالإيوان البحرى ، كما حُكِىَ بأعاليه ، هو ومَنْ يعيّنه النّاظر من المعيدين والطلبة فى الوقت المذكور .

وكذلك ينتصب المدرّس الحنفىّ المذهب ، ومَنْ معه من المعيدين والطلبة ، فى الوقت المذكور فى الإيوان الشرقى .

---

(١) فى الأصل "المعيدين" .

وكذلك ينتصب المدرّس الحنبلى المذهب ، ومن معه من المعيدين والطلبة ، فى الوقت المذكور بالإيوان الغربى .

ويُعيّن النّاظر لكلّ مدرّس منهم من المعيدين والطلبة ما يراه من العدد ، وينتصب كلّ معيد ممّن عُيّن فى جهته لأهل مذهبه لاستعراض طلبته ، ويشرح لمن احتاج الشرح درسه ، ويصحّح له مستقبله ، ويرغّب الطلبة فى الاشتغال ؛ ولا يمنع فقيهاً أو مستفيداً ما يطلب من زيادة تكرار وتَفَهُّم معنى ، ولا يقدّم أحداً من الطلبة فى غير نوبته إلا لمصلحة ظاهرة . ويشتغل كلّ واحد من الطلبة بما يختاره من أنواع العلوم الشرعيّة ، ويراه المدرّس له على مذهبه ، ويبحث فى كل ما أُشْكِل عليه من ذلك ويراجع فيه ؛ وأنْ ينظر المدرّس فى طلبته ، ويحثّهم كلّ وقت على الاشتغال ، ويجعل مَنْ يختاره نقيباً عليهم ويقرّر له ما شاء ؛ ويُصْرَف لكلّ واحدٍ من المدرّسين ، ولمعيديه وطلبته والدّاعى عنده والنقيب ، فى كلّ شهر مِنْ شهور الأهِلّة أَلْفُ درهم نُقرة ، من ذلك ما يختصّ به المدرّس عن التدريس مائتىْ درهم ، والعيدون[1] والطلبة والدّاعى والنّقيب ما يراه من التسوية والتفضيل .

ورتّب بالمدرسة المذكورة بالإيوان القبلى (ص ١٣٤١) بها إماماً يَؤُمّ بالمسلمين فى الصّلوات ، الخمس على أىّ مذهب كان من المذاهب الأربعة ، يقوم بوظيفة الإمامة كجارى عادة المدارس ، ويصرف له كلّ شهر ثمانين درهماً .

ورتّب من المؤذّنين الثمانية المشار إليهم مَنْ يختارهم كما بُيّن فيه .

ورتّب بها أربعة من القَوَمَة العارفين بما يلزمهم من ذلك ، يقومون بخدمة المدرسة ووقود مصابيحها وكنسها وتنظيفها وتنظيف فسقيّتها ودائرها ، وتنظيف السّقاية وغسْل ما بظاهرها من الأوساخ ، كجارى عادة القَوَمة فى مثلها ؛ ويصرف لهم فى كل شهر مائة درهم بينهم على ما يراه من التسوية والتفضيل .

ورتّب بها شاهداً لخزانة الكتب ، يحفظ ما فيها من الكتب ويضبط ما يؤخذ منها للاشتغال بها ، بحيث لا تخرج الكتب من المدرسة ؛ ويصرف له فى كل شهر ثلاثين درهماً ، أو ما يقوم مقامها من النقود .

ورتّب بالمدرسة بوّاباً — بالباب الكبير الجامع للقبّة والمدرسة — حافظاً محتاطاً

(١) فى الأصل "والمعيدين" .

فى أمور المدرسة والقبّة من الدّاخلين إليها والخارجين ، مانعاً مَنْ يرتاب به ومَنْ يُكثر الدّخول لغير حاجةٍ ، ويلازم حفظ الباب ليلاً ونهاراً ، وفَتْحَه وغلْقَه فى الأوقات المعهود ذلك فيها ، ولا ينفصل عن الباب إلا بعذْر ، فإن اتّفق له عذرٌ استخْلَف فى موضعه مَنْ يختاره عنه حين غيبته ؛ ويصرف له فى كلّ شهر ثلاثين درهماً ، أو ما يقومُ مقامها من النُّقود .

ويرتّب سوّاقاً لإدارة السّاقية ، وإجراء الماء من البئر إلى الصحن أمام إيوان القبة ، وإلى الفسقية التى بوسط المدرسة ، وإلى الميضأة التى بالمدرسة ، ويفعل ما جرت العادة فى مثل ذلك ؛ ويصرف له فى كل شهر ثلاثين درهما . ويصرف فى ثمن ثور لإدارة السّاقية المذكورة ما يراه ويؤدّى إليه اجتهاده ، ويصرف فى ثمن ما تحتاج إليه الساقية من الخشب والآلات والنجر والحديد ما يراه ، ويصرف فى ثمن زيت الزيتون أو ما يقوم مقامه مما يُستصبح به فى المدرسة المذكورة والأواوين الأربعة والمطلع ، ولتكرار الطلبة والميضئة ما يراه ويؤدى إليه اجتهاده . ويصرف فيما تحتاج إليه المدرسة المذكورة من الحصر والقناديل والبصّاقات الزجاج ، والأطباق النحاس والسلاسل والأباريق والجرار ، وجميع ما يحتاج إليه بالمدرسة المذكورة ما يراه ويؤدّى إليه اجتهاده ، ويصرف النّاظر فى كلّ سنة فى مَلء الصّهريج من بحر النيل المبارك ثمَن ستمائة راوية ما يراه ويؤدّى إليه اجتهادُه .

وجعل الواقفُ — أعزّ الله نصره — النظر فى هذا الوقف لعتيقه الطّواشى شجاع الدين عنبر بن عبد الله الحرّ اللالا أيام حياته ، ثم من بعده يكون النظر للأمثل فالأمثل من عتقاء الواقف ؛ فإن استووا أُقرع بينهم ، ثم بعدهم يكون النظر لعتقاء والد الواقف المذكور ، الأمثل فالأمثل منهم ؛ فإن استوى اثنان فأكثر قُدّم الأكبر سناً ، مع ظهور أهليته لذلك ؛ فإن استووا أُقرع بينهم . فإن انقرض عتقاؤه وعتقاء والده ، أو تعذّر نظر أحد منهم ، كان النظر فى ذلك والولاية عليه لحاكم المسلمين . فإن عاد إمكان نظر من تعذّر نظره عاد النظر إليه ، فإن تعذّر أيضاً كان لحاكم المسلمين ، يجرى الحال فى ذلك أبد الآبدين .

وفى ظهر كتاب الوقف المذكور إسجال على قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى يتضمّن أن الحاكم الآيل النظر إليه يكون مالكىّ المذهب ؛ وشرط الواقف أن لكل من له وظيفة فى هذا الوقف المذكور أن يستنيب عنه عند ضرورة لسفر أو مرض ، وأن لكلٍّ من المدرسين والمعيدين البطالة المعروفة فى رجب وشعبان ورمضان وعشر ذى الحجة من كل سنة على جارى العدة فى مثل ذلك ، وأن من شرط هذا الواقف أن

يُتَمعاهد إثباته عند الحكام ، و يُحفظ بتواتر الشهادات كل ذلك بعد البداءة بعمارة الوقف ومرمّته وصلاحه وإصلاحه ، وما فيه الإفضاء إلى بقاء عينه ودوام منفعته ونمو غلّته ، وما فضل بعد ذلك يصرف فى المصارف المعيّنة فيه ؛ على أن الناظر فيه يؤجره وما شاء منه مدة سنة فما دونها بأجرة المِثل فما فوقها ، ولا يَزيد على السنة إلا لمصلحة ظاهرة للوقف أو ضرورة لا بد منها ، ويؤجره إذ ذاك مدة تفي[1] أجرتها بالضرورة ، ويَسلك فى ذلك الاستغلال الشرعى بحيث لا يُفْرط ولا يُفَرّط ، ولا يعدل عن السنن المتوسطة . ومهما حصل من ريع الوقف ، وهو ...[2]

ونحن الآن نذكر الوقف المذكور على القبة والمدرسة بمقتضى كتاب الوقف ، ونذكر أجرة كلّ مكانٍ سنة بمقتضى حساب الباشرين ، ثم نذكر ما تجدّد من الأماكن الجارية (ص ٣٤١ ب) فى الوقف المذكور ، بعد صدور كتاب الوقف المشروح ، على ما نقف على ذلك إن شاء الله تعالى .

* * *

والأماكن الموقوفة بمقتضى الكتاب ، منها ما هو بالقاهرة المحروسة : قيسارية أمير عَلِيّ بخط الشرابشيّين ، ظاهرها وباطنها ، سفلها وعلوها وتربيعتها ، وسائر حقوقها ، [و] أجرة هذه القيسارية فى كل شهر ، على ما استقرّ إلى آخر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، ألفُ درهم وستمائة درهم وتسعة وخمسون درهما ؛ والقاعة المجاورة للقيسارية المذكورة ، [و] يُتوصل إليها من الزقاق الشارع بدرب قيطون ، على يَسرة السالك فيه إلى أقصاه ، [و] أجرتها فى كل شهر ثمانية وأربعون درهما ؛ وجميع الربع المعروف بالدهيشة ، بخط باب زويلة فيما بين البابين ، [و] يعرف سفلها بسكن المجيرين[3] والحريريين ، [و] يشتمل على ست حوانيت ومقاعد فيما بين ذلك ، وست طباق علوية ، [و] أجرة ذلك فى كل شهر مائتا درهم وثمانية وستون درهما ؛ وجميع الحوانيت الثلاثة المجاورة بخط باب الزّهومة ، [و] تعرف بسكن العطارين والسيوفى ، ويعلو الحوانيت طبقة ليست من الوقف ، إنما هى من حقوق المسجد المجاور للحوانيت ، [و] أجرة هذه الحوانيت فى كل شهر خمسة وسبعون درهما ؛ وجميع الخط والحوانيت التى بظاهره وعدتها سبعة ، وذلك بالقاهرة بخط باب الخوخة[4] ،

(١) يلى هذا اللفظ فى الأصل عبارة "ضرورتها بالاجارة" وهى مشطوبة .

(٢) موضع هذا فى الأصل العبارة الآتية بنسختى النويرى : "وذكره ووصفه وحدده" ، وقد حذفت هنا . (٣) فى الأصل "المجيرين" .

(٤) فى الأصل "الحوضة" .

[و] أجرة ذلك فى كل شهر خمسمائة درهم وخمسة وعشرون درهما ؛ وجميع الحمام المعروفة بالفخرية بالقاهرة المحروسة ؛ [و] تجاور المدرسة السيفية والدار الكبرى المعروفة بالسلطان الملك المنصور والد الواقف ، ويعرف قديما بالسيفى ، [و] أجرتها فى كل شهر أربعمائة درهم وتسعون درهما ؛ وجميع الحمامين المعروفين بالشيخ خضر بظاهر القاهرة بخط بستان بن صيرم والجامع الظاهرى ، إحداهما لدخول الرجال والأخرى للنساء ، أجرتهما فى كل شهر ألف درهم وخمسمائة درهم وخمسون درهما ؛ وجميع خان الطعم بظاهر دمشق المحروسة ، وهو مشهور معروف ، قد وصفه وحدده هكذا : "تضمن كتاب الوقف جميع الخان المذكور" ، وليس كذلك ، فإن الخان المذكور من جملة الأملاك الموروثة عن السلطان الشهيد الملك المنصور والده السلطان الواقف قدس الله روحه ، والذى كمل للسلطان الملك الناصر خلد الله ملكه من الأملاك المخلفة عن والده السلطان الملك المنصور ، مما جره إليه الإرث عن والده السلطان المشار إليه وأخيه الأمير أحمد وأخته جهة عنبر الكمالى ، وأخيه الملك الأشرف وبنات أخيه الملك الأشرف وأخته داو مختار(١) الجوهرى ، وما خصه من نصيب والدته الذى وهبته له ، ولأخيه الملك الأشرف ولأخته دار مختار(٢) الجوهرى المذكورة ، وذلك إلى حين صدور هذا الوقف ، سبعة عشر سهما ونصف سهم وثمن سهم وسدس عشر سهم وسدس ثمن عشر سهم . هذا الذى لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهذه الحصة المذكورة هى التى استقرت فى الوقف من هذا الخان ، وإطلاق الكاتب فى كتاب الوقف جميع الخان غلط وغفلة ممن أملاه ، أو ذهول ممن عين ذلك من المباشرين ؛ وأجرة هذا الخان بجملته فى كل سنة ، على ما استقر إلى آخر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، تزيد على سبعين ألف درهم ، يخص الوقف منها ما يزيد على خمسة وأربعين ألف درهم . ثم تجدد بعد كتاب الوقف المشروح الوقف المذكور زيادات ، منها القاعد التى أنشئت بالساحة بباب المدرسة وعدتها ثمانية ، ومسطبة ومخزن أجرتهما فى كل شهر مائة درهم وأربعون درهما ، ومنها ما اشترى من فائض ريع الوقف وألحق به ، وهو نصف وربع وثمن طاحون بمصر ، أجرة ذلك فى كل شهر سبعة وثمانون درهما ؛ وإسطبل وطبقة بخان السبيل ، أجرة ذلك فى كل سنة ستة عشر درهما .

وجعل الواقف — خلد الله سلطانه — للناظر فى الوقف المذكور أن يصرف لمباشرى الوقف واستخراجه وصرفه فى مصارفه ، ولمباشرى العمارة بالمدرسة والأوقاف والجابى والمعمار ، وغير ذلك ما يراه ويؤدى إليه اجتهاده ، من عدد المباشرين وتسويتهم وتفضيلهم .

(١و٢) فى الأصل "سختار" .

وجعل للناظر أيضا أن يصرف من ريع الوقف إذا فضل عن المرتّب المعين فيه ، فى ليالى الجمع والأعياد والمواسم وشهر رمضان ، ما يراه فى التّوسعة عليهم ؛ فإنْ تعذّر الصرف لجهة من الجهات عاد الصرف (ص ١٣٤٢) إلى باقيها ، فإنْ تعذّر صرف ذلك للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وُجِدوا ، فإنْ زال التعذّر عاد على الحكم المذكور ، فإنْ تعذّر أيضا كان على الفقراء والمساكين كما تقدّم ، يصرفه الناظر فيهم على ما يراه من مساواة وتفضيل ، وعلى ما يرى صرفه من نقد أو ثوب أو كسوة أو غير ذلك ، مما يراه ويؤدى إليه اجتهاده .

ولما تمّ هذا الوقف وكملت عمارة المدرسة ، وجلس المدرّسون والمعيدون والفقهاء بالمدرسة ، وانتصب كلّ من ذُكر فى هذا الوقف وظيفته ، صَرَفَ الناظر للمدرّسين خاصةَ معلومهم الشاهد به كتاب الوقف ، وصرف للمعيدين والفقهاء بكلّ إيوان من الأواوين الأربعة على مذهبه من جملة ما شُرِط لهم فى كتاب الوقف ، وهو ثمانمائة درهم ، فى كل شهر ثلاثمائة وخمسون درهما ، صَرف منها لمعيدَيْن لكلٍّ منهما فى كل شهر ثلاثين درهما ، وصَرَفَ للطلبة والنقيب والداعى فى كل شهر مائتى درهم وسبعين درهما ، وقطع من هذا المرتّب المعروف لهم فى سنة ثلاثة شهور ، واستمرّ ذلك مدّة طويلة .

واتّفق فى غضون ذلك أن باشرتُ ديوان الخاص السلطانى بالأبواب الشريفة وغيرها ، وسكنْتُ بالمدرسة الناصرية ، واطّلعت على متحصّل جهات الوقف بالقاهرة وغيرها ؛ ونظرت فى ذلك فرأيته يفيض على المصروف فى كل سنة جملة كثيرة ، فقُمْتُ فى ذلك قياماً أدّى إلى أن صرف لهم ذلك مكملا من غير اقتطاع ثلاثة شهور ؛ واستمرّ الأمر على ذلك إلى أن توفِّىَ الطواشى شجاع الدين ناظر الوقف ، فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وفُوِّض الأمر إلى الأمير سيف الدين أرغون الناصرى نائب السلطنة الشريفة ، فأظهر كتاب الوقف وأذاعه ، وحمل الأمر على حكمه على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى موضعه .

ونَقل السلطان إلى القبة المباركة ما تحتاج إليه من البسط والشمعدانات الكفت والأطباق النحاس ، وغير ذلك من الآلات مما جعله فى حاصلها . ونقل والدته من مدفنها بالتُّربة المجاورة لمشهد السيدة نفيسة إلى مدفن هذه القبة ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعمائة ، وهى أول من دفن بمشهد القُبّة . ثم دَفن بعد ذلك ابنةً له تُوفيت صغيرةً رحمها الله تعالى . وقد أخذ هذا الفصل حدّه من الإطالة ، فلنذكر خلاف ذلك من الحوادث ، والله أعلم .

تمّت الملاحق

كشّاف

للجــــزء الأول

من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

للمقــــريزى

أسماء الرجال والنساء والدول والقبائل والأجناس والفرق الدينية والسياسية

أسماء الأماكن والمدن والشوارع والأسواق والحارات والخطط والرباع والمساجد والجوامع والخوانق والخانات والأنهار والترع والجسور

الألفاظ الإصطلاحية وأسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب وأنواع الضرائب وأدوات الحرب والملبوسات والمحاصيل والمقاييس والأعياد والملاهى

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٥٠٠ — ١٩٣٩/٣/٦

